

النقط فوق الحروف

الإخوان المسلمون والنظام الخاص

الزهراء للإعلام العربي



أحمد عادل كمال ١٩٤٢

واعادوا

IKHWANWIKI.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي المؤلف والكتاب

بقلم: أحمد رائف

المؤلف هو الأستاذ أحمد عادل كمال مؤرخ الفتوحات العسكرية الإسلامية والكتاب هو النقط فوق الحروف
(الإخوان المسلمون والنظام الخاص)

ويمكن لنا أن نترك الكلمات السابقة كما هي فيكون التقديم بليغا موجزا ، فالمؤلف معروف للمشتغلين
بالحقل الإسلامي، وهو من المهتمين بأمور المسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين. وبدأت صلته بالحركة
الإسلامية شابا يافعا ممتلئا بالحماس والتعقل ، شديد الغيرة على دينه ، عظيم الحزن على حال المسلمين وما انتهوا
إليه في كل البلاد، وفي مصر وطنه بشكل خاص.

وكان ممن تشكل منهم " النظام الخاص " الذي نسب إليه أعداء الإخوان الجرائم والتجاوزات، ولم يكن أحد
ليعلم بحقيقة ما نسب إلى هذا التشكيل من أعمال ومبالغات ومغالطات.

فقد كان الكلام من جانب واحد، هو جانب الأعداء، وليس من العدل أن نحكم على قوم بكلام خصومهم
فيهم، ولم تكن هناك فرصة لنسمع صوت أحد هؤلاء الذين اتهموا فصمتوا وصبروا صبر المضطر وليس صبر
المختار.

كانت الظروف في مصر صعبة وحرجة للمسلمين والأحرار وسائر الشعب، فالبلد يحكم حكما عسكريا
دكتاتوريا بالغ العنف والسطوة، ولا يسمح بصوت يرتفع إلا بالتسييح بحمد النظام وسدنته، وانتهى بهم الحال إلى
ما نرى اليوم في بلدنا وفي البلاد المجاورة من مصائب وويلات.

واستمر الإعلام مكثفا طيلة الأربعين عاما الماضية يصم الإخوان المسلمين بالإرهاب والتجاوز، ولا يستطيع
واحد منهم أن يرفع صوته دفاعا وصدًا لأتهام. ومن كثرة ما رددته الأبواق المعادية، ومن شدة البطش والإرهاب
الذي أوقعته العسكرية الدكتاتورية بالإخوان، وجدنا منهم من صدق وقام معتذرا عما فعله " النظام الخاص ".

واختلط الحابل بالنابل وحجبت الرؤية، ولم يعد أحد يملك الحكم الصحيح على الحوادث التي جرت. وصار
تاريخ الإخوان المسلمين لغزا من الألغاز ولم يتطوع أحد ممن اشتركوا في الأحداث بالتاريخ وكتابة المذكرات حتى

تفهم الحقائق على وجهها الصحيح. وحتى يمكن أن يكتب التاريخ. وقد كنت واحدا ممن قدر لهم أن يطلعوا على بعض الحقائق عن تاريخ الإخوان المسلمين، وكان ذلك في الزنازين المغلقة، والأحاديث الهامسة في غفلة عن الرقباء، ورجال فؤاد علام وأمثاله.

وكنت أتعجب وأتساءل:

هل يأتي اليوم الذي يعرف فيه الناس حقيقة الإخوان المسلمين والنظام الخاص؟

وكنت أيامها - رغم ظلام السجن وشدة وطأته - على يقين من دورة التاريخ وأن يوما سيأتي تظهر فيه الحقائق ويعاقب المسيء.

وقد قدر لي أن أرافق الأستاذ أحمد كمال مؤلف الكتاب في سجون مصر المختلفة، العسكرية منها والمدنية، وكنت في جواره أعواما سمعت منه الكثير عن تاريخ الإخوان المسلمين. وكنت أسأله عن الواقعة المشوشة المضطربة في ذهني من كثرة ما اعتورتها الألسنة بالتحريف والتبديل. فيجيبني بذاكرة حاضرة وذهن صاف، ويذكرها مسلمة لاشية فيها، ولم يكن يحاول أن يدعى البطولة فيما شاهده وشارك فيه من أحداث، بل كان يذكر الواقعة ببساطة وشجاعة ويذكر ما له فيها وما عليه، إن كان فيها ما عليه، بشجاعة وصدق ووضوح.

وكان في كثير من الأحيان يعتذر عن الحديث في واقعة من الوقائع ويقول:

- هذه لم يأت أوأنا بعد ونحن في سجن أم تراك نسيت؟

وكان الرجل يفهم التاريخ ويعيه ويذاكره، وقد شغل نفسه به فقد كنا نعيش زمن الأزمات والملمات.

وجعل الرجل مهمته الأساسية أ، يحاول تفسير التاريخ الإسلامي بشكل يخضع لمنطق العلوم الحديثة، ونجح في هذا بعد جهد أخذ منه سنوات وسنوات. ولعلنا نقول غير مبالغين إنه أول من فسر تاريخ الفتوحات الإسلامية في هذا العصر، بعد أن كانت طلسمات تختلف التفسيرات فيه وتباین الآراء. وفي صبر وجلد استطاع الأستاذ أحمد عادل كمال بعد دراسة متأنية طويلة أن يضع كل لبنة في مكانها من البناء، وكان يصبر الليالي الطويلة في القراءة والفحص ليضع اللبنة المناسبة في مكانها وقرأ كتب الأولين والآخرين بالعربية وغير العربية، وقرأ في الجغرافيا والفلك والعلوم وفي أبواب قد تبدو لأول وهلة ألا علاقة لها بتاريخ الإسلام والمعارك، ثم يأتي أحمد عادل كمال فيؤكد لك ضرورتها عندما يكتمل البناء.

وكثيراً ما رأيتَه يراجع أحوال الطقس والفلك في أيام معينة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فيطلع على المراجع القديمة، ويتصل بدور النشر العالمية، ويسأل العلماء. وكل هذا ليفهم كيف تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على سبيل المثال، فلا بد له أن يحيط إحاطة تامة بظروف الحدث. و كنت أقول له أحياناً:

- عليك أن ترجح رواية علي أخرى فالبدائل أمامك كثيرة وكان يرد عليّ في هدوء:
- عندما يكون الأمر له علاقة وصلة بالتاريخ فالنزاهة والعدل ضروريان. فنحن نحقق حوادث قد حدثت منذ عشرات المئات من السنين أو يزيد. وقد نجد من بين أسلافنا العظام من يعاتبنا أمام الله سبحانه وتعالى لإهمال أو تقصير. هذا بالإضافة إلى واجبنا تجاه من يقرأ لنا.
وفي هذه العبارة التي قالها لي الأستاذ أحمد عادل كمال يكمن منهجه في كتابة التاريخ.

منهج يتسم بالصدق والأصالة وتحري الحقيقة والتعب في الوصول إليها. وهذا يطمئن من يقرأ له، فهو مؤرخ صادق يتحري الصدق فيما يقول ويكتب، ويشاد علي نفسه إذا كان الأمر له صلة بالأموال، فما بالنال بالأحياء.

لهذا لا تفاجأ أيها الأخ العزيز وأنت تقرأ كتابة هذا إن وجدت فيه حادثة تدينه، أو تلومه عليها، فالرجل كما قلت لك يكتب بتجرد وصدق، ويستوى أن تكون النتيجة له أو عليه. ولا نستطيع أن نمضى في الحديث الطويل عن المؤلف ويكفينا الإشارة إلى منهجه في الكتابة والتفكير. ثم ننتقل إلى الحديث عن الكتاب الذي بين يديك أيها الأخ العزيز.

النقط فوق الحروف (الإخوان المسلمون والنظام الخاص)، هذا الكتاب حافل بالأسرار الهامة المدرجة تحت هذا العنوان الذي قرأت، وهي تنشر لأول مرة عن تاريخ الإخوان المسلمين والنظام الخاص. وقد طال انتظارنا لهذا الكتاب النادر في موضوعه، لأن كاتبه شاهد على ما حدث، وشارك في كثير من الأحداث التي جرت.

وهو يتكلم هنا عن موتى وأحياء، وهناك الكثير ممن شهدوا معه هذه الأحداث وشاركوا في صنعها، فهو لا يكتب عن وقائع قد غاب شهودها، بل يحكى عن أمور يعرفها من شاركه فيها ويستطيعون الرد لو كان فيها ما يستدعى ذلك. فالكتاب وثيقة هامة نادرة، وهي شهادة حي على أحياء وأموال. وتأتي أهمية الكتاب أن صاحبه رجل غير عادى في هذا الباب، فهو مؤرخ كما قلنا، وكما يعرفه سائر المشتغلين بالحركة الإسلامية وعلوم المسلمين. وهو يحكى فيه كيف تكون "النظام الخاص" ذلك السر الذي ظل

غامضا حتى خرج هذا الكتاب إلى النور. ولعله أغضب في نشره هذا أخوة له أعزاء، كان من رأيهم أن كتابه قد يثير فتنة، فقال قولة الفيلسوف اليوناني:

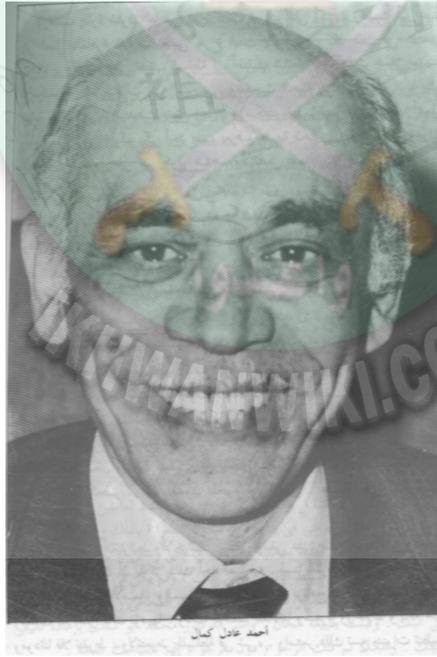
- " أفلاطون حبيب إليّ ولكن الحقيقة أحب إليّ من أفلاطون".

ومن رأيه أننا إن لم نكتب تاريخنا فمن يكتبه عنا؟ هل نترك هذا للأجانب والمستشرقين؟ أم ينبغي علينا أن نكتب مالنا وما علينا، وندع الحكم على كل هذا لله سبحانه وتعالى المطلع على الأسرار، التي يكشف عنها أحمد عادل كمال فيما يتصل بهذا الموضوع. وتأتي أهمية الكتاب كذلك من أ، مؤلفه يضع "النقط فوق الحروف" في أمور كثر فيها الجدل، وتعددت حولها الآراء، وهو أحد صناعها وشهودها.

معاصر ممارس يعبر عن المنظور الذي رآه، ولكنه يجامل أحيانا، وأحيانا لآخر لايفعل، فيذكر الواقعة كالسيف الصارم في هدوء وبرود.

وهو رغم اشتركه في الأحداث محايد وصادق ونزيه، وهي أهمية أخرى تضاف إلى الكتاب.

كتاب أحمد كمال الذي بين يديك أيها الأخ العزيز كتاب مهم جدير بالقراءة المتأنية، رغم سهولته وطرافته في كثير من المواضع.



وقد لاحظت أنه لم يتعرض للفتنة التي حدثت في صفوف الإخوان في مطلع حكم العسكريين إلا في أضيق نطاق، وهو في سرد وقائعها وتفصيلها يدعو إلى الإتحاد والحب في الله، الأساس الأعظم الذي

قامت عليه جماعة الإخوان المسلمين، وهو يجذر من الفرقة والخلاف في نسج رائع آخاذ. وقد وجدته كتب ردودا موجزة حذرة عن بعض ما نشر ورآه خطأ في هذا الباب

تحية من عند الله مباركة طيبة لجماعة الإخوان المسلمين التي بدأت تنفض النوم عنها، والتي أنجبت مثل أحمد عادل كمال، ونذكر القارىء العزيز أن هذه هي الطبعة الأولى، وفي الطبعة الثانية أُرْب لي المؤلف عن استعداده لنشر كل الردود والتصويبات والتعقيبات، وأنا معه في هذا وأمام الله سبحانه وتعالى لعهد على ذلك. وأترككم للكتاب المثير العجيب الذى طال انتظارنا له.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد رائف

القاهرة في ٢٤ | ١٢ | ١٩٨٨م

نقط أخرى على الحروف

من الظواهر المحيرة والتي يعجب لها ويتعجب فيها الكثيرون ذلك التعلق والإرتباط الشديد بدعوة الإخوان المسلمين لدى جميع من عمل فيها، أو انتسب إليها أو حتى مسه طائف منها.. ظاهرة مؤكدة مطردة لا تكاد تتخلف، وهي بالفعل ظاهرة محيرة، تدعو إلى التساؤل والاستفسار ولتنقيب.. ترى هل يمكن أن يرد ذلك إلى إخلاص الرواد الأوائل الذين قادوا التبليغ بها وتجميع الناس حولها؟

أو أنه يرد إلى طبيعتها من حيث كونها دعوة تجدد تراث محمد صلى الله عليه وسلم وتنفي عنه الأوهام والبدع، وتعيد إليه بريقه الأخاذ يوم أن كان وحيا يتلى وسنة تتبع؟

أم أنه يرد إلى أسلوبها الذى كان يزرع الحب بالبسمة الرقيقة بينى اليقين بالإقناع الهادىء؟ أم أنه يرد إلى منهجها الذى كان يقوم على تقديم الأهم على المهم وتجاوز الخلافات ورفض الجدل، وربط الناس بالجوهر لا بالمظهر ورفض التزهيد فى الدنيا وهجرها، وتعليم أبنائها معاشة الأحداث، والانفعال بها والسباحة فى أعنى اللجج؟

أم أنه يرد إلى طريقة التربية فيها والتي كانت تجمع بين الدنيا: تعليما وتثقيفا وتدريبيا، وبين الآخرة: وتقوى وإعدادا للقاء الله؟

على كل الأحوال.. فأيا كان المصدر الذى ترد إليه ظاهرة الحب الشديد من اتباع الدعوة لها. فإنها بكل أو ببعض ما سبق من تميز استطاعت أن تستقطب أجيالا عاشوها إلى حد التوحد معها والذوبان

فيها. وكان من الطبيعي أن يكون لهذه الأجيال تاريخ صنعوا بعضه بالكامل وشاركوا في صنع بعضه الآخر. ويكون من الطبيعي والحال كذلك أن يحتاج هذا التاريخ إلى من يرصده ويسجله وينشره ويحمله. ومن بين الكتب التي بدأ صدورها حول هذا التاريخ كتاب "حصاد العمر" للأستاذ صلاح شادي ثم هذا الكتاب الذي بين يديك "النقط على الحروف" ولقد أثار كتاب النقط فوق الحروف عند صدوره ما يشبه الزوبعة بين البقية الباقية من صفوف الحرس القديم من جماعة الإخوان المسلمين، وبين غيرهم من المشتغلين عموما بالحركة الإسلامية.

لقد تفاوت استقبال الكتاب تفاوتاً عظيماً بين القبول الراضى بل والتمحس، وبين النعي على الكتاب إلى حد رفض فكرة إصداره. وأحسب أن المعترضين على فكرة إصداره. وأحسب أن المعترضين على فكرة إصدار الكتاب والناعين على نشر ما جاء فيه من معلومات وأخبار إنما يصدر عن منطلق استراتيجي يتلخص في أنه قد يكون كشفاً عن أسرار أو أوراق ما زالت مغطاة أو مجهولة بمقدار أو بآخر. وهنا يعن للمرء أن يسأل نفسه: هل كتب الأستاذ أحمد عادل كمال شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل لدى العارفين وهم كثير؟.. والإجابة التي لا يختلف فيها المخضرمون الأحياء المعاصرون أن جل ما كتبه المؤلف، إما أنه قد سبق نشره في صحف الفترة المعاصرة للأحداث، أو أنه قد تم جمعه وعرضه بل وتحليله ومناقشته في كتب صدرت منذ أمد بالعربية وغير العربية، ولعل من بينها كتاب إسحاق موسى الحسيني "الإخوان المسلمين.. كبرى الحركات الإسلامية" الصادر في بداية الخمسينات من هذا القرن، أو أنه قد اشتملت عليه وتضمنه أوراق وملفات التحقيق في القضايا التي عرضه لها الكتاب وتناولها، وهذا يقينا في أرشيف السلطة. وعند هذه النقطة بالذات قد يطيب لى أن أشير بأن المؤلف كان غالباً ما يستشهد على الأحداث ويسند الرواية إلى نصوص وردت في أوراق تحقيق القضايا أو الحوادث. الجديد حقا الذي تميز به الكتاب ووفق فيه توفيقاً كبيراً لم يكن المعلومات أو الأخبار أو الأسرار، وإنما كان الربط بين الأحداث وبين ظروفها ودواعيها، والربط بينها وبين المناخ السياسي العام والتداعي التاريخي، ثم وهو الأهم تقديم التفسير الذي ينشده الباحث عن الحقيقة - عن الكيفية التي تمت بها صناعة وصياغة أولئك الرجال "أبطال الحوادث" الذين انفعولوا بإيجابية.. ففعلوا ما فعلوا وذلك في تقدير الكثيرين هو أهم ما قدمه كتاب النقط فوق الحروف" حيث استطاع أن يرد الأفعال لا إلى المناخ أو الظروف البيئية المعاصرة لتلك الأحداث فحسب، وإنما إلى طريقة من التربية وأسلوب من الصياغة

ونمط من الإعداد.. جعلهم يرفضون الواقع الدليل، ويعملون على تغييره، ويسترحصون الحياة ويقبلون على الموت، إيماناً بما رأوه واجبا دينيا ووطنيا.

لهذا، فإن ما كتبه أحمد عادل كمال بالشجاعة التي كتب بها والتي يستغربها ويحسد عليها من عملوا في تنظيمات خاصة ويعرفون طبيعتها، إنما يقدم تفسيراً موضوعياً، أدنى ثماره ونتائجه أنه يفتح الباب لتصحیح النظر، والتقويم للأحداث التي أوردتها.

يضاف إلى ذلك أن الكتاب يقص أحداثاً، ويقص هنا معناها أنه يتتبع وقائع وأفعالا، إن لم يقصها هو الآن وهو حتى يرزق، فسوف يقصها - يقينا وبالضرورة - غيره والفرق بين الحاليين هو الفرق بين شاهد العيان وبين الراوى عن وعن.. والفرق أيضا في جرعة الإطمئنان التي يستطيع القارىء أن يتأكد منها في ثنايا الكتاب من طهارة المؤلف وعفة لسانه وتجرده وشجاعته . الأمر الذى يدعو مرة أخرى إلى التقدير والإعجاب إلى " المدرسة الخاصة" التي تحية للمؤلف.. ول"المدرسة الخاصة"

وبعد أن قرأت الكتاب أجد أ، ٨٥ من الواجب على - كمتابع للحركة الإسلامية - أن أشير بأمرين: الأول: أمانة المؤلف روى شاهدا أو مشاركا، وعفة لسانه فيما كان موضع خلاف أو اختلاف في وجهات النظر، وشجاعته فيما كتب، وشجاعته في نقد نفسه أحيانا أو في التعليق على الأحداث. ثم قبل ذلك كله وفأوه للموتى وللأحياء الذين زاملوه أو تعهده بالإعداد والصياغة.

الثاني: تواضعه الشديد، وهو يقدم التحية للنظام الخاص، بالدرجة التي لا تتكافأ أبدا مع الصفحات المشرقة التي قدمها لأبناء تلك " المدرسة" الذين لا يجحد منصف دروهم في فتح الطريق" للثورة وللتنغيرات التي أحدثتها.

ربما خجل الرجل من أن يحيى مدرسته التحية الواجبة التي تستحقها لأنه كان من بين طلابها ونظارها أحيانا، ومن ثم فقد أشفق من أن يوصف بأنه " مادح نفسه".. ولكنه في هذا ظلم مدرسته التي تميزت في أقل القليل بأثما:

- خطت الأصول بل والفصول للعمل الوطنى المنفعل بالهموم الحقيقية والمصالح العليا للوطن الإسلامى فى عمومه.

- ترجمت الشعارات والأقوال والخطب والندوات بالواقع، وبذلك فتحت الطريق ومهدته للتغيير الذى حدث.

- حفظت للحركة الإسلامية استمرارها وأبقت على وجودها فكرة شابة.

- فرخت نماذج ما زال من بقى منها حيا قدوة حالت دون اغتيال الحركة الإسلامية - برغم ما واجهته من عنت وملاحقة - وأبقت لها القدرة على التحرك في زحفها إلى مكائها الطبيعي.

- أنجبت تلك الكتيبة التي ما زلنا نرى بعضها من رهبان الليل وفرسان النهار.

- خطت منهجا جديرا بالدراسة والتحليل في انتقاء الخامات والعناصر التي تستطيع عمل الرسالة وتحقيق الآمال الكبيرة. وهي قبل ذلك كله وبعده، لم يثبت على أحد من عمدائها المؤسسين بالذات أنه كان طالب دنيا أو صاحب غرض شخصي.

- أما ما يمكن أن ينسب إلى تلك المدرسة من أخطاء معدودة فقد ناقشه مؤلف الكتاب في سياقه التاريخي الذي إن لم يؤد إلى الغفران، فإنه يؤدي دون شك إلى التأكيد التقدير والإنصاف " لنظام خاص" ملأ الدنيا وشغل الناس وفتح الطريق للتغيير ولم تعد تجاوزاته خطأين أو ثلاثة، ولعله يجوز لنا في هذا الصدد أن نذكر أنه من الوارد، أن تقع أخطاء فردية خلال التطبيق العملي وقد حدث في الصدر الأول أن قتل زيد بن حارثة رجلا كان قد نطق بكلمة التوحيد، فظنه زيد قالها نفاقا.. وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الغضب لما حدث ولام زيدا حتى أخرجته.. وتحميل الإسلام أو دعوته مسئولية الخطأ الفردي ظلم عظيم، وأخذ الفكرة أو النظام بالتجاوزات الفردية خطأ شديدا.. زمن هنا كان الأمر الذي أدعو إليه بكل شدة هو أن يأخذ المسلمون أنفسهم بمزيد من العلم ومزيد من البصيرة ومزيد من المراجعة لكل ما يقدمون عليه حتى لا يحمل الناس الإسلام بما يتورطون فيه. وأخيرا تحية للمؤلف وتحية للمدرسة التي تربي فيها واله نسأل أن يتقبل عنده الضحايا والشهداء، وأن يصلح للأحياء دينهم ودنياهم وآخرتهم.

والله ولي التوفيق

الدكتور محمود الأنصاري

الأمين العام المساعد

للإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شهداء الإسلام.. المعذبين فيه

السابقين منهم واللاحقين.

الذين باعوا أنفسهم لله
الذين يريدون وجه الله
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه،
ولا يخشون أحدا إلا الله

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله
رضى الله عنهم ورضوا عنه
تقديم الطبعة الثانية

" النقط فوق الحروف " ظهرت طبعته الأولى في المعرض الدولي للكتاب بالقاهرة في أواخر
يناير (١٩٨٧)، فكان رد فعله ايجابيا فوق ما تصورن بصورة أثلجت صدرى، وكأنما كان تعبيرا عن
أنفاس مكبوتة عشرات من السنين، فهو يضع أمام أبصار الحاضر والمستقبل صورة الماضى على حقيقتها،
بعد أن حاول خصوم الفكرة تشويهها أربعين عاما يتيهون في الأرض.
ولم تكن ردود الفعل الإيجابية هي ما يهمنى ، قدر ما كان يهمنى ما عسى أن يوجه من نقد، أو
يستوفى من نقص أو يصحح من وقائع. فكان من الإخوان من رأى أن " النقط فوق الحروف " سابق
لأوانه، يكشف أمورا لم يكن الوقت بعد للكشف عنها، وهو رأى لا أتفق معه، إذ إنه من المسلم به أنه
لكل سر أجلا، فلا وجهة لاستمرار حبس حقائق مضت عليها تلك السنون في وجه انتقادات غير
متفهمة ومغالطات مقصودة.

ورأى بعضهم حدة في تصويب بعض الوقائع التي ذكرت على غير حقيقتها في كتابات أخرى، في
حين رأى آخرون أن أسلوب النقط فوق الحروف كان عفا ومقنعا، وذهب رأى ثالث إلى أنه كان من
الواجب أن يكون الأسلوب أكثر حدة! وما رأيت هو ما يجده القارىء هنا، وانتقد فريق قصور الكتاب
عن الإحاطة بكل ما يجب، وهو اعتبار أقره وقد أشرت إليه في مقدمة الطبعة الأولى، وأزيد الأمر
وضوحا، فأضيف أن ما بين هاتين الدفتين هو نصف كتاب، أما النصف الآخر فقد ضاع ولا طاقة لى
على استعادته، ولا قدرة لذاكراتى تعيننى على إعادة كتابته، بل ولا أستطيع أن أتذكر على سبيل الحصر
العناصر المفقودة، وإن كنت أذكر بعضها. كان من بينها تطور النظام الخاص من مراحل الأولى حتى

عام (١٩٤٨) حين جرت إعادة تنظيمه وتوسيعه، ليمتد خارج مصر ويتصل ويتعاون مع الهيئة العربية العليا، لإنقاذ فلسطين ومع تنظيمات أخرى في العالم الإسلامي : في تركيا، وبعض دول المغرب، والسودان وغيرها، تستهدف ذات الأهداف، كما كانت تعد للنظام صحافته وإذاعاته ووسائل إعلامه، التي تنطق عنه ووسائله التنفيذية والتصنيعية.

فقد كذلك بعض السرد لقضايا الإخوان في أواخر الأربعينات ت، مثل قضية الأوكار وحامد جودة، إخفاء محمد مالك، إخفاء يوسف على يوسف وعديد من القضايا الأخرى.

وفقد أيضا أعمال النظام الخاص في مصر كقاعدة لمتطوعي الإخوان المسلمين في فلسطين، مثل جلب السلاح والذخيرة، ولوازم الجهاد وإصلاحه وصيانتته وإرساله إلى الميدان، والتدريب والإعلام في الوطن وراء الجبهة، وغير ذلك من الأنشطة المتعلقة بفلسطين.

فقد كذلك ما كان عن معتقلات النقراشي وإبراهيم عبد الهادي في الهايكستيب والطور وغيرهما. كذلك كان مما ضاع دور النظام الخاص في القنال والشرقية عام (١٩٥١) في أعقاب إلغاء معاهدة (١٩٣٦)، ووقوف الإخوان المسلمون في الإسماعيلية وعلى رأسهم الشيخ محمد فرغلي ويوسف طلعت، إلى جانب الشرطة وإمدادها بالذخيرة من مخازن الإخوان في معركتها الباسلة أمام الجيش الإنجليزي. أتذكر أيضا متفرقات مثل مشروع مبكر لم يتم تنفيذه لتهريب المجاهد المسلم عبد الكريم الخطابي من منفاه، وغير ذلك مما عسى أن يقوم بتسجيله أصحاب الذكرى والتذكرة.

ومما جاءني من ملاحظات والطبعة الأولى بالمطبعة على وشك الصدور من الأستاذ (مصطفى مشهور) بأسلوبه الرقيق فيما يشبه العتاب، أنه لم يطلع على "النقط فوق الحروف" قبل إخراج عسى أن يكون له رأى فيه. وقد قبلت حقه في العتاب مع حفظ حقي في الدفاع.

تصدر وزارات التعليم كتابا في كل مادة يعتبر هو المادة التعليمية المقررة رسميا، يعرف بأنه "كتاب الوزارة" ويظهر إلى جوار ذلك عديد من الكتب التي يؤلفها أساتذة كل مادة يعرضها كل منهم بأسلوبه وطريقته. وجماعة "الإخوان المسلمون" لم تصدر "كتاب الوزارة" ولم أقصد "بالنقط فوق الحروف" أن يكون كتاب الوزارة أو كتاب الجماعة، وإنما هو رؤية كاتبه ووجهة نظره الخاصة فيما مر به من أحداث، وما أحاط بها من ظروف وملابسات، وفرق بين الكتابتين، فالفرد قد ينحاز إلى وجهة نظره وهذا حقه - ولو أنى حاولت ألا أفعل - والفرد قد يسمح لقلمه أن يتحرر من بعض القيود، أو حتى ينفلت بما قد لا تفعله الجماعة، وعلى سبيل المثال الذى قد لا يغطى جميع المعنى انتقد بعضهم احتواء "

النقط فوق الحروف" على صور بعض النساء مثل، ليدى لمبسون حرم السفير البريطاني والممثلة اليهودية كاميليا في حين أرى أن جميع القراء وبدون استثناء فيما أحسب ، يرون أكثر منها آلاف المرات في الصحف والمجلات يتصفحونها وينظرون إليها كما يرون النساء ذواتهن في التلفزيون وفي الطرقات والمواصلات. فلم يعد " النقط فوق الحروف" هو كتاب التبرج من أجل الصورتين وكان الأهم عندي أن أضع صور الأحداث أمام القارئ، وربما كان " النقط فوق الحروف" هو الكتاب الوحيد في موضوعه المزود بالصور حتى تاريخ صدوره، ولكن لو كنت أنا الذى أضع كتاب الجماعة لاستبعدت مثل هاتين الصورتين.

ولما تضمنه " النقط فوق الحروف" من تصويبات وملاحظات على حصاد العمر، فقد ظن بعض الإخوة السوء بين الأخ صلاح شادى وبينى، وأبادر فأنفى ذلك نفيا قطعاً، فليس في قلبى إلا الحب لجميع الإخوان مهما كانت آراؤهم، ويكفينى أن عيني رأسى قد شاهدتا صلاح شادى في السجن الحربى في أكتوبر (١٩٥٤)* ينال من عذاب صديقه القديم جمال عبد الناصر النصيب الأوفى حتى انحنى ظهره، وكان انحناء الظهر يحدث لمن تجاوز تعذيبه حدوداً تقترب به من الموت، وكنت في حبس انفرادى في إحدى زنازين الشفخانة وقد انحنى ظهرى أيضاً حين جاء لى صلاح شادى بتفاحة وقطعة من الشيكولاته. وصلت إليه بشكل أو بآخر وسط ذلك العذاب فأثرنى بها ولعله رشا بعض الجنود حتى تصل إلّ، فما كان لى أبداً أن يتغير قلبى نحو أحمى.

ولكنه تناول أموراً لعلى أدرى بها منه، وقد بلغ من خطورة ما كتب أن تناقلها عنه حتى كبار الإخوان فمن شأنها أن تدخل التاريخ من تلك الأبواب، وهى أمور خاصة بالنظام الخاص الذى كان تنظيمها سرى لا يعرفونه ولا يعرفها من كان خارجه، فما إن كتبها الأخ صلاح حتى تلقفها من وجدها على أنها تاريخ صحيح، وساعد على تقبله ما كان من اختلاف بين عبد الرحمن السندى والأستاذ الهضيبى، ثم فصل السندى من الجماعة، فإن مجرد الاختلاف أو حتى تعديه إلى الفصل، لا يبيح عرض المسلم بغير الحق، ولقد أعلن الأستاذ الهضيبى ذاته في حينه أن قرار فصل الأربعة ليس من أسبابه ما يمس دينهم، فبأى مسوغ نمس الآن دينهم! ووجدت بين أن أسير مع التيار على علانته، أو أن أؤدى الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، ولقد انتظرت سبع سنين دأباً بعد صدور حصاد العمر، أن يفعل ذلك غيرى أو يصوبه فلم يحدث ، وصار لزاماً على أن أفعل.

واتصل بي الأخ محمد مهدي عاكف، بشأن ذكر اسمه فيمن ذهب إلى بيت الأستاذ الهضيبي بمناسبة قرار فصل الأربعة ونفى أنه كان معهم، بطبيعة الحال هو أدري بنفسه، وحين أعتمد على ذاكراتي في شأن كهذا فينفيه صاحب الشأن فهو أعلم به وأدري وأصدق، وأشكره لهذا التصويب، وقال أستاذ كبير فاضل " هل نفهم من هذا الكتاب أنك تدعو إلى تكوين النظام الخاص الآن؟" قلت: " بالطبع لا". قال: " فإن الأمر يحتاج إلى إيضاح". لقد أنشئ النظام الخاص في ظروف غير التي نحياها اليوم، فكان مناسباً بل لازماً في زمنه بل رأينا فيه فريضة، وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. كنا في مصر وفي بلاد المسلمين نعيش تحت احتلال أجنبي واستعمار غير مسلم يفرض علينا ديننا التحرر منه ولو بحمل السلاح، وهو أمر مشروع بجميع الاعتبارات لا ينكره إلا ذليل ولا يجرمه إلا قانون استعماري. ثم صارت الحكومات الآن في بلادنا لا يحكمها احتلال، وإنما تخضع لمفاهيمها وأفكارها وما جنته أيديها وسياستها، فإذا لم تكن هذه الحكومات ذات اتجاهات إسلامية ومفاهيم ملتزمة، فإنه يكون من المناسب هنا أن يكون السبيل شعبياً جماهيرياً، بنش الدعوة وازدياد الأنصار وحسن السياسة، ومهما كان للسلطة من مواقف معارضة، فلا بديل لها في النهاية عن نزولها على رأى الأمة، وهذا يقتضى من العمل الإسلامي أن يأخذ بالعلانية إلى أقصى أبعادها، ولا مجال للسرية والتستر. فإن عاد استعمار أو احتلال لأرض المسلمين وجبت العودة إلى أساليب التحرير.

في هذه الطبعة الثانية من النقط فوق الحروف" بعض الإضافات ومزيد من الصور، وكما ذكرنا فإن تاريخ " الإخوان المسلمون" لا ولن يجمعه كتاب، فلا بأس أن يكون بكتابنا هذا نقص وأراه مقبولاً فالكمال لله وحده.

ربيع الآخر ١٤٠٩

ديسمبر ١٩٨٨

أحمد كمال

مقدمة الطبعة الأولى

تحس الجماهير المسلمة التي تتابع العمل الإسلامي، ويهمها الوقوف على حقيقة نشاط الحركة الإسلامية، بحاجتها إلى نشر ما كان من نشاط حركة الإخوان المسلمين في القرن العشرين، ويزداد هذا الإحساس لدى أولئك الذين يرغبون في أن يكون لهم نصيبهم في هذا النشاط ابتغاء وضاء الله وحسن مثوبته.

وقبل أن أسطر حرفا في الموضوع أحب أن أقول لإخوان المسلمين - وكل المسلمين إخواني - إنهم لن يجدوا تاريخ الإخوان المسلمين في كتاب، فما كان لنشاط كالذي قامت به هذه الجماعة في تشعبه وتنوعه وأصالته وعمقه وإخلاصه وجهاده وانتمائه لعقيدة الإسلام أن يتضمنه كتاب. وليس بين الإخوان جميعا من يحيط علمه كل أنشطة الجماعة، بل وربما لم نجد من بين الإخوان جميعا من يحيط بجانب كامل من جوانب ذلك النشاط، فإذا خرجنا عن دائرة أعضاء الجماعة وجدنا أن الجهل أشمل وأعم. لقد كتب بعضهم عن الإخوان فما وفوا. ولست أزعم أني أقدم عنا تاريخ الإخوان المسلمين ولا تاريخ جانب كامل مرة منه، ولكنها مقتطفات أو صفحات منه. لقد حرصت أكثر من مرة على تدوين هذه الأوراق، وكان مصدر هذه الرغبة إحساسى أن ما أكتب سوف يسقط من التسجيل ويذهب في بطون النسيان إذا لم أكتبه، وحسبى أن أحدا لم يكتبه حتى الآن.

لقد كان للإخوان قضايا كثيرة قدمت إلى محاكمات عن أحداث نسبت إليهم، كان صالح الدفاع غالبا في إنكارها ونفى صلتها بالتهمة موضوع القضية حتى لا يحكم عليه. كما كان بعض من يقع تحت تعذيب وضغوط تفوق طاقته يجعله يلقي الإتهام جزافا. وفي هذا وذاك تضييع الحقيقة وتنطمس العبرة.

كان لنا نشاط أتيننا في ثيابه أفعالا بدوافعها ودواعيها ومبرراتها، ومع ذلك فقد تبرأنا منها في حينها. وأحداث أخطأنا بها وتقتضى العبرة ببيانها. وأحداث لم يكن لنا يد فيها، نسبت إلينا وألصقت بنا وهذا أيضا ينبغي إيضاح ذلك بشأنها.

وليست هذه هي المرة الأولى التي أحاول فيها الكتابة في الموضوع بل لعلها تكون الثالثة أو الرابعة... وغفر الله لوالدي، دأب على حرقها كلما وجدتها رغم الجهد المضني الذي كنت أبدله فيها، ذلك الجهد الذي يعتمد على الرجوع بالذاكرة إلى الأحداث في أزمانها، وعلى الرجوع إلى من عاصر تلك الأحداث، ثم الرجوع إلى الصحف التي لم تكن تنشر من الإيضاح إلا قليلا يتمثل غالبا في رأى حكومات الاستبداد في عهود مظلمة وشرح وجهات نظرها وإلصاق التهم بالباطل مع تعليقات وفيرة كل غايتها التشنيع والتشهير. ورغم ذلك فلم أستطع في المحاولة الثانية أن أكتب أكثر من مائتي صفحة في أكثر من عام ونصف عام. ولقد تناولتها بطريقة الموضوعات لا بطريقة اليوميات أو الحوليات.

واليوم أجد الجهد أشق وأضنى، فالعهد أبعد والذاكرة أضعف والمعاصرون أقل لوفاء من توفاه الله وتفرق كثير من الأحياء في الأمصار والأقطار. ومع ذلك فقد استعنت الله وأمسكت القلم بعد أسبوع من مغادرتي المعتقل عام ١٩٦٥. وحتى هذا الذي كتبت تعرض لحنة أخرى، فقد استولت عليه قوات الشرطة العسكرية في غارة

شعواء لها على منزلى بمناسبة اعتقالى عام ١٩٦٥ وفقدته سبع سنوات قبل أن ألتقى به مرة أخرى وقد ضاع حوالى نصفه. ولكن ما بقى كان حافزا أن أحاول نشره على أى صورة. لا يجب الإخوان اللواء فؤاد توفيق علام لما كان بين مباحث أمن الدولة والإخوان، ولكنى أشكره - ولا يسعنى إلا أن أشكره - لأنه أعاننى على استردادها، أو على الأصح من موقع مسئوليته بمباحث أمن الدولة أعادها لى حين طلبتها. هى التى يجدها القارىء بين هاتين الدفتين مع لمسات طفيفة.

قالوا لى : سوف تغضب الجميع بما تكتب.

السلطة تراك تؤرخ لجماعة تقرر حلها وما زالت تصر على ذلك الحل وبعض الإخوان على الأقل لن يغفروا لك رأيك.

وأبعد من هذا وذاك.. بعضهم يقول لى أكتب كذا ولا تكتب كيت. وأعتذر فأقول ماكان من ذكريات فهو ذكرياتى، وما كان من رأى فهو رأى، وفى هذا ما كان صوابا فهو صوابى وما كان من خطأ فهو خطي، ولكنى لا أستهدف به غير الحق وغير وجه الله، أصبت فى ذلك أم أخطأت.

هذه صفحات ينتظرها كثيرون دأبوا على طلبها. وأملى الآن - وهى بين أيديهم - ألا تصدمهم، فقد يجدونها أقل حجما مما كانوا يتوقعون، لن يجد بعضهم التصدى المطول لبعض ما نشر عن النظام الخاص ورائده عبد الرحمن السندي رحمه الله وعديد من كرام الإخوان لما كان بين بعضهم وبعض فيما لايس الجماعة من فتنة، ولكنى ضمننت هذه الصفحات وجهة نظرى ولم أضمنها كل ما أعلم وإذا أمد الله فى العمر فقد أضيف فى طبعات أخرى فى المستقبل، وأرجو أن يكون على هذه الصورة مقبولا عند الله وعند الناس وأن يضيف جديدا إلى ما سبق أن نشر السابقون أو يصوبه، وأسأل الله أن يوقفنى فيما أكتب.

١٣ ربيع الأول ١٤٠٧هـ

١٥ نوفمبر ١٩٨٦م

أحمد عادل كمال

الفصل الأول

انتماء

تقديم

قبل أن أدخل إلى صلب الموضوع أستسمح القارىء أن أقدم كاتب هذه السطور بأسطر قليلة على طريقة الإخوان في التعارف فيما بينهم في لقاءاتهم.

فقد ولدت عام ١٩٢٦ بحى السيدة زينب بمدينة القاهرة لأبوين من أواسط الطبقة المتوسطة. كان أبى موظفا حكوميا بمصلحة الطرق والكبارى، وكنت باكورة إنجابهما ثم أنجبا بعدى أخا ثم أختنا ثم أخوا بين الواحد منا وأخيه نحو سنتين. لم اختلط بأقربائى ومن هم فى مثل سننى، ولكنى انطويت فى المنزل أعكف على هوايات أستطع مزاولتها بين الجدران. هوين جمع طوابع البريد وقطع العملة الأجنبية والرسم ولعب الشطرنج مع والدى وأخى الأصغر. وبقيت على هذا حتى أخرجنى عن هذه العزلة اتصالى بجماعة الإخوان المسلمين. وإنى لأعجب الآن كيف ينقلب فتى على تلك الصورة بين عشية وضحاها حتى يغشى ذلك المجتمع الصاحب بكل ما فيه من نشاط روحى وثقافى ورياضى وسياسى وحركى علنى وسرى فيسلك سبيله فيه قدما باندفاع شديد فى جميع هذه النواحي. رحم الله إمامنا ومرشدنا ورضى عنه أوسع الرضوان.. إنى مدين له وللدعوة التى هداه الله إلى أن يدعو بها، بكل خير نلتها فى حياتى وبكل ما أرجو يوم ألقاه رحمه الله أوسع الرحمة وجزاه خير الجزاء فلم يكن مثله أحد استطاع توجيه طاقة الشباب نحو الهدى والتجرد والعمل للإسلام والفداء. ومدين فوق ذلك لخالق كريم وري أعلى خلق فسوى وقدر فهدى.

كان والدى كبير العناية بتعليمى وتعليم إخوتى. ولقد كانت أسرتنا أسرة تهتم بالتعليم. فكان الوالد يقضى معنا ساعات الليل والنهار الواحد نلوا الآخر فى مذاكرة لدروس مدارسنا، وستمر معى على ذلك حتى نلت الشهادة الثانوية(التوجيهية) عام ١٩٤٢ ثم دخلت كلية التجارة لجامعة فؤاد الأول فتخرجت فيها عام ١٩٤٦ فى سن العشرين دون أن أفقد عاما واحدا من سننى دراستى.

خلال ذلك اتصلت بدعوة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢، وتخرجت فى الكلية عام ١٩٤٦، وعملت بالبنك الأهلى المصرى بعد تخرجى، ثم قبض على فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ لاثامى فى قضية السيارة الجيب. وبقيت بالسجن إلى مارس ١٩٥١، ثم اعتقلت عام ١٩٥٤ وبقيت بالمعتقل حتى ١٧ يونيه ١٩٥٦.. ثم أعيد اعتقالى فى سبتمبر ١٩٦٥ ضمن من شملهم قرار الرئيس جمال عبد الناصر باعتقال كل من سبق اعتقاله! وبقيت بالمعتقل حتى فبراير ١٩٧١ بعد متواه بين يدى الديان بنحو من أربعة أشهر.

لا أعنى بذلك الكتابة عن شخصى - فهو أمر لا يهم القارىء - وإنما أُنى تبيان أثر هذه الدعوة المباركة على يافع عاش قى ذلك الزمن، وكيف كانت تقترب من خارجه حتى توغل إلى شغاف قلبه.

خواجات

كانت مصر تمتلىء بالأجانب من كل صنف. منهم الإنجليز الذين كانوا يعملون بالسفارة الإنجليزية والشركات الكبرى مثل شركة شل وغيرها، فضلا عن جنود الاحتلال الذين كانوا يروحون ويجيئون فى كل شارع من شوارع مصر حتى شارع قدسى من حدائق القبة الذى كنا نعيش به كنا نراهم فيه. فى ذلك لوقت من الأربعينيات لم يكن الإنجليز موظفين بالحومة، كان المصريون هم موظفو الحكومة. وكان هناك أجانب من جنسيات أخرى كثيرة أقل مرتبة من الإنجليز، بلغار ويوغوسلاف وإيطاليون وكان أكثرهم من الأرمن والقبارصة واليونانيين. هؤلاء كانوا موظفين بالشركات، لا سيما المساهمة، يملنون وظائفها ويعملون باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، ولم يكن المصريون يجيدون غير العربية، فكانت تلك الوظائف تكاد تقتصر على تلك النوعية من الأجانب، وكانت لهم مدارسهم: الفرير والخرنفس والسيكر كير.. الخ، هذه الوظائف لم يكن يقربها من المصريين إلا المتفرنجون واليهود. كذلك انتشر هؤلاء الخواجات فى محال البيع مثل شيكوريل وأركو وبلاششى، وغيرها. وكان لبعضهم محالهم المملوكة لهم، وكثر اليهود بين هؤلاء. كما انتشر الأرمن واليونانيون خاصة حتى أعماق ريف مصر يفتحون أكشاك أو محال الآيس كريم والجبن والبيض والبسطرمة والخمور.

أول الخيط

وقفت أمام واجهة محل " الخواجة" المصور أنظر إلى طابع البريد التى كان يتاجر فيها إلى جوار تجارته فى الآفلام والصور وآلات التصوير. وفاجأنى الشاب الواقف إلى جوارى بقوله:

- ألسن القاطن فى حدائق القبة؟... بشارع قدسى.

- ...بلى

- هل تموى جمع طابع البريد؟

- ...نعم

- وأنا كذلك!

-

- هل تحب أن ترى مجموعة طوابعي؟

- ... لا يهم.

- ولكني أحب أن أرى مجموعتك. إني أسكن إلأى جوارك.. في نفس الشارع.

-

ضايقتني أن يقتحم إنسان على نفسي كما فعل هذا واستثقلته. ولكنه أمعن في الثقل فأصر على أن يحملني خلفه على دراجته إلى منزله ليريني مجموعته طوابعه. كما أصر بعد ذلك على أن يحضر إلى منزلي ليشاهد مجموعته طوابعه. كما أصر بعد ذلك على أن يحضر إلى منزلي ليشاهد مجموعته طوابعي.

ذلك الذي استثقلته هو حسين محمد عبد السميع (دكتور الإقتصاد الزراعي فيما بعد) كان طالبا بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية، عرفته ثم كان صديقي الأثير نحو سبع سنوات، نكاد لا نفترق.

وجاءت أحداث عام ١٩٤٢ المتصلة بالحرب العالمية الثانية. وقامت مدرسة فاروق الأول الثانوية بالعباسية- التي كنت طالبا بها - بإضراب لا أذكر أهدافه، كان ذلك في صبيحة اليوم المشهود الذي حاصرت دبابات الإنجليز سراي عابدين في ليلته السابقة وأرغمت الملك فاروق أن يسند الوزارة إلى مصطفى النحاس باشا كان ذلك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢. كنت في السادسة عشرة، واستخفني المظاهرة فسرت معها إلى ميدان عابدين، وهناك كانت كثير من المدارس تغدو إلى الميدان، ومنها كانت جارتنا مدرسة فؤاد الأول. وعشرت وسط زحام ذلك اليوم على حسين عبد السميع فتشابكت يدانا حتى انفضت المظاهرة. وفي هذه المظاهرة طرقت أذن للمرة الأولى هتافات...

الله أكبر والله الحمد

الله غايتنا ، الرسول زعمنا ، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا

وما أحسب أم كان للإخوان صلة بمظاهرات ذلك اليوم ، وأغلب ظني أن أحدهم هتف بها في ذلك الصخب. سمعت الهتافات فلم أفهمها... إن هتافات "يحيا فلان باشا" أو " يسقط الإستعمار" أو يعيش

جلالة الملك" أو مثل ذلك كانت واضحة المعاني، أما " الله أكبر والله الحمد" أو " القرآن دستورنا" فهو مالم أدركه. وسألتن حسينا.

- ما هذا يا حسين؟

- هذه جمعية في السكاكيني.

- ولم يزد. ذلك أن اباه الأستاذ محمد عبد السميع الغنيمي كان من الإخوان، وكان ذا نشاط في شعبة الظاهر بالسكاكيني، فكان أحيانا يأخذه معه إلى تلك الدار فيسمع بها تلك التهافتات.

وبعد أن انتهت المظاهرة واتجهنا إلى الانصراف ظهر شخص لست أذكره - صديق لحسين ولعله عرفه في شعبة الظاهر - سار معنا، أو سرنا معه، من عابدين إلى الحلمية الجديدة، حتى وصلنا إلى دار المركز العام للإخوان المسلمين الذي كان يشغل الدار رقم ١٣ شارع أحمد بك عمر، وكان يطل على ميدان الحلمية، فوجدناه محاطا بالبوليس وقد أغلقت أبوابه بالشمع الأحمر. في الحقيقة لقد كنت متورطا في السير مع حسين وصديقه إلى مالا أدري غير أن إلحاحهما وتشبهتهما بي منعاني أن أتركهما وأعود بمفردي.

اتجهنا بعد ذلك إلى بيت الأستاذ المرشد العام قريبا من دار المركز العام. وهناك لم نجد، وإنما كان عدد من الإخوان يزيد على الأربعين، ملئوا غرفة المكتبة وقد افترشوا أرضها، ووقف الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة خطيبا فيهم. وأذكر من كلامه يومذاك أن الحالة لا تدعوا إلى القلق وأن فضيلة الأستاذ المرشد يعالج الأمر مع السلطات بحكمته، وأن دور الإخوان لا تلبث أن تفتح وأن يعود نشاطها من جديد. انتهى ذلك اليوم ورجعت إلى بيتي بأول فكرة عن الإخوان المسلمين، لم تكن واضحة بطبيعة الحال، ولا تركت في نفسي أي انطباع.

ماذا كان في مصر؟

قد لا يكون خارجا عن الموضوع أن أعود إلى الظروف والمناخ العام الذي ساد مصر في ذلك الوقت. وكثير من تفاصيل هذه الظروف بل أكثرها لم تكن معلومة لرجل الشارع ولم تكن معلومة لنا، ولكن انعكاساتها جميعا كنا نعيش فيها. ولقد وجدت أن أفضل مصدر لذلك هو مذكرات لورد كيلرن، الذي كان اسمه فيما سبق سير مايلز لميسون، فقد كان أكثر الناس اطلاعا على كل شيء مما يورد ذكره،

وكان كعبة جميع أطراف اللعبة، ثم كان رجلا متعجرفا لا يستحي أن يذكر كل تجاوزاته وتجاوزات دولته على أنها حقوق له ولها. تلك المذكرات ظهرت بعد هذه الأحداث بأكثر من ثلاثين عاما، وأقصد هنا الكتاب العربي "دبابات حول القصر" عن مذكرات اللورد... ولن أطيل

ففى مارس ١٩٤١ جاءت قوات ألمانية إلى ليبيا، وقام روميل بمجموعة البعيد الذى أوصله إلى العلمين. وتأزم الموقف بين حسين سرى باشا والملك. وقبل أن يقدم حسين سرى استقالته إلى السفير أن يؤجل ذلك حتى يوم الثلاثاء الساعة ١٢ ظهرا، ثم يقوم لمبسون بمقابلة الملك الساعة الواحدة (بعدها بساعة) يقول لمبسون عن حسين سرى "أنا فى منتهى الإعجاب بإخلاصه وصداقته". وكان حسين سرى هو الذى أوحى إلى ما يلزم لمبسون أن يطلب النحاس باشا للوزارة. ثم اتصل حسين سرى بلمبسون أن ، وهو يتناول إفطاره يوم الإثنين ٢ فبراير ١٩٤٢، وأخبره أنه لا يستطيع الانتظار حتى اليوم التالى وأنه سيقدم استقالته إلى الملك الثانية عشرة والنصف ظهرا.

فقام السفير بالإتصال بأحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك وفرض على الملك أن يقابله الساعة الواحدة. وتمت المقابلة فأخبره السفير الملك بالآتى:

- ١- أنه يجب أن تكون فى مصر حكومة محلصة لمعاهدة ١٩٣٦ قادرة على تنفيذها نصا وروحا.
- ٢- أن تكون حكومة قوية وقادرة على الحكم ولها سند شعبي كاف.
- ٣- وهذا يعنى حتما تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة، ويجب طلبه فورا للتشاور معه فى تأليف الوزارة.
- ٤- يتعين أن يتم ذلك قبل ظهر اليوم التالى الثلاثاء ٣ فبراير ١٩٤٢.
- ٥- إن الملك مسئول شخصيا عن أى اضطرابات قد تحدث أثناء ذلك.

وفى صبيحة ٣ فبراير ١٩٤٢ قابل أمين عثمان السفير الإنجليزي وأبلغه أن النحاس مستعد لتولى

الحكم إذا ساندته السفارة، وأن الوفد سيتعاون مع السفارة حتى لو لم تكن هناك معاهدة، وطلب إلى السفير تعليماته بشأن مقابلة النحاس للملك بعد الظهر، فوجهه السفير أن يرفض النحاس فكرة حكومة قومية مؤقتة وأن يقبل الوفد ترك بعض الدوائر الانتخابية للأحزاب الأخرى.

وقرر مجلس الحزب في مصر، بحضور السفير، تسليم الإنذار التالي عن طريق أحمد حسنين باشا "إذا لم أسمع حتى السادسة مساء اليوم أن النحاس باشا قد كلف بتشكيل الحكومة فعلى جلالة الملك فاروق أن يتحمل عواقب ذلك التصرف". وذهب لمبسون إلى أبعد من ذلك فأعد وثيقة للتنازل عن العرش لجبر فاروقا على توقيعها .

وفي السادسة والربع جاء أحمد حسنين إلى السفارة يحمل رسالة: إن الملك بعد أن تسلم الإنذار البريطاني يعتبر انتهاكا خطيرا للمعاهدة المصرية البريطانية ولاستقلال البلاد. ومن أجل هذا السبب وبعد استشارة الزعماء وتعديا على استقلال مصر".

وأجاب لمبسون أنه سوف يحضر لمقابلة الملك الساعة التاسعة. وقبل الموعد بعشرين دقيقة كان لمبسون والجنرال ستون وعدد مهيب من الضباط الإنجليز المسلحون حتى أسنانهم بالقصر، وكانت طوابير الدبابات والمصفحات وناقلات الجنود تأخذ مواقعها حول قصر عابدين. واقتحم لمبسون وستون على الملك حجرته... وبدون اطالة... خضع الملك. وساءت سمعة الوفد بسبب هذا الحادث ثم بسبب انشقاق مكرم عبيد وإصدار الكتاب الأسود بفضائح الوزارة في أوائل ١٩٤٣. وكانت صور السفير الإنجليزي مع النحاس باشا أو معه وجرمه تظهر بالصحف المصرية تنطق بالصدقة بينهما، وقد درج السفير أن يتأبط أحدهما أو يتوسطهما. والأعجب من ذلك أن تظهر صورة حرم السفير تضع يدها في ذراع فاروق!

كان الإنجليزي يمتون بهزائم أمام الخور، وكان وجودهم في مصر يتعرض للخطر، فبعد ذلك بقليل في مايو ١٩٤٢ استولى روميل على طبرق وكانت قلعة حصينة للإنجليز، ثم اندفع نحو مصر والجيش الإنجليزي الثامن يفر أمامه فرار أرنب أمام الثعلب.

خِطْ آخِرَ

بعد أيام كنت عائدا إلى منزلي فصادفت ثلاثة من شبان حيننا، طاهر عماد الدين ومحمد هاشم يلحان على عبد المعز عبد الله أن يذهب بهما إلى السينما على نفقاه لمناسبة سيارة تخصه، كأن كان قد نجح في امتحان أو التحق بعمل لست أذكر، ز ووافق عبد المعز فعادا يطالبانه أن يكون دخولهم السينما في لوج. وكان اعتراضه أنهم ثلاثة واللوج يكون لأكثر، فلما صادفتهم ألحوا على أن أكون معهم. وفي طريقنا مررنا بشارع السكاكيني فسمعنا أذان المغرب ينبعث من أحد بيوت الشارع.. كان المؤذن يرتدى البذلة ولم يكن شيخا وكان يؤذن من الشرفة. وقال عبد المعز إنه لهذه المناسبة - موضوع الدعوة - عزم على الصلاة فأستاذنا دقائق ريثما يؤدي صلاة المغرب ويعود . وانتظرناه بالخارج ولكنه غاب في المنزل وطال بنا الانتظار دون أن يخرج حتى أصابنا الضجر، ثم خرج لنا شاب لم نكن نعرفه - عرفناه فينا بعد الأخ بسيوني - فقال " تفضلوا يا إخوان" وألح علينا في الدخول. قلنا إننا في إنتظار صديق يصلى ولا يلبث أن يخرج فأجاب بأن صديقنا ينتظرنا بالداخل.

كان المكان بيتا ذا طابقين. الأرضي فقط هو الذى كان شعبة الإخوان المسلمين بالظاهر. كانت عبارة عن صالة وثلاث غرف وفناء كبير به بعض الملاعب لكرة السلة والملاكمة والمصارعة ومكان للجوالة ومكان آخر للصلاة كما كان به تكعيبية عنب بها مصباح كهربائى تصلح للجلوس وعقد الاجتماعات تحتها. وكان عبد المعز جالسا على دكة من الخشب فى ركن من أركان الصالة وقد جلس معه أحد " الإخوان" يلقي عليه درسا أو موعظة!، ولفت أنظارنا ما علق على الجدران من لافتات عليها بعض عبارات أو مبادئ الجماعة وصور لفضيلة الأستاذ حسن البنا، ضى الله عنه وأرضاه. وذهبنا ننظر ونتطلع إلى تلك المعلقات دون أن ندرك حتى وقتها أن الإخوان حين دعونا للدخول إلى شعبتهم إنما أدخلونا إلى الطريق التى أمسكت بنا لنصبح بعد ذلك " إخوانا مسلمين" من تلك المعلقات أذكر على سبيل المثال إطارا من الخشب احتوى هذه النشرة.

عقيدتنا

- ١

أعتقد أن

الأمر كله

الله، وأن

سيدنا محمدا
صلى الله
عليه وسلم
خاتم رسله
للناس كافة.
وأن الجزاء
حق، وأن
القرآن
كتاب الله،
وأن الإسلام
قانون شامل
لنظام الدنيا
والآخرة.

وأتعهد بأن أرتب على نفسي حزبا من القرآن الكريم، وأن أتمسك بالسنة المطهرة، وأن
أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام.

٢ - أعت

قد أن
الإستقامة
والفضيلة
والعلم من
أركان
الإسلام.

وأتعهد بأن أكون مستقيما أؤدى العبادات وأبتعد عن المنكرات، فاضلا ألقى بالأخلاق
الحسنة وألقى عن الأخلاق السيئة وأحرى العادات الإسلامية ما استطعت، وأؤثر المحبة والود



على التحاكم والتفاضي، فلا ألجأ إلى القضاء إلا مضطراً، وأعتز بشعائر الإسلام ولغته، وأعمل على بث العلوم والمعارف النافعة في طبقات الأمة.

٣- أعتقد أن المسلم مطالب بالعمل والتكسب، وأن في ماله الذي يكسبه حقاً مفروضاً للسائل والمحروم.

وأتعهد بأن أعمل لكسب عيشي، وأقتصد لمستقبلي، وأؤدي زكاة مالي، وأخصص من إيرادي لأعمال البر والخير، وأشجع كل مشروع اقتصادي إسلامي نافع، وأقدم منتجات بلادي وبنى ديني ووطنى، ولا أتعامل بالربا في شأن من شئوني، ولا أتورط في الكماليات فوق طاقتي.

٤- أعتقد أن المسلم مستول عن أسرته، وأن من واجبه أن يحافظ على صحتها وعقائدها وأخلاقها.

وأتعهد بأن أعمل لذلك جهدي، وأن أثبت تعاليم الإسلام في أفراد أسرتي، ولا أدخل أبنائي أية مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيات والفرق والأندية التي تناوىء تعاليم الإسلام.

٥- أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.

وأتعهد بأن أجاهد في سبيل هذه الرسالة ما حييت، وأوضحى - في سبيلها بكل ما أملك.

٦- أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية وأن الإسلام يأمر بالإحسان إلى الناس جميعاً.

وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم.

٧- أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية.

وأتعهد بالثبات على مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها، وأن أظل جندياً في خدمتها أو أموت في سبيلها. أ.هـ.

لم يشأ الإخوان أن يتركونا نشاهد ما على الجدران ثم ننصرف... فأعدوا لنا على عجل بعض المقاعد أتوا بها من الغرف ووضعوها إلى جوار عبد المعز، ثم دعانا الأخ بسيوني إلى الجلوس معهم. وما أن جلسنا حتى أخذ يخبرنا عن اسمه وعمله وعنوانه - كما فعلت في التقديم السابق - ثم سأل كلاً منا عن مثل ذلك فأخبرناه. وراح يسترسل في شرح دعوة الإخوان... ما هيتهما وفكرتها وغايتها ووسيلتها... الخ وكنت أقول لنفسى طوال حديثه ومالنا وكل هذا؟ أنا ما خرجت من بيتي لأسمع هذا الحديث. ولا حتى لأذهب إلى السينما، فلا أنا ذهبت إلى السينما ولا أنا مكثت في بيتي. ماذا يريد هؤلاء الناس؟ الإخوان المسلمون؟! يتحدث أحونا عن الإسلام وإعادة مجد الإسلام والاتصال بالله وتطهير النفوس... فماذا يريدون مني؟

كان الأخ بسيوني كلما أحس أنه سرح بنا في الحديث يسألنا عما إذا كان حديث معقولاً وعما إذا كنا نوافق عليه؟ وكان كل همتنا أن ننتهي لننصرف، فكنا كلما سألنا وافقنا وأجبنا بالإيجاب. وأخيراً قال لنا: "إذن ما دمتم توافقون على فكرتنا وتتجاوبون مع مبادئنا فأنتم منا وتحت إخوانكم!" قلنا "كيف؟"

قال "أنتم الآن من الإخوان المسلمين، لأن الإخوان المسلمين هم الذين يؤمنون بما آمنتم به الآن".

قلت "هل تريدون اشتراكاً؟ وكم مبلغ الاشتراك؟"

قال "لا، لا، إن المال لا يهمنا، كل ما يهمنا هو ذلك الإخاء الذى يرضى الله به عنا، ولا يهمنا إلا هذا الإتفاق ثم أن نراكم بعد ذلك كثيراً..."

سرنا أن نصل إلى شيء ما... إلى أى شيء نخرج به من هذه الشعبة. غير أنه قبل أن يختم حديثه دعا أحد إخوانه وطلب إليه أن يحضر لنا استمارات انضمام فملأها لنا، وكانت تتضمن بيانات عن أسمائنا وأعمارنا وأعمالنا وعناوين بيوتنا ووقعنا عليها، وظننا أننا نستطيع أن نذهب.

الإسلام وأن نرشد المسلمين إلى أنوار دينهم وأضواء إسلامهم ومنهل ربه، وأنا لسنا صغاراً كما كنا نظن بأنفسنا بل إننا كبار وكبار جداً. فلئن كنا صغار السن فإننا كبار القلوب والله تبارك وتعالى يقول في حديثه القدسي الذي يرويه عنه نبيه صلوات الله وسلامه عليه " ما وسعني أَرْضِي ولا سَمَائِي ولكن وسعني قلب عبدِي المؤمن." فنحن كبار برضاء الله عنا، ونحن كبار باتصالنا بهذه الدعوة التي كتب الله النصر والعزة لأصحابها " والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون." " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد." " وما النصر إلا من عند الله". فمفتاح النصر بأيدينا " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" .. وإنه من التفريط في حق هذه النفوس الكبيرة أن تستصغر شأها، ومن الإسفاف في جنب أنفسنا أن نستهيئ بها، أو أن نقبل العيش على هامش الحياة غناء كغناء السيل، أو زبدا يذهب جفاء، بينما يتصدر للتصرف في البلاد والعباد ألوان الناس وأحطهم وكل أبتَر من هدى الله. وعيت كل كلمة قالها الحضري فغاضت إلى أغوار قلبي وأعماق نفسي، حتى أني أعتبر تلك الليلة بل هذه اللحظات بالذات هي موضع التحول الحقيقي في اتجاهي كله لقد كان يحدثنا بآيات الله وأحاديث رسوله وحاشا لله سبحانه وتعالى أن يرسل رسوله يافك من القول وكذب من الحديث ولغو باطل من الوعود.

وقبل أن ننصرف من ذلك الدرس الموفق حقاً وزعت علينا قصاصات من الورق ليكتب كل منا خواطره أو مابدا له أو أي اعتراض أو اقتراح أو استفهام وليس يلزم أن يكتب اسمه، وأفهمونا أن ملاحظتنا سوف تكون محل اهتمام واعتبار. وكنت قد أتعبني طول الجلوس على الحصيرة أكثر من ساعة ونصف فألتمني الجلسة التي لم أعيدها، وكانت هذه خاطرني التي سطرها ولم أوقع باسمي. وبعد نحو من عام - وكنت قد صرت من صميم الإخوان - علمت أن هذه القصاصات قد نوقت في مجلس إدارة الشعبة وانقسم المجلس بشأنها، ففريق رأى أن الجماعة لا تستجدي الهداية للناس فمن شاء أن يحضر ويجلس على الحصير فيها، ومن ترفع وتكبر وطغى وآثر الحياة الدنيا فإن الحجيم هي المأوى(!)

ولا حاجة بالشعبة إليه. بينما رأى فريق آخر أنه يلزم لانتشار الدعوة اجتذاب الناس بالحسنى والحكمة والقول اللين، فإذا كان بعضهم يتعبه الجلوس على الأرض فلا ضير من أن يجلس على الكرسي وهي متوافرة بالشعبة. جلس بعد عام مع جمع من الإخوان نتذاكر لقاءاتنا

الأولى فذكرت أمر القصاص، فهب واحد منهم يقول " أنت صاحب القصاص؟" قلت " نعم" قال " لقد كان من أمرها كذا وكذا، وكنت حينذاك من المتمسكين بفكرة الحصر، ولكني الآن أو من بالكراسي، إذ لولاها لربما كنا قد فقدناك". أما في حينها فقد جمع الإخوان بين الرأيين، وفي الليالي التالية فرشوا الحصر ورسوا الكراسي والدكك من حولها، فمن شاء أن يفترش الحصر فعل، ومن شاء القعود على المقاعد جلس دون كلفة.

أردت بهذه القصة أن أبين عن نوعي التفكير والعقلية اللذين كانا بالإخوان في حينها وربما في كل أحيائها بعد ذلك، النوع اللين المرن والنوع الصلب المتمسك.

وتوالت الليالي وتعاقبت أتردد على دار الشعبة للإخوان المسلمين بالسكاكيني، وكانت تبعد عن منزلنا نحو نصف ساعة سيراً على الأقدام. وبدأنا نتلقن معاني الدعوة ونتذوقها معنى بعد معنى من محاضرات الحضري المستمرة كل ليلة تقريباً، فإذا غاب الحضري لسبب أو لآخر ناب عنه أي من إخوان الشعبة وكان منهم من يجيد الحديث ومنهم من لا يجيده، وهذا الصنف الأخير كان يعتمد على كتاب من الكتب أذكر منها رياض الصالحين وإحياء علوم الدين. وكانت أحاديث الليالي هذه تتناول الإسلام كفكرة ربانية ورسالة من الله لمن خلق على سطح الأرض . وعن الجهاد في سبيل الله، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن الحب في الله والتآخي عليه والتزاور فيه، وعن مجالس الذكر والعلم وفضلها وأبها، وعن البذل لله، وعن التمسك بشرع الله وأخذ الأنفس بسنة نبيه، وعن قيام الليل وإتقان الصلاة وصيام النهار، وعن غض البصر وحفظ الفرج... وعن... وعن... محصول ضخم من معاني الإسلام الرحب الفسيح الذي أحاط بكل شيء وتناول كل نواحي الحياة وصدق الله العظيم " ما فرطنا في الكتاب من شيء".

مع الدعوة

أينا كنا من كل هذا؟ وكيف غفلت الأمة هذه القرون الطوال عن رسالتها التي ختم الله بها الرسالات جميعاً؟ أخذت أسترجع ذلك كله - كلما رجعت من الشعبة - طوال الليالي حتى مطلع الصبح، أتأمل الأهداف التي حددها الإخوان في اختصار جامع وتركيز دسم...

نكويين جيل مسلم من الناس يفهم الإسلام فهما صحيحا ويطبقه على نفسه... تحرير الوطن
الإسلامى العام من كل سلطان أجنبى....

إقامة دولة مسلمة فى هذا الوطن الإسلامى تطبق أحكام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
هذه هى الأهداف الثلاثة التى ينتظمها جميعا مبدأ من كلمتين:

"الله غايئنا"

عرفنا الإسلام نظاما شاملا للحياة جميعا فهو دعوة صادقة ودولة، عبادة وقيادة، مصحف
وسيف، جيش وفكرة، وهو عقيدة صادقة وثقافة وقانون، ومادة وثروة، ورحمة وعدالة...

سبحان الله... شتان ما بين حقيقة الإسلام ولبه، وما زحم الطرقات من مواكب الصوفية
ودجل أهل البدع. لقد كانت أذهاننا قبل ذلك تخلط خلطا غير صادق وهو أبعد ما يكون عن
الواقع والحق - بين الإسلام كرسالة وعقيدة وبين التمايم والرقى، فعرفنا أن ليس فى الإسلام
التمايم ولا رمل ولا ودع وليس فيه رجال للدين وآخرون للدنيا، وإنما كل المسلمين أمام الله
سواء، وكل المسلمين رجال دين وكلهم رجال دنيا، فالمسلم مطالب أن يعمل لدنياه كأنه يعيش
أبدا، وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أمته فيقول "ليس
خيركم من ترك دنيا لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه ولكن من أخذ من هذه وهذه".
وكتاب الله تبارك وتعالى ينطق بالحق فيقول "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس
نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض". فالإسلام ينكر
أشد الإنكار انقطاع قوم للعبادة والصلاة فى الخلوات والتكايا، وانطلاق الآخريين للعبادة
والتسكع والإغتراف من ملذات الدنيا ومباهجها. فلا يقرب العبد من ربه غير عمله، فلا
وساطة من علماء ولا من صالحين، سواء كانوا أحياء أو أمواتا، فالتوسل بغير الله جهل وضرب
من الشرك" وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى" فكلنا
رجال دنيا وكلنا أيضا رجال دين.

عرفنا أن لب الإسلام عقيدة التوحيد فلا يقبل الشرك من أى نوع أو لون. ولقد كان
الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو "اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا أعلمه
وأستغفرك لما لا أعلمه". فلا عبادة أوثان ولا عبودية لأشخاص ولا انصياع لهوى. فالاستخذاء

للكبراء والانحناء للحكام ليس من الإسلام، يقول صلى الله عليه وسلم " لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا." ونهى عن تشييد الأضرحة والصلاة إليها ولو كان المدفون بها نبيا من أنبياء الله، وقال " لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وحرم صناعة التماثيل للسبب ذاته. كما اعتبر الإسلام اتباع الهوى خلافا لشرع الله نوعا من الشرك فقال " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة". كانت الشعبة مدرسة غاية في البساطة، ولكنها كانت تلقي من الدروس أجملها وأعظمها، ولقد عرفنا أيضا أن الدين يؤخذ من نصوصه، وأن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وفي النص القرآني " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" فمن آمن بهذه الدعوة ورضى العمل لها فليكن مستعدا للبدل والتضحية... التضحية بماله وبنفسه ودمه وروحه وبراحة باله وطمأنينة حاله، وبحاجة آله ووالديه وعياله... عليه أن ينظر إلى هذه الدنيا كشجرة استظل بها ثم تركها ومضى" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا. المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا".

فارق

أجلت فكرى في هذا... فوجدت أن الغاية العليا الأسمى لعامة الناس الذين يعملون لغايتهم" باستقامة" هي لقمة العيش. وهي نفس الغاية التي لا تتعدها أذهان الأنعام وقلوبها. لقد كنا في طريقنا إلى السينما سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا. وأدركنا أن سابق أيامنا كانت ضياعا يآباه الله على عباده" ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" عرفنا أن ستقف في وجوهنا طواغيت الأرض جميعا، كما وقف من قبل فرعون وهامان والنمرود وطغاة قريش لرسالة الحق والهدى. واليوم ما أكثر الطغاة وما أكثر الطواغيت. هذه قوى الاستعمار والصهيونية والصليبية والخيانة والجهالة ممن يزعم الإسلام.. كل ذلك سوف يلبس لنا أردية الإباحية والإلحادية والنفاق والاستبداد والاضطهاد وسيف المعز وذهبه.. وليس معنى ذلك أن ستقف تلك القوى في سبيل الدعوة بعيدا عنا، فقد صرنا نحن الدعوة والدعوة نحن، وإن تحطيم الجماعة يستلزم تحطيمنا بأشخاصنا وأجسادنا.. كل ذلك ذكره لنا أساتذتنا من الإخوان فاستخففنا به واستهنا، وقبلنا أن نواجه كل أولئك بما ندرى وما لا ندرى مما سوف

سيحيئوننا به، وعلى وجوهنا بسمة الرضا، وملء قلوبنا حرارة الإيمان وبرد اليقين، فلئن كانت تلك القوى في أعين الناس كبيرة فالله أكبر وأجل. ولم لا؟ وماذا علينا وقد آمنا؟ وأي ضرر نتظرنا؟ القتل شهادة، والسجن خلوة، والنفي سياحة، والتشريد هجرة، فماذا؟! كل عذاب بأجره وكل ثبات بثوابه فمرحبا بالآلام.. وبالابتسام.

كنا نعيش في بلد يجثم على أنفاسه الاحتلال الإنجليزي ويتولى أموره ملك فاسد وحكومات هزيلة ضعيفة بعدت عن الإسلام كل بعد.

أمل

كانت آمالنا لا حدود لها، فكنا نؤمل كل شيء. نؤمن أن دعوتنا ستنتصر وأنا سوف نهم جميع ألدائنا وخصومنا وكل من نحدثه نفسه أن يقف في سبيلنا المقدس.

قرأ بعض الإخوان خبراً من جريدة يومية أن طائرات الألمان شنت غارة على لندن وأنها أصابت البرج الشهير لساعة بيج بن **bjg ben** بقنابلها... وكان يجلس الشيخ عبد اللطيف الشعشاعي - وكان رجلاً ضريراً من كرام الإخوان - فبان عليه الحزن الحقيقي والأسى. فعجبنا، وسألناه سائلنا عما به وعما يهمه من أمر بيج بن؟ فقال بلهجة كلها الجدة "كنت أريد أن أؤذن من فوق ذلك البرج يوم فتح لندن!" قلنا بمرح ودعابة "فأذن من فوق غيره!" قال في إصرار "كنت أريد أم أؤن من فوق هذا". ضحكنا... غير أن أعماقنا كانت تقول "ربما... فمن يدري!" لعلنا في يوم نفتح لندن!!

هذا الأمل الواسع العريض كان مستمداً من الثقة بالله. وامتألت قلوبنا بأن القوة لله جميعاً، وأن جميع قوى الأرض قهون أمامنا إن حاولت أن تنال من عقيدتنا "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" وما دمنا ننصر الله فالله ناصرنا. ولقد كان الأستاذ المرشد عليه رحمه الله يستشهد بالتاريخ على تعبيره الجميل "أحلام الأمس حقائق اليوم وأحلام اليوم حقائق الغد".

كنا نحيا بعقيدتنا ونأمل الخير فيها وندعوا الله ، نموت عليها، ونحس فيها بكل متعة وجمال وسعادة، ونأسى لإخواننا المسلمين الذين لم يروا ما رأينا ولم يؤمنوا بمثل ما آمننا به، وكنا نقول لمن يريد أن يثبط فينا هذا الأمل:

وإلا فقد عشنا بها ومنا رغدا

منى إن تحققت تكن أعذب المنى

هذه مهمتنا

لقد ذكر الأستاذ المرشد آية من كتاب الله وصفها في رسالة " إلى أى شىء ندعوا الناس" بأن لخص فيها مهمة المسلم في الحياة" يأبىها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم، وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبىكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل. وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم، وتكونوا شهداء على الناس. فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير"

ثم عقب على الآية فقال" هذا كلام بين لا لبس فيه ولا غموض. ووالله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لو واضح كالصبح ظاهر كالنور، بملأ الآذان ، ويدخل على القلوب بغير استئذان، فهل لم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوب أقفالها فهى لاتعى ولا تتدبر؟!". ثم يقول" أيها المسلمون، عبادة ربكم والجهاد في سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم في الحياة. فإن أدبتموها حق الأداء فأنتم الفائزون وإن أدبتم بعضها أو أهملتوها جميعا فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق".

ولهذا كان من أوصاف صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم" رهبان بالليل فرسان بالنهار" يقوم ليله في محرابه يقول: يادنيا غرى غبرى، فإذا دوى نغير الجهاد رأيتته على صهوة جواده يصول ويجول ويفلق الهام.

إعداد

ويستمر الأستاذ في شرح فكرته فيقول: إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر

وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل

ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخدعة بغيره.

على هذه الأركان الأولية التي هي من خصائص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتترى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع، أو على الأقل فقدتها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق آملا. وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام "إن الظن لا يغني عن الحق شيئا"، هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

هكذا كان يهزنا ذلك الأستاذ المربي العملاق ليوقظنا من سبات هذه الأمة العميق. إنه لا ينكر أهمية الإعداد المادي من المال والعتاد وآلات الحرب والقتال - وهو قد أعد منها ما استطاع - ولكنه يرى، ورأيه الصواب، أن أهم منه وألزم القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والإيمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية والتضحية في سبيل الواجب والوفاء الذي تبنى عليه الثقة والوحدة وعنهما تكون القوة.

الإنسان روحا وخلقها هو البداية وهو النهاية. وما زالت أزممتنا في النصف الثاني من الثمانينيات أزمة أخلاق. ليس خروجا أن أعبر أحد عشر عاما... حين استتب الأمر للثورة وتسلطن جمال عبد الناصر، راح يسأل رؤساء أحزاب مصر عن رأيهم في الإصلاح من أين

يبدأ؟. ووجه هذا السؤال إلى الأستاذ حسن الهضيبي مرشد الإخوان، فأجابه، الإصلاح لا بد أن يبدأ بالأخلاق. وكانت هذه الإجابة الصحيحة الواعية صدمة لجمال.

قال: لا... هذا طريق طويل لانتظره. قال الأستاذ الهضيبي: فماذا تريد؟

قال جمال: أريد أن أضغط على زر فيحدث ما أريد!

ويمضي الزمن خمسة عشر عاما وتأتي الهزيمة المنكرة عام ١٩٦٧ ويقف جمال خطيبا وقد نسي ما قال من قبل فيقول: ماذا أصنع؟ لا أستطيع أن أضغط على زر فيحدث ما أريد. هذا الذي جهله جمال رئيسا تعلمناه صغارا على مائدة الإخوان. لم ننسه وأرجوا ألا ننساه وأرجو كل من يتصدر لدعوة الإسلام أن يأخذ نفسه به.

معان كثيرة كثيرة... كلها كانت جديدة على عقولنا وأذهاننا. لم تتفتح لها قلوبنا قبل أن يبصرنا بها الإخوان. وإنما لمعان ضخمة وجليلة، لو ذهبنا نتحدث عنها لاتسعت أماننا الصفحات ولخرجنا بهذه السطور عن مقصودها وهي وفيرة في رسائل الإخوان التي كتبها الأستاذ المرشد رحمه الله وفي خطاباته، نجدها في رسائل "التعاليم" وبين الأمس واليوم" و تحت راية القرآن" و"دعوتنا في طور جديد" و"رسالة المؤتمر" و"المؤتمر الدورى السادس" و"مشكلاتنا في ضوء الإسلام" و"الجهاد" و"دعوتنا" و"إلى أى شىء ندعو الناس" و"نحو النور" و"إلى الشباب" وفي كل ما كتبه أو ما كتبه له جريدة الإخوان اليومية أو مجلتهم الأسبوعية التي كانت تصدر إلى عام ١٩٤٨. كما تابعت جريدة "الدعوة" الأسبوعية نشر كلماته وكتاباتاته منذ بدء صدورها في عام ١٩٥١ بعد محنة الإخوان الأولى واستشهاده رضوان الله عليه حتى عام ١٩٥٤.

الفصل الثانى

فى شعبة الظاهر

علوم وفوائد

صوت أتررد على شعبة الظاهر كل يوم تقريبا. فكنت أصلى العصر فى البيت، ثم ألتقى وحسين عبد السميع ونتجه معا على شعبة سيرا على الأقدام، فنجد بها أقراننا من الإخوان

فتجاذب أطراف الحديث وتعارف وتمازح وتتألف حتى يؤذن مؤذن المغرب فينتظما صف الصلاة، فإذا فرغنا انتقلنا جميعا إلى تكعيبية العنب فجلسنا تحتها نستمتع لأحاديث الخضرى غالبا أو غيره أحيانا. والآن وقد مضت على تلك الأيام السنون أعترف للأستاذ الخضرى بما تلقيت عنه من الخصال التي ترضيني ومن مكارم الأخلاق. فبفضل تلك الأحاديث واطبت تماما على الصلاة وبدأت أستشعر لها لذة ومنتعة، ثم طلبت النوافل وقيام الليل والحرص والمداومة على صلاة الفجر في الشعبة، فكنت ومن معي من الإخوان في حدائق القبة نواظب كل يوم على قطع مسافة تستغرق منا نصف ساعة سيرا على الأقدام في جوف الليل لتؤدي صلاة الفجر مع إخواننا في الشعبة. وسيان عندنا تقلب الصيف والشتاء...

تعلمنا كذلك تلاوة القرآن الكريم، واعتدنا أن يكون لنا ورد يومي لا يقل عن جزء - وكثيرا ما كان يزيد - ثم تعدينا ذلك إلى ورد آخر للحفظ فبدأنا للحفظ نحفظ جزء عم ومن سورة الأنفال، ثم استمر الحفظ من شتى سور الكتاب الكريم.

وأحسبني تعلمت أيضا من الخضرى شجاعة الرأي وصراحة القول والاعتراف بالخطأ عن طيب نفس، والدأب والمداومة على العمل والإخلاص لله والصدق في القول والحب والإخاء في الله. كان في نحو الأربعين وكنت في نحو السادسة عشرة، وكنت أتوق إلى المثل وأتعلق بما أراه منها وأعشق السمو وأصبو إليه ذهبت يوما إليه في منزله، وكنت قد أعتدت أن يفتح لي غرفة الضيوف فأدلف إليها، فلما هممت بالدخول هذه المرة اعترضني بجسمه وقال: "معدرة! لا أريد أن تدخل... ليس بما نساء، بل هنا إخوان ولكن لا أريد أن تراهم" قال تعالى "وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم" لم تصدمني هذه المقابلة ولم أجد بما أي إساءة بل سرني ما فيها من صراحة وصدق واعتبرته درسا أضيفه إلى محصولي. كنت أعتبر نفسي تلميذا أطلب العلم والأدب، ثم راق لي أن أمضى حياتي على هذه الوتيرة... أطلب العلم وأنشد الأدب. وتصارحني نفسي من داخلي أنني قد توقفت بأحسيسى ومشاعرى وشبابي وفتوتى عند ذلك العمر.

غنمت كذلك الإخاء الكريم الذي نشأ بيني وبين إخواني بالشعبة كثيرا وأحيوني، وكنا كثيرا ما نتزاور في البيوت. وقد خرجت بهذا عن عزلي إلى الروح الاجتماعية، وتحولت من شخص

انطوائى إلى شخصية اختلاطية، وإن كان ذلك الاختلاط ظل حبيسا في محيط الإخوان. وللإخوان طابع خاص تميز به مجتمعهم، فهم ذوو خلق قويم، لا تسمع بينهم الكلمات الخارجة ولا الألفاظ النابية، وكانوا جميعا متعاونين على البر والتقوى، فإذا حل وقت الصلاة قاموا جميعهم إلى صلاتهم، فإذا كان بأحدهم حاجة إلى تجديد وضوئه لم يكن ثمة ضجر ولا حرج أن يحضر له صاحب الدار القبقاب ويخلى له الطريق إلى دورة المياة. وهم متصارعون فكل يذكر لإخوانه ظروفه الخاصة. وهم متكافلون على أعباء الحياة، يحمل بعضهم كل بعض. وهم متحابون يستشعرون لإخوانهم ثوابا وجزاء. وهم سواسية كأسنان المشط رغم تفاوت مستوياتهم وأعمارهم، يجلسون جميعا متجاورين، ويتحدثون بغير كلفة، لا فارق بين الطبيب وبائع الخبز والمهندس وصانع الأحذية والطالب والموظف ومجد الجيش.

لكل هذا تميز مجتمع الإخوان عن غيره من المجتمعات. وكان هذا هو المجتمع الذى صرت شخصية اجتماعية فيه. أما غيره من المجتمعات فربما كنت لا أقوى على الاندماج فيها. هذا المجتمع دخل طرفا ثالثا في حياتى بين البيت والمدرسة، بل لقد كان هو الطرف الأول. ولم تطل فترة المدرسة. فقد أنهيت تعليمى الثانوى والتحق بكليّة التجارة بجامعة فؤاد الأول بالجيزة عام ١٩٤٢ فاتصلت بالإخوان بها أيضا.

معدرة لهذه السطور، وقد كان بودى لو أغفلتها، غير أنى حرصت على ألا أسقط من هذا التسجيل أهم وأبرز خصائص دعوة الإخوان المسلمين، وهى أثرها في جيل الشباب في عهدها. فحين أذكر هذه الآثار على نفسى إنما أقدم نموذجا واحدا من عشرات الألوّف، هذه الروح الفاقة التى بعثتها الدعوة في قلوب الشباب والرجال كانت هى سر الإخوان المسلمين الأكبر الذى كمن وراء كل شىء آخر يتصل بالإخوان وبنشاط الإخوان. هذا السر هو الذى انفرد به - بدون شك - الإخوان عن أى تكوين معاصر آخر حزبي أو شيوعى أو غير ذلك.

ارتباط وعمَل

هذا المجتمع الحلو الجسم لم أعد أحتمل البعد عنه، فقد وجدت فيه عذوبة وتمعنة، ووجدت فيه إخوانا هم أحب إلى نفسى من نفسى، ثم هم وسيلتى إلى الله يوم تدنو الشمس من الرءوس فنستظل بظل الله يوم لا ظل إلا ظله. ففي حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: " سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق صدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"(متفق عليه)

أدرت ما تتطلبه الدعوة من عمل وكد فكنت لها عاملا من اليوم الأول. وكان العمل الأول موجها إلى شخص فدأبت عليها أروضها وأزودها بمحاجتها من التحصيل، وكان لهذا التحصيل شعب ثلاث: المحاضرات والقراءة والحفظ، وكانت أكثرها الأولى كما كانت الثانية في الأعوام ثم ما زالت تنمو ملكة القراء والإطلاع بمرور الزمن.

في الجـوالة

وانتهت عناية الجماعة إلى الجـوالة، وجاءت أوامر المركز العام بأن كطل أخ يستطيع أن يكون جـوالا فليكن. كنت أرى طوابير الجـوالة واجتماعاتهم بالشعبة فلم تكن تعجبني ولم يروقني ما بها من أمر ونهى " وعسكرية"، وكنت أرى في جفاف وجفاء. ولقد دعيت مرارا إلى الإنخراط في سلكها فأبيت حتى إذا كانت المسألة تعليمات دخلت فيها. وتكونت لنا عشيرة من عشرة من الإخوان الطلاب سميها عشيرة خالد بن الوليد. وكان كبيرها يلقب رفيق العشيرة، بينما كانت مجموع العشائر كلها في الشعبة تكون الرهط، وكبير الرهط المسئول عنه يلقب زعيم الرهط. واختاروني أمينا لصندوق العشيرة. وما زلت أذكر ذلك الصندوق الذي كنت أمينه.. كان صفيحة دواء صغيرة وكان به يوم تسلمته خمسة وعشرون مليما. فبدأت مهمتي بفتح باب التبرع لتدعيم مالية العشيرة وارتفع رصيد الصندوق إلى أحد عشر قرشا. ثم اتفقنا أن يكون الاشتراك الشهري للجـوالة قرشين، يأخذ الرهط منه نصف قرش ويبقى قرش ونصف للعشيرة.

مع هذه الجـوالة خرجت في بعض الرحلات سرت في بعض طوابير الاستعراضات في المناسبات المختلفة، كما اشتركت في بعض المعسكرات وتلقيت بعض الدروس الكشفية. والواقع أن جـوالة الإخوان كانت قليلة العناية بهذه الدروس بسيطو الخبرة فيها، وكان جل همها من هذه الناحية ينصرف إلى المظهر، ولقد كان هذا مقصودا، فقد أصبحت الجـوالة من أبرز وأهم أساليب الدعاية للجماعة.

كنا ندفع اشتراك الرهط وكنا ندفع غيره اشتراك الشعبة. وكان غالبا في حدود خمسة قروش، وقد بدأنا سداد ذلك الإشتراك من تلقاء أنفسنا دون أن يطالبنا به أحد بعد أن شعرنا أن دعوتنا يعوزها المال وأن لا مورد لها إلا جيوبنا. ومن باب ذكر الحق... ما شعرنا أبدا أن المال عقبة في سبيلنا في ذلك الوقت، فأى مبلغ كنا نحتاج إليه لأى وجه من وجوه النشاط أو لشراء شىء من لوازم الشعبة كان يتم جمعه في أى جلسة من الجلسات تطوعا من الحاضرين في تسابق وعن طيب نفس... فقط يذكر الأخ المسئول أ، الشعبة في حاجة إلى مبلغ كذا فيدفع كل حسب مقدرته. ولبعد إلى ذكر الجواله، فمازلت أذكر تلك الطوابير، الاستعراضية الضخمة التي كان يتراوح عدد المشتركين فيها بين الستة آلاف والعشرة آلاف جوال... كنا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات في الشوارع. لم تكن تلك المناسبات مقصودة لذاتها دائما، وإنما كانت ذريعة، وكان بيت القصيد إظهار قوة الجماعة ومظهرها العسكري ولفت النظر إلى أن الجواله بالذات هي القوة العسكرية للجماعة، وفي هذا صرف للنظر عن التشكيل الجدى الذى أؤد سرا وفي كتمان تام بعيدا عن مظاهرات الجماعة وهو "النظام الخاص" وسوف نعرض له إن شاء الله.

أصيب الملك فاروق في حادث تصادم سيارته الخاصة وإحدى سيارات الجيش البريطاني بالقرب من قرية القصاصين بمديرية الشرقية، ولزم فاروق المستشفى هناك للعلاج فترة، ثم رجع إلى القاهرة في احتفالات عامة، وكانت فرصة يستعرض الإخوان فيها جوالتهم. وزار الملك عبد العزيز آل سعود مصر فكانت مناسبة أخرى لاستعراض الإخوان فيها جوالتهم. وزار الملك عبد إلى سراى الزعفران - قصر الضيافة في حينه - فاستعرضها من شرفة القصر، وكان يقف إلى جواره المرشد بين زحام جماهير الناس التي ملأت الطرقات يشاهد الاستعراض معهم! ثم رجعت الطوابير سيرا على الأقدام وينظم خطوها دق الطبول إلى سراى عابدين فالمركز العام بالحلمية الجديدة حيث انصرف الإخوان الجواله. اشترك في هذا العرض عشرة آلاف جوال كانوا يسرون سداسيات، كل رهط يتقدمه علم الإخوان الأخضر ذو المصحف الأحمر والسيوف وعليه اسم الرهط، وكانوا يحملون بأوامر تلقى من ميكروفون محمول على سيارة. وكان يشرف على قيادة هذه الطوابير غالبا الإخوان سعد الدين الويللى وعبد الغنى عابدين .

وأذكر عرضاً آخر اتجه من المركز العام إلى السفارة السورية في الزمالك ثم رجع إلى المركز العام، بمناسبة عيد استقلال سورية كان ذلك في ١٧ أبريل ١٩٤٦ وشهد العرض فضيلة المرشد العام مع جميل مردم سفير سوريا في مصر آنذاك. كذلك كانت تجرى أمثال هذه الاستعراضات في بعض المناسبات التي اعتاد الإخوان الاحتفال بها، مثل ذكرى المولد النبوي الشريف أو عيد الهجرة أو الإسرائء والمعراج، كما كانت تحدث أحيانا - كما ذكرنا - في مناسبات كعيد ميلاد الملك أو عيد جلوسه أو ما شاكل ذلك.

وكانت الاستعراضات تحدث أيضا بمناسبات عقد المؤتمرات الدورية أو الشعبية للإخوان. وأحيانا كانت تقام استعراضات محلية لمنطقة من مناطق في حى من الأحياء، دعاية للفكرة به، أو بمناسبة افتتاح شعبة جديدة، أو لاحتفال الشعبة بذكرى غزوة بدر مثلا.

وكان في استعراضاتنا هذه يحين علينا وقت الصلاة فنميل إلى مسجد قريب تؤدي الفريضة ثم نعود كل إلى مكانه من الصف بنظام دقيق وسرعة عجيبة، فإذا أدركنا الوقت بعيدا عن أى مسجد كنا نأخذ جانبا من الطريق أو أرض فضاء فنقيم الصلاة.

فى الكتيبة

كان النظام التشكيلي للإخوان الذى وجدتم عليه حين عرفتهم يقوم على الاجتماعات اليومية غير محدودة في الشعبة أو المركز العام. كما كان يقوم على نظام الكتائب.

والكتيبة عند الإخوان اجتماع مجموعة مختارة من الإخوان يبلغون الأربعين عددا في دار من دور الإخوان (شعبة أو المركز العام أو بيت مناسب من بيوت الإخوان) وكان يحضره الأستاذ المرشد العام. وهو نظام تربوي بدأ عام ١٩٣٧ قبل اتصالى بالإخوان بسنوات خمس.

وكتب الأستاذ لنظام الكتائب رسالة "المنهج"، حدد فيها مراحل العمل وتكوين الكتائب. وأتذكر من مراحلها أن يصل أفرادها إلى اثني عشر ألفا" ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة" ويؤسفنى أن ليس تحت يدي الآن نسخة من هذه الرسالة، إذ إن النسخة الوحيدة التي كنت أملكها قد استولت عليها النيابة العامة في تحقيقات قضية السيارة الجيب ولم يتيسر لي غيرها وإن

ذلك المنهج لم يقدر له أن يأخذ طريقه العملى، ويبدو أنه كان عنيفا إلى حد ما، فسحبت قيادة الإخوان هذه الرسالة من أيديهم، وقد كانت رسالة خاصة لا تباع.

ثم كتب الأستاذ رسالة أخرى هي رسالة التعاليم، وكان العنوان الذى على غلاف طبعتها الأولى "التعاليم، منى إلى إخوان الكتائب". كتبها ليوحد بها أفهام الإخوان على ضوابط معينة ومعلومة، وقد صدرها بقوله "

"فهذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسيتها فكرتهم وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة الصادقون وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون."

أما غير هؤلاء فلهم دورس ومحاضرات وكتب ومقالات ومظاهر وإداريات ولكل وجهة هو مولبها فاستبقوا الخيرات، وكلا وعد الله الحسنى.

ثم قال:

" أيها الإخوان الصادقون. أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها " الفهم والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة".

ثم شرع يشرح كل ركن من هذه الأركان فطلب إلى الإخوان أن يفهموا الإسلام فى حدود عشرين أصلا موجزة كل الإيجاز، مضمونها أن الإسلام نظام شامل فهو جيش وفكرة وحكومة ومسجد وعبادة وقيادة، وأن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم يفهمها طبقا لقواعد اللغة العربية، وينكر الإلهام والكشف كمصادر للتشريع ويعتبر التمام والكهانة منكرا يجب محاربته... وهكذا استطرده حتى أكمل عشرين أصلا هى إيجاز الإسلام كله.

ثم تناول الركن الثانى فتكلم عن الإخلاص وأبان أن الأخ يقصد من عمله كله ابتغاء وجه الله دون نظر إلى تقدم أو تأخر أو مغنم. وذكر أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ أن يصلح نفسه، وأن يكون البيت المسلم بحمل أهله على احترام فكرته، وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير

فيه ثم تحرير الوطن الإسلامي من أى سلطان غير مسلم، وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق فإذا قصرت فالنصح والإرشاد ثم الخلع والإبعاد ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وبعد ذلك إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه.

وانتقل إلى ركن الجهاد فذكر أن أول مراتبه إنكار القلب وأعلاها القتل في سبيل الله.

وشرح التضحية بأنها بذل النفس والمال ولوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية، من قعد عن التضحية معنا فهو آثم.

ثم ذكر مقصوده بالطاعة فقال إنها امتثال الأمر وانقاذه توا في العسر واليسر والمنشط والمكره، وقال إن الطاعة غير لازمة لمن كان في مرحلة التعريف بالدعوة بقدر ما يلزم احترام المبادئ العامة للجماعة، ولكنه ألزمها على من كان في مرحلة التكوين، كما جعل "كمال الطاعة" من كفالات النجاح في مرحلة التنفيذ، حيث حدد مراحل العمل بالتعريف والتكوين والتنفيذ.

وأراد بالثبات أن يظل الأخ مجاهدا في سبيل غايته مهما تطاولت السنون حتى يلقي الله وهو على ذلك.

ثم ذكر التجرد فقال: أن تتخلص لفكرتك من كل ما سواها من المبادئ والأشخاص، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها" صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة".

وأراد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، فإن أقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار.

ثم فسر الثقة بأنها اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة وأبان عن وسيلة ذلك وأخيرا ختم الرسالة بذكر واجبات روحية وثقافية وصحية وخلقية ومظهرية وعملية واجتماعية ومالية بلغت في مجموعها تسعة وثلاثين واجبا، وفي بعض الطبعات وجدتها أربعين وهي معروفة بين الإخوان بأنها " واجبات الأخ العامل " ولم يكن جميع الإخوان إخوانا عاملين، وإن كان كثير منهم بل أكثرهم كان كذلك، فمنهم من

غلب ظروفه الخاصة التي لم تكن تسمح بذلك ومنهم من وقف على حافة الجماعة. وكان للدكتور عبد العزيز كامل فكاهة طريفة إذ قال عندنا إخوان عاملون وعاملون إخوان.

كان اجتماع الكتيبة يبدأ عادة بصلاة العشاء بعد أول وقتها وبعد تناول طعام العشاء معاً، ذلك العشاء كان يتم خلاله التعارف بين إخوان الكتيبة وبعد الصلاة يجلس الأستاذ في مواجهة الإخوان ويجلسون أمامه وحوله على الأرض. وأحياناً كان يرتفع في جلسته على مقعد، لا ترفعا ولا تكبرا ولكن حتى يرى الجميع ويراه الجميع. ثم يبدأ بالتعرف إلى إخوانه واحداً واحداً ويتفرد فيهم، فإذا وجد بينهم من لا يعرف سأله بركة بالغة وأدب جم عن اسمه وعمله وبلده ثم لا ينسى ذلك بعد أبداً.

ثم كان يبدأ حديثه بذكر إخواننا وهذا الحب الذي بيننا في الله وما يضيفه علينا من متعة وإيناس في الدنيا وثواب وعطاء في الآخرة. وبعد ذلك يفيض في معان روحية دفاقة، ويغوص في كتاب الله تبارك وتعالى يستخرج منه المعاني كما يستخرج الغواص اللؤلؤ من أعماق البحار، فيسمو بقلوبنا إلى أفاق علا ونحس بما تتصل بالله اتصالاً نشعر معه أنه معنا ناظر إلينا وأن ملائكته تحف بنا في جلستنا بأجنحتها إلى السماء... في هذه الحالة أظن أن لم يكن بيننا من لا يحس بذنبه ويندم عليه ويعزم على ألا يعود. وكان حديث الأستاذ يستطرد نحواً من ساعتين وقبل أن يختتمه يميل إلى معنى التوبة والإخلاص ونجدد العهد والبيعة عليهما، ثم يقوم لينام، وينام كل منا. وكنا نستعد لذلك فيحضر كل منا ثياب نومه وغطاءه. وقبل الفجر بساعة كان يتم إيقافنا فتوضأً ونتهجد ثم نؤذن للفجر ونصليه يؤمننا فيه أخواننا الأكبر ومرشدنا الأستاذ، ثم يجلس بيننا فتتلو المأثورات جماعة وهي مجموعة من الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. سمعت إخواننا بعد ذلك بسنوات ينكرون تلاوة المأثورات جماعة ويقولون إنها مخالفة للسنن وإن الأستاذ الإمام لم يكن يقرؤها في جماعة.. ولكنني أشهد أننا كنا نفعل ذلك وهو معنا. ولقد حضرت معه فيما بين عامين ١٩٤٣ و١٩٤٦ حوالي ثلاثين كتيبة أظن أننا ما تركنا تلاوة المأثورات جماعة في واحدة منها.

وبعد الفراغ من المأثورات كان يحدثنا حديثنا غالباً ما كان في السياسة فيصارعنا بما لم يكن يصارع به في المحاضرات العامة. فكان يذكر لنا رأيه الصريح في رجالات مصر وغير مصر وفي

كل هيئة من الهيئات، ويحدثنا عن اتصالاته بهم وأحاديثهم معه وأنواع عقلياتهم وأنماط تفكيرهم، كذلك كان يحدثنا عن نيته بالنسبة لكل موقف من المواقف أو قضية من القضايا، ويظل يجب عن أسئلتنا حتى تطلع الشمس ويحين موعد انصرفنا إلى أعمالنا.

كان رحمه الله كيسا فطنا لبقا في أحاديثه وإجاباته. سأله أحد الإخوان ليلة عن رأيه في فاروق. فقال: فاروق من؟ قال: الملك. قال: رضى الله عنه! وأدركنا السخرية فضحكنا. وسأله آخر عن السبب في أننا لا نرى في كتابنا غيره فأين معاونوه؟ أين الوكيل العام والسكرتير العام والمراقب العام.. أين أحمد السكرى وأين عبد الحكيم عابدين وأين عبد الرحمن الساعاتى... الخ... ولماذا لا يحضرون معنا الكتاب؟! فأجاب في ظرف ودهاء: وهل لا أكفيك أنا؟! فضحكنا وضحك رحمه الله. إلا أن أسئلتنا بصفة عامة كانت تجاب بصراحة وصدق ووضوح.

نظام الكتاب هذا هو النظام التربوي والإدارى الذى وجدته فى الإخوان حين اتصلت بالجماعة، وقد استمر فيها إلى النهاية، غير أنه جدت عليه أنظمة أخرى احتلت من تشكيلات الجماعة ومن عنايتها مركز الصدارة فتأخر نظام الكتاب عن مكانه الأول. لم يكن تعديل النظم أو إضافة نظم جديدة مجرد وقوف عند مظاهر إدارية، وإنما كانت مرونة تتطلبها مطالب العقيدة ودواعي الدعوة إليها.

فى الأسرة

ثم جاء عام ١٩٤٣. كنت قد ألفت الشعبة وألفت إخوانها وألفوني. وذات يوم فتحت أحد أدراج مكاتبها فوجدت به بعض الصفحات مطبوعة بالرونيتو طبعا غير أنيق ولا نظيف، وشرعت أقرؤها فوجدتها تنظيما جديدا يقضى بتشكيل الإخوان فى أسر تكافلية وتعاونية، كل أسرة من عشرة. وقد كان لهذا التشكيل الجديد مناسبة وقصة.

كان أول ظهور للإخوان على مسرح السياسة، حين حملوا فى مصر عبء قضية فلسطين إبان ما عرف بالثورة العربية هناك. فأمدوا أبطال الثورة من مجاهدين فلسطين بالمال والسلاح وطبعوا النشرات والمنشورات شرحا لقضيتها وإيقاظا للهمم لنجدتها والذود عنها بالنفس والمال، وأذكر من هذه

النشرات كتاب " النار والدمار " الذى قام الإخوان بتوزيعه رغم أنه كان مصادرا. كما قام الإخوان بعدة مظاهرات تأييدا لكفاح العرب من أجل فلسطين. ومن العجيب أن كل هذا لم يلفت أنظار الحكومات المصرية ولكنه لم يغيب عن نظر المستعمرين الإنجليز كان ذلك عام ١٩٣٨.

ويباعز من الإنجليز بدأ اضطهاد الحكومة في مصر للإخوان، فنقلت وزارة حسين سرى - ولم يكن حزبيا وإن كان مثل غيره عميلا مستترا للإنجليز - نقلت الأستاذ المرشد العام في فبراير ١٩٤١ إلى قنا، وقد كان مدرسا بوزارة المعارف العمومية. ثم ألغى هذا النقل بعد انتهاء العام الدراسى بسبب ضجة أثرت خوله في البرلمان.

وفي أكتوبر ١٩٤١ هاجم الأستاذ المرشد العام الإنجليز والسياسة البريطانية هجوما شديدا وسافرا في دمنهور، فأصدر رئيس الوزراء حسين سرى باشا أمرا باعتقاله هو والأستاذ أحمد السكرى الوكيل العام للجماعة والأستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام لها، فاعتقلوا في ١٣ أكتوبر ١٩٤١ وأودعوا معتقل الزيتون ، وحرّم على الصحف ذكر كلمة " إخوان ". ولم يدم ذلك الإعتقال طويلا.

ووقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهور - كما ذكرت من قبل - وحاصرت دبابات الإنجليز سراى عابدين. وسقط حسين سرى واعتلى كرسى الوزارة مصطفى النحاس باشا وأجرى

انتخابات جديدة رشح الأستاذ المرشد نفسه فيها لأول مرة في دائرة الإسماعيلية - وأظن ذلك كان على مبادئ الإخوان المسلمين - ولكن الإنجليز اليقظين طلبوا إلى النحاس باشا - وكان ما زال غافلا عن الإخوان لا يعرف شيئا - أن يحول دون وصول حسن البنا إلى البرلمان ... واستدعى النحاس باشا الأستاذ المرشد وصارحه بالأمر، وأفهمه أنه بناء على رغبة الإنجليز هذه سيحال بينه وبين النجاح في هذه الانتخابات بأى وسيلة. ولم يشأ الأستاذ البنا أن يجعلها معركة بين مصريين ومصريين لصالح الإنجليز فوافق على التنازل عن ترشيح نفسه في مقابل اغتنام بعض الفوائد لدعوته بأسلوب المساومة، فسمح للإخوان بإصدار جريدتهم الأسبوعية تحمل اسمهم " الإخوان المسلمين " وسمح لهم بالاجتماعات والمحاضرات داخل دورهم.

ثم حاول الإنجليز عن طريق مستر وولتر يمارت المستشار الصحفي بالسفارة البريطانية بالقاهرة رشوة الإخوان بالمال. فازدراها الأستاذ ورفضها بكل إباء. وعلى الأثر صدر أمر النحاس باشا بإغلاق جميع شعب الإخوان بالقطر المصرى وبمراقبة دار المركز العام وأشخاص الإخوان.

وفي ١٩٤٣ كان هناك خوف من نفي الأستاذ حسن البنا من مصر، كان الفصل صيفا وكان الأستاذ مازال مدرسا بالوزارة، وكان عليه المراقبة في إحدى لجان الامتحانات، ووصل فضيلته متأخرا بضع دقائق فوجد سواه قد حل محله في المراقبة ، وأصر هذا الآخر أن يقوم عن فضيلته بالمراقبة. ورجع الأستاذ إلى غرفة المدرسين وكتب بها رسالة "النبي الأمين" في زمن الامتحان. هذه الرسالة أعاد الإخوان طبعها بعد محنة ١٩٤٨ تحت عنوان "بين الأمس واليوم" ثم أعادوا طبعها مرة أخرى مع رسالة النعاليم" وكانت معا تحت عنوان " من تطورات الفكرة الإسلامية، وأهدافها". هذه الرسالة "النبي الأمين" هي التي وجدت طبعتها الأولى بالرونيو في درج المكتب بالشعبة.

في هذه الرسالة عرض الأستاذ حسن البنا لقيام الدعوة الإسلامية وللقواعد الأساسية للإصلاح الاجتماعى الذى قامت عليه دعوة الإسلام، وأبان عن الشعائر العملية لهذا النظام. ثم سار مع قيام الدولة الإسلامية الأولى حتى تسللت إليها عوامل التحلل فعملت عملها حتى حدث الصراع بين الاستعمار والعالم الاسلامى، ووصف تمزق سلطان المسلمين حتى قال "... وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد" ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز".

ثم أوضح للإخوان أهدافهم العامة والخاصة، وذكر لهم وسائلهم العامة والخاصة، وبصرهم بالعقبات فى طريقهم، ومنحهم الأمل بذكر عوامل النجاح ثم أوصى الإخوان وصية أردفها بما عليهم من واجبات الاعتزاز بمعرفة الله والتخلق بالفضائل والإقبال على القرآن والسيرة والتحاب فيما بينهم والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره.

وكان مع هذه الرسالة لائحة تنظيمية عنوانت "لائحة النظام التعاوني" تناولت التنظيم الإداري وواجبات إخوان الأسر الشخصية والاجتماعية والمالية. وكان من مقتضى نظام الأسر أن تكون اجتماعاتها في بيوت الإخوان لا في شعلهم، وذلك لاعتبارين.. الأول: أن يعتاد الإخوان ذلك فلا ينفرد عقدهم إذا أغلقت الشعب، والثاني: توثيق عرى الإخاء بين الإخوان وزيادة أواصر الحب والصدقة بينهم نتيجة لهذا التزاور وما يتبعه من ازدياد في التعارف والتآلف.

كذلك كان مع الرسالة واللوائح خطاب توجيهي للإخوان يحثهم على التعارف والتآلف والتكافل ويرشدهم إلى كيفية شغل وقت اجتماع الأسرة.

شرعت أطالع هذه الصفحات حينما دخل على محمود اللبان من إخواننا العاملين بالشعبة. فغضب منى وانتهزنى وقال إنه ليس من حقي أن أفتح الأدراج ولا أن أقرأ الأوراق.

ولم أقتنع بوجهة نظره فقد كنت تشعبت قبل ذلك بأني واحد من الإخوان لى ما هم وعليّ ما عليهم، فشكوته إلى الأستاذ الخضرى. وأمام الخضرى قال إنها رسالة سرية خاصة بالموظفين والعمال وأنها ليست خاصة بالطلبة. وأجابه الخضرى بأنه كان من واجبه بصفته سكرتيراً للشعبة وما دام يعتبر الرسالة خاصة ولها صفة السرية ليست سرية وإنى لم أكن مخطئاً. وعلى ذلك أصررت على أن أتم إطلاعى على الرسالة. وعاد اللبان يعترض بأن نسخ الرسالة قليلة وأن المركز العام لم يطبع للقطر كله سوى مائتى نسخة وأن هذه النسخة وحدها هى نصيب شعبة الظاهر. وحكم الخضرى أن يعطينى اللبان الرسالة لأجل تنفق عليه، فأمهلتى ثلاثة أيام.

أخذت الرسالة وأسهرت بها إلى صديق مرعوس لوالدى كاتب على الآلة الكاتبة. واتفقت معه أن يكتب لنا على آتته نسختين من هذه الرسالة بالكربون الزفر. شرعت أملى عليه وهو يكتب فأتممتنا الرسالة وملحقها في يومين أو ثلاثة. وأعدت الأصل إلى اللبان في مواعده. وكان بالشعبة "حوض بالوظة" للطبع، أخذته إلى منزلى واستحصلت على كمية من الورق فطبعت أربعين نسخة من الرسالة، كانت أنظف كثيراً من طبعة المركز العام وأوضح وأكثر أناقة.

أعجبنى نظام الأسرة كما قرأته وأحببت أن تكون لنا نحن الطلاب أسرة وفتحت في ذلك بعض من أبادلة الثقة والمحبة من إخوانى الطلاب بالشعبة وأطلعتهم على الرسالة. واتفقنا على

تكوين الأسر واختارنا أفرادها معا من بيننا، فكنا نفس أعضاء عشيرة خالد بن الوليد في رهط الجواله، وأعطينا كل عضو نسخة من الرسالة ثم أعدت حوض البالوظة إلى الشعبة ومعه ثلاثين نسخة من الرسالة سلمتها إلى اللبان، ثم أخطرنا الشعبة أننا انتظمتنا في أسرة للطلاب. ووقف مجلس إدارة الشعبة بين موافق ومعترض. فمن وافق فعلى أساس أنه عمل يسير في الاتجاه العام للجماعة وأنه يفيد هذه المجموعة تربويا، ومن اعترض فعلى أساس أن نظام الأسر تعاوني وتكافلي فيه التزامات مالية وهو موضوع لغير الطلاب. وتمسكنا بأسرتنا فانتهى الأمر بالموافقة على تكوين الأسرة مع إعفائها من الالتزامات المالية. واعتبرني إخوان الأسرة سكرتيرا لها.

نجحت هذه الأسرة. بل لقد كانت أنجح أسرة في الشعبة ولاحظ الآخرون هذا النجاح فوكلوا إلينا إنشاء أسر أخرى للطلاب فشرعنا ننشئها أسرة إثر أخرى. وما انقضى عامان حتى كان نظام الأسر يعم طلاب الإخوان المسلمين في مصر بأسرها. كنا نذكر إنشاء أسرتنا بعد ذلك فتندبر بقولنا إنها كانت أول أسرة للطلاب في العالم، وكنا صادقين.

كنا إخوان هذه الأسرة نأخذ أمورنا كلها بمأخذ جدى، تعارفنا حتى كان أحدنا يعرف كل شىء عن أخيه وعن ظروفه في المدرسة وفي البيت وعن حالته المالية والاجتماعية. وتأخينا حتى كان حب كل منا لأخيه يفوق حبه لنفسه ويؤثره بكل خير. وتصارحنا حتى لم يكن أحدنا يجد حرجا في الاعتذار عن عدم حضور اجتماع الأسرة بأن والدته تلد أخا له وأنه مشغول بالخدمة في البيت. ثم شرعنا

نتدارس دراسات إسلامية وسياسية ونحفظ معا أورادا من كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم. لقد أنشأت هذه الأسرة فيما بيننا من الحب والعاطفة مالا زلت أحسه حتى الآن، وبعد أن انقضى على ذلك قرابة خمسة وثلاثين عاما... ولو أقسم أحدهم علىّ بذلك الإخاء لأبررته.

استمر اتصالي بهذه السرة حتى انتقلت إلى شعبة حدائق القبة عام ١٩٤٤، فبكى بعضهم لانتقالى من بينهم، كان حبا أمره عجيب قال عنه الأستاذ المرشد إنه لا ينال بحيلة ولا يشتري بمال. هو من عند الله يقذفه في قلوب من يشاء من عباده.

الفصل الثالث

إلى المركز العام

في يوم من الأيام الأولى لترددى على شعبة الظاهر ذبت إلى دار الشعبة كالمعتاد فلم أجد بها أحدا، وانتظرت طويلا دون جدوى ثم انصرفت. وفي اليوم التالي سألت عن ذلك فعرفت أن الأمس كان الثلاثاء وفي هذا اليوم من كل أسبوع يلتقى الجميع في المركز العام حيث يلقي عليهم الأستاذ المرشد حديثا. وحتى ذلك الوقت لم أكن رأيت الأستاذ حسن البنا، وكنت معجبا بالأستاذ الخضرى.

قلت يكفينى الخضرى ولا داعى لحضور حسن البنا أيضا. قالوا إن الخضرى نفسه يتعلمذ على دروس الأستاذ البنا وإن ما يذكره لنا في الشعبة ما هو إلا شذرات من ذلك الفيض الأعم. واتفقت مع حسين أن نذهب معا، الثلاثاء التالى.. وذهبنا. كان المركز العام حينذاك هو البيت الصغير رقم ١٣ شارع أحمد بك عمر بميدان الحلمية الجديدة. وهو الآن قد هدم وزرع مكانه حديقة صغيرة للناس.

دخلنا من باب الدار، وفي غرفة إلى يمين الداخل جلس بعض الإخوان بينما وقف جمع آخر يتحدثون، بعضهم ملتح وبعضهم حليق وأشار حسين وقال هذا هو حسن البنا. ولم أتبين المقصود بإشارته فلم يكن من بينهم جميعا من يتميز عليهم في مظهره أو جلسته أو فى أى شىء. فقلت: ايهم يا حسين؟ قال: هذا. وأشار بيده مرة أخرى وقال ذو اللحية. قلت: أصحاب اللحي كثيرون، قال الجالس على الأريكة وكان أكثر من ملتح، فسكت.

وطاف حسين بي غرف المركز العام - غرفة للسكرتارية جلس فيها محمد الطوبجى، وغرفة لقسم الطلاب، وغرفة للمكتبة اختفى بين أكداس كتبها علوى عبد الهادى أمين المكتبة حينذاك،غرف أخرى كان بها احمد السكرى وعبد الرحمن الساعاتى وعبد الحكيم عابدين وصالح ع شماوى وصلاح عبد الحافظ وعبد الحفيظ الصيفي، عرفتهم جميعا فى ذلك اليوم. هؤلاء كانوا رجال المركز العام.

حديث الثلاثاء

بدأ حديث الثلاثاء في صالة الدار رغم أنه كان للدار فناء، غير أن عدد الحاضرين كان قليلا لا يملأ الفناء، كما كان الفصل شتاء (من عام ١٩٤٢).

وازدهن الصالة فوقنا أمام أبوابها في الشرفة المطلة على الفناء، وكان الأستاذ المرشد يتحدث بدون ميكرفون.

لم يكن رضى الله عنه بالطويل ولا بالقصير وإن كان إلى القصر أقرب. ولم يكن بالرفيع ولا بالسمين وإن كان ممتلئا ربعا، ولم يكن أبيض ناصع البياض ولا اسمر بين السمرة ولكنه كان سواء بين ذلك، وكان رحمه الله كث اللحية أصلح الرأس لم يدب الشيب إلى شعره، حاد النظرات واسع العينين وإن كانت عينه اليمنى تبدو للنناظر المدقق أضيق قليلا من اليسرى وربما كان سبب ذلك ما ذكره في "مذكرات الدعوة والداعية" من أن طالبا منافسا - حين كان طالبا - سكب على وجهه مادة كاوية. لم يكن يستلفت النظر بحركاته بيد أنه كان يأسر التفات الحاضرين بشخصه وذاته.

لم يكن فيه شيء غير عادى.. ولكنه وبكل تأكيد كان فيه سر غير عادى ليس من السهل أن تدرى ما هو.. وأعتقد أنه كان الإخلاص. كان يلبس جلبابا أبيض عليه عباءة بنية اللون من الوبر وعمامة مزركشة من لباس علماء اليمن - كانت هدية إليه من بعضهم - وكان يقف على الأرض خلف منصدة صغيرة بدون منبر ولا منصة ولا ارتفاع عن الأرض.

لا أذكر الآن موضوع المحاضرة، ولكنه كان لا يقرأ من ورقة.. كان يتدقق ارتجالا بدون صحب الصاحبين ولا زجاجة المهرجين. لم يكن يخطب إنما كان يتحدث.. ببساطة ودون كلفة. كان حديثه عربيا فصيحاً يمتاز بالسلاسة المتناهية، وكان يخلط به أحيانا بعض العبارات أو الألفاظ العامية. وكان يرتفع إلى سماوات علا من الروحانية، ويقدم الدسم المفيد من ثقافة الإسلام في سهولة ويسر مع معرفة كبيرة واطلاع واسع بعلوم الدنيا ومعارف الغرب، ويمزج ذلك كله بنكتة لطيفة أو فكاهة مهذبة. ولم يكن حديثه مع دسامته واتخامه بالمعارف والعلوم ثقيلاً على الذهن. كان كل منا يشعر أنه يخاطبه هو. كان السامعون جمعا من مختلف البيئات والأعمار والثقافات، ومع ذلك فقد كان هذا هو شعور كل فرد فيهم، وكل منهم يحس أنه يستفيد وينهل من حديثه. ولعل السر في ذلك أن حديثه لم يكن موجها إلى العقول وحدها وإنما

كان يخاطب القلوب كذلك، وكان رحمه الله داعية يدعو بدعوة، ومن أوليات لوازم الداعية أن يكون عارفاً بالنفوس خبيراً بها. وكان رضى الله عنه حاضر البديهة، متمكناً من علمه، تسعفه الآيات يزفها يؤيد بها ما يذهب إليه فنسمعها غصة طرية كأنما يتنزل بها الوحي، ويزجها استشهاداً لرأيه فتجدها تماماً في مواضعها ذات حلاوة وطلاوة وثمر مغدق، انظر إلى نمط من أسلوبه نسوقه من رسالة التعاليم يتحدث فيه عن الأخوة:

" وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخ الإيمان، والتفوق أخ الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار

"ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون غيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا غيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية و" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وهكذا يجب أن نكون". أ.هـ—

هذا نموذج من كتاباته... وأيضاً من أحاديثه.

وهذا نموذج آخر اقتطفاه من حديث الثلاثاء الذى ألقاه فى ٤ أبريل ١٩٣٩ فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان، وفى هذا التيار الجارف المتدفق الفيض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر، نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين، هادئة ولكنها أوسع من حدود أقطار هذه الأرض جميعاً، خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحي ورعاية الله، مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة.

اسمعوها صريحة داوية يجلجل بها صوت الداعى الأول من بعد كما جلجل بها من قبل" يا أيها المدثر، قم فأندر، وربك فكبر" ويدوى معها سر قوله تعالى:"فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين" ويهتف بها لسان الوحي مخاطباً الناس أجمعين" يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً

الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون"..." الخ.

حسن البنا

جاء ذكر الأستاذ البنا فيما مضى من صفحات، وسوف ينكرر ذكره كثيرا فيما بقى، فليس مقبولا إذن أن نستمر دون أن نذكر شيئا عن الرجل، فإذا كان القارىء من الإخوان فإن تكرار الحديث عنه لن يمله، وإن لم يكن منهم فلربما كان فى حاجة إلى أن يقرأ شيئا عنه.

ولد الأستاذ حسن البنا بقرية المحمودية مديرية البحيرة بمصر، وكانت الأسرة أصلا من إحدى قرى مركز فوة. ثم نشأ فى القاهرة وتزوج من الإسماعيلية من أسرة الصولى، فموطن أصهاره الأصلي بلدة صول من أعمال مركز الصف من مديرية الجيزة. وتلقى الأستاذ دروسه الأولى فى كتاب القرية ثم فى المدرسة الإعدادية بالمحمودية (وكان للمدارس الإعدادية حينذاك مفهوم آخر خلاف المفهوم الحالى عنها) ثم فى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ثم فى دار العلوم بالقاهرة. وقد تميز فى كل هذه المراحل بأنه كان دائما أول الناجحين مما جعله موضع فخر أساتذته ورعايتهم وصلته بهم صلة خاصة، وكان من هؤلاء الأساتذة الأستاذ عبد العزيز عطية عضو الهيئة التأسيسية للإخوان بعد ذلك. وقد اعتكف الأستاذ فى الأزهر الشريف أسبوعا يستذكر مواد الامتحان بين الكشف الطبى وامتحان القبول لدار العلوم عام ١٩٢٣.

وكان من المتوقع أن ترسله وزارة المعارف العمومية فى بعثة دراسية إلى إنجلترا أو فرنسا على عادتها فى إيفاد أوائل الحاصلين على دار العلوم لولا ظروف خاصة جعلت الوزارة تخرج عن ذلك التقليد.

وكان الأستاذ البنا صناعيتين: إصلاح الساعات وتجليد الكتب. فكان يفتخر بأنه عامل، وكثيرا ما كان يداعب الإخوان ويهددهم بأنه سيتركهم ويفتح محلا ويقول مبتسما "صنعة فى اليد أمان من الفقر". وكان الأستاذ يقرض الشعر وهو فى الثالثة عشرة من عمره فى المناسبات الوطنية ولكن دعوته شغلته يعد ذلك عن إقراض الشعر وإن لم تشغله عن تذوق الأدب فقد كان أدبيا ممتازا وليس أدل على ذلك من كتاباته وخطاباته.

حصل الأستاذ على دبلوم دار العلوم ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره فتم تعيينه مدرسا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية في الدرجة السادسة بمرتي شهرى قدره خمسة عشر جنيها مصريا وتسلم عمله في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٧، واستمر بعد ذلك مدرسا في الدارس الابتدائية تسع عشرة سنة لم ينل فيها الدرجة الخامسة إلا بحكم قانون الموظفين المنسيين. وقد عرض عليه عبد الحميد عبد الحق باشا وزير الأوقاف أن ينتدبه إلى مكتبة بالوزارة ليعاونه في إصلاح المساجد على أنه يمنحه الدرجة الثالثة أو الثانية بصفة استثنائية ويتقاضى مرتبها، ولكنه رحمه الله رفض العرض وقبل أم يكون عضوا في لجنة إصلاح المساجد بدون مقابل على أن يظل في وظيفته مدرسا بنفس درجته وراتبه.

وفي مايو ١٩٤٦ استقال الأستاذ من وظيفته بوزارة المعارف بمناسبة إنشاء الجريدة اليومية للإخوان المسلمين، وهو لا يملك مرتب شهر واحد، فقرر له مجلس إدارة الجريدة مرتبا شهريا قدره مائة جنية ولكنه رفض أن يتسلم مليما واحدا، فقد كانت الجريدة أيضا تعاني ضائقة مالية، واستمر يشارك في إدارتها وتحريرها ويبدل جهده المضني دون مقابل حتى بلغ ما اقترضه خلال عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ لينفق منه خمسمائة جنية، حتى أنشأ مجلة الشهاب الشهرية ففرض لنفسه من إيراداتها ما يوازي راتبه الحكومي حين استقال وهو أربعون جنيها مصريا، فكان ينفق منها على نفسه وبيته وأسرته وأولاده، ويقدم منها ما يفرض عليه للدعوة من التزامات مالية شأن جميع الإخوان. وقد أسهم الأستاذ خمسة أسهم لشركة المعاملات الإسلامية وأربعة في شركة الإخوان للصحافة وثلاثة في شركة الإخوان للطباعة لم يسدد بعض الأقساط المستحقة من قيمتها، وقد تنازل عنها جميعا للمركز العام للإخوان المسلمين على أن يسدد ما بقى من ثمنها.

وكان الأستاذ المرشد يشارك الإخوان في كل المناسبات الفردية والاجتماعية والدينية، فكان يخطب الجمعة والعيدين ويصلى التراويح بهم في رمضان يختم فيها القرآن الكريم، وكان كثير ما يجرى بينهم صيغة عقد الزواج بنفسه ويدعو لأطفالهم بالدعاء المأثور حين يولدون وكان يشيع جنازتهم ويصلى عليها، كما كان يقيم معهم في معسكراتهم ويوجههم في حياتهم العامة والخاصة ويخلص لهم الحب والمودة وكانوا يبادلونه العاطفة من أعماق قلوبهم.

وكان يسكن في مسكن متواضع، رقم ١٥ شارع سنجر الخازن بالحلمية الجديدة قريبا من دار المركز العام بإيجار قدره جنيهان مصريان، زيدا في أيام الحرب العالمية الثانية إلى ٢١٦ قرشا بحكم قانون المساكن وقد عاشت فيه أسرته فترة بعد استشهاد.

ولقد تعرض الأستاذ في صغره للموت أكثر من مرة، فقد كان يلعب مع أخيه عبد الرحمن وهما صبيان حينما انهار فوقهم منزل، لكن السقف استند على درابزين السلم وهما من تحته حتى رفعت الأنقاض. ووقع من فوق سطح يرتفع عن الأرض أكثر من ثمانية أمتار فجاء وقوعه في "ملطم مونة" فلم يصب بمكروه. وسقط مرة في إحدى الترع زمن الفيضان بفعل كلب عقور وهاب الرجال أن ينجده فأنقذته امرأة خلعت جلبابها بسرعة وألقت بنفسها إلى الماء. وركب فرسا فجمحت برأسه لو اصطدم به، ولكنه استلقى على ظهره بسرعة على السرج حتى مر من تحت الحاجز بسلام.

وقد استشهد رحمه الله في ١٢ فبراير ١٩٤٩، اغتالته الدولة أمام جمعية الشبان المسلمين بشارع" الملكة نازلي" - رمسيس حاليا - بمدينة القاهرة. وقد ترك من الذرية أحمد سيف الإسلام ووفاء وسناء ورجاء وهالة ثم ولدت استشهاد بعد استشهاد.

لقد كان حسن البنا طاقة بشرية ضخمة، لو قدر عمر الإنسان بطاقته البشرية وبينتاجه لتجاوز عمر الرجل الأربعين عاما بوضع مئات من السنين لقد آمن بنظرية تطبيق القرآن في المجتمع، وكان صاحب تجربة الفرد المسلم وتفاعله في المجتمع، وكان عملاقا تساوى في الإعجاب به من أيده فاتبعوه ومن عارضوه فقتلوه. ولا يستطيع أحد أن يزعم أن استشهاد الأستاذ في سبيل دعوته هزيمة، فكما يقول الأستاذ محمد الغزالي " ليس قتل الصديقين والصالحين في هذه الدنيا بالصعب!" بالأمر

وكان ذلك دأب بني إسرائيل حتى مع أنبيائهم" أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون".

عاطفة الثلاثاء

أعجبني الرجل وملك قلبي. ولم يكن لجمال في صورته، فلم يكن ممن يبهر الناس جماله وإن لم يكن به ما يعيب صورته، ولا لعدوبة في صورته فقد كان في صوته بحة خشنة وإن كانت بحة

لطيفة مقبولة، ولا لبهاء في هندامه فقد كان يرتدى من الثياب أبسطها وأنظفها متواضعا في ذلك جد التواضع، لكنه كان جليلا مهيبا فيه جلال العابد ومهابة العالم، ثم كان فوق ذلك كله - ولعل هذا هو السر - مخلصا أشد الإخلاص متفانيا في فكرته متجردا لها، فإذا ما تحدث خرج الحديث من قلبه، وما خرج من القلب فهو يصل إلى القلب، وكان يقدم من نفسه نموذجا ساميا ومثلا عاليا للرجل الرباني دون أن يذكر حرفا عن نفسه، فيصغر الواحد منا في نفسه كثيرا ويحس أنه لا شيء أمام عملاق ضخم صنعه الله على عينه واصطنعه لدعوته، فلا يجد أحدنا حرجا ولا غصاصة أن يقرأ أنه في حاجة إلى هذا الرجل ليرشده. ليس في الإسلام واسطة بين العبد وربّه وليس فيه كهنوتية، وليس عندنا رجال للدين يغفرون للمذنبين ويبيعون فدادين الجنة للصالحين، ولكننا إزاء "إمام" قل نظيره بين أئمة الهدى النادرين في أرض مات أحيائها وضل أصحابها، والمعنى ليس غريبا على الإسلام) وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فهو ولي من أولياء الله الذين عناهم لقوله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون) كما قال سبحانه (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) ولقد كان موقفا يوم اختار لنفسه لقب " المرشد العام للإخوان المسلمين" فلقد كان حقا يهدي إلى الرشد.

انتهت محاضرة تلك الليلة فوجدتني عازما عزمًا أكيدا على المواظبة عليها كل أسبوع. وكان من نهجه أن يبدأ حديثه بذكر عاطفة الأخوة والحب الذي جمعنا في الله وعلى طاعة الله، وكان قديرا في تأكيد هذا المعنى بين جماهير الإخوان، حتى صار أحدنا يلقي أخاه في الطريق أو في مركبه الترام لا يعرفه ولا يدلّه عليه إلا إشارة الإخوان يضعها في عروة سترته فيقبل عليه يضمه ويعرفه بنفسه ويسأله عن اسمه وعمله وبلده وشعبته.. ثم يواعده ليلقاه في حديث الثلاثاء!

بعد ذكر معنى الحب والإخاء كان الأستاذ ينتقل إلى التذكير بفضل مجالس العلم والذكر - كعاطفة الثلاثاء هذه - فكان يستشهد بحديث أبي هريرة المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن لله تعالى ملائكة يطوفون الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عزوجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.

فيسألهم ربهم وهو أعلم : ما يقول عبادي؟ يقولون يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة واشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا. فيقول: ماذا يسألون؟ يقولون: يسألونك الجنة. يقول: هل رأوها؟ يقولون: لا والله يارب ما رأوها. يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة. قال : فمم يتعوذون؟ يقولون: يتعوذون من النار. فيقول: وهل رأوها؟ يقولون : لا والله ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد فرارا واشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم".

وكثيرا ما كان يذكر ما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده". بهذا ويمثله كان يقر في نفوسنا احترام الدرس وحبنا له وحرصنا عليه واعتزازنا به.

وكان الأستاذ يكره أن يسميه "محاضرة" ويقول: إنما ليست محاضرة ولكنها عاطفة فقولوا عاطفة الثلاثاء ولا تقولوا محاضرة الثلاثاء ولا درس الثلاثاء.

استمر عدد رواد عاطفة الثلاثاء يزداد باطراد حتى لم تعد تتسع لهم صالة الدار فانتقلت إلى الفناء، ثم ازداد المقبلون عليها حتى ازدحم الفناء بدوره فكان يمتلىء الشارع أمام الدار بالوقوف يقفون طوال المحاضرة التي كانت تمتد إلى ساعتين أو ثلاث. وهنا كان يستعان بالميكروفون. ثم اتسع المكان اتساعا جديدا بشراء الدار الجديدة للمركز العام بميدان الحلمية الجديدة في مواجهة الدار القديمة وتشغل الناصية المكونة من سكة راتب باشا وميدان الحلمية (أطلق عليه بعد ذلك ميدان حسن البناء) وشارع أحمد عمر. وهو حاليا قسم الدرب الأحمر للشرطة بعد أن استولت عليه حكومة جمال عبد الناصر. ثم انتقلت المحاضرة بعد ذلك إلى الفناء الأوسع بأرض دار شركة المعاملات الإسلامية التابعة للمركز العام بشارع محمد على أمام مسجد قيسون، فكانت تمتلىء بهم أيضا ويقفون في الشارع أمام الدار.

وكان الأستاذ يتخير لأحاديثه سلاسل مفيدة لدراسة الكتاب والسنة المطهرة والتاريخ الإسلامي بطريقة جديدة من ابتكاره. فبدأ سلسلة "نظرات في كتاب الله" وكان يجعل لكل محاضرة موضوعاً قائماً بذاته من هذه السلسلة. وكان يقول إنه لا يقصد بهذه النظرات أن يحصى حقائق علمية ومذاهب خلافية أو أن يعرض لكثير من وجوه التفسير ولكنه قصد إلى أن يمهد سبيل الفهم لكتاب الله بين يدي من يقرؤه وذلك بأن يعرض للمعاني الكلية.

وأذكر أنه بدأ سلسلة نظرات في كتاب الله بالحلقة الأولى "الإنسان في القرآن" ثم "الكون المنظور في القرآن" ثم "الكون غير المنظور في القرآن" ثم "الله في القرآن - أو حقوق الألوهية في كتاب الله" ثم "الجزء في القرآن" وهكذا. ولن أستطيع أن أودون هنا أحاديث الثلاثاء فقد كان الواحد منها يمتد إلى ساعات ثلاث، ولكني أعرض نماذج مختصرة غاية الاختصار كل غايته منها أن يدرك من لم يدرك حسن البنا كيف كانت أحاديث، ولنأخذ لذلك مثلاً "الإنسان في القرآن".

قال: "إن من واجبنا كأناس أن نعرف الوضع الذي وضعنا الله فيه لنقوم بحق أنفسنا، ثم نعلم تبعاً لذلك حق الله علينا. وكان الأساس الذي دار عليه القرآن في عرض هذا الموضوع هو قصة آدم، وقد ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن... في سورة البقرة وفي الأعراف والحجر والإسراء وطه وص والرحمن. ذكرت مجتمعة في بعض المواضع وعرضت بشيء من التفصيل في مواضع أخرى.

"فبنيت الأعراف أن سبب ضلالة الشيطان هو الكبر، وأن سبب زلة آدم هو الاغترار به. زينيت الحجر أن إبليس اعترف بريوية الله وأن هناك فريقاً ليس لإبليس سلطان عليهم. وتبين الإسراء أيضاً شيئاً من ناحية طريقه استيلاء إبليس على الناس وبيان أكاذيب وعوده. وتشير طه كذلك إلى أن الإنسان ضعيف ما لم يدركه الله بقوته، وأن الإنسان من طبيعته النسيان فنسى وطمع. وعرضت سورة ص لتفسير الصلصال والحما المسنون بأنه كان طيناً وأن الله أكرم الإنسان لأنه خلقه بيده ثم إقرار من إبليس بعزة الله وأن اللعنة التي نزلت عليه لعنة ربانية.

وأملت القصة بعنصر الإنسان المادى وأنه من طينة هذه الأرض وجوهرها. ثم القصة بظاها
تدل على أن الإنسان المادى خلق على غير مثال سبق، فهو ليس متسلسلا من غيره كما يفترض
بعض علماء الحيوان. ولم يبين القرآن ولا عرضت السنة لكيفية الخلق.

" وكما بينت القصة أن التكوين المادى للإنسان طينى عرضت كذلك للتكوين الروحى
ونفخت فيه من روحى) فبينت أنك أيها الإنسان لست هذا الغلاف الطينى ولست هذا الغلاف
اللحمى ولكنك من روح الله فأنت قبله لم تكن إلا قبضة من طين، ثم أنت بعده صرت بشرا
سويا، فأنت كائن من كائنات الأعلى لأن إنسانيتك لم تتكون وتتشكل إلا بعد أن نفخ الله فيك
من روحه لا شأن لك بحقيقة هذه الروح، إنما يكفى أن تعلم أنك عنصر ربانى وكل ما اتصل
بالله فهو فوق تفكير الإنسان.

"وعرضت القصة كذلك لناحية ثالثة هي نسبة الإنسان إلى الملائكة أن الله أسجد له الملائكة
بعد أن أمده بروحه، فهو بهذا أعظم عند الله من الملائكة، فلو حقق الإنسان إنسانيته لكان أسمى
من الملائكة، أما لو نسى لحق بالشیطان، وقد ثبت أن الملائكة سيكونون فى خدمة الصالحين يوم
القيامة، كما تبين القصة أن تجلى الحق تبارك وتعالى على الملائكة هو تجل من ناحية واحدة ناحية
الطاعة. أما تجليه على الإنسان فهو أعظم لأن فيه ناحية الاختيار. " وعرضت القصة رابعا لصلة
الإنسان بالشیطان فبينت أن بينهما خصومة عنيفة وأن الحياة ليست إلا صراعا بينهما.

والمعنى الخامس فى القصة هو أن الإنسان مخلوق من الكائنات العلوية، موطنه الأصلي الملائكة
الأعلى وفيه نشأ، ثم أهبط اختيارا، ثم هو يعود إلى هذا الوطن إن عرف طريق الرجوع.
" كذلك تناولت القصة نسبة الإنسان إلى الكون كله فإذا به كائن علوى بين الكائنات وله منها
مكان الخلافة(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة)(هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها) فالإنسان مسلط والكون كله مسخر له.

" ولم يهمل القرآن نسبة الإنسان إلى الإنسان فإذا به ينادى(بعضكم من بعض)(يأبىها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فالإنسان أخ الإنسان.

وثامنا بين نسبة الإنسان إلى الله فأجملها فى قوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

ثم دعا القرآن الإنسان إلى التسامى بروحه بالأعمال الصالحة وتطهيرها بمعرفة الله وتركيتها بالإقبال على الخير".

ولنأخذ مثالا ثانيا لتناوله موضوع "الكون المنظور في القرآن". قال: "تناول القرآن كثيرا من ظواهر الكون وعرض لها في آيات كثيرة جاء فيها ذكر السماء المظاهر الكونية تكلم عنها القرآن في بدء خلقها وفي عوارض وجودها وتكلم عن بعضها في نهايتها. وقد عرض لهذه النواحي لا يعالج أمرها علاجا فنيا تحليليا دلالت قدرة الله وعلاقم الصنع الدقيق الحكيم ومظاهر التصرف البارع البالغ. عرض لها لتكون نبراسا يهدى الناس لمعرفة الله . ثم إنه لم يتناولها من ناحيتها الفنية لأن العقل الإنساني يتدرج، فلا بد أن تترك له الحرية لإدراك هذه الكائنات وإدراكه . أسرارها بحسب تدرجه في قوته واكتماله. وما ذكره القرآن عن هذه الكائنات لم يتعارض مع ذكرته النظريات العلمية الصحيحة لا في قليل ولا في كثير - لا في بدء خلقها ولا في عوارض وجودها ولا في نهايتها الختومة. العبرة العملية هي تقبل على النظر في الكون وتتخذ من هذه الوسيلة الصحيحة لتقوية الإيمان".

كان الإخوان يستمعون بإنصات وشغف الساعات الطوال دون كلل أو ملل. بل لقد كان شعورى بعد أن أقف طويلا أرتشف من ذلك المنهل العذب أن أحس بالحسرة على انتهاء الحديث، ولو مكث الليل يتحدث لوقفت استمع حتى تطلع الشمس. وكان إذا ما انتهى من حديثه اندفعت إليه جموع الإخوان يصافحونه ويقبلونه يده. كان لا يجب أن يقبل أحد يده، ولكنه ما كان يستطيع أن يقاوم عواطف ألوف الإخوان الذين كانوا يهجمون عليه بعد الحديث لتقبيل يده. وفي أثناء حديثه كثيرا ما كان يرى أحبا من إخوان الأقاليم وسط الجموع أو يلح أحدهم داخلا الدار أثناء المحاضرة فيقطعها برهة ريثما يرحب به ويقدمه إلى الألوف الشاهدة فيقول "هذا أخونا فلان من بلدة كذا جاء يشاركنا عاطفتنا... كيف أنت يا أخانا فلان؟ وكيف حال شعبتكم؟.. وكيف تركت الشيخ فلانا؟ وكيف حال ولدك؟ هل شفاه الله؟" ثم يسأل الإخوان أن يدعوا لولد أخيهم بالشفاء، ويتحدث قليلا عن دعوة الأخ لأخيه بظهور الغيب. ولربما كان الأخ محل هذه الحفاوة مغمورا في الناس لا يكاد يعرفه أحد، مغمورا لا يكاد يحس بوجوده إنسان، فلا هو من عليه القوم ولا هو من أصحاب الجاه والسلطان..

ولكنه أخ من الإخوان من النوع الذى كان يصفه بالتعبير البليغ" قوم إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا" ثم يعود يستطرد في موضوعه الأصلي من جديد.

كان حديث الثلاثاء تجاوبا بين الإخوان ومرشدهم، وكثيرا ما كان يتفق معهم فيه على حفظ آية وحديث في موضوع معين ثم يأتى في الثلاثاء التالى ويسألهم - وهم ألوف - "هل حفظتهم الآية والحديث؟" فيقولون "نعم" فيقول "قل لنا يا أخ فلانا آية عن الصدق" فيقول (بسم الله الرحمن الرحيم، يأبها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين). جميل، وقل لنا يا أخ فلان حديث عن الصدق.. الخ.

وكان الإخوان يوجهون إالى مرشدهم الأسئلة في مختلف الشئون، يكتبونها في قصاصات من الورق، ويناول كل قصاصته للذى يجلس أمامه حتى تصل إلى الجالسين في الصف الأول فيضعونها على المنضدة أمام الأستاذ، ويستمر سبل القصاصات يصل طوال المحاضرة ليحجب عنها في آخرها. كانت تشمل أسئلة فقهية وإسلامية وأسئلة سياسية وأسئلة في أمور الجماعة وأسئلة حول شخصية، كما كانت تتضمن فكرة أو اقتراحا. وكان يجيب عن جميع هذه الأسئلة لا يغفل منها شيئا ولا يخرجه منها سؤال. وكان بعض ما يمس شخصه مقبولا نوعا، كمن سأله عن مصدر رزقه، وكان بعضها سخيفا كمن سأله عن راتبه. وكتب إليه أحدهم يوما "إنك إذا وقفت تصلى رأيناك تهمز أماما وخلفا، فلماذا؟" فكان جوابه "أكرمك الله يا أخي، لقد لفت نظرى لشيء سوف يشغلنى، أنى أصلى لا ألتفت لما تذكر ولا أحس به، ولكنى بعد الآن سيشغلنى ذلك كلما وقفت للصلاة فالأمر كرجل ملتح كان ينام مرتاح البال حتى سأله أحدهم عن لحيته هل يضعها تحت الغطاء أو فوقه إذا نام، فصار وضعها يتعبه بعد ذلك إن وضعها فوق الغطاء شعر بالبرد وإن وضعها تحته أتعبته".

كان يتحدث في حفل أقيم في سرادق بالمنصورة أقيم في إحدى المناسبات الإسلامية، فوصلته قصاصة بما "إنكم تنادون بقيام الدولة الإسلامية وعودة الخلافة الضائعة، فمن يكون الخليفة المرشح وفق برامج الإخوان ومناهجهم؟" لقد كان السؤال دقيقا محرجا، إذا قال الملك فاروق فقد اشتهر فسقه وذاع وعم فساده كل البقاع، وإذا قال غيره تكون إجابته - كيفما كانت -

دعوة لإسقاط الحاكم وقلب نظام الحكم في مصر. ولكن الرجل الذي تمكن من فكرته وتمكنت منه عقيدته قرأ السؤال في الميكروفون... فأنصت الجميع... ثم قال :

- من كاتب هذا السؤال؟
- وبعد تردد قليل وقف شاب معروف بأنه حزبي من حزب الوفد، وكان الوفد يخاصم الإخوان حينذاك. فقال له الأستاذ:
- هل تقرأ القرآن؟
- نعم.
- هل قرأت سورة القصص؟
- لا أذكر.
- إذن فعد إلى قراءتها يا أخي. تجدد في أولها (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين) هذا تصوير لحال أمة. ثم قال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) حينما أراد الله لهذه الأمة المستضعفة هذه الإرادة التي يرثون بها الأرض والتي تجعلهم أئمة قد تمكن دينهم... حينما أراد الله لهذه الأمة الإرادة، أين كان القائد الذي يحقق الله به هذه الإرادة؟
- لا أدري.

- تجده في الآية التالية(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)!

أرأيت يا أخي؟ كان قائد تلك المعجزة رضيعا مطاردا يلقى في اليم من الخوف. يا أخي نحن مطالبون بأداء رسالة وحمل أمانة ولا نبحت عن من يتصدر ويتأس، ولكننا دعوة، وحين يحين لتصبح الدعوة دولة سوف يصنع الله لها قائدها الذي يتزعمها، فهذا شأن الله يصنع على عينه من يشاء والله أعلم حيث يجعل رسالته.

مع قسم الطلاب

لم تكن محاضرة الثلاثاء والأحفال العامة هي صلتى الوحيدة بالمركز العام فتلك صلة عامة. وإنما كان هناك صلة أخرى أعمق واثق، فمنذ بدأت دراستى بكلية التجارة عام ١٩٤٢ اتصلت بالإخوان فى الكلية. وكان الاتصال فى الكلية يغير نمط الإتصال بالشعبة، فلم يكن بالكلية أسر ولا جواله للإخوان وإنما كان لكل سنة دراسية من سنى الكلية الأربع مندوب، ثم كان هناك مندوب للكلية جميعها. وكانت مهمة كل مندوب أن يتعرف على الإخوان الذين فى سنته الدراسية، وهو مسئول عن تعارفهم ببعض. وكنا نعقد لذلك الاجتماعات تارة لسنة دراسية بعينها وتارة لإخوان الكلية فى مصلى الكلية أو فى المركز العام. وكانت جريدة " الإخوان المسلمون" الأسبوعية تباع لنا فى هذه الاجتماعات.

وكثيرا ما كنا نحتفل فى الكلية بالمناسبات الإسلامية، فدعو طلاب الكلية وأساتذتها إلى أكبر مدرجاتها حيث يبدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم، ثم يتوالى الخطباء من طلاب الكلية وأساتذتها، وأيضا من إخوان من غير الكلية، وكثيرا ما كان يحضر هذه الاحتفالات ويخطب فيها مصطفى مؤمن وكان طالبا بكلية الهندسة وسعيد رمضان وكان طالبا بكلية الحقوق. وحين كنا نقيم حفلات للتعارف بالمركز العام كنا ندعو إليها نخبة من أساتذة الكلية وطلابها، وأحيانا كان يشاركنا هذه الحفلات إخوان كليات أخرى، وكان يشهدنا معنا أستاذنا المرشد فكان ينتهز هذه الفرصة ليشرح لضيوفنا دعوة الإخوان وغايتها وأهدافها ووسائلها وخطوات سيرها، كما كان يجيب على أسئلتهم ويستمع لكلماتهم وانتقاداتهم. وأذكر حفلا من هذه الأحفال فوق سطح دار المركز العام على إفطار فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك، وكان بين المدعوين إليه بعض الزملاء المسيحيين وبعض دوى الاتجاهات اليسارية. فكانوا يسألون عن موقف الإخوان من المسيحيين والأقليات المسيحية فى مصر وفى العالم الإسلامى، بينما ذهب اليساريون يقولون إن دعوة الإخوان يسيرها فرد واحد هو "حسن البنا" فهى تقوم على أسس ديكتاتورية فاشية مناقضة لمبادئ الديمقراطية الحديثة التى آمن بها العالم واتجه إلى الأخذ بها، كما قالوا إن الإسلام فكرة نظرية لا يمكن تطبيقها.

أما يساريتهم فهى أحدث ما وصل إليه فكر العالم وهى مطبقة فعلا. وكان الأستاذ يجيب فى هدوء وبسماحة وسعة صدر وفى منطق وإفحام وأناة.

كان أكثر ما أفدت من قسم الطلاب هو اجتماعات " الكتيبة " التي كنت أدعى إليها. ولقد حضرت مع الأستاذ المرشد نحوًا من ثلاثين كتيبة، سبع منها فقط كان عن طريق الشعبة، والباقي كله كانت دعوتى إليه عن طريق قسم الطلاب بالمركز العام. كنا نتكتم هذه الاجتماعات لسببين: أولهما ترويض أنفسنا على الكتمان، وثانيهما حتى لا يحضرها غير من دعى إليها. وكان المفروض أن يكون عدد المدعوين إلى اجتماع الكتيبة في حدود الأربعين غير أنها كثيرا ما كانت تصل إلى ستين وكان الأستاذ يتغاضى عادة عن ذلك، ولكنها بلغت الثمانين مرة فيان الامتعااض عليه ولقت نظر المسئولين عن دعوة الكتيبة إلى ذلك، وكان يرى أن العدد إذا زاد فقد الغرض من اللقاء وهو التعارف والتآلف ثم الاستفادة.

وكان اجتماع الكتيبة بقسم الطلاب إذا عقد صيفا عقدناه فوق سطح المركز العام، وإذا كان شتاء عقدناه في بعض الغرف المتسعة. وعن طريق هذه اللقاءات عرفت تحبة من إخوان الجامعة، وبعضهم يشغل الآن أوضاعا وأكثرهم من المبرزين في أمالمهم. وكان يشهد هذه الاجتماعات أيضا بعض الإخوان من طلاب كلية البوليس وطلاب المدارس الثانوية. عن طريق هذه اللقاءات الخاصة أخذنا كثيرا من فقه الدعوة.

حركات

وكان لقسم الطلاب نشاط آخر هو الحركات التي كنا نقوم بها في الجامعة وفي المدارس الثانوية. تلك الحركات كانت ظاهرة هامة من أوجه نشاط الإخوان ومن أبرز علامات الحركة الوطنية بعد أن وضعت الحب العالمية الثانيةس أوزارها عام ١٩٤٥. وكان قائد هذه الحركات واحدا من أبرز الإخوان في هذه الحقبة ومن أقواهم شخصية وأوسعهم إطلاعا هو الأخ مصطفى مؤمن من طلاب كلية الهندسة. ولقد كان خطيبا مفوها لا يبارى، يأخذ بالألباب، وإذا قدرة فذة على إثارة الحماس، كما كان عقلية حركية تتفتق كل يوم عن جديد. كان بعض تلك الحركات يخدم القضية الوطنية المصرية وكان بعضها وكان بعضها يؤيد القضايا الإسلامية والعربية خارج مصر. فمن الصنف الأول لا ينكر إلا جاحد أن الفضل يرجع إلى الإخوان في تحديد أهداف مصر أو ما أسميناه الأمانى الوطنية، وأعلنائها وجمعنا الناس عليها وحملنا الحكومات الهزيلة على الاعتراف بها داخليا والمطالبة بها خارجيا، وفي الواقع لم يتم ذلك بإقناع تلك الحكومات وإنما كان بتوريطها أمام الرأى العام المتزايد الذى أمكن بلورته على ذلك. كان الإخوان

هم الذين ضغطوا هذه الأهداف في كلمتين " الجلاء والسودان". من ذلك أيضا دعوة الأحزاب والرعاة والمتزعمين والوزراء والمستوزرين إلى الوحدة لمواجهة المستعمر صفا واحدا. فلما غلبت على هؤلاء حزبيتهم وتمافتهم على كراسى الوزارة وتناحرهم على ذلك، حمل الإخوان لواء نبد الحزبية قاطبة ونجحوا في هذا إلى حد بعيد، حتى صار محرما في الجامعة نتيجة لذلك الهتاف بأن يعيش فلان باشا أو بأن يسقط فلان باشا وصار أى حزبي لا يجزؤ على هتاف من هذا النوع، وارتفع بدلا من ذلك " كفران بالحزبية، إيمان بالوطنية". من ذلك أيضا رفض الأحلاف والمعاهدات التي كان من شأنها ربط مصر بعجلة " الإمبراطورية البريطانية العجوز" - وربما كان الأستاذ المرشد هو صاحب هذا التعبير - وإحباط كل مشروع من هذا القبيل. لقد كان قسم الطلاب وتحريكه للجموع الطلابية في هذه الاتجاهات من أبرز ما ظهر من الصور عن حركة الإخوان في الأربعينيات، وكان هو اللسان الناطق عن حركة الإخوان.

هذه الحركات اتخذت شكل عقد المؤتمرات لطلاب الجامعة في حرم الجامعة { جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة الآن} أو في قاعة الاحتفالات أو في مدرجات الكليات المختلفة، وكذلك اتخذت شكل الخروج في مظاهرات خارج أسوار الجامعة بعضها اصطدم بالبوليس وسقط فيها من الضحايا من الطرفين من سقط، والشهادة لله لقد كان الأستاذ البنا يكره ذلك أشد الكره. كذلك يقبض على بعض الإخوان في هذه المظاهرات، وتم تقديم بعضهم إلى المحاكمات بتهمة التظاهر وتعطيل الدراسة.

كذلك عقدنا مؤتمرات جامعية عديدة لنصرة فلسطين وسوريا ولبنان وباكستان وأندونيسيا. ولقد كان من صميم عقائد الإخوان المسلمين، غير أن القوى الحزبية والشيوعية كانت تناوى ذلك وتحاول نشر منطلق " مصر للمصريين" وألا شأن لنا بفلسطين وسوريا وكل ما هو خارج حدودنا، ولقد عانينا من هؤلاء الكثير في محاولاتهم لعرقلة تقدم الحركة التحررية التي سرنا بها حينذاك.

إن هذه المرحلة في حاجة إلى تاريخ مسهب لبيان أهميتها ودور الإخوان الواضح في توجيه الحركة الوطنية في مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وفي رأينا أن المهندس مصطفى مؤمن هو خير من يقوم بهذا العمل، فهو الذى قاد هذه الحركة بضع سنين. لقد تزعم الإخوان النشاط الوطنى في مصر وأشعلوه وبلوره وقادوه وتقدموا الصفوف ودفعوا الثمن والحمد لله.

استقلال مصر!!

في تلك الأيام كانت الحرب العالمية الثانية دائرة الرحي منذ ١٩٣٩. وكان هناك ضغط مستمر من جانب السفير الانجليزي سير مايلز لمبسون لتدخل مصر الحرب إلى جانب إنجلترا. عاملان منعا ذلك لفترة طويلة. أولهما شعب مصر الذي كان يمقت الإنجليز بسبب الاحتلال الذي طال قرابة سبعين عاما حتى حينذاك ونتج عنه تعاطف واضح مع الطرف الآخر فكنا إذا انتصر الألمان ونشمت في الإنجليز الذين كنا نكتب إذا كسبوا.

والثاني الملك الذي كان بينه وبين الإنجليز تنازع سلطة ونوع من لعبة القط والفأر. كذلك كانت هزائم الإنجليز لا تشجع على إعلان الحرب إلى جانبهم.

كنا نرى جنود الجيش الثامن الإنجليزى فى القاهرة وغيرها من مدن مصر، أكثرهم من الهنود. ما شأن الهند بألمانيا وإيطاليا، ينتزع الشاب الهندي من أبيه وأمه وزوجته وهم أشد ما يكونون حاجة إليه لتروى دماؤه رمال الصحراء وغير الصحراء؟! شأنها أهما كانت مربوطة بعجلة بريطانية { العظمى }، وفي مصر لم نكن نحب أن نرتبط بهذا الرباط الذي لا شأن لنا به ولا ناقة لنا فيه ، فضلا عن بغضنا هؤلاء الناس الذين يحتلون بلادنا وينعمون بخيراتها ويتدخلون فى شئونها.

قد لا يدرك شباب هذا الجيل، جيل الثمانينات وما يأتى بعدها معنى الاحتلال والتدخل، ولذلك فليس خروجنا عن الموضوع أن نحكى طرفا من ذلك. قد يظن أحد أن الأمر اختلف بعد معاهدة ١٩٣٦ عما كان قبلها... أبدا. سيان قبلها وبعدها. قليلا من الصبر لتقرأ هذه الأسطر.

فى عام ١٩٣٤ طلب ملك الإنجليز أن يسافر ولى العهد فاروق إلى إنجلترا ليتعلم هناك. وأبدى أبوه الملك فؤاد رغبته أن يتعلم اللغة التركية أولا. واقترح المندوب السامى مايلز لمبسون أن يدرس فاروق فى كلية ايتون بإنجلترا مع إحضار مدرس خصوصى ليعلمه اللغة التركية. ووافق الملك فؤاد على أن يؤجل ذلك إلى أن يبلغ فاروق السادسة عشرة من عمره { وكان لا يزال فى الرابعة عشرة }.

يقول مايلز لمبسون "وقد عارضت هذه الفكرة بشدة وطلبت أن يسافر الأمير فى أسرع وقت". (!)

ما شأن مايلز لمبسون وتعليم وتربية ولى العهد فى دولة مستقلة حتى ينتزع حق أبيه فى اختيار منهج تعليمه وتربيته؟ من الواضح أنه كان الرغبة فى أن ينصع الإنجليز ملك المستقبل على أعينهم.. نوع من غسيل المخ كما صنعوا ملوكا آخرين ظهورا فى المنطقة. المهم، وافق الملك فؤاد على ذلك #### يقول

مايلزلميسون عن الملك فؤاد" كنا نستطيع أن نجعله يتصرف كما نريد في النهاية وأى تصرف كنا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه"####.

ويحكى ذلك المندوب السامى ما يلزلميسون عن حفل استقبال أقامه في السفارة البريطانية بالقاهرة ودعا إليه جميع رؤساء الأحزاب ويذكر ملاحظاته عنهم وأنه كم كان مسلما لرجال السفارة أن يراقبوا كيف يتصرف هؤلاء الناس! كأنما كانوا يتفرجون على قرود أو نسانيس.

" النحاس باشا كان منظره يبدو عجيبا وعندما سلم السفارة كان ذيل الباطو الأسود الذى ارتداه خصيصا لهذا الحفل يهتز يمينا ويسارا، وكان يتعمد أن ينفخ صدره وهو يقترب منى..الخ.

... وبدأ لى أن كلا من صدقى ومحمد محمود على درجة كبيرة من الذكاء وأنه من السهل أن يخضعا عند الضرورة لتعليمات السفارة. {ص ١٨}.. الخ حتى الأمير محمد على تحدث معه في جنازة الملك فؤاد { توفي ٢٨ أبريل ١٩٣٦ } عن أحقيته في الوصاية على العرش فأعطاه الانطباع أن طلبه سوف يتحقق. {ص ٢٧}. مربية الملك فاروق حتى عاد ملكا من إنجلترا مسزتايلور، الإنجليزية . صيدلى الملك تيترنجتون، الإنجليزية. مدرسات الأميرات، الإنجليزية.

وحتى بعد أن عاد فاروق من إنجلترا اختار له السفير مدرسا إنجليزيا اسمه فورد. وكان فاروق يزوغ من مدرسه هذا فأعطاه السفير الإنجليزي درسا عن عدم انتظامه مع مدرسه واعترف فاروق بذلك ووعد بالانتظام. كانت معاهدة" الشرف والاستقلال" في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦. ولكن السفير يذكر في مذكراته أنه في ٢٤ ديسمبر ١٩٣٦ ذكر لفاروق أن حكومة بريطانيا تؤيد أسرته المالكة ولكن هذا التأييد سيتأثر حتما بتصرفاته. {٣٥} واعتذر الملك ووعد باصطحاب مدرسه فورد معه في رحلته إلى الصعيد وأنه سيكون ولدا أحسن كثيرا مما مضى.

و حين أخرج الملك وزارة النحاس باشا عام ١٩٣٧ قال السفير الإنجليزي لعلى ماهر" إن لندن قلقة للغاية من إقدام الملك على طرد النحاس، وإن مثل هذه التصرفات قد تؤدي إلى دمار الملك وربما الأسرة المالكة أيضا... فرجاه ماهر ألا يكون قاسيا على فاروق عند مقابلته بعد ظهر ذلك اليوم" فإن فاروق ما زال غلاما".

ومع ذلك يقول لميسون في برقية بعث بها إلى لندن كما جاءت بصفحة ٤٢ من مذكراته "... أبلغته {فاروق} بنفسى أن حكومة الجلالة قلقة من مسار الأحداث في مصر وأنه قد يكون ماشيا في الطريق الخاطيء، وأنا لا نستطيع أن نعفيه من الخطأ، كما أن تأييد بريطانيا له سوف يتأثر إذا استمر في هذا الخطأ، وقد حذرته مرارا من النتائج الخطيرة التي قد تترتب على قراره بطرد النحاس باشا من الحكم رغم أنه يتمتع بأغلبية كبرى في البرلمان، وقلت له إن هذا خطر على عرشه. وطلبت منه أن يتفق مع النحاس باشا وأن الأوامر الصادرة إلى من لندن أن أتحدث إليه {فاروق} بلهجة شديدة.

... وبعد ذلك تلوت عليه التعليمات التي بعثتموها إلى من لندن. وقال الملك إنه يفهم ما تريدهونه تماما".

ذلك كان الاستقلال الذى جاءت به معاهد الشرف والاستقلال... استقلال غنيا عن أى تعليق. ومع هذا التسلط من الإنجليز على مقدرات مصر و"رجالات" مصر - وقد تكون كلمة رجالات هنا في محلها إذا حملناها على أنها جمع مؤنث سالم - قد يكون من المفيد أن ننقل ما ذكره مايلز لميسون {لورد كيلرن} عن أسلوب حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية حين قابله في ٧ فبراير ١٩٣٨، فقد ذكر له مهددا أن اليهود قد يصبحون مصدر متاعب لبريطانيا إذا لم يحصلوا على ما يريدونه في فلسطين. الانجليز يتسلطون على مصر واليهود يتسلطون على الإنجليز.

وفي أوائل فبراير ١٩٤٠ حضر انتونى إيدن إلى مصر لتحية القوات الإستراتيجية والنيوزيلندية والهندية التي جىء بها للقتال، وصحبه السفير مايلز لميسون لزيارة ولي العهد الأمير محمد على توفيق فشكا لهما من فاروق وذكر لهما أن رئيس الوزراء على ماهر هو السبب، وأنه لا يوثق به بالمره، وأن شقيقه أحمد ماهر هو الذى قال له ذلك. {ص ٥١} وطلب إلى إيدن أن يعامل المصريين بحزم لأن معاملتهم بلطف تخرج الأمور من أيديهم(!) هذا محمد على بن الخديو توفيق ومن شابه أباه فما ظلم. كان مازال يتكلم بلغة أبيه حين قال لعرايى قبل ستين عاما "أنتم عبيد إحساناتنا".

وفي ١٧ يونية ١٩٤٠ بعد توقيع معاهدة الشرف والاستقلال بأربع سنوات قابل السفير الإنجليزى مايلز لميسون قابل الملك فاروق في الإسكندرية وطلب إليه خروج على ماهر من رئاسة الوزارة بشرط ألا يعود إلى القصر رئيسا للديوان، وحذر الملك أن يلعب بالنار، وأخبره أن الجنرال ويفل {قائد الجيش

الإنجليزى} ينتظره ليعرف منه قرار الملك {وفى ذلك تهديد باستخدام القوة}. كما طلب إليه أن يعود إلى القاهرة. ورفض السفير رجاء من أحمد حسنين باشا أن يمنح على ماهر فرصة أخرى.

وفى أواخر يونية ١٩٤٠ وافق لمبسون على تعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة باعتباره الرجل الذى ترضى عنه بريطانيا {ص٥٣}

كانت فرنسا قد انهارت أمام ألمانيا وحدثت كارثة دنكرك واجتاح هتلر الدانمرك والنرويج. وفى أغسطس ١٩٤٠ اشتدت الغارات الجوية على المدن المصرية ثم عبرت القوات الإيطالية حدود مصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٠ وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ غزت إيطاليا اليونان. وتناقش لمبسون مع وزير المالية المصرية عن نقل الغطاء الذهب للبنكوت المصرى إلى جنوب أفريقيا خوفا من تقدم الغزو الإيطالى. إلا أنه مع ديسمبر ١٩٤٠ استطاع الإنجليز أن يردوا الإيطاليين وراء حدود مصر.

ماهر بعد النحاس

بقى مصطفى النحاس باشا فى الحكم من ٤ فبراير ١٩٤٢ حتى آقاله الملك فاروق إقالة مهينة فى سبتمبر ١٩٤٤ ووجه إليه خطابا جاء فيه إنه عجز عن توفير الغذاء والكساء لشعبه وانه قرر إقالته لتشكيل وزارة تكفل للشعب غذاءه وكساءه.

كانت الوزارة قد استنفدت أغراضها فسمح الإنجليز للملك بإقالتها. وكان الوفد قد فقد تقدير الطبقة المثقفة وتعاطفها باعتباره قبل علانية العمالة مع الإنجليز. ولم يجده فتيلاً دفاعه عن نفسه بأنه قبل الوزارة إنقاذا للعرش. لقد عم الفساد الأحزاب كلها وحمل حزب الوفد كثيرا من ذلك واستطاعت الشيوعية أن تنفذ إلى بعض أجنحته لمقابلة النفوذ الشعبى المتزايد فى سرعة فائقة للإخوان المسلمين فى الريف والحضر، بين الفلاحين والعمال والطلاب والموظفين والعلماء وغيرهم على السواء.

حين يختلف الوفد مع الإخوان فما أسهل على أبقاه وصحافته أن تزعم أن جماعة الإخوان تسترضى الملك، والشيوعيون معهم بعضهم لبعض ظهير. أما حين يصطاف الملك فى كبرى ويخطب النحاس باشا زعيم الوفد فيقول "إن أبصارنا لترنوا إلى تلمك البقعة المباركة من أرض كبرى" .. قلنا لعلها تمكم وسخرية، ولكن يعود جلالته من كبرى فيستقبله الباشا مقبلا يده... هذا كله لم يكن استرضاء للملك!!

نعى بعض الكتاب الشيوعيين في كتب هزيلة حقا على الإخوان المسلمين، هم حطموا اللجنة الوطنية وآثروا السير منفردين في محاولة لتصويرهم إلى جانب الملك حيناً أو إلى جانب الإنجليز حيناً آخر . وليس أعرق في الكذب المتعمد والبهتان من هذه المزاعم، ويكفى لدحضها ما تعرض له الإخوان من محن لم يتعرض لمثلها أحد على أيدي حكومات الملك والإنجليز. وبالرغم من أنه ليس لهذه الكتب وزن في علم التاريخ إلا أن المتأخرين حين يدرسون حركة الإخوان فإنهم يجمعون من كل حذب و صوب ما كتب عنهم، ولا اعتراض على ذلك، إنما الاعتراض أن يحدث دون تمييز بين الغث والسمين. فليس كل من كتب صادق فيما كتب.

لاسيما إذا كان شيوعيا اجتمعت لديه الخصومة والعداوة مع الانحلال واللا أخلاق. إن إصدار كتاب لا يحتاج إلى أكثر من كاتب يكتب وجهة تمول وتوزع ، وليس في ذلك ما يؤهله لأن يصير مرجعا ومصدر للمعلومات. وحين نطالع كتاب " الإخوان المسلمين" وهو الدراسة التي حصل بها ريتشارد ميتشل على درجة الدكتوراه من جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية نجده زاحرا بالأخذ عن تلك الهلاهيل المفتراه بما يبعدها في كثير من أجزائها عن مستوى الدراسة التي تستحق درجة الدكتوراه.

يتعين لاعتماد أى مصدر أن يكون كاتبه معروفا موثوقا به في مدقه وأمانته أو على الأقل معروف الهوية والاتجاه. فإذا أخذ ميتشل عن مصدر اسمه " الإخوان في الميزان" للمدعو محمد حسن أحمد - أن طلاب الإخوان قد انسحبوا في شهر أكتوبر ١٩٤٥ من اللجنة الوطنية فحصلت هذه اللجنة على تفويض من الطلاب وغيرت اسمها إلى اللجنة التنفيذية بما يعنى أن الحركة الطلابية واصلت مسيرتها دون الإخوان، فإنما هو مجرد إدعاء. لا كانت هناك لجنة وطنية ولا لجنة تنفيذية! وأى معاصر يعلم علم اليقين أن كل ذلك كان أسماء بلا مسميات. لقد تزعم اليهودى الايطالى المليونير هنرى كورييل الحزب الشيوعى المصرى. فإذا تصدى هؤلاء ليتزعموا المسار الوطنى فسحقهم الإخوان صار الإخوان خونة؟! بكل وضوح..

لقد تزعم الإخوان المسلمون جهاد الطلاب دون منازع في تلك الفترة. وكان الشيوعيون يعارضون الإخوان على طول الخط، وقد تابعوا موسكو في الاعتراف بإسرائيل عام ١٩٤٨، وأعلنوا أنه لا شأن لنا بفلسطين وأن قضيتنا هى مصر. وكذلك فعل الوفد حين أعلن الإخوان لمنع الاحتفال بدعوى أننا في مصر ولسنا في سوريا ووقع اشتباك بين الطرفين أوضح لمن كانت الأغلبية. كان الإخوان مسلمين،

مسلمين في مشاعرهم، مسلمين في عواطفهم، مسلمين في اتجاهاتهم، مسلمين في سياستهم. وحين رفضوا أن يضعوا أيديهم النظيفة في أيدي ملوثة بالشيوعية فهذا أمر طبيعي. كانوا مسلمين يرفضون ما ليس إسلامياً فرفضوا الذيلولة لموسكو. وفي ذلك يتمثل الأستاذ حسن البنا بقول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

انتخابات مزورة

أقال الملك وزارة النحاس وحل مجلس النواب الوفدي وأجريت انتخابات جديدة قاطعها الوفد. وفي هذه الانتخابات رشح الإخوان:

الأستاذ حسن البنا

عن دائرة الإسماعيلية

الأستاذ أحمد السكري

عن دائرة المحمودية - بحيرة

الأستاذ صالح عشمأوى

عن دائرة مصر القديمة

الأستاذ عبد الحكيم عابدين

عن دائرة فدمين - الفيوم

الأستاذ محمد حامد أبو النصر

عن دائرة منفلاوط

كما رشح الأستاذ أحمد حسن الباقوري نفسه عن دائرة الخليفة. لم يكن من مرشحي الإخوان وقد أعطاه الإخوان أصواتهم.

لم يكن أحمد ماهر رئيس الوزراء بعد النحاس في صراحة النحاس. فقد ترك المرشحين يدخلون الانتخابات ثم زورها بحيث لا ينجح منهم أحد وكان التزوير أظهر ما كان في دائرة الإسماعيلية. كان المرشح المضاد مقاول ممن يتعاونون مع الجيش الإنجليزي تنقل عمال الجيش إلى لجان الانتخابات ببطاقات انتخابية مصنوعة... ثم أُلن فوز سليمان عبد وفرح أحمد ماهر.

وقد أراد الأستاذ البنا يضرب المثل في سماحة الإسلام وأن الإخوان لا يفهمون دينهم على أنه تعصب فكان وكيله في لجنة الطور يوناني متمصر مسيحي يدعى الخواجة باولو خريستو، وكانت تلك اللفتة الذكية محل تعليق وسخرية من ماهر والنقراشي في لقائهما مع سعيد رمضان ولم يكن قد بلغ العشرين ولكنه استطاع أن يفهمهما. شهر نوفمبر ١٩٤٤ أجريت مراسم افتتاح ذلك البرلمان وخرج الملك

فاروق الأولى { والأخير } في عربة ملكية حمراء اللون زاهية مذهبة تجرها الجياد وسط فرسان الحرس الملكي ، وكان يجلس عن يسارة ذلك المزور الذى صار رئيسا للوزارة أحمد ماهر باشا، خرجا من سراى عابدين ليلقى ماهر خطاب العرش على أعضاء البرلمان عن لسان الملك. وفي ميدان الأزهار بباب اللوق اتخذنا مواقفنا هتف بحياة " جلاله الملك"، فما أن أهل بطلعته- وكان يتسم لشعبه وإلى جواره رئيس وزارته يتسم أيضا حتى رفعنا لافتات كنا نخفضها بسقوط الانتخابات المزورة وارتفعت هتافاتنا عدائية لسقوط تلك الإنتخابات وسقوط ماهر مزور الإنتخابات. وعلى أمتار قليلة منى رأيت ابتسامه الملك تزول لتكسو وجهه سحابة واضحة من الكآبة في حين استمر المزور الجالس إلى يساره يتسم.

كنت أردد الهتاف وأنا أقف خلف مأمور قسم شرطة عابدين. واستدار الرجل بكل غيظ وأمسك بتلابيبى وآخرين إلى جوارى، واستعان فى ذلك بجنوده، ثم استوقف سيارة أجرة وفتح بابها ودفعنى داخلها ودفع ورائى الآخرين فأسرعت بفتح الباب الآخر وذهبت منه فى الزحام، أما الآخرون فقد احتجزوا يوما بقسم عابدين قبل أن يفرج عنهم بجهود بعض المحامين. أذكر منهم محمود الشربينى. ولعلها مناسبة لمناقشة من يزعمون أن الإخوان سلكوا أساليب غير قانونية ، وكان أحرى بهم أن يكونوا ديمقراطيين وأن يصلوا إلى أهدافهم عن طريق التقدم إلى المجالس النيابية دون اللجوء إلى ما يصفونه " بالعنف" نقول أنه حدث مرة أيام النحاس باشا وحكم الوفد ومرة أخرى أيام أحمد ماهر فزورها كما سبق بيانه. نعم هذه هو الأسلوب الديمقراطى ولكن الحاكم والملك والأحزاب والاحتلال هى التى لم تكن ديمقراطية وهى التى كانت تسلك السبيل غير القانونى وغير الشرعى وكانت لا تستحي أن تزور. فإذا أجرت الانتخابات وزارة وفدية جاء البرلمان وفديا. وإذا أجرتها وزارة سعدية جاء البرلمان سعديا فإذا ذهب الإخوان مذاهب أخرى فقد كان لهم كل العذر بل كل الحق فيما ذهبوا إليه.

وفى ميزان الخاص أن الحكومة التى نزور الانتخابات تفقد شرعيتها إن كانت لها شرعية من بادىء الأمر. وحيل بين الإخوان المسلمين وبين النيابية فى الانتخابات المتعاقبة بدءا من انتخابات ١٩٤٢ فما بعدها بشتى الوسائل، بالمنع عسفا من الترشيح أو التزوير، أو بحل الجماعة، أو بالعزل السياسى، أو بحياكة قوانين سيئة السمعة تستهدف عدم دخولهم هذه المجالس و كأن يقتصر الترشيح للمجلس على الأحزاب فى حين يمتنع قيام الأحزاب على أسس طائفية وبعد الإسلام من الطائفية!.. الخ، فلم يتسن للإخوان أن يكون لهم أى تمثيل نيابى فى مصر قبل انتخابات ١٩٨٤، ودخل أفراد معدودون على قائمة

حزب الوفد، ثم في انتخابات ١٩٧٨ على قائمة حزب العمل. حدث ذلك بعد أن دخل مجلس الشعب بسنوات طويلة العمال والفلاحون والنساء والفئات... وصفات مبتكرة.

الإخوان المسلمون والإخوة الأقباط

في الدعايات الحزبية لانتخابات مجلس الشعب في مصر عام (١٩٨٧) ردد حزب الحكومة الحزب الوطنى الديمقراطى أن دعوة الإخوان إلى الأخذ بشريعة الإسلام، هي دعوة إلى الفتنة الطائفية بين عنصرى الأمة: المسلمين والأقباط، واشتعلت النار في مسجد بصعيد مصر، ثم أحرقت كنيسة وراحت الإذاعة والتلفزيون نركز على الوقوف في وجه الفتنة الطائفية، ومن وراء الإذاعة صارت الصحافة لا سيما القومية منها - الأهرام والأخبار والجمهورية - تركز على هذا المعنى، وتزيد بأن تنسب أمورا إلى الجماعات الدينية المتطرفة، وتجاوز بعضها أكثر فنسب تلك الجماعات إلى الإخوان، وأنها جميعا تخرج من معين واحد، وتمادى بعضهم أكثر وأكثر فاجترأ على التاريخ الإسلامى بجلاله، ورغم أنه لم تكن عدالة وإنصاف لأهل الذمة إلا في عهد عمر بن الخطاب، وأنها كانت فلتة غير قابلة للتكرار.

ولم يكن شىء أبعد عن الصدق من هذا، ورغم أن دعاة الإخوان ومسئوليتهم ظلوا يرددون في خطاباتهم وفي كتاباتهم نفي ذلك عن الإخوان وعن الإسلام، فقد ظلت تلك الدعايات الحزبية تلعب بالنار، وآثرت الاستمرار في منهجها تحسبا أن ذلك أضفنا في الطبعة الثانية من " النقط فوق الحروف" هذا الفصل عن فكر " الإخوان المسلمين" نحو الإخوة الأقباط.

في رسالة " نحو النور" للأستاذ حسن البنا، جاء تحت عنوان " الإسلام يحمى الأقليات ويصون حقوق الأجنب" ما يأتى: " يظن الناس التمسك بالإسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة، وينافى الوحدة بين عنصرى الأمة، وهى دعامة قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر. ولكن الحق غير ذلك تماما، فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذلها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبسا ولا غموضا فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص؟ {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}. فهذا النص لم يشتمل علة الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم، وإن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى: { يأيها الناس إنا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، ففضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعا في قوله تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمين. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾. ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾

هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ، لا يمكن أن يكون أتباعه سببا في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس، إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية، بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط. وقد حدد الإسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم، فقال تعالى بعد الآية السابقة:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلا فيها وفسادا كبيرا بين أبنائها، ونقصا لنظام شتونها. ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله:

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾. وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعا أدق علاج وأنجحها وأصفاه. أ. هـ.

هذا ما ذكره مرشد الإخوان في رسالة من رسائله التي كان الإخوان يتدارسونها ويحفظونها ويعملون بها، وتلك تعاليمه التي كان يلقيها لنا في محاضراته العامة، وفي لقاءاته الخاصة على السواء، وكان له بين رءوس الأقباط ومطاردتهم وقساوستهم صداقات ومودات، كان كثيرا الأسفار في تجواله على شهب الإخوان، فكان يزور أصدقاءه الأقباط في كل مكان ويودهم، وكانوا يستقبلونه ويودونه ويخطبون على

منابر الإخوان. وفي جهاد الإخوان وحركتهم حدثت احتكاكات إليهم العمليات ضد الانجليز أو اليهود أو عملائهم أو غيرهم بالحق أو بالباطل... ليس فيها حدث واحد كان ضد الأقباط منذ بدأت حركة الإخوان عام (١٩٢٨)، حتى كتابة هذا عام (١٩٨٨).

ولقد نسبت إلى الإخوة الأقباط أمور عام (١٩٨١) نسبتها إليهم الرئيس أنور وأجهزة حكمه، ويعرف الجميع مكان الإخوان من ذلك! كان مكائهم في المعتقلات مع الأقباط وبأعداد كثيرة. رئيس الحزب الوطني الديمقراطي أنور السادات هو الذى أوقف سلطات البابا شنودة بطرك الأقباط، وحدد إقامته في دير بوادى هيبب { وادى النظرون } عام (١٩٨١). لم يكن مرشد الإخوان ولا نظامهم الخاص بل كان رئيس الجمهورية ورئيس الحزب الوطني الديمقراطي، هو الذى اعتقل طائفة من القبط ومن الإخوان وكان بينهم مرشدهم " عمر التلمسانى " رحمه الله، فما كان بينهم وراء الأسوار - وخارجها - إلا كل تفهم ومودة ثم تزاور بعد الإفراج عنهم. وقبل ذلك فى أواخر الأربعينيات شكل الأستاذ حسن البنا لجنة سياسية لجماعة " الإخوان المسلمون " ضمت أربعة من السياسيين الأقباط، أتذكر منهم " لويس فانوس ووهيب دوس ". فى جريدة الأهرام ١٦/٤ / ١٩٨٧ كتب المستشار ميلاد تادرس يقول: " إخوان... فى السراء والضراء.

" أود أن أسرد واقعة عايشتها بنفسى وكنت أحد شهودها، وتتعلق بالشهيد " حسن البنا " زعيم ومؤسس " الإخوان المسلمون " ففى الأربعينيات أرادت الجمعية الخيرية القبطية بدمنهوور إقامة كنيسة للأرثوذكس، وكنت وقتها محاميا بدمنهوور وعضوا بالجمعية، واشترينا قطعة أرض تجاور مسجد " جمعية المحافظة على القرآن الكريم"، ولم تعترض جمعية المحافظة على القرآن الكريم على إقامة الكنيسة بالقرب من المسجد، ولكن المعارضة كانت بشدة وبقوة من فرع " الإخوان المسلمون " بدمنهوور، وهكذا تعثر بناء الكنيسة حتى فكر رئيس الجمعية الخيرية القبطية وهو المرحوم الدكتور فهمى مسعد فى مقابلة الشهيد حسن البنا، وفعلا وشرحنا له الموقف. فاتصل المرحوم " حسن البنا " تليفونيا أمامنا بالسيد رئيس الفرع بدمنهوور، وقال : إنه لا يود أن يسمع أن الإخوان يقفون ضد بناء الكنيسة بل عليهم أن يساعدوا فى البناء. " وعدنا إلى دمنهوور بعد أن طيب الشهيد " حسن البنا " خاطرنا وطمأننا وأقيمت الكنيسة وما زالت الواقعة فى أذهاننا، وإن دلت هذه الواقعة على شىء فإنها تدل على خلق الشهيد حسن البنا وتفهمه سماحة الإسلام وصدق رسالته من إحاء ومحبة بين البشر، وأن رسالة الإخوان المسلمين لا تقوم على التفرقة بين أديان الله، بل تربطهم جميعا عبادة الواحد، بل تدل هذه الواقعة على مدى وطنية الشهيد "

حسن البنا" واعتباره أن جميع المصريين - مسلمين وأقباط - هم أمة واحدة، تربطهم مع بعض مصالح الوطن وتقاليده وعاداته، انتصاراته وأفراحه وكذا أحزانه، وأنا إخوان في السراء والضراء عشنا معا قرونا طويلة لا يعكر صفوها إلا بعض أرض نعيش فيها معا نرويهما بسواعدنا وبدمائنا".أ.هـ

وفي أحد اجتماعات الكتائب مع الأستاذ البنا عام (١٩٤٦) - وهي اجتماعات خاصة - ذكر الدكتور حسان حتوت أنه سيجعل من رسالته في الحياة بيان المودة بين المسلمين والأقباط، وما يحمله الدينان من هذه المعاني، في ذلك الاجتماع سمعت من حسان حتوت تعاليم الإنجيل: أحبوا مبغضكم، باركوا لاعنيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم... من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، ومن سخرك ميلا فسر معه ميلين ومن نازعك الرداء فأعطه الإزار أيضا. تعليمات تغرس السماحة في نفوس المؤمنين بها. وقد بارك الأستاذ البنا ما قال الدكتور حسان. وأتذكر مقالا نشره الدكتور حسان في مجلة الدعوة بعنوان "أخي جرجس".

سوف أذهب إلى أبعد من هذا، وليحملني القارئ مسلما كان أو قبطيا ولندخل إلى أعماق الموضوع لنضع النقط على الحروف. لقد أثبت الإسلام النبوة والرسالة للمسيح عله السلام، والطهارة لأمة وفضلها على نساء العالمين، بمن في ذلك أم النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته أمهات المؤمنين وبناته، ولكنه لم يقبل أ، يكون المسيح هو الله أو ابن الله، ومن هذا المنطلق صار المسلمون مؤمنين بنبوة المسيح كافرين بالوهيته، وليس هذا هو الإيمان من وجهة النظر القبطية. كما أن القبط رغم تقدير كثير من باحثيهم وكتابهم لشريعة الإسلام وحضارته ونبية صلى الله عليه وسلم، لا يؤمنون بنبوة محمد ورسالته، فهم لم يؤمنوا من وجهة النظر الإسلامية.

هذا هو واقع الحال وتقدير موقف صادق لا مجاملة فيه، فما حكم الشريعة الإسلامية في ذلك؟ حكم واضح واضح واضح، وآيات القرآن الكريم صريحة لا لبس فيها { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } { أنلزمكموها وأنتم لها كارهون } { لا إكراه في الدين } { لكم دينكم ولي دين }

والنتيجة قالها عمر بن الخطاب " لكم مالنا وعليكم ما علينا".

فإذا ضربنا في جذور الماضي وجدنا هاجر امرأة خليل الله أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام مصرية، وهي أم اسماعيل عليه السلام أصل الفرع الذي منه محمد صلى الله عليه وسلم، ووجدنا مارية زوج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مصرية قبطية من أنصنا من أعمال أسيوط، وحتى بعد أن أسلمت وتزوجها

النبي صلى الله عليه وسلم وولدت له ابنة إبراهيم وإلى أن ماتت رضى الله عنها ظلت تعرف بأنها مارية القبطية. وكان للمسلمين الأوائل الذين فتحوا مصر موقفا سجله تاريخ الفتح حين كان الحكام الروم يحرقون قبط مصر بالنار ويقطعون أوصالهم ويغرقونهم في البحر ويقتلونهم ويعذبونهم بكل وسيلة لتحويلهم عن مذهبهم إلى مذهب بيزيطة، حتى فتن كثير منهم ومن قساوستهم وأساقفتهم... وجاء عمرو بن العاص فرفع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وخلصهم مما كانوا فيه من البلاء، فلولا عمرو ابن العاص لقد كاد دين القبط أن يزول. كان الخلاف المذهبي بين الكنيسة البيزيطية أن قبط مصر هم الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، في حين ذهب الروم إلى أن للمسيح أقنوما إلهيا وأقنوما بشريا واتحد فيه اللاهوت بالناسوت... إلى آخر مالا شأن لنا به هنا، ولكن يتبين منه أن مذهب قبط مصر كان ابعده عن عقيدة المسلمين من مذهب بيزيطة، ومع ذلك فقد نصر عمرو بن العاص والمسلمون الفاتحون قبط مصر في مواجهة الروم ولم يضعوا أى قيد من أى نوع على عقائد القبط وأعلن عمرو الأمان للأب بنيامين الذى كان البطريرك الثامن والثلاثين للقبط وكان هاربا من حكم الإعدام يطلبه الروم لإنفاذه. ولم يكن عمرو - والمسلمون معه - حرية الاعتقاد التي كفلها الإسلام لجميع الناس، ولم يكن عمرو - والمسلمون معه - ممتنا على القبط ولا متسامحا معهم من عنده وإنما كان مسلما يحكم بما أنزل الله وما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن ذلك الأمان الذى أعلنه عمرو ونشره في ربوع مصر للبطرك بنيامين هو مفخرة للمسلمين في جميع العصور يلزمهم التمسك به مدى الدهر: "أينما كان بطرك القبط بنيامين نعهده الحماية والأمان وعهد الله، فليأت البطرك إلى ههنا في أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته ويرعى أهل ملته".

وعاد البطرك بنيامين فأمر عمرو أن يقابل بما يليق به من الترحاب والتكريم واستقبله عمرو ثم قال لأصحابه "لم أر يوما في بلد من البلاد التي فتحتها الله علينا رجلا مثل هذا بين رجال الدين". وجعله عمرو أميرا على قومه لا يدافع فيهم أمره وجعل له ولاية أمر دينهم. ثم ذهب بنيامين من الإسكندرية إلى أديرة وكنائس وادى النطرون وخطب يبارك كنيسة هناك فقال:

"كنت في بلدى الإسكندرية فوجدت بما أمتنا من الخوف واطمئنانا بعد البلاء، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم". ووصف قومه بأنهم فرحوا بعودته كما تفرح الأسخال {العجول} إذا ما حلت لها قيودها وأطلقت لترتشف من لبان أمهاتها. وكتب حنا النقيوسى بعد الفتح بخمسين عاما وهو

الذى لم يتورع أن يصف الإسلام والمسلمين بأشنع الصفات كتب يقول عن عمرو" ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته". بقى أمران، أحدهما من جانب المسلمين - وليس كلهم - والآخر من جانب بعض الأقباط - وليس كلهم.

الأول يتعلق بالجزية باعتبارها شرطا من شروط عقد الذمة، فيذهبون إلى أنه مادام الأقباط لا يؤدون الجزية فقد انتقص عهد الذمة. وأحسب هؤلاء لم يأخذوا في اعتبارهم شروط عقد الذمة كلها ثم المتغيرات كلها. كانت الجزية ضريبة دفاع تؤخذ من غير المسلمين مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية، وكانت الحروب حينذاك دينية وكانت حروب المسلمين جهادا في سبيل الله لفتح باب الدعوة إلى الإسلام وبيانه للناس، فلم يكن المناسب أن يلزم غير المسلم ببذل روحه ودمه من أجل مالا يعتقد، من أجل ذلك أعفى غير المسلمين من الجهاد، وفرضت عليهم الجزية التي كانت أشبه بالبدلية التي عرفناها في مصر إلى منتصف القرن العشرين . أما اليوم الأقباط والمسلمين ينخرطون معا في الخدمة العسكرية، فضلا عن أنها برمتها قد برئت من العقيدة وصارت أغراضها السياسية بحتة لا شأن لها بالدين فنجد أ، مصر في الخمسينات والستينات قد ساعدت القبارصة اليونانيين بالسلاح ضد القبارصة المسلمين الأتراك لانتزاع قبرص منهم، كما زجت بجيشها في حرب لا شأن لنا بها في الكونغو، ولم تعد إعلاء كلمة الله هي هدفها. صرنا إلى أوضاع يرحب فيها كثير من المسلمين أن يؤديوا البدلية مقابل إعفائهم من مثل هذه الحروب، ومع ذلك ففي عهد الفتوح الأولى زمن عمر بن الخطاب أعفى غير المسلمين من الجزية إذا شاركوا في الفتح أو الدفاع عن الأرض بعد فتحها.

الأمر الثاني: يتعلق بمخاوف لدى بعض الأقباط يستقونها من بعض كتب التاريخ، تحكى سوابق اضطهاد من الحكام المسلمين . وأول ذلك ما نسبته مؤرخ قبطى - بكل أسف - عمرو بن العاص وهو حنا النقيوسى، أن المسلمين استولوا على أغنام المصريين في طريقهم إلى الفيوم، ثم أجبروا أهل الفيوم، على فتح أبوابها ووضعوا السيف في جميع من استسلم، بمن فيهم الشيوخ والنساء والأطفال، وأن عمرو بن العاص قارف من العنف ما يفوق الحصر وأحرق المحاصيل عند دمياط... الخ

وحنافة هذا يخالف روايات المؤرخين المسلمين. ويخالف ما جاء بكتاب ساويرس بن المقفع الأشموني من حسن معاملة المسلمين وأمانتهم مع قبط مصر وبطركهم. ويخالف تعاليم الإسلام التي كان المسلمون

الأوائل يتمسكون بها. ويخالف سياسة المسلمين في الأقطار المفتوحة، ولم يفعلوا ذلك في العراق والجزيرة وإمبراطورية الفرس والشام.

ويخالف أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تنبأ مصر وتوصى المسلمين بقبطها وقد ذكر ابن عبد الحكم عشرة أحاديث في هذا كما أورد الإمام مسلم بعضها صحيحه.

وأخيرا قد نكون مضطرين إلى أن نذكر أن ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين ذكر عن حنا زور انتخاب البطرك، ليفوز بهاج رجة بدلا من إسحق الذي استحقها بعد وفاة البطرك يوحنا، وأن عبد العزيز بن مروان وإلى مصر قد اكتشف ذلك فأعاد الأمور إلى نصابها، وفي هذا يلقي ساويرس الضوء على أمانة العرض التاريخي لدى حنا أسقف نقيوس، كما ذكر ساويرس أن القبط عزلوا حنا النقيوسى من منصبه لإدانته في تعذيب راهب حتى الموت، وآخرين أخرجوا عذراء من ديرها واغتصبوها في وادى هيب . والذي أحب أن يعرفه الإخوة الأقباط أن النقيوسى قد كتب تاريخه في ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر، وفي عهده وقعت فتنة قمعها عبد العزيز بشدة وتذهب إلى أنها هي التي آثرت في شعور حنا نحو المسلمين، فقام عمرو بن العاص على عبد العزيز بن مروان، وخالف جميع ما ذكرنا. فإذا عبرنا مراحل التاريخ المختلفة بعد ذلك لانكاد نجد حاكما أوقع بالقبط إلا وأوقع بالمسلمين أيضا، وأقرب ذلك ما كان من الرئيس أنور عام(١٩٨١). إذا كان ذلك هو فكر الإخوان وفهمهم وسياستهم المستم من القرآن الكريم والسنة، والثابت في رسائلهم وتاريخهم وممارستهم، وإذا كانوا يعلنون جهارا ثمارا أن ليس بينهم وبين المواطنين الأقباط إلا كل مودة وبر وقسط، فلماذا تقول عليهم بغير الحق؟، ولذا رميهم بل ورمى الشريعة كلها بأنها تحدث الفتنة؟! إن المطالبة بتطبيق الشريعة لا يتجزأ عن إيمان المسلم بإسلامه، وهي فريضة على المسلم، ولا أتصور أن يعترض الأقباط على أن يتمسك المسلمون بإسلامهم، كما لا يصدر عن المسلمين أى ضغط على الأقباط ليخالفوا دينهم والقرآن الكريم هو الذى يقول { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }

أمشى خلال مدينة القاهرة أو غيرها من مدن مصر فتصادف الكنائس بقباها وأبراجها، وقد ارتفعت الصلبان فأشعر بالزهو، لأن هذا هو الإسلام... هذه هي حرية العقيدة والأديان، أن يعيش الأقباط في أمان مع المسلمين، تمتزج بيوتهم فيتعارفون ويتزاوون ويتوادون ويتراحون فيما بينهم { أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين }. أرجو بهذا أن أكون قد وضعت النقاط فوق الحروف.

الفصل الرابع

صحافة الإخوان

وقبل أن نمضى مع الأحداث نقف وقفة قصيرة نعرض فيها موجزا عن صحافة الإخوان فقد كان للإخوان المسلمين صحافتهم على مراحل دعوتهم المتدرجة. تلك الصحافة لاقت من النجاح ومن نقيضه ما هو جدير بالتسجيل، ولقد كان أول ما ظهر للإخوان في هذا الشأن مجلة كانت تحمل اسمهم، وكان صاحب امتيازها العالم الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الأستاذ المرشد. وكانت ذات طابع ثقافي بحث تتناول شرح الأحاديث النبوية الشريفة وتفسير القرآن الكريم وبعض أبواب الفقه والخطب المنبرية وما شاكل ذلك. ولربما كان ذلك مناسبا لنشأة الجماعة وما كانت عليه حين صدور هذه المجلة.

النذير

بعد ذلك أصدر الإخوان مجلة النذير في عام ١٩٣٨. كان صاحب امتيازها محمود أبو زيد الخامى، وقد صدر حينذاك قانون يحتم أن يكون رئيس تحرير أى صحيفة من حملة المؤهلات العليا، فكلف المرشد العام الأستاذ صالح ع شماوى أن يتولى رئاسة تحريرها باعتباره حاصلًا على بكالوريوس التجارة العليا... ورحب الأستاذ صالح بذلك باعتباره عملا للدين والدنيا. كانت النذير جريدة أسبوعية. ولعلها كانت أول مجلة إسلامية سياسية تنقد الأوضاع في حماس وجرأة. كان محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر حينذاك وقد اشتعلت الثورة العربية في فلسطين في مقاومة الحركة الصهيونية التي ظهر نشاطها هناك، وكان اتجاه الإخوان مساندة عرب فلسطين في حين كان الاتجاه العام للدولة في مصر غافلا غير مهتم. وإذا بذلك الرجل محمد محمود باشا يقول إنه رئيس وزراء مصر وليس رئيس وزراء فلسطين. فكتب صالح ع شماوى ينال من الرجل بما هو أهل له. وعاد يكتب مطالبا بتعديل الدستور بأسلوب فيه عنف حققت معه فيه النيابة. فكانت النذير طرازا جديدا من المجلات الإسلامية وكان لها فضل كبير في تنوير الأذهان وشرح الإسلام كدين ودولة. كانت النذير توزع داخليا عن طريق شعب الإخوان، وكان توزيعها ناجحا يصل إلى خمسة آلاف نسخة في العدد، وكانت منتشرة إلى درجة أن أعداء الدعوة كانوا يرسلون خطابات السباب ردا على ما تنشر. واستمرت النذير تنطق باسم الإخوان حتى عام ١٩٤٠. في ذلك العام حدثت فتنة شباب محمد، فانشق عن الإخوان الأستاذ محمد على المغلاوى، والدكتور على النشار، والأستاذ محمود أبو زيد الخامى صاحب امتياز النذير، وانضم إليهم آخرون من خارج الجماعة،

وكان اتجاه شباب محمد حماسيا اندفاعيا بصورة لم يقبلها الإخوان. حينئذ صار الإخوان بلا جريدة فاستأجروا مجلة اسمها التعارف.

مجلة الإخوان المسلمين

في فبراير ١٩٤٢ أرغم الإنجليز الملك فاروق على إسناد الوزارة إلى مصطفى النحاس باشا، فبدأ بإجراء انتخابات في البلاد تقدم إليها الأستاذ حسن البنا في دائرة مدينة الإسماعيلية. ولكن النحاس استدعاه وصارحه بأن الإنجليز قد طلبوا إليه عدم دخول حسن البنا البرلمان، وكان حديثا بين الرجلين خرج به الأستاذ البنا بتنازله عن ترشيح نفسه مقابل تيسيرات قدمها الباشا... السماح للإخوان بمزاولة نشاطهم داخل شعبهم والتصريح لهم بمجلة " الإخوان المسلمون".

استمرت هذه المجلة تصدر حتى صودرت في عام ١٩٤٨ بجل جماعة الإخوان. وكان رئيس المجلة صالح عشاوى، وكانت ثقافية سياسية توزع داخل شعب الإخوان شأن مجلة النذير.

الجريدة اليومية

كانت الجرائد اليومية السائرة تقاطع كلمة "إخوان" فلا تذكرها أبدا. وكان لكل حزب سياسى جريدته التى تنطق باسمه، أما جماعة كبرى مثل الإخوان فلم يكن لها. ومع الإحساس بالحاجة إلى ذلك فقد أنشأ الإخوان شركتين مساهمتين هما شركة الإخوان للطباعة وشركة الإخوان للصحافة وكان رأسمالهما معا ٧٠ ألف جنيه مصرى. وتم شراء مطبعة كانت من قبل مطبعة جريدة الجهاد جريدة الجهاد، ولم تكن مناسبة بحال، فقد كانت بطيئة لا تفي بالحاجة وكانت تطبع ثلاثة آلاف نسخة في الساعة، وكان المطلوب طبع عشرين ألفا في اليوم، ومعنى هذا أن تعمل المطبعة سبع ساعات لإتمام العدد، وبذلك يفوقها قطار الصعيد وقطار الصحافة والنزول إلى الشارع مع سائر الصحف، وقد كان الحاج محمد حلمى الميناوى هو وسيط شرائها ولقد بدأت الجريدة ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد السكرى فلما انشق عن الجماعة تولى رئاسة تحريرها الأستاذ صالح عشاوى.

ووقعت الجريدة في عديد من الأخطاء سببت لها المتاعب، فبالإضافة إلى عدم مناسبة المطبعة، حدث أن استعانت ببعض الصحفيين من خارج الإخوان لم يكونوا خبراء صحافة على المستوى المناسب. وكانت تمنح رواتب كبيرة بالنسبة لما كان يجرى حينذاك وبالنسبة لإمكاناتها. وقد استنفدت تلك

الأخطاء جانبا من راسمائها. من المعلوم أن أى جريدة لا تغطى نفقاتها من عائد التوزيع، ولكن لابد لها من مواد أخرى، ومن أهم تلك الموارد المصاريف السرية التى تمنحها الحكومات لصحافتها، وهذا لم يكن للإخوان منها أى نصيب، ومن أهمها أيضا عائد الإعلانات، وهذه لم يكن للإخوان منها أى نصيب، ومن أهمها أيضا عائد الإعلانات، وهذه كان لها مع صحافة الإخوان عامة وجريدتهم اليومية شأن. فلم يكن لجريدة الإخوان أن تنشر أى إعلان بل كان عليها أن تتحرى وأن تدقق فلم يكن لمثلها أن تنشر إعلانا لا يجوز أو يكون فيه شبهة، من ذلك إعلانات السينما والملاهى والخمور والسجائر والدخان وملابس السيدات لاسيما إذا صاحبها رسم أو مصور. وكانت الجريدة تتعرض للنقد الشديد بمناسبة وبغير مناسبة فى هذا الشأن. إعلان عن شفرات الحلقة قالوا إن اللحية من السنة وإن حلقها بدعة ولا يجوز الإعلان عن مثل هذا... الخ كثير كثير، مثل هذا أقام حجرا على الإخوان فيما يقبلون ومالا يقبلون، وكثيرا ما تركوا مالي سبه بأس مخافة الوقوع فيما به بأس ولقطع ألسنة الحاقدين والأصدقاء المتزمتين على السواء. وبذلك فقدوا أهم الموارد لتمويل الجريدة.

كذلك كانت شركات التوزيع التى عليها ترويج بيع الجريدة حربا على الجريدة! ولا شك أن ذلك كان بدافع وإيعاز بل وإغراء أعداء الدعوة وأعداء الجريدة: ربما كان من هؤلاء الجرائد الأخرى والأحزاب وكافة الخصوم والأعداء. كانت الجريدة تحفى عن أعين فلا يراها الجمهور ولا ينادى عليها حتى تعود مرتجعات، وكنا نسأل عنها الباعة فينفون وجودها.

ومع كل ذلك فقد صمدت الجريدة من عام ١٩٤٦ إلى أن حلت الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨ وصدورت جريدتهم. لقد كانت الجريدة من حيث مادتها مشبعة، ولقد أعطتها الأستاذ البنا جل جهده فى أيامها الأخيرة وبذل لها كل طاقته. روى أن صهره الحاج عبد الله الصولى كان يزور بيت الأستاذ فيجده على غير ما يرام من حيث أحواله المادية، فكان يترك للبيتما هو كفيل أن يصلح شأنه وينصرف ثم يعود فيجد البيت كما هو... فقد كان المبلغ يذهب إلى الجريدة!

الكشكول الجديد

كان خصوم الإخوان يهاجمونهم بإسفاف، وكان الإخوان يتعففون عن الرد عليهم، أو يتعففون فى الرد عليهم ولا سيما صحافة حزب الوفد والنشرات الشيوعية. ولقد تحمل الإخوان من الصبر شيئا كثيرا حتى اقترح محمود عساف وأمين إسماعيل إنشاء مجلة أسبوعية تتولى الرد والمهاجمة بنفس الأسلوب.

وللحقيقة، ورغم أن ذلك كان فيه من التنفيس عن الصدور الصابرة ما فيه فقد اعترض على الفكرة من اعترض، ووافق من وافق على استحياء. ولذلك لم يعلن عن الكشكول الجديد على أنه من صحافة الإخوان المسلمين....ولكن الإخوان هو الذين أنشئوها ومولوها. وقام عليها محمود عساف وأمين إسماعيل بعد أن قدما استقالتيهما من الجماعة.

ومن أمثلة ما كانت تنشره الكشكول باب بعنوان " دائرة المعارف الوفدية" بدأت بحرف الألف وأذكر منها شرحا لكلمة "أب" جاء بها " أبوك معروف لط طبعاً. يقال للوفديين ملعون أبوكم..وليست الوزارة ميراثا عن أبيكم... تهكمى ساخر تأليف جلسات هزلية لمناقشتهم في مجلس النواب. وهكذا كانت تتحدث عن مصطفى النحاس وسليمان غنام وفؤاد سراج الدين بعبارات نحاس الوفد وغنام الوفد وسراج دين الوفد. وكان الوفد يصدر جريدة" صوت الأمة" فصورت الكشكول صفحة على نفس نظام الجريدة جعلت عنوانها " صطل أمة" بنفس نوع الخط. وبالرغم من قوة المجلة في تحريرها وإغراقها في الفكاهة فقد توقفت بعد قليل بسبب استنكار الإخوان أ،فسهم لأسلوبها.

الشهاب

وعلى الجانب الآخر نشأت هذه المجلة الجادة. فقد أرادت أسرة المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا استئناف صدور " المنار" وطلبوا إلى الأستاذ حسن البنا القيام على ذلك، وبالفعل صدرت بجهوده بعض أعدادها. ولم يكون له من مورد خاص بعد استقالته من عمله كمدرس وتفرغه للدعوة. فأراد أن يكون له مورد ولذلك أنشأ مجلة الشهاب على أغرار المنار إسلامية ثقافية بحتة وكانت شهرية. كان صاحب امتيازها ومديرها ورئيس تحريرها، وصدرت منها عدة أعداد في ١٩٤٨ ولم تكن تباع ولكنها اعتمدت في توزيعها على الاشتراكات. وحين أنجبت مجلة ١٩٤٨ وكان الأستاذ البنا قد استشهد أنشأ سعيد رمضان في الخمسينيات مجلة" المسلمون" على نفس النسق.

صحافة صديقة

هذا ما كان من شأن صحافة الإخوان منذ نشأتها حتى مجلة ١٩٤٨ واحتجاجها تماما إلى عام ١٩٥١. وجدير بالإشارة أنه كان هناك صحافة صديقة ولكنها محدودة. فقد دأبت مجلة الاعتصام وهي مجلة الجمعية الشرعية وكانت أسبوعية على نشر موجز مختصر لحديث الثلاثاء، ولم تكن مجلة الإخوان تنشره اعترافا منها بمجلة الاعتصام. كذلك تولى على الغاياتى صاحب منبر الشرق النطق باسم الإخوان في

غيبتهم وبعد عودتهم، وكان صديقا للإخوان وكانوا أصدقاءه وكان مثلهم يعاني من ضعف الموارد رحمه الله، وكان كثيرا ما يستصرخ ذوى الأريحية ليتبرعوا إنقاذاً للمبر الشرق على صفحاتها.

الدعوة

وبعد أن خرج الإخوان من معتقلاتهم استأجر صالح عشاوى الوكيل العام للجماعة مجلة المباحث القضائية فأدت دورها من شهر مايو ١٩٥٠ حتى آخر ذلك العام. بدأت المباحث لعدة أعداد ثقافية بحتة ولكنها بدأت تتجرأ بالتدريج حتى صارت تتناول الأوضاع القائمة.

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ ربيع الثاني ١٣٧٠ - ٣٠ يناير ١٩٥١ صدر العدد الأول من مجلة " الدعوة " فكانت أول مجلة إسلامية أسبوعية تطبع بالطباعة الحديثة بمطابع جريدة المصرى وتوزع عن طريق شركة التوزيع، ولأول مرة أيضا كانت تغطي مصاريفها رغم عدم حريتها في قبول الإعلانات ورغم حملها عبء بعض الإخوان الذين عملوا بها بقصد مورد لهم، وكانت الدعوة على مستوى مشرف من حيث برقياتها وتعليقاتها ومواضيعها وهيئة تحريرها. كان يكتب فيها صالح عشاوى رئيس تحريرها وصاحب امتيازها وأمين إسماعيل ومحمد الغزالي والسيد سابق وعبد العزيز كامل والبهى الخولى وأحمد حسن الباقورى وعبد المنعم النمر ومحمد فتحى عثمان وسيد قطب ومحب الدين الخطيب وأنس الحجاجى وعبد الحكيم عابدين ورجاء مكاوى وغيرهم، وشرف بذلك كاتب هذه السطور وكان ثمن العدد قرشين.

واستمرت الدعوة فى الصدور حتى بعد فصل صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ صالح عشاوى من الجماعة فى نوفمبر ١٩٥٣ ولكن توزيعها هبط بصورة خطيرة، وظلت الدعوة بعد ذلك تصدر بصورة شبة عادية حتى أواخر ١٩٥٤ رغم معاناتها ماليا. بعد ذلك كانت تصدر عددا محدودا جدا من النسخ - ليس للبيع ولا للتوزيع - على فترات متباعدة بقصد الإبقاء على امتيازها حيث إن هذا الامتياز يسقط بمضى مدة معينة إذا لم تصدر الجريدة.

وفى فبراير ١٩٥٧ صدر عدد خاص عن إمام الشهيد الأستاذ البنا ووزع عدد كبير كتجربة لمحاولة الظهور، ولكن شعر الأستاذ صالح عشاوى بعدم ارتياح السلطة بل واستيائها من صدوره وكان هذا وحده كافيا - فى ظل الظروف التى كان يجيهاها شعب مصر - لعدم تكرار التجربة أو على حد تعبيره هو " كش ملك "

مجلة الإخوان مرة أخرى

وبفضل صالح عشناوى لم يعد لجماعة الإخوان جريدة فقد كان صاحب امتياز مجلة الدعوة. ولم يدم هذا طويلا فقد أصدر الإخوان مجلة " الإخوان المسلمون" مرة أخرى وصدرت منها أعداد محدودة. وكانت أسرة قطب هي القاسم المشترك الأعظم التي قامت على أكتافها. فكان الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - رئيس تحريرها وكان يجر فيها الأستاذ محمد قطب والأخت حميدة قطب وآخرون بطبيعة الحال. وسرعان ما احتجبت هذه المجلة بين اشتباك الجماعة بحكومة الثورة في مصر. ظهورها واحتجاجها كانا عام ١٩٥٤ وكان ذلك نهاية المطاف بصحافة الإخوان في مصر حتى عام ١٩٧٦.

الدعوة مرة أخرى

عادت الدعوة إلى الظهور مرة أخرى اعتبارا من شهر رجب ١٣٦٩هـ - يولية ١٩٧٦ بعد وفاة عبد الناصر ببضع سنين. عادت يديرها ويشرف عليها المرشد العام الأستاذ عمر التلمساني، وصاحب امتيازها ويرأس تحريرها الأستاذ صالح عشناوى، واتخذت مقرا لها ٨ ميدان السيدة زينب بالقاهرة في المكان الذي كانت تشغله قبل ذلك عيادة أسنان الدكتور أبو بكر نور الدين بعد أن تقاعد. كانت تباع المجلة في مصر والدول التي سمحت بدخولها ولكنها ظلت ممنوعة لدى الدول التي كانت مازالت تشن حربا على الإخوان مثل ليبيا والسودان ودول البعث - سوريا والعراق - واستمرت تصدر إلى أن لقي صالح عشناوى ربه، فتوقفت بحكم القانون الذي يلغى ترخيص الصحيفة التي يتوفى صاحبها.

وبصفة عامة فقد لقيت صحافة الإخوان من السلطات ألوانا من العنت. وكانت الرقابة في الأزمات تخنقها حتى لا تجد ما تستطيع نشره. ونسوق هذه الطريقة مثلا لما كان يحدث. كان للإخوان شهداء في ظرف من الظروف وإذا بالرقابة تحرم نشر كلمة "شهداء" في أى سياق. وتركت الصحيفة التعرض للسياسة من أى زواياها حتى تستطيع أن تصدر. وفي مقال عن شمول رسالة الإسلام وأن الإسلام هو رسالة كل دين ساق الكاتب الآية { أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي } وجرى قلم الرقيب على كلمة شهداء فشطبها، ونوقش في ذلك معناها هنا " أم كنتم حضورا شاهدين... " وبجهل مطبق أو تعسف مقصود أجاب... إذن اكتبوها أم كنتم حضورا شاهدين إذ حضر يعقوب الموت!! وفي ١٦ سبتمبر ١٩٨٦ نشرت جريدة الشعب تحت عنوان " تقديم ثلاثة صحفيين إلى المحكمة" أن الإخوة جابر### رزق وبدر محمد وصالح عبد المقصود أصدروا كتابا غير دورى تحت

اسم البشير فصولر وقدموا إلى المحاكمة بتهمة وفي جريدة الشعب الصادر في ٣٠ ديسمبر ١٩٨٦ جاء الآتى:

الإفراج عن مطبوعات الإخوان المصادرة

أفرت محكمة جناح عابدين، وجناح العجوزة عن مطبوعات الإخوان المسلمين التي تحفظت عليها مباحث أمن الدولة منذ عدة أشهر. فقد أصدرت محكمة جناح مستأنف عابدين يوم الأربعاء الماضي براءة الأستاذة فاطمة حمزة صاحبة امتياز مجلة " لواء الإسلام" مما نسب إليها من مخالفات لقانون الصحافة. وكان الإخوان المسلمون - برئاسة المرشد السابق المرحوم عمر التلمساني - قد تعاونوا مع الأستاذة فاطمة حمزة لإصدار المجلة فصادرتها المباحث. كما أصدرت محكمة جناح العجوزة حكمها ببراءة كل من الصحفيين : جابر رزق وبدر محمد وصلاح عبد المقصود، من التهم التي وجهتها لهم مباحث أمن الدولة وهي إصدار مجلة بدون ترخيص وهو الكتاب غير الدورى المسمى " البشير" بالرغم من أ، الذى أصدره كان المرحوم الأستاذ عمر التلمساني.

الفصل الخامس

مع النظام الخاص

اتصال

في يوم من فبراير ١٩٤٦ دعانى حسين عبد السميع إلى منزله في موعد حدده وأكد على الميعاد لأن هناك مقابلة هامة ورفض أن يزيد على ذلك حرفا. وفي الموعد وجدت رجلا لم أكن أُرْفه في انتظاري عرفنى به حسين على أنه الخ أحمد حجازى من الإخوان الموثوق بهم، ثم تركنا حسين وانصرف في غرف البيت. وبدأ أحمد حجازى حديثه معى بسؤالى عن رأيى في بعض المواضيع العامة، وظل يتدرج بالحديث حتى وصل به إلى موقفنا من الحكومات الضعيفة أمام الاستعمار والوزارات الخائنة. ورغم تعريف حسين وتزكيته للأخ أحمد حجازى فقد كنت حذرا معه في حديثى لأنى لم أكن أعرفه من قبل فظل يستفرغ ما في جعبتى وأنا لا أريد أن انطبق إلا بصعوبة حتى اتفقنا في النهاية إلى أن الأخذ بفريضة الجهاد هو الذى يميز الإخوان عن سواهم. بعد ذلك تطرق إلى كيفية هذا الجهاد ووسائله، وذهب يسألنى إذا كان الواجب يحتم علينا أن نتجهز وأن نتدرب. وأجبت بأن المر عسير، فأين نتدرب ومن أين السلاح وكيف

يتم هذا في غفلة من عيون الحكومة. قال وقد عيل صبره من مطاولتي " هذا أمر قد فرغنا منه " بهذه الإجابة الحاسمة انفتح له قلبي فوافقتة. وانصرف أحمد حجازي بعد أن بايعته على السمع والطاعة والكتمان.

بعد ذلك طلب إلى أحمد حجازي ترشيح إخوان لإكمال المجموعة. وذهبت انظر في الإخوان من جديد فلم أشرح سوى اثنين عبد المجيد حسن رحمه الله وطاهر عماد الدين. وأخذ أحمد حجازي الاسمين والمعلومات التي ذكرتها له عنهما وذهب، وبعد أيام استدعاهما عند حسين كما فعل معي. واتفق عبد المجيد معي توا. أما طاهر فقد رفض لأن اتصال حجازي به لا يأتيه عن طريق المسئول عن الشعبة. وكان رأى طاهر وجهة نظر على كل حال . وأوضح حسين أن نائب الشعبة وحتى كبار المسئولين في الميدان العام للجماعة ربما لم يكونوا من هذا النظام أو يعرفوا عنه شيئا، غلا أن طاهر لم يقتنع. وبعد أيام قلائل كنا عند حسين نتداول في حركتنا بالجامعة وكان معنا مصطفى مؤمن، وفي انصرافنا سمعت مصطفى ونحن فبط درج المنزل يقول لطاهر " هل كلمك أحمد حجازي في موضوع؟ " قال " نعم " قال " تستطيع أن تطمنن إليه ". ففرح طاهر وعاد يقبل الانخراط في النظام الخاص.

دراسات

حدد لنا حجازي موعدا فيه ثلاثتنا معه، وكانت تعليماته أن تكون صلتنا العامة أمام الناس عادية جدا حتى لا يلحظ أحد أن بيننا نوعا معينا من الرباط. وقال إنه يمتنع علينا إذا صادفناه في أى مكان أن نتحدث معه أو نبدي معرفتنا به أو أن نحاول أن نرى من يقابلهم أو يتحدثهم أو يتحدثونه، وأن رؤيتنا له مع أى إنسان لا تعنى انتماء هذا الإنسان إلى النظام ، وأن جلستنا هذه – وكانت تعقد في البيوت، عندى أو عند طاهر – يجب أن تأخذ المظهر العادى أمام أهل البيت فلا يجيم السكون علينا وألا يكون المتحدث الوحيد الذى لا يسمع إلا صوته، ثم قال " اضحكوا فضحكنا . كذلك طلب ألا يقدم احدنا على إحداث أى حدث في حياته الاجتماعية قبل الاتصال به، فمن أراد مثلا أن يترك كليته أو يتزوج أو ينتقل من منزله أو ماشاكل ذلك فإنه يلزم أن يراجعه.

بعد هذا بدأ الدرس الأول، فأخرج من جيبه مسدسا إيطالى الصنع من طراز باريتا عيار ٩ مم وشرحه لنا شرحا تفصيليا وافيا من ناحية حركته الميكانيكية وكيف يعمل، وقد فكه لنا قطعة قطعة ثم

أعاد تركيبه، كما شرح لنا شفويا كيفية استخدامه. وبعد فرغ من ذلك طلب إلى كل منا واحدا واحدا أن يعيد ذكر الشرح الذى سمعناه.

وقبل أن ينصرف واعدنا على الموعد التالى. وفي الدرس الثانى كان معه مسدس آخر بلجيكى الصنع من طراز براوننج عيار ٩مم كان هو موضوع الدرس. كنا نسمى المسدس مصحفا حتى لا نلجأ فى أحاديثنا إلى ذكر المسدسات. ثم أعطانا الموعد الثالث وكان موضوعه القنبلة اليدوية مليون ٣٦ شديدة الانفجار. ثم كان الدرس التالى فى القنبلة اليدوية الحارقة إيطالية الصنع من طراز بريداء... واستمرت الدروس... المسدس الوبلى ذو المشط والمسدسات ذات الساقية والقنبلة اليدوية الفسفورية الحارقة والقنابل الإيطالية الترموس وسوسييتا رومانا والمتفجرات والمفرقات من جلجنات وت.ن.ت وقطن البارود وأنواع الفتائل والمتفجرات والبوادىء ولوازم النسف والتدمير... الخ.

لم تكن جميع لقاءاتنا تسير على هذه الوتيرة الواحدة، فكثيرا ما كانت تخرج عن هذا الروتين. فمرة قرأ علينا لائحة النظام الخاص وناقشناها معه، مرات أعطانا رسائل مطبوعة فى مواد مختلفة كالقانون الجنائى وقانون تحقيق الجنايات والإسعاف وحرب العصابات. وخرجنا معه مرات فى رحلات تدريبية كان بعضها فى جبل المقطم أطلقنا فيها النار من أنواع مختلفة من المسدسات وكان بعضها فى قرية عين غصين بمنطقة قناة السويس. كانت قرية إخوانية بحتة، دخلناها ومؤذن الجمعة يرسل تكبيراته من فوق مسجدنا فما صادفنا فى طرقاتها سوى الأوز والدجاج وبعض الأطفال أما أهلها فكانوا جميعا بالمسجد. هذه القرية كانت تقع وسط معسكرات جيش الاحتلال الإنجليزى وكان هذا الجيش دائم التدريبات فلم يكن يسمع أصوات الطلقات النارية باختلاف أنواعها أو فرقة القنابل اليدوية والمتفجرات بالأمر الشاذ أو الغريب فى تلك المنطقة. أطلقنا النار من مسدسات ومن البنادق ومن الرشاش الصغير" التومى جن" وفجرنا أنواعا من القنابل اليدوية شديدة الانفجار والحارقة وكان يسمع هذه الأصوات يعزوها بحكم العادة إلى معسكرات الجيش الإنجليزى. وأعتقد أن معسكرات الجيش الإنجليزى أيضا كانت تعتقد هذا فما كان أكثرها، وكان نزولنا عين عصين ضيوفا على رئيس الإخوان بها الشيخ حسن الأحمر رحمه الله. فى خلال هذه الفترة التى قضيناها مع أحمد حجازى لاحظنا بعض الملاحظات كانت محل نقدا، فقد كنا فى كل اجتماع على موعد الاجتماع التالى الذى كان يأتى فى بعض الأحيان بعد عشرة أيام أو أسبوعين. فطالبنا أن تكون الاجتماعات أسبوعية ثابتة الموعد. ولاحظت أن أحمد حجازى مزدحم بالمواعيد فقد كان عبء مجموعات القاهرة كلها عليه وحده. كان مديرا لمنطقة القاهرة فى النظام الخاص،

ولذلك لم يكن يسعه إلا أن يعطى هذه المواعيد المتباعدة فاقترحنا أن تقسم القاهرة إلى مناطق وأن توزع المسئوليات على أكثر من مسئول لقد بدأنا فخورين بالدراسات التي ذكرت، ثم لم ألبث أن غيرت نظرتي إليها فطالبت أن تكون أكثر وأكبر وأدسم من هذا. كانت مجموعتنا ثلاثة فقط على خلاف العدد المفروض للمجموعة وهو الخمسة. ولقد كانت جميع هذه الملاحظات محل اعتبار ونظر.

كشف طبي

في الفترة التي قضيناها مع أحمد حجازي أجرى علينا الكشف الطبي. طلب إلينا حجازي أ، نتوجه إلى دار المركز العام الساعة الثالثة بعد الظهر، وهو وقت لا يتواجد فيه أحد بالدار، وأن نطلب مفتاح غرفة المكتبة من موظف التليفون بالدار، وقبل الموعد كنا أمام غرفة التليفون فلما حان الموعد ولم ننصرف قال لنا "هل تنتظرون أحد؟" قلت "نعم نحن على موعد هنا". قال "أنتم الذين تواعدتم على أخذ المفتاح؟" قلت "نعم". فأخرجه لنا وقال "اصعدوا وافتحوا المكتبة وادخلوا ثم أغلقوا الباب وراءكم من الداخل". فعلنا كما قال، وبعد قليل سمعنا طرقا خفيفا على الباب ففتحنا ودخل رجل لم نكن نعرفه بيده حقيبة من حقائب الأطباء، وأعدنا غلق الباب بالمفتاح. قال لنا الوافد "أنا الدكتور أحمد الملط" قلنا أهلا وسهلا، وأجرى علينا كشفا دقيقا وعماما واحدا واحدا... على النظر والأعصاب والقلب والضغط والصدر والمعدة... الخ، وأخذ عينات من البول. وسجل الدكتور كل النتائج التي حصل عليها في استمارة مطبوعة خاصة بذلك مع مقاس الصدر والطول، ثم شهد لنا باللياقة الطبية.

بيعة

وفي الفترة التي قضيناها مع أحمد حدازي أيضا أدينا البيعة الواجبة على إخوان النظام الخاص. فحدد لنا أحمد موعدا لقيناه فيه بمسجد قيسون بالحمية الجديدة في صلاة العشاء، وبعد الصلاة انصرف أحمد ونحن نتبعه عن كذب في خطوات سريعة، وظل يسير في الطرقات الملتوية بالحمية والصليبية حتى طرق بابا ضخما من الخشب لمنزل كبير قديم قرضا قوائمه فهو أشبه بالطبليبة على الأرض، كانت الغرفة مضادة إضاءة قوية، وتركنا بها أحمد وقام إلى غرفة مجاورة ثم عاد ومعه عبد الرحمن السندي فعرفنا به على أنه رقم (١) في هذا التنظيم وبعد أن حدثنا عن النظام وأهدافه استوثق من استعدادنا استدعاني عبد الرحمن وحدي فقمتم معه، وإذ بدأت أخطو إلى الغرفة المجاورة وقد أمسك بيدي فوجئت بها في ظلام دامس وقد فاح في أرجائها روائح البخور والعطور الشرقية ثم أجلسني على الأرض.

وجاء صوت الرجل الجالس في الظلام لا أتبين منه شيئاً، يذكرني بمبادئ الدعوة التي جندنا أنفسنا لنصرتها وإلى أن الجهاد من أركانها وهو سبيلها، وإلى أني بأداء هذه البيعة أضع نفسي تحت تصرف القيادة سامعاً مطيعاً لأوامرها في العسر واليسر والنشط والمكروه معاهداً على الكتمان وعلى بذل الدم والمال. وقد ذكر ثقة القيادة فينا ومع ذلك أشار إلى أي خيانة أو إفشاء سر سوف يؤدي إلى إخلاء سبيل الجماعة ممن يؤمنون بها. وبايعت على ذلك وقد مددت يدي فوضعتها على مصحف ومسدس وقد وضع يده فوق يدي ولئن لم نر شخص الرجل فلقد كان واضح من صوته أنه الأستاذ صالح عشاوي. ثم قام عبد الرحمن وأخذ بيدي في الظلام الذي ما زلت لا أتبين خلاله شيئاً فخطونا نحو باب الغرفة إلى الغرفة الأولى شديدة الاستضاءة. فجلست بها لا أكاد أرى شيئاً من شدة الضوء لفترة في حين أخذ عبد الرحمن أخانا عبد المجيد فأدى بيعة مماثلة ثم عاد به وأخذ طاهر فبايع أيضاً ثم عاد.

في تلك الليلة أيضاً أعطانا أحمد أرقامنا السرية التي كان علينا أن نتعامل بها بدلاً من أسمائنا فكان رقمي ١٦ ورقم عبد المجيد ١٧ ورقم طاهر ١٨. وانصرفنا إلى بيوتنا وسعادتنا لا تعدلها في الدنيا سعادة.

حصاد العمر

لقد أصدر أخونا في الله تبارك وتعالى صلاح شادي كتاباً بعنوانه "صفحات من التاريخ - حصاد العمر" أحسبه من أوله إلى آخره كتاب من يدفع عن نفسه أنه أسلم جماعة الإخوان المسلمين إلى جمال عبد الناصر، وهو إذ يفعل ذلك يحاول أن يلصقها بمن امتلأ قلبه حقداً عليه - كما يبدو من كتابه - عبد الرحمن السندي.

يحتاج كاتب تاريخ الإخوان أ، يرجع إلى ما يستقي منه. وبكل أسف فقد نهج إخوان أجلاء في بعض ما كتبوا أن نقلوا عن الأخ صلاح باعتباره من داخل وحدات الجماعة ومطلعاً على خباياها، فركبوا شططا، وأعطوا الأخ المسلم عبد الرحمن السندي، رحمه الله، حقاً أن يخاصمهم أمام الله يوم القيامة فيأخذ من حسناتهم وقد تكون كثيرة ويحمل من سيئاته وقد تكون كبيرة. كانت لعبد الرحمن أخطاء وكانت عليه مآخذ، فهو بشر... وكثر نقده بمناسبة حادث الحازندار وبمناسبة مخالفته الأستاذ الهضيبي مرشد الجماعة... الخ. ولكن هذا لا يعني أبداً أن نلصق بالرجل، وقد أفضى إلى ربه، كل نقيصة وأن يستباح عرضه فيحمله غيره أخطاء فعلها هذا الغير! ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً. ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً. ومن يكسب خطيئة أو

إنما فإنما يرم به بريئا فقد احتمل بهتاننا وإنما مبينا{ولئن كانت على عبد الرحمن مآخذ فقد كانت له مآثر أكبر.

لقد كتبت هذه الصفحات ولم يكن حصاد العمر قد ظهر، ومنعنى من إصداره إحساسى يحتاجه إلى نظر وإضافات لم يتسع لها وقتى حتى صدوره. ولست أريد به ما يطلبه البعض، أن يكون ردا أو جوابا على من أود أن أجل من إخواني فتلك مهاترة لا أحبها، ولا أريد به أن يكون كتابا على كتاب خاصة من نوع حصاد العمر، ولا أبغى أن أضيف إلى كتب الفتنة كتابا. ولكنى اضطررت على غير رغبة منى أن أضيف تعليقات قليلة ومقتضبة جدا وبأقل عبارة، فإذا الصحف نشرت فتكفينا محنة أخرى أن نأتى ربنا صفا فيأخذ للشاة العجفاء من الشاة القرناء! ومحن الآخرة أشد وأنكى من محن الدنيا والعياذ بالله من كل منهما. إخواني أحبهم وأعزهم وأجلهم وأحسبهم من أهل الجنة بما قدموا، والمرء مع من يحب. لذلك تجنبت أبوابا لم أطرقها وآويت إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ذروا المرء لقلعة خيره. ذروا المرء فإن المؤمن لا يمارى. ذروا المرء فإن الممارى قد تمت خسارته. ذروا المرء فكفى إنما ألا تزال مماريا.

ذروا المرء فأنا زعيم بيت فى وسط الجنة وأهلاها لمن ترك المرء وهو محق"

فإذا قال الله سبحانه وتعالى: "... ولا جدال فى الحج" فإنما هو تدريب فى أيام الحج على فضيلة عالية وساقفة من مكارم الأخلاق وقد قرن الجدال بالرفث والفسوق. أسأل اله أن يتقبل من المحسن وأن يغفر ويتجاوز عن غيره.

كان بين صلاح أبو شادى وعبد الرحمن السندى حب مفقود خلافا لما كان بين كل أخ مسلم وأخيه. والسبب أن صلاح شادى كان يرغب أن يكون ضمن قيادة النظام الخاص فى حين كا عبد الرحمن السندى يرى عدم صلاحية صلاح لهذا. ولم يكف صلاح عن رغبته هذه ولم يعدل عبد الرحمن عن رأيه ذلك حتى آخر عمره. لم يكتب عبد الرحمن السندى عن صلاح، ولكن صلاحا كتب فى ١٩٨١ "حصاد العمر" جله عن عبد الرحمن من منظوره هو بعد أن لقي عبد الرحمن ربه عام ١٩٦٢ بتسعة عشر عاما، وقد تضمن الكتاب حوارات ثنائية بين الاثنين يتصدى فيها صلاح لعبد الرحمن فيفحمه ويدمغه!! وعبد الرحمن ليس حيا لجيب فالمليدان خال لبطل واحد.

مثلا يذكر صلاح عن حادث القطار الحربي الإنجليزي أن رجاله هم الذين نفذوه ويذكرهم بأسمائهم... فليكن، فأنا شخصيا لم أكن أعرف فاعله، ولكن يضيف أنه في مقابلة مع عبد الرحمن زعمها عبد الرحمن لرجاله! وكانت صدمة لصلاح!!

إذا كان الموقف بين غريمين أحدهما صار في ذمة الله فقد تحتاج الرواية إلى شهود وإلا بقيت ضعيفة. لست أقم صلاح شادى لا سمح الله بغير الصدق، ولكن الأمر يتعلق بأخ مسلم آخر وقد درج المسلمون في رواياتهم على الإسناد، فالإسناد جزء من الرواية، فإذا كان الرواى هو شاهد الواقعة فلا بأس، ولكن إذا شابها خصومه وحقد أو مصلحة فإن الأمر مختلف. ولأضرب لذلك مثلا نقيس عليه.

روى ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية انتقص من أجره في كل يوم قيراطان" وكان أبو هريرة يروى الحديث من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو كلب له زرع! انتقص من أجره في كل يوم قيراطان" فنقد الحديث لأن أبا هريرة كان له زرع! أبو هريرة صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ٥٣٧٤ حديثا، أبو هريرة أكثر الصحابة رواية وروى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل وكان أحفظ الصحابة، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره. وكان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول " كان يحفظ على المسلمين حديث النبي صلى الله عليه وسلم. أبو هريرة الذى لا ترقى رقابنا جميعا إلى قلامه ظفروه، انتقد حديثه لأنه كان له منه موقف شخصى. ويعلل ابن خلدون قلة رواية أبي حنيفة للحديث فيقول: إنه ضعف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسى. ليس الأمر أمر أبي هريرة أو أبي حنيفة أو شادى أو كاتب هذه السطور ولكنه قواعد علم اختص به المسلمون دون سائر الأمم فلا تغلبنا عليها سواد الخصومة . صلاح شادى أخ مسلم وعبد الرحمن السندى أخ مسلم، لكل جهاده الذى لا يحويه خصومة الآخر له، والموازن القسط ليست بأيدينا ولكنها بيد الله وليس أحدنا وكيلا عن الله في الأرض يحاسب الناس ويصدر أحكامه نيابة عنه!

يقول أيضا في حصاد العمر "... إنما العيب الرئيسى في تنظيم الجهاز السرى على وجه الخصوص أعزره في رأي إلى عدم كفاءة رئيس النظام في النهوض بتبعات العمل الفدائى في مجال التنفيذ، وظهر ذلك في قضية الجيب، حين بادر بغير إكراه يذكر إلى الحديث عن خفايا التنظيم ورجاله بصورة فضحتها التحقيقات، بل وظل يمارس عمله في إصدار الأوامر من داخل السجن بعد هذه الاعترافات..." أقول، " لم يحدث أبدا. كان عبد الرحمن السندى مريضا بالقلب وكانت تنتابه الأزمة القلبية أشد ما تكون،

واحقق لا يرحم، وعبد الرحمن صامد لا يفوه بكلمة. لقد قرأنا ملف القضية في السجن ورقة ورقة ولك
يكن به حرف واحد مما دعاه حصاد العمر، وإذا كان صاحب ذلك الحصاد يستطيع فليدلني على كلمة
واحة فاه بما عبد الرحمن عن النظام أو رجاله. وليسأل هو ومن يشاء جميع من بقى حيا من إخوان قضية
الجيب، مصطفى مشهور، أحمد حسنين، حسنى عبد الباقي، محمود الصباغ، أحمد الملط، أحمد زكى
حسن، محمد فرغلى النخيلي، أحمد عادل كمال، طاهر عماد الدين، محمد أحمد على، على حسنين
الحريرى الخ شهود عدول فليسألهم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

هذا مجافاة للحق لم أستطع أن أتجاهله وإلا كان إقرار بحدوثه. والوقائع الصحيحة في هذا الشأن أن
عبد الرحمن السندي نفى نفيًا قاطعًا معرفته بشيء اسمه النظام الخاص، أما عن المسئولين معه عن النظام،
فكما جاء في صفحة (١٧٢٢) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب، قرر أنه لا يعرف محمود الصباغ
ولا مصطفى مشهور، واستمر على ذلك إلى آخر التحقيقات ونهاية المحاكمات، وبالنسبة لأحمد زكى
حسن وكذا حسنى عبد الباقي فقد جاء ذكرهما وذكر عبد الرحمن في سجل حسابات ومصروفات النظام
الخاص، الذى ضبط عند أمين صندوق النظام محمد فرغلى النخيلي، وكان يحفظه مع سجلات مسبك
للمعادن يملكه بالرويعي، وكان هو الذى يمسكه، وعلل عبد الرحمن السندي تلك الحسابات بأنها خاصة
بمشروع نسيج كان مزعما إنشاؤه. ولم يتفق أحد ممن وردت أسماؤهم بالسجل معه في الرأى، بشأن
وجود هذا المشروع المزعوم، ولكن لم ينتج عن هذا كشف أسرار أو إدانة لأحد، بل أذاب الموضوع
وقفله في دائرة مفرغة تدور فيه تحقيقات النيابة دون جدوى، وكل الذى استطاعته النيابة في آخر الأمر
أن تنتهى إلى أن أقوال عبد الرحمن السندي لم تكن صحيحة. هذا شيء وما جاء في "حصاد العمر" شيء
آخر. أما عبد الرحمن السندي - شأن كل مسلم - نسأل الله أن يجزيه خيرا عما قدم. وأن يغفر له فيما
أخطأ، ولا ننسى له أنه هو الذى قام على تكوين هذا النظام العظيم الذى سبق به عصره - هدفا
وتنظيما - وقام على تطويره ودفعه، وبذل كل شيء في سبيله حتى دراسته الجامعية وصحته ومن بعد
صحته حياته.

في صفحة (١٧٧٥) من ملف تحقيقات قضية الجيب بمحضر النيابة بتاريخ الخميس (٩ ديسمبر
١٩٤٨) جاء الآتى: "ورد تقرير حضرة الطبيب الشرعى بشأن حالة عبد الرحمن السندي على فراج
السندي، ويتبين من الاطلاع عليه عنده مرض مزمن بالقلب، وأنه في حاجة إلى احتياطات وقائية
وصحية، وأن من الأصوب نقله إلى مستشفى حكومي، حتى يكون تحت العناية الطبية والصحية اللازمة.

وقد أرفقنا التقرير بالأوراق بعد التأشير عليه. ويكتب للحكمدارية بنقل المتهم على الفور إلى مستشفى الدمرداش، لوضعه تحت الحراسة اللازمة، كما يكتب للمستشفى بعلاج المتهم مع موافقتها بصورة من تقرير حضرة الطبيب الشرعي للإطلاع على حالة المتهم المرضية... الخ".

وضاق مستشفى الدمرداش ذرعا بإجراءات الحراسة وتفتيش الداخلين والخارجين، فطلب خروج عبد الرحمن وأعيد إلى سجن مصر العمومي حيث كنا، ولكن حالته الصحية حتمت أن يكون تحت رعاية مستشفى الدمرداش، فأعيد إلى السجن ثم إلى قصر العيني مرة أخرى. واستطاع عبد الرحمن أن يسوى الأمور مع الحراسة فبقى بمستشفى قصر العيني حتى أفرج عنه.

فإذا أخذنا في الإعتبار مستوى علاج مرض القلب في مصر عام (١٩٤٨) لأدركنا مقدار آلام عبد الرحمن السندی، وهو يحقق معه فيثبت ويستجوب فيصمد. شىء عن عبد الرحمن

فلا يحسبن أحد من تصاوير " حصاد العمر" ومن أخذ عنه أن عبد الرحمن السندی رحمه الله كان فاقد المقومات والمزايا! لقد كان - فوق كونه أبا مسلما - مؤمنا إيمانا لا حدود له بفريضة الجهاد في سبيل الله ولزومه وحب ذلك إلى قلبه فأفرغ ذلك الإيمان في النظام الخاص وأخلص له الإخلاص كله. كان يعشقه ويغار عليه.

كان عبد الرحمن طالبا بكلية الآداب، وغضب عليه أبوه لاتصاله بالدعوة وخيره بينها وبين أن يستمر إنفاقه عليه، وبكل صدق وبدون مرونة فيما يبدو اختار الدعوة، وأوقف أبوه الإنفاق فالتحق بوظيفة بالشهادة الثانوية، ولم يكن الوقت يتسع لرعاية النظام والوظيفة والدراسة، فاضطر إلى التخلي عن الدراسة وأفرغ همته ونشاطه في النظام. كان عبد الرحمن يربط كل تكليف بتوقيت، وكان سؤاله التقليدي هو... متى؟

وفي ذلك (المتى) لا ينسى وإنما يابح، وكانت لازمته في متابعتة هي لماذا؟

- هل تم الموضوع المنفق عليه؟ - ليس بعد.

- لماذا؟ - من أجل كذا.

- ولماذا لم تفعل كيت؟ -

- لماذا كثيرة. وفي الوقت الذي كانت لعبد الرحمن قبضة حديدية كان له قلب طفل. كان مرهقا في متابعته ولكنه كان عاطفيا إلى أبعد الحدود، وكان ذلك أظهر ما يكون إذا تعلق الأمر بأرزاق إخوانه. بعد خروجنا من السجون عام (١٩٥١) أنشأ شركة السندي وشركاه للتجارة وفشلت فشلا ذريعا بسبب تصرفه في أموال الشركة طبقا لاحتياجات إخوانه، الذين كانوا يحتاجون إلى المال سواء لمعاشهم أو لتسيير أعمالهم ، وذهبت أموال الشركة بغير عودة.

- كذلك كان عنيدا يصعب تحويله. وكانت تعليمات أطبائه أن يبتعد عن الانفعالات ويركن إلى الراحة في فراشه، ولكنه كان لا يلتزم، وكان يقول لي إن إخلاده إلى الراحة يمرضه وتنتابه أزمات القلب، ولكنه لا يشعر بها إذا داوم نشاطه. واستمر معه المرض حتى كان يوم (٢٩ يولية ١٩٦٢) عاد عبد الرحمن السندي إلى بيته بشارع سليمان جوهر بالدقي من صلاة الفجر في مسجد قريب كعادته، وجلس يقرأ القرآن حتى يحين موعد خروجه، ثم وجدته أسرته مال على جنبه والمصحف بين يديه وقد اسلم الروح إلى خالقها عن واحد وأربعين عاما. رحمه الله. وما زالت أسرته تعيش حتى صدور هذا في ذلك البيت بالشارع الشعبي سليمان جوهر.

- عود إلى حصاد العمر

- ويؤسفني أيضا أن يضطربني ذلك " الحصاد" أن أرد في إيجاز أشد على شيء أصابني به. قال إن أحمد عادل كمال نقل حقيبة ذات محتويات خاصة يحرص كل الحرص على سريتها إلى بيت سيد عيد يوم حادث السيد فايز، رحمه الله، خشية تفتيش بيته. وبداءة لا أذكر بعد ثلث قرن إن كان ذلك قد حدث، ولكن مخزنا وأرشيفا للنظام نحفظ به أوراقنا ونطبع به على آلة الرونيو مطبوعاتنا، وكانت لنا به حجرة خاصة لهذا الغرض. وكان سيد عيد جارا لي يسكن قريبا من بيتي، فكان الإيداع بمنزلة والأخذ منه يتم دائما ويوميا. فإذا استبان ذلك لم يعد غريبا ولا مرتبطا بأي حدث أن أنقل أي شيء إلى ذلك البيت.

- هذا قول لا ألقيه على عواهنه فالسيدة الفاضلة والدة سيد عيد تعلمه وهي من الأمهات المسلمات الصابرات، اللائي شاركن أبناءهن المحنة، وكانت تستقبلني غياب سيد وتسمح لي بدخول الحجرة أضع فيها وأخذ منها. أذكر ذلك مستشهدا بما أطل عمرها، وعبد العزيز شلبي أخو السيد

عيد ورفيقه في البيت يعرفه أيضا، والأخ إبراهيم صلاح كان يعرفه. ولكن ما جاء بحصاد العمر كان من نوع " لا تقربوا الصلاة" أو " ويل للمصلين" ذكر شيئا وأسقط ما تنغم بإسقاطه الحقيقة.

- ويستطر حصاد العمر فيقول " وقد عرض أحمد عادل كمال في التحقيق على الفتاة التي تسلمت الطرد { شقيقة المرحوم السيد فايز } فلم تتعرف عليه مما يقطع بأنه لم يكن هو الذي نفذ العملية... محمد أبو سريع يشبه أحمد عادل كمال وعندما عرض أحمد كمال على الفتاة قالت إن الجاني يشبهه، والغريب أن الحكومة لم تحاول في اعتقالات ١٩٦٥ أن تثير موضوع سيد فايز إطلاقا، ولو حاولت لحصلت على ما تريد من معلومات لأن أحمد عادل كمال وقتها كان مستعدا من شدة التعذيب أ، يقول كل شيء".

- وألنقط الخيط لأصحح الوقائع.

- نعم لقد عرض أحمد عادل كمال على الفتاة سيدة فايز عبد المطلب بناء على بلاغ بدون توقيع. وخلافا لما جاء بحصاد العمر، لقد تعرفت عليه على أنه هو الذي حمل إليها الطرد فقبض عليه. واستشهد عادل بإبراهيم صلاح أنه كان معه في بيته طوال اليوم الذي ذكرته الفتاة ووقع فيه الحادث حينذاك عدلت الفتاة عن أقوالها وعللتنا بأن شخصا طلب إليها أن تقول ذلك، فأفرج عنه وذكرت الصحف ذلك في أخبار التحقيقات في حينه، ولا بد أن صاحب الحصاد يعرفه تماما، وكان أولى به أن يسأل من الذي أوعز إلى الفتاة قلب محنتها أن تقول ما قالت. وما الدافع له على ذلك. هذه واحدة. الثانية أن محمد أبو سريع لا يشبه أحمد عادل في قليل أو كثير، ومع ذلك فقد كتب أحدهم مكتوبا غفلا من التوقيع إلى المحقق يتهم أبو سريع أنه هو الذي حمل الطرد، وجيء به وعرض على الفتاة فلم تتعرف عليه. الثالثة أن يستغرب حصاد العمر أ، الحكومة لم تحاول في اعتقالات ١٩٦٥ أن تثير موضوع سيد فايز إطلاقا بأسلوب كأنما يحثها أن تعذبه ليعترف!. لا يا سيدى لقد أثارته وبذلت من جهدها في التعذيب ما بذلت وما يعلمه الجميع. ولقد سئلت عن ذلك في مهزلة التوعية التي جرت في معتقل أبو زعبل ١٩٦٦ وأجبت بما تقدم في الميكروفون أمام ألوف الإخوان المعتقلين.

- هذا أقصى ما استطعت من إنجاز فيما اضطرت إلى تناوله اضطرارا في مايو ١٩٨٥ كنت في رحلة همل إلى لندن وكان هناك أيضا أحمد رائف صاحب دار الزهراء للإعلام العربي، وجاءتنا دعوة كريمة لزيارة جالية إسلامية.

- في مدينة برايتون. وذهبنا وجالسناهم نتحدث وإذا بهم يقولون إن الأستاذ الداعية صلاح شادى كان هناك العام السابق وحدثهم عن عبد الرحمن السندى وانحرافاتة التي أودت بالجماعة! وسألوني عنا أعلم في هذا الشأن. قلت تلك وجهة نظر صلاح شادى، وهناك وجهات نظر أخرى، وكل محاسب بقوله ونيتة. قالوا فماذا تنصحنا؟ قلت الحب والإخاء. وإياكم وفساد ذات البين.

- هذا الكتاب والفتنة

- لا ينفي أحد أنه كانت فتنة بين الإخوان. ومرت السنون ودخلوا سجون عبد الناصر ومعتقلاته، وامتزجت دماؤهم على سياطه وعلى جدارنه، وعادت نفوسهم صافية صفاء الأخ لأخيه. وتقابل الشيخ محمد الغزالي مع المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي وتصافيا وتعانقا ودون أى عتاب سألت دموع الحب الرجلين الصالحين. وعادت مجلة الدعوة للإخوان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها صالح ع شماوى وكله شوق وسرور ويشرف عليها عمر التلمساني مرشد الإخوان. وعاد المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، وألف الله بين قلوبهم } لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم}.

- فى هذا المناخ الطيب جاء عام ١٩٨١ بعد سبعة وعشرين عاما على انقضاء الفتنة، ومحنة جديدة تطل برأسها على الإخوان فى مصر... فى هذا الوقت طلع الأخ المسلم صلاح شادى بحصاد عمره يذكر الفتنة وانحرافات صالح ع شماوى والشيخ محمد الغزالي وغيرهما من أفاضل الإخوان من منظوره هو ويوزع الاتهامات شمالا ويمينا وأماما وخلفا وفوقا وتحتا، وكم أكبرهما أن لم يرد عليه أحد منهم. لقد بنى حسن البنا، رضى الله عنه وأرضاه، بنيان الجماعة على الحب وما هو أكبر من الحب _ الإخوان. واختار لها اسم الإخوان. وهو فى هذا قد سار على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقام مجتمع المسلمين بالمدينة وصار الإخاء يجمعهم ويجمع بينهم. ومر اليهودى شاس بن قيس بمجلس الأنصار ورآهم أوسهم وخزرجهم يرفلون فى هذه النعمة فغاظه صلاح ذات بينهم وحاكت فى صدره يهوديته الحاقدة فعمد إلى ذكر يوم بعثت وما كان من انتصار الأوس على الخزرج، فتنازعوا وتفاخروا واختصموا، وكادت الفتنة تشتعل بينهم من جديد لولا ا، تداركها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وآخر بينهم وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضا

واستغفروا الله جميعا. لست أقارن بين أخ مسلم مؤمن وبين يهودى حاقدا كافر، حاشا لله ما إلى هذا أقصد، ولكن هذا ذكرني بذاك، والشيء بالشيء يذكر.

- ذكرت ذلك فقلت في نفسي: لا.. لن أخوض في هذا الكتاب في الفتنة بعد أ، عبرت بكل شرورها. من راق له أن يخوض فيها فثأنه، وأرجوه ونصحه ألا يفعل، فإنها حجاب في الدنيا وعذاب في الآخرة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول " إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين".

- اسأل الله تعالى أن يجعل ما أكتب أهلا للغرض منه والله المستعان،

- بل الحـب والرابطة

- الحـب في الله بين الإخوان مدعاة لظل الله يوم الكريات، وهو الخصلة الرابعة في الحديث الشريف " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، غمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أم، فقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" { متفق عليه }

- وإعظاما لهذه الأخوة بين الإخوان جعل الأستاذ " حسن البنا" ورد الرابطة من أوراد الإخوان مزج فيه دعاء الغروب المأثور مع دواعي الموقف، وهو دعاء يدعو به الأخ المسلم غروب كل يوم ونصه: " بسم الله الرحم الرحيم. قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لى { ثم يتذكر الأخ الداعي من يستطيع أن يحضره من إخوانه في ذهننا يتوجه إلى الله { اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك والتقت على طاعتك وتوحدت على دعوتك وتعاهدت على نصره شريعتك، فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها، وأهدا سبيلها، واملاها بنورك الذى لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة فى سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم". أ.هـ

- إذا كان الحب في الله هو من أكبر ما تربى عليه الإخوان، فقد كان إخوان النظام هم أكثر الإخوان حبا لإخوانهم، وأكثرهم حبا لدى الإخوان.

- تاريخ النظام الخاص

- هذا النظام الخاص الذى انتمينا إليه ما قصته وما تاريخه؟ سؤال لا بد منه. كانت الأمة الإسلامية غافلة حين كانت الحركة الصهيونية تولد وتشب وترسم وتخطط وقد جعلت هدفها الأول انتزاع فلسطين من المسلمين وإقامة وطن يهودى بها فى قلب العالم الإسلامى. وسارت الحركة أشواط نحو تهجير اليهود من كل بقاع العالم إلى فلسطين. كان أكثر هؤلاء من القطاع الشيوعى وهذه ملاحظة لا بد من الوقوف أمامها للربط بين الصهيونية الأم والشيوعية المولودة. فكانت الأفواج الأولى التى غذت قيام دولة اسرائيل من اليهود الروس ثم من يهود بولندا ورومانيا والنمسا. وكان التمويل يأتى من الغرب، من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة. وبدأت حركة شراء الأراضى بفلسطين وإقامة المستعمرات اليهودية عليها.

- وبدأت حركة المقاومة من الفلسطينيين أصحاب الديار لهذا الانتزاع المنظم الذى يقوم به اليهود فى حماية بريطانيا العظمى التى كانت تضع على فلسطين منذ استولت عليها من الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى. كانت المعركة بين شعب أعزل يطرد من دياره وبين الخبث اليهودى كله الذى استطاع أن يسخر العالم لتحقيق أهدافه، فكانت الثورة العربية بفلسطين التى ترعّمها مفتى فلسطين سماحة الحاج محمد أمين الحسينى.

- كانت عرى الإسلام تفصم عروة عروة. وبسقوط الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى زالت الخلافة الإسلامية وبدأت الدعاوى القومية، فظهر فى تركيا مصطفى كمال أتاتورك الذى كرس جهده لأن تخلع تركيا ثياب الإسلام قطعة قطعة حتى إنه ألغى الحروف العربية من الكتابة التركية وأحل محلها الحروف اللاتينية. وأى كسب أكبر من هذا لأعداء الإسلام؟.. وكانت النعمة السائدة فى بلاد المسلمين حينذاك هى النعمة القومية... مصر للمصريين، فلا شأن لنا بما يجرى فى غير مصر.. كفانا أن ننظر إلى أنفسنا فإذا استطعنا أ، نحرر بلادنا وأن يذهب إخواننا فى كل مكان إلى الجحيم فقد نجونا! وتبلورت هذه الاتجاهات فى مبادئ الأحزاب فى كل مكان، وفى مصر كان حزب الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول يرفع شعار "الاستقلال التام أو الموت الزؤام" ولا شىء عن مبادئ هذه الأحزاب ولم يكن

يعنيها أن سعد زغلول يشرب الخمر وأن كمال أتاتورك مثلاً أعلى بها. قالها أنور السادات قبيل مصرعه، أن مثله الأعلى هو كمال أتاتورك وأنه نشأ في بيت عقلت على جدرانها صورة أتاتورك.

- من هنا كانت يقظة الإخوان المسلمين وتمسكهم بإسلامهم هما الخطر الحقيقي لذلك المخطط الرهيب الذي راح كموجة المد يأخذ مداها. فإن قدر لها النجاح فقد أعادت على الأرض عهداً من الخلافة الراشدة وإن قدر لها أن تقتل قتلت شهيدة في سبيل الله،

- أدرك الإخوان الأمر على حقيقة ولعل أحداً سواهم لم يدركه. فقام الإخوان في مصر بعملية جمع التبرعات لتمويل إخواننا الفلسطينيين الذين يقاتلون من أجل دينهم ومن أجل إسلام ديارهم وكان ذلك عام ١٩٣٨. ولكن مفتى فلسطين أفاد الأستاذ البنا أن الذي يعوزهم ليس المال ولكنه السلاح. وراح الإخوان يجوبون آفاق مصر وريفها في حركة لجمع السلاح يمدون به إخوانهم المسلمين في فلسطين. ولم يكن الإخلاص وحده يكفي، فتج عن عدم الخبرة بالسلاح أن كانت بين ما جمع الإخوان قطع غير صالحة. وهنا فكر عبد الرحمن السندي لأول مرة في إنشاء نظام خاص لاستيفاء هذه الدراسة وللقيام على أمرها.. اليوم لفلسطين وغداً لمصر ولسوريا وللعراق. الخ. وهكذا نشأ النظام الخاص، مجموعات محدودة لمدة طويلة قبل أن يبدأ في الزيادة والانتشار حوالي ١٩٤٥.

- هذه معلوماتي عن نشأة النظام الخاص عام ١٩٣٨ الذي انضمت إليه عام ١٩٤٦. ولكن لمحمود عبد الحليم رواية تختلف بعض الشيء عن هذه، أن الأستاذ حسن البنا هو صاحب فكرة إنشاء النظام الخاص وأنه بدأه بصالح عشاوي وحسين كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم ولكنه محمود عبد الحليم - رأى نفسه يعمل وحده حتى تم تعيينه في دمنهور فشرح عبد الرحمن السندي ووافق الأستاذ المرشد. هذه القصة لا أنفيها ولكني لا أعلمها إلا من هذا الوجه ولم أسمع بها من قبل. { الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ٢٥٨/١ }

- تهيئة للنظام الخاص

- هذا النظام الخاص كان أكثر أجهزة الإخوان المسلمين فاعلية في تربية النفوس وصقلها بروح الإسلام. ذلك أن الميدان العام للإخوان كان يتلقى الأفراد ملتزمين وغير ملتزمين، صالحين وغير صالحين من المجتمع الذي نعيش فيه بإجباياته وسلبياته، فيمرون بوسائل التكوين التي ذكرنا سابقاً من

دروس ومحاضرات وجوالة وأسرة وكتيبة... الخ، وكل منها يضيف إلى تكوين النفس أشياء. أما الانضمام إلى النظام الخاص فكان من عناصر منتقاة.

- لست أعنى بهذا أن إخوان النظام الخاص كانوا طبقة مترفعة على إخوان الميدان العام، أبدا بل هم منهم ومن صميمهم، ولكنهم هم الذين وقع الإختيار لحمل العبء الثقيل للتضحية والفداء بالمال والنفوس وربما بأكثر من ذلك، وكم من أخ كريم فاضل لم ينتظم في النظام الخاص لسبب أو لآخر لعله أفضل ممن انتظم، كأن يكون العائل الوحيد لأبوين شيخين كبيرين أو لأولاده الكثيرين أو لعدم اللياقة الصحية أو حاجة المجال العام للإخوان لجهدده أكثر من إمكان استفادة النظام الخاص منه، أو مشاكل ذلك من الأسباب. ورب أخ انتظم في النظام ثم لم يكن على مستوى الأمل فيه، ولكن هذا وذاك لا يغير من لأمر شيئا، فإخوان النظام الخاص كانوا صفوة منتقاة لصفات معينة ثم تعهدوا النظام بمزيد من التربية والتكوين والصقل والتأهيل فكانت الثمار رجالا لا يبالون وقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر". أعد رجالا بذلوا من أموالهم ومن ذواتهم وأرواحهم وأمنهم وحرقاتهم ومن مستقبلهم ومن أقوات أولادهم وزوجاتهم وآبائهم وأمهاتهم ومن أمنهم وأرزاقهم ما عز نظيره وما يؤرخ لهم به.

- كما كانوا الروح الدافعة في المجال العام سواء الشعب وأقسام المركز العام خاصة قسم الطلاب وقسم التربية البدنية وقسم العمال. كانت التعليمات تصدر لأكثر إخوان النظام الخاص بالانسحاب من الميدان العام، ثم شعرنا بأثر ذلك عليه فصدرت التعليمات إلى كثير منهم بالعودة إلى مواقعهم مرة أخرى.

- هذا الصنف من الرجال عرفه الصديق والعدو على السواء، بل كان العدو أكثر إحساسا بوطأته وأكثر خوفا ورهبة منه سواء كان صهيونيا أو مستعمرا أو حزبيا انتهازيا أو غير ذلك من الحثالات السياسية التي ظهرت. رجال أراد أولئك أن يصوروهم بصورة الإرهابيين القتلة السفاكين وما كانوا كذلك. على المستوى الفردي كان كل من يعرفهم يعرف أنهم رسل حب وإخاء وسلام وصفاء وإيمان وخشية وتجرد وتوكل. ويعرف من يدرس أعمالهم ويحللها أنها كانت تحركات اضطرارية لمواجهة عدوان وبأقل قدر ممكن من العنف وبأكبر قدر مستطاع من تجنب الضحايا، وكل ذلك في إطار الإلتزام الشرعى بفريضة الجهاد في سبيل الله.

- {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}

- نشاط

- كان لنا في النظام الخاص نشاط كبير، فقمنا بعملية حصر وجرّد لليهود بمصر إذ لم يكن ولاؤهم للحركة الصهيونية محل شك. وأذكر في مجال المقارنة بين اتجاهنا واتجاه الدولة في مصر في ذلك الوقت هذه الواقعة. تسللت ذات ليلة إلى بيت من بيوت اليهود بحى الظاهر التى لاحظنا أنهم يعتقدون اجتماعاتهم بها وكمنت في إحدى شرفاته المتصلة بحديقته واطلعت على اجتماع يهودى داخل البيت، كان بعض حديثه يجرى بلغات غير عربية لم أفهمها وكان يتخلل ذلك حديث بالعربية واذكر أن أحدهم صاح في زميل له يقول " أنت معلق أوراق وتستطيع أن تبرر وجودك... أما أنا فماذا أقول ؟ ماذا أقول إذا سئلت أو قبض على؟! " وقد ضمنت التقرير الذى حررته ذلك الحديت المشبوه وكانه وعنوانه، وقدر لذلك التقرير أن يسقط في يد الشرطة والنيابة العامة بعد ذلك في قضية السيارة الجيب، والعجيب أنه بدلا من أن تهتم تلك السلطات بالتقرير من حيث موضوعه ذهبت تحقق فيمن عسى أن يكون كاتبه لتوجه إليه همة الانتماء إلى النظام الخاص!! هذا التقرير أثبتته النيابة العامة في ملف تحقيق قضية السيارة الجيب بالصفحة رقم ١٩٣٧ من الجزء السادس كما أوردت ذكره حيثيات الحكم، كما قرر الطب الشرعى أنه محرر بخطى.

- من أوراق السيارة الجيب

- إن الأوراق التى تكشف فى قضية السيارة الجيب والتى اقتضى الدفاع عن المتهمين فى حينه التبرؤ منها باعتبارها جريمة يجرمها القانون لى مفخرة يحس بها من يقرؤها اليوم، مفخرة لأى تحرك إسلامى تحررى متقدم على هصره يبدو منه انتشار مصانع الخمور والخمارات التى كانت يملكها ويديرها اليهود، والشركات التى يرأس كلا منها مصرى باشا وجميع إدارتها من اليهود. أسوق لذلك أمثلة معدودة من كثير جدا زخر به ملف القضية. فى صفحة ١٩٣٩ وما بعدها بمحضر تحقيق محمد عبد السلام وكيل نيابة الاستئناف ومحمد سالم حسن كاتب التحقيق يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٣٦٨ الموافق

٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ الساعة ٤٥، ١٠ صباحا بسراى النيابة

- مثال ١ مصانع نسيج القاهرة
- الرئيس: محمد خطاب بك
- الأعضاء: أميل عدس - بيبر ديرمان - رولان لينين - ميبيتو يوسو - موريس يوسو - يوسف زكار - راؤول هنكارت.

- مثال ٢ شركة النيل للمنسوجات
- الرئيس: هنرى دى بتشتو
- نائب الرئيس عبد الرحم البيلى
- الأعضاء: لوسيان دى بتشتو - جوزيف دانوارى - ايلى بصرى
- مثال ٤ تقرير جاء فيه أن "أ.ص" يسكن بالدقى ومتزوج من اسرائيلية وليس له أملاك، وأن قرابته للمرحوم توفيق نسيم باشا هى التى أوصلته إلى المراكز التى شغلها وأنه طرد من الحراسة الألمانية لسرقته ٤٠٠٠٠ جنيه وأنه أحد المتهمين فى قضية زاما والعمرانية وأنه كان رئيسا لبلدية السكندرية وكانت فضيحة الكورنيش على يديه وأحيل إلى المعاش بسببها.

- ثم يضيف المحقق: ويبدو أن المقصود بهذا التقرير هو أحمد صديق باشا
- مثال ٥: شركة البيرة المساهمة بومنتى والأهرام.
- رئيس: رينية اسمعلون
- أعضاء: جورج آرثر مارتن - ستىكر - بير جزنبرجز - جاك فيكتور مورينو - محمد فرغلى باشا.

- مثال ٦ الشركة المصرية للمواسير والأعمدة المصنوعة من الأسمنت المسلح.
- رئيس: موريس موصيرى.

- أعضاء: هنرى برسليون - فيتا فرحات - هنرى كرشفسكى - رالف هرارى - إدوار هيلر - السير الكسندر لويد - حسين سعيد بك.

- مثال ٧ شركة الطوب الأبيض الرملى

- رئيس: إرنست ترمبلى

- أعضاء: يعقوب رسكوب - يوركهات - حمصى - علاء الدين مختار بك

- مثال ٨ شركة مكابس الأسكندرية

- رئيس: على أمين يحيى باشا

- أعضاء ماسيل مكيوه - ارمان نحمدان - يكتور طوريبيل - ريمون أرقش - وليم موستاكى

- جوزيف باردا - دافيد شيكوريل - ليون شيكوريل

- مثال ٩: حسن رفعت باشا وقد حمل رقم ٢٢ { الخاص بالأخ أسعد السيد أحمد

بتاريخ (١٩٤٨/٨/٢٦) جاء به:

- أولاً:

- (١) يقطن حسن رفعت بالعمارة رقم ٢٠ شارع الجبلية.

- (٢) ويشترك فى عضوية ناد بشارع سليمان باشا بالقرب من ميدان سليمان، وهذا النادى

يشترك فى عضويته أشخاص معينون والنادى يقع بنفس العمارة التى بها مكتب الأستاذ على بدوى المحامى

ومحل سجاد كبير والنادى يقع بالدور الأرضى وبابه فى منعطف إلى الشمال.

- (٣) وقد شوهده حسن رفعت وهو يجتمع بالضباط الذين تزعموا حركة إضراب البوليس

الأخيرة، وكذلك شوهده وهو يأخذ أظرف مقفوله من أشخاص يلبسون الملابس البلدية، يعقبها أن يخرج

محفظته ويعطيهم نقودا ورقا.

- (٤) ويتردد حسن رفعت على السفارة البريطانية ويسلم هناك المظروفات التى يتسلمها من

المخبرين.

- ثانياً:

- (١) شوهه يوم (١٧/٨/١٩٤٨) أحد الضباط وهو يقف على باب العمارة وينتظر مدة طويلة، وأخيراً حضر أحد الشبان وهو طالب بالجامعة { حزبي - ذكر اسم الحزب - فاسد الأخلاق وهو ابن أحد أساتذة الأزهر } وأخذاً يتكلمان معاً مدة طويلة وانصرف الشاب ودخل الضابط إلى النادي وخرج بعد مدة، وذهب إلى المنزل رقم (٢٠) بشارع الجبلية، وصعد إلى ما بعد الدور الأرضي، ونزل في رفقة شخص آخر تدل هيئته على أنه ضابط أيضاً وتكلما معاً مدة في الشارع، ثم انصرف الضابط الأول.

- (٢)

- وحضر نفس الشاب الجامعي في اليوم التالي، واتصل بنفس الضابط ويتعقب هذا الشاب وجدته يدخل إلى المنزل رقم... بشارع قولة بعبدين: والمنزل أمامه كشك نور ونخه ورشة تصليح سيارات وقهوة، ويقع المنزل على ناصية قولة والدواوين { وهذا المنزل سبق أن أبلغت عنه أنه مركز نشاط يهودي، إذ بمراقبته إحدى المران نزل منه عشرون شاباً وفتاة... } ثم نزل بعد مصف ساعة تقريباً، وذهب إلى قهوة النيل بميدان العتبة وجلس مع بعض الشبان مدة طويلة، وحضر شاب جامعي أيضاً وانضم إليهم وإن كانت هيئة الآخرين لا تدل على أنهم طلبة، وفي منتصف الليل قام الشاب الجامعي الأول وركب الترام إلى السيدة، ومنها إلى منزله بشارع الصليبية"أ.هـ—

- وتقرير آخر : إن حسن رفعت باشا قد تحول نشاطه في خدمة الإنجليز من محيط الوزارة إلى محيط خارجي، يتلقى فيه تقارير لصالح السفارة البريطانية مباشرة. ورغم خطورة هذين التقريرين وما يكشفانه عن اتصال حسن رفعت باشا - الذي كان من قبل ذلك وكيلاً لوزارة الداخلية بالسفارة البريطانية، وبمناصر يهودية، لم تهتم النيابة العامة أبداً بما جاء بهما وإنما راحت تستجوب أسعد السيد إن كان كاتبه لتوجه إليه الاتهام.

- مثال ١٠ رسم تخطيطي بالقلم الكوبيا يشمل السفارتين البريطانية والأمريكية بقصر الدوارة وعليه بعض التاشيرات بالخطوط والأسهم بالقلم الرصاص الأحمر ومكتوب بالقلم الحبر الأسود بعض إيضاحات عن مواضع معينة وأشير في بعض هذه العبارات إلى مواضع أسلاك التليفون وأنه يمكن تعطيلها بصهر أو قطع اللحامات الموجودة داخل حجرة يمكن فتحها بسهولة، وإلى أن المشرف على

المنطقة من مصلحة التليفونات هو الحاج أحمد العادلى، ويقطن بشارع لبيب نمرة (٢١) بروض الفرج ومعه عشرون عاملا. كما أشير إلى أنه يمكن إحداث العطل من الحجرة رقم (٣٦٧) شارع قصر العينى التى يمتد منها الكابل... الخ. وقد عثر على هذه الورقة بالحفاظة التى ضبطت مع مصطفى مشهور عند القبض عليه.

- وغير هذا كثير جدا يملأ صفحات ملف القضية

- شركات اسمها النيل، والقاهرة، والمصرية... الخ وهى يهودية! وذلك دأهم. مثل ذلك محلات سان مايكل الشهيرة جدا فى إنجلترا وفى غيرها، سان مايكل ترجمته ترجمتها الحرفية" القديس ميخائيل"، فهو اسم قديس مسيحي مع أن ماركس وسينسر أصحاب المحلات من اليهود.

- وعلى ذكر موصيرى {من مثال رقم ٦,٤ وحتى لا يظن أحد أن هذه التقارير كانت خبطا فى ظلام فإني أسوق للقارئ شيئا جاء فى مذكرات لورد كيلرن السفير البريطانى فى مصر يقول كيلرن: {ص ١٣٣} " قالت لى أميرة - زوجة بيتر ولى عهد اليونان وكانت وزوجها من شلة فاروق وكان جميع أسرة ملك اليونان لاجنين إلى مصر أيام الحرب العالمية الثانية: إن " فاروق " يسهر هذه الأيام عند أسرة مصرية من أصل يهودى وهى أسرة موصيرى. وإن هيلين موصيرى الزوجة تحتفظ بتليفون خاص فى غرفة نومها وهذا التليفون لا يعرف رقمه السرى ولا يستخدمه سوى شخص واحد فقط هو الملك فاروق.

- وعندما يحلو لفاروق أن يلعب القمار فى الواحدة فى الواحدة صباحا مثلا فإنه يدق التليفون لهلين موصيرى ويطلب منها أن تجهز له البرتيته وإذا كان فاروق يريد حفل عيد ميلاد لأحد لأصدقائه أو حفلة تنكرية أو مفاجأة لإحدى صديقاته فإنه كان يتصل بهلين موصيرى ويطلب منها اعداد كل شىء" ويمضى كيلون " وحكت لى الأميرة اليونانية أيضا أن فاروق افتحم منزلها ذات ليلة من الباب الخلفى بعد أن تسلق سور الجنيينة وصعد إلى الطابق الثانى. وكان الخدم يعرفونه. ولهذا أغلقوا عليه غرفة نوم الأميرة حتى يستدعوها من حفل راقص كانت تقيمها فى الطابق الأرضى وفشلت جمهور الأميرة بيتر وزوجته فى إقناع الملك فى إقناع الملك بالنزول للحفلة. واستعانت الأميرة اليونانية بأميرتين من أسرة طوسون وبصديقة الملك فاروق اليهودية هيلين موصيرى. ونجح الأربعة فى إقناع فاروق بالعودة من حيث أتى حتى لا تراه أحد على هذه الصورة التى لا تليق بملك يتسلل من أبواب الخدم"أ.هـ

- ومن الأسرة اليهودية التي كانت تحيط بفاروق غير أسرة موصيرى كانت أسرة قطاوى أيضا. ما الذى كان يأخذ فاروق من هيلين موصيرى أو قطاوى أو الممثلة كاميليا واسمها الحقيقى ليليان كوهين أو أى اسم آخر؟ النزوة والمتعة... الخ وما الذى كان يأخذ اليهود؟.. طبعاً كل شيء.

- هذا التغلغل اليهودى سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى، كان يتيح للصهيونية فرصاً لنشاطها على أرض مصر، حتى أنهم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانوا يجمعون السلاح من مخلفات معارك صحراء مصر الغربية لتسليح عصاباتهم فى فلسطين، حتى أنهم قاموا باغتيال "لورد مومين" مندوب الأمم المتحدة فى نوفمبر (١٩٤٤) وحين حكمت المحكمة بإعدام فاتليه تعرضت وزارة أحمد ماهر لضغوط كبيرة، لعدم تنفيذ الحكم، ولكن كانت عليها ضغوط أخرى مضادة أحدها بلا شك أن "لورد مومين" كان إنجليزى الجنسية .

- كذلك قمنا بعملية حصر مماثلة لرجال الأحراب فى مصر، فقمنا بحصرهم فى منتطقتنا ودراسة مساكنهم ومسالكها وما تيسر من المعلومات عنهم. وأذكر أنى قمت ومجموعتى بدراسة بيت النقراشى باشا فى مصر الجديدة وغيره. لم يكن هدفنا حينذاك التعرض لهم ولكنها دراسات متعددة الأهداف، فمن أهدافها كان تدريب الإخوان على هذا النوع من الدراسات، ومنها احتمال الحاجة إليها فى يوم ما لعمل جاد، كما تم حصر عدد من الأهداف المحتملة والعمليات الممكنة تنفيذها، ومنها شغل هذا الطاقة الدفاعة لنا كشباب عن أن يتصرف من تلقاء نفسه بدافع من حماسة كما كان يحدث أحيانا. وفى صفحة (١٩٥٤) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب نجد محرراً تحت رقم " خمسة عشر" ما يأتى:

- المخابرات
- ١- رئيس القسم - يشرف على توجيه أعمال القسم بناء على توجيهات القيادة.
- ٢- وكيل القسم يباشر تنفيذ توجيهات رئيس فرع المخابرات ومسئول أمامه عن نشاط القسم
- ٣- الوحدات - تتكون الوحدة من عدة مجموعات أفرادها منبثون بين الهيئات والحركات، لاستقاء الأخبار وموفاة رئيس الوحدة بما وتوصية الأفراد وأمراء المجموعات كل فى اختصاصه.

- ٤ - الأفراد - يكونون مجموعات حماسية يوزع أفرادها على الهيئات الآتى بيانها ولا يقل عن سبعين شخصا توزيعهم كالتالى:

- ٥ للدراسة والتعقب ١٥ للشيعية
- ٢٤ لسبعة أحزاب وهيئات ٢ جهات أخرى
- ٢ حزب العمال ١٠ نقابات عمال
- ٢ البوليس السياسى ٥ السكرتارية و رئاسة العمليات.

- ٥ - الأقاليم - ويلزم للقسم مكتب فى كل اقليم، وينظم مكتب الاسكندرية على غرار مكتب القاهرة "أ.هـ"

- ولكى تقارن تلك اليقظة المبكرة للنظام الخاص " للإخوان المسلمين والتي جاءت فى وقتها تماما، وكانت السبب الحقيقى وراء تحالف اليهودية والاستعمار وعملاءها ضده، تنقل الآتى بنصه مما جاء فى كتاب " ملفات السويس " صفحة (١٠٣) محمد حسنين هيكل، وكما نشرته له جريدة الهرام يوم (١٥ أكتوبر ١٩٨٦)، ليعلم القارىء أين كان " الإخوان المسلمون " ونظامهم الخاص كاغيرهم يغط فى نوم عميق، وينعم بأمتهع الأحلام. قال : ولم تكن النظم الحاكمة فى العالم العربى قادرة على فهم ما يجرى قرب حدودها على خطوط الهدنة مع اسرائيل. ومن المؤكد أ،ه لم تكن هناك - خصوصا فى مصر - نظرة عميقة إلى طبيعة الفكرة الصهيونية ذاتها، ولا إلى الظروف الاقليمية التى أصبحت فيها إسرائيل واقعا قائما، ولا كان هناك التنبه الكافى إلى طبائع الصراع معها، ولا إلى أساليب إدارته فى المناخ الدولى المستجد، والذى راحت فيه الهيمنة الأمريكية تؤكد نفسها يوما بعد يوم. كانت دوائر الحكم فى مصر - القصر الملكى ومعظم الأحزاب السياسية - لا تعرف مافيه الكفاية عن الحركة الصهيونية وكان النظر إليها فى الفترة التى أعقبت الحرب مباشرة متأثرا بطابع إنسانى، لم يكن له فى حقيقة الأمر مبرر. وكانت معظم المعلومات لدى دوائر الحكم تجيء من الحاخام " حايم ناحوم " (أفندى) حاخام اليهود فى مصر و" أصلان قطاوى " (باشا) وهو أبرز أفراد الجالية اليهودية فى مصر، وكان عضوا فى مجلس الشيوخ المصرى، وكانت زوجته وصيفة شرف لملكة مصر. وكل من هذين الرجلين كان يصور الحركة الصهيونية على

أساساً،ها مجرد تنظيم ليهود لاجئين من جحيم النازى، يبحثون عن مأوى يستطيعون العيش فيه بسلام ومن المحتمل أن كلا من هذين الرجلين لم تكن لديه صورة حقيقية عن مطالب الحركة الصهيونية الجديدة، ومن المرجح على أية حال أن الحاخام حاييم ناحوم (أفندى) كان يعارض فكرة إقامة دولة يهودية، لأن ذلك كان يمكن أن يؤثر على أوضاع اليهود فى العالم كله، فضلا عن أنه من الخطر - وربما من المستحيل - جمع يهود العالم كلهم فى دولة واحدة.

{ لا نذهب مع الأستاذ هيكل إلى حسن الظن بناحوم وقطاوى }

- رغم أن عددا من الساسة المصريين المهتمين بالقضايا العربية، كانوا يحاولون لفت النظر مبكرا إلى حقيقة الخطر الصهيونى، فإن الرأى الغالب فى مصر الرسمية كان يميل إلى اعتبار ذلك نوعا من المبالغة، وربما من هنا أن حكومة مصر طوال مدة الحرب، لم تمنع فى أن يكون فى مصر مركز لتدريب فيلق يهودى يشترك مع الحلفاء فى معارك الصحراء فى أواخر (١٩٤٢) وطوال (١٩٤٣) وكان هذا الفيلق اليهودى هو النواة الأساسية للجيش الاسرائيلى فيما بعد. وحتى عندما بدأت الخطط الصهيونية فى فلسطين تتضح بما لا يقبل مجالا للشك بعد صدور قرار التقسيم، فإن الحكومة المصرية لم تكن على وعى بحدود الخطر الاسرائيلى.

- مثال آخر

- كذلك جاء بصفحة ١٩٤٠ من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب تقرير فريد فى نوعه أثبتته النيابة فى محضر الاطلاع برقم ١٩ وقد حرره الأخ رقم ٥٥ - ولست أعرف من كان - جاء به أن أحد الإخوان { ذكر اسمه } لم يعد يبالي بالدعوة وصار يجاهر بذلك، وأنه يتعاطى الخمر والمخدرات فى مجالسه، وأنه يسعى وراء مطربة { ذكر اسمها } يجتمع بها وأصدقاؤه فى بيت الفنانين بدرج اللبانة بالمنشية، ثم غيروا المكان لأنه صار وكرا شيوعيا ومراقبا من البوليس، وأن الحفلات صارت تقام فى منازل الأصدقاء، وأن صديقا له سهل له الاتصال بشقيقة المطربة المذكورة، وأنه تعرف بفتاة إسرائيلية سنها السادسة عشرة... الخ

- وفى صفحة ٢٨٢٣ سئل الأخ فأجاب بأنه يعرف المطربة ويعرف أختها كما يعرف الصديق المذكور { مما يزكى التقرير } ولكنه نفى تعاطى المخدرات وتعرفه بالفتاة الإسرائيلىة كما نفى معرفته بكتاب التقرير. ولا شك أ، مثل هذه المعلومات كان من الأهمية بمكان أ، تعرفه قيادة الجماعة لاتقاء

آثاره، وأكثر من هذا كان الأستاذ حسن البنا يعرف اتصال بعض الأعضاء بالبوليس السياسى وكان أسلوبه فى ذلك أن يتركه دون أن يشعره بانكشاف أمره، وكان منطقته فى ذلك أنه يمكن استخدام ذلك العميل فى تسريب شىء يريد تسريبه، كما أن الجماعة لا بد أ، تكون هدفا لعديد من الجواسيس فمن عرفناه منهم فغن بقاءه تحت أعين الجماعة أفضل من طرده واتخاذ مجهول غيره بواسطة أعداء الجماعة. كانت عند الإخوان معلومات وافية عن الأنشطة الداخلية والظاهرة للأحزاب وكذا الجماعات الوطنية السرية التى بدأت تظهر مع نهاية الحرب العالمية الثانية خاصة بمنطقى القاهرة والإسكندرية. وقد أخبرنى أحد إخواننا المخابرات بعد ذلك أننا كنا نعلم من قبل عن محمود عيسوى الذى قتل رئيس الوزراء أحمد ماهر. وأنه كان عضوا فى مجموعة من ثلاثة أعضاء من الحزب الوطنى وانهم كانوا يتدربون يوما على استعمال السلاح على الحدود بين صحراء حلوان وحقل ذرة فأصابوا امرأة وقتلت عفوا.

- مخابرات الإخوان

- وكان يتبع النظام الخاص قسم للمخابرات يبدو أنه أنشئ مبكرا، فأدخل بعض إخوان النظام فى الأحزاب والهيئات الأخرى بمصر حتى نكون يقظين لما يجرى على الصعيد السياسى فى مصر. وكان من الأمثلة الناجحة فى هذا الشأن الأخ أسعد السيد أحمد الذى انضم إلى حزب مصر الفتاة حتى وصل إلى الحرس الحديدى الذى أنشأه لحنايته زعيم الحزب الأستاذ أسعد أحمد حسين. ذلك الحرس كان مكونا من ستة أفراد . وأصاب الملل أسعد من تلك المهمة لأنها كانت تحرمه من التردد على دور الإخوان حتى لا ينكشف أمره، فذهب يعرض على الزعيم أن يندس فى صفوف الإخوان ليأتيه بأخبارهم، وأعجب الزعيم جدا بالفكرة فرد موسى إلى أمه. انكشف أمر اسعد بعد ذلك فى قضية السيارة الجيب، وتطوع الأستاذ أحمد حسين كمحام للدفاع عنه، وكان أهم ما عنى به أن يتبين أمرا.... هل كان أسعد من الإخوان واندس على مصر الفتاة، أم كان من مصر الفتاة واندس على الإخوان فقبض عليه معهم!؟

- وفى بعض فترات الخلاف بين حزب مصر الفتاة والإخوان كان للإخوان مؤتمر كبير ومزدحم فى دراهم بالحلمية الجديدة فأرسل الحزب اثنين من أعضائه لتفجير عبوة وسط الجموع. وجاءنا العلم بهما فكنا فى انتظارهما وما أن جاءا وجلسا حتى قبض الإخوان عليهما وحسوهما فى حجرة بيدرهم الدار تحت الحراسة بعد تجريدهما من المفرقات. وطال انتظار الأستاذ أحمد حسين دون أن يسمع

الانفجار، وبعد انتهاء المؤتمر اتصل به الأستاذ البنا تليفونيا وقال له " لك عندنا أمانة، إن كان يهملك أن تستردها فلتحضر" وجاء أحمد حسين فسلمه الأستاذ البنا عضوى حزبه وأكياس المرفقات، ولا أعلم مادار بينهما من حديث، ولكنه كان درسا جعل مصر الفتاة لا تعود لمثلها أبدا.

- ولا يعنى هذا أ، العلاقة بين الجماعة والحزب كانت دائما علاقة خصومة فقد كانت مصر الفتاة حزبا مثل كل حزب من حيث الشكل القانونى ولكنه تميز عنها بجويوية لم تكن لها وضم في صفوفه عددا من الشباب المتحمس ولكنه لم يكن أبدا في حجم الإخوان، وساهم في النشاط السياسى فكانت له مواقف قبلها الإخوان ومواقف لم يؤيدوها، وللحزب في ذلك حقه وللإخوان حقهم.

- وفي خطابه في المؤتمر الدورى الخامس " للإخوان المسلمون عام (١٣٥٧)هـ - ١٩٣٨ م تناول الأستاذ البنا الموقف بين الإخوان ومصر الفتاة، فكان مما قال:

- "وإن كثيرا من الناس يود لو اتحدت جماعة مصر الفتاة مع " الإخوان المسلمون"، هذا شعور ما من شك في أ،ه جميل نبيل، فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير، ولكن الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده. في مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية، وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفي الإخوان من يعتقد أن جماعة مصر الفتاة لم ينضج في نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامى الصحيح نضجا يؤهلهم للمناداة بالدعوة الإسلامية خالصة سليمة، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه، وهو خير كفيل بالصقل والتمييز.

- بقى أمر أخير ذلك هو موقف الإخوان من مصر الفتاة في قضية تحطيم الحانات، ومعلوم أ،ه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد ألقى الإخوان تبعه هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه، لأنها هى التى أخرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تقطن إلى ذلك التغيير النفسانى والاتجاه الجديد القوى الذى طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه... ونحن نعتقد أن هذا التحدى لم يكن وقته بعد، ولا بد من تخير الطرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصورة أخف ضررا وابلغ في الدلالة على المقصد كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامى. وبالرغم من أن المفروض عليهم لم يعترفوا، فقد وجه الإخوان خطابا إلى معالى وزير العدل يلفتون نظر معاليه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها، وأن يسرع بإصدار تشريع

يحمى البلاد من هذه المهالك الخلقية. {أ.هـ}

- وأحيانا كان احمد حسين يزور المركز العام للإخوان المسلمون ويلقى خطاباته وقد ظهرت بقضية السيارة الجيب تفارير بعضها بخط اسعد عن تفجيرات مصر الفتاة ومكانها فضبطت وكانت لها قضية اتم فيها سعد مهدي محمد أبو النجا من الحزب. وتقارير عن الشيخ عبد الرحمن الصوالحي من الحزب الوطنى وأنه كان يحتفظ ببعض المتفجرات لدى الشيخ عبد المنعم النمر - وزير الأوقاف بعد ذلك فى عهد أنور السادات - بمنزله بشبرا فكانت سببا للقبض عليهما. كنت فى زنازة رقم ٦١ نت دور ٦ بسجن مصر العمومى وكان الشيخ نمر يجاورنى فى رقم ٦٠ فكانت صداقة. ورغم الحبس كانت وروحه مرحة فكهة. سأل أسعد عن مبررات التقرير الذى كان سببا فى القبض عليه ولمن كان يكتبه، ولم يشأ أسعد أن يخبره عن مخبرات الإخوان فأجابه بأنه كتبه لنفسه وللتاريخ، فأطلق عليه الشيخ النمر اسم الجبرتى.

- عود إلى الأحداث

- قلنا إن الإخوان قرروا النزول إلى المعترك السياسى مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن ابرز أحداث تلك الفترة اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الحزب السعدى بمصر. لم يكن قاتل أحمد ماهر من الإخوان ولكنه كان من الحزب الوطنى وكان هدفه من اغتياله منعه من إعلان الحرب على دولتى المحور - ألمانيا وإيطاليا - والزج بمصر فى حرب لا شأن لها بها. ونقل هنا عن اللورد كيلرن السفير الانجليزى فى مصر حينذاك ما اثبت فى مذكراته.. فيما نشر فى كتاب " الدبابات حول القصر" ص١٢٨. قال:

- " بعد أسبوع واحد من زيارة تشرشل وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ دق جرس التليفون فى مكتبى. وكان الجنرال سمارت على الطرف الآخر من الخط... وقال لى أنه سمع الآن أن أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء قد أصيب بجراح بالغة عقب محاولة لاغتياله فى ردهة مجلس النواب. وقال إن الجاني أطلق على أحمد ماهر باشا الرصاص من مسدس، إنه أصيب بثلاث رصاصات، وطلب منا المصريون إرسال طبيب عسكرى بسرعة.

- " وعلى الفور اتصلت بالجنرال باجيت لإرسال طبيب من الجيش البريطانى إلى السفارة ليصحبنى إلى مكان الحادث حيث كنت أنوى الذهاب إلى هناك. ولكن بعد عشر دقائق اتصل بي سمارت مرة أخرى ليبلغنى أن أحمد ماهر باشا قد توفى .

- قال محمود العيسوى رحمه الله في التحقيق: إنه ينتمى إلى الحزب الوطنى وذكر محسن محمد فى كتابه " من قتل حسن البنا" {ص ٧٨} عن عبد العزيز على من قادة النضال السرى للحزب الوطنى إن محمود العيسوى من شباب الحزب. ثم نسب إلى الشيخ السيد سابق أنه ذكر للدكتور خالد محمد خالد أن محمود العيسوى من صميم الإخوان المسلمين، وأن الشيخ أحمد حسن الباقورى ذكر فى مذكراته أن النظام الخاص هو الذى وجه محمود العيسوى لاغتيال أحمد ماهر. والذى تؤكد أنه محمود العيسوى رحمه الله كان من الحزب الوطنى ولم يكن من الإخوان.

- متأثرا بجراحه. ورأيت أننى يجب أن أصحب الطبيب معى رغم ذلك للتأكد من صحة تقرير الوفاة. واقترح الجنرال باجيت أن نخطر القادة العسكريين للقوات البريطانية فى مصر أن يقفوا فى حالة استعداد لمواجهة أية طوارئ ووافقته على هذا رأى.

- وركبنا السيارة إلى مبنى البرلمان، وكان البوليس يحاصر المكان تماما، وبعد أن اخترقنا حصار البوليس وجدنا باب البرلمان مغلقا. ولكن جايلز بك {الجنيزى الجنسية} الذى كان يعمل بالبوليس المصرى فتح لنا الباب. وكان كل شىء بالداخل عبارة عن فوضى. واقترح أحد ضباط البوليس أن أذهب لرؤية الجاني الذى احتجزوه فى غرفة مجاورة. وقلت له إن هذا لا يهمنى بالمره. وأننى أريد رؤية رئيس مجلس النواب فورا. وعثرنا عليه فى إحدى الغرف مع عدد من كبار المسئولين وأكدوا لى جميعا حادث إطلاق الرصاص وأن أحمد ماهر باشا مات وأن جثته نقلت إلى منزله.

- "وبصعوبة بالغة خرجنا من المكان الذى كان حافلا برجال البوليس وكانوا يفتشون كل من يقابلونه فى المبنى. وتوجهنا إلى وزارة الداخلية حيث قيل لنا إن النقراشى باشا قد انصرف. وعلى سلم الوزارة قابلت مكرم عبيد باشا الذى أكد لنا الأنباء. وقررت أن أتوجه إلى قصر عابدين فورا. ولم أجد حسنين باشا هناك. فطلبت من كبير الأمناء أن يبلغ الملك فاروق تعزيتى الخاصة. ثم توجهنا إلى منزل أحمد ماهر باشا بالقرب من القبة..."

- " إن وفاة أحمد ماهر باشا خسارة كبيرة لنا فقد كان صديقا شخصيا لى طوال السنوات الماضية. كما كان مخلصا لنا ويساعدنا فى معظم الأحيان. ومن الصعب التنبؤ بآثار هذه الخسارة علينا. ومن الواضح أن الذى قتل أحمد ماهر من الوطنيين المتطرفين. وأنه أطلق على أحمد ماهر الرصاص لاقتراحه دخول مصر بالحزب. وقالوا لى إن هذا الرجل بعث بخطاب إلى أحمد ماهر يهدد فيه بالقتل إذا

مضى في خطته لإعلان الحرب ضد ألمانيا. ، وأن الخطاب وصل إلى رئيس الوزراء في نفس اليوم وسلمه إلى رجال البوليس ولكن يبدو أنهم لم يتخذوا إجراءات كافية.

- وزارة النقراشي

- مات أحمد ماهر وتولى رئاسة الوزراء من بعده - بنفس وزراء الوزارة - محمود فهمي النقراشي باشا.

- ولد النقراشي بالإسكندرية ١٨٨٨ وتخرج في مدرسة المعلمين بالقاهرة ثم أرسل في بعثة إلى جامعة نوتنجهام بالإنجلترا، وبعد عودته اشتغل مدرسا للغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية، ثم عين ناظرا لمدرسة الجمالية بالقاهرة ١٩١٤ - ١٩١٩ فمديرا للتعليم بأسبوط ونقل في العام التالي وكيل إدارة بوزارة الزراعة ثم مساعدا لسكرتير عام وزارة المعارف العمومية.

- وقد انضم إلى حزب الوفد ورفق عام ١٩٢٤ وكيلا لمحافظة القاهرة ثم وكيلا لوزارة الداخلية، وقبض عليه في أواخر ١٩٢٤ في حادث مقتل السير لي ستاك باشا سردار السودان، وأفرج عنه في فبراير التالي، ثم أعيد القبض عليه بعد ثلاثة أشهر لاقامته في بعض الجرائم السياسية ولكنه برىء منها.

- وتولى وزارة المواصلات في وزارات الوفد ١٩٣٠ و١٩٣٦ و١٩٣٧ ثم أخرج من الوزارة لخلافه مع النحاس باشا وانضم إلى أحمد ماهر باشا في تكوين الحزب السعدي { نسبة إلى مبادئ سعد زغلول } وعين وزيرا للداخلية في الوزارة الائتلافية ١٩٣٨ ثم تقلد وزارة المعارف ثم الداخلية مرة أخرى ثم في ١٩٤٠ وزيرا للمالية! وبعد مصرع أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥ تولى رئاسة الوزارة. وكتب إحسان عبد القدوس مقالا في مجلة روزاليوسف عنوانه " هذا الرجل يجب أن يذهب" والمقصود كان السفير الإنجليزي، ولم يتردد النقراشي في مصادرة المجلة والقبض على إحسان عبد القدوس. وبدأ النقراشي شابا نجاهدا وانتهى باشا جلادا.

- كان في نظر الإخوان غيبيا متغطرسا أحقق، أطلق عليه بعض إخواننا اسم " ابو جهل" وكان الأستاذ البنا ينهى الإخوان عن مثل ذلك. وفي وزارته هذه شددنا الضغط في شأن أمانينا القومية مطالبين بالجلء ووحدة وادى النيل واصطدمنا به صدمات عدة في شكل مظاهرات طلابية.

- مظاهرات كوبرى عباس

- وفي عهد هذه الوزارة وقع حادث كوبرى عباس الشهير الذى أعده البوليس كميناً لمظاهرات سلمية قادها الأخ مصطفى مؤمن، خرجت من الجامعة فى اتجاه سراى عابدين، ولكنها ما أن بدأت تجتاز الكوبرى من جهة الجزيرة نحو الروضة حتى حاصرتها القوات من الجهتين ولم تترك لها منفذاً وراحوا يضربون الطلاب بالسياط والهراوات على رؤوسهم حتى سقط كثير من الجرحى وقبضوا على بعضهم. لم يكن لذلك التصرف الأحمق ما يبرره فقد كانت المظاهرة سلمية تفتت مطالبة بجلاء الإنجليز ووحدة وادى النيل، وقد شاع حينذاك أن القتلى بلغوا كذا وكذا، ولكن الذى أوكدته - وقد شهدتها واصابتنى بعض هراوات الشرطة - أن أحداً لم يقتل يومها رغم أن كثيرين ألقوا بأنفسهم من فوق الكوبرى إلى الأبد أو إلى ضفته الطينية من جهة الجزيرة، ولكنها على أى حال كانت مذبحاً أسفرت عن مئات الجرحى، وفضت المظاهرة بعنف بالغ فلم تبلغ عابدين ولم تتجاوز كوبرى عباس، ومع ذلك استطاع مئات ممن شهد المذبحة على الكوبرى الفرار وقبض على كثيرين. واكتسبت هذه المظاهرة شهرتها حيث كانت سلمية تماماً تطالب هتافاتها بجلاء جيش الاحتلال وتتجه إلى القصر الملكى بعابدين فاستقبلها البوليس بكمين ومجزرة لا مبرر لها على الإطلاق.

- عيد ميلاد الملك

- كان ذلك فى الثلث الأول من شهر فبراير ١٩٤٦ ولعله كان فى اليوم التاسع منه. وفى اليوم التالى امتلاً حرم الجامعة بالجرحى من طلاب مظاهرة أمس، كانت رؤوسهم مضمدة وأذرعهم معلقة فى أعناقهم بأربطة الشاش، فكان منظراً مثيراً حتى لمن لم يشهد المظاهرة. وأجمعت الجامعة عن بكرة أبيها على الإضراب احتجاجاً على همجية وزارة النقراشى. وألقيت الخطب الملتهبة فى الجامعة... كانت الجامعة فى أبهى زينة بمناسبة اقتراب عيد ميلاد الملك، وكان مقرراً أن يضع الملك حجر الأساس للمدينة الجامعية، ولكن الطلاب حطموا الزينات وداسوا صورة الملك وفتحوا صنابير الحريق فأغرقوا مكان الاحتفال. ورغم ما حدث بالأمس فقد تحركت جموع الطلاب تريد الخروج فى مظاهرة تحد جديدة. وتصدت قوات البوليس للمظاهرة من شارع الجامعة، وفى خروج المظاهرة من باب الجامعة اندفع أحد طلاب كلية التجارة فسقط تحت عجلات لورى فقتلته، وحمل الطلاب زميلهم القليل وارتدوا به إلى الجامعة، وأرادوا الخروج به فى شكل جنازة، ولكن السلطات أبت. وأخفيت الجثة وظل الحرس الجامعى

يبحث عنها. ثم أمكن تهريبها في سيارة خاصة إلى كلية الطب بشارع قصر العيني وأعطيت التعليمات سرا إلى جميع الطلاب فتسللوا من الجامعة إلى كلية الطب. وأقفرت الجامعة من الطلاب في حين امتلأت كلية الطب، وهناك عاد الحرس الجامعي يفتش الكلية بحثا عن الجثة وكانت قد أخفيت في دولا ب للمهمات بالمشرحة فلم يعثروا عليها، وأقمنا بعض المتاريس وأعدنا الحجارة اللازمة لقتل البوليس.

- وازدحمت قوات البوليس حول الكلية وظلت تتزايد وأمسينا ونحن هناك واستطاع الدكتور كمال عبد النبي { سفير مصر في باريس بعد ذلك } أن يتسلل إلينا داخل الكلية وأن يبلغنا تعليمات المرشد العام بالإصراف فرادى حيث إن النقراشي قد أعطى تعليماته للبوليس بإقتحام الكلية والقبض على كل من يوجد بداخلها. وما كدنا ننصرف حتى قام البوليس بمجمومه على كلية الطب من خلال مستشفى قصر العيني، واعتدى في هجومه ذاك بالضرب على المرضى في أسرقتهم واقتحم الكلية وقبض على من كان مازال بها... واستولى على الجثة، وأعلن إغلاق الجامعة.

- وفي اليوم التالي... عيد ميلاد الملك { ١١ فبراير ١٩٤٦ } - ورغم كل ما حدث - ذهب الملك طبقا للبرنامج السابق وضعه ليضع حجر الأساس للمدينة الجامعية ، ولكن... لم يكن بالجامعة طلاب... كان هناك مصابيح ملونة محطمة وأسلاك كهرباء مقطعة وملقاة في كل مكان وشعلة كبيرة امتدت إليها يد التدمير ومياة تغمر المكان كله، سارت في وسطه سيارة الملك إلى مكان الاحتفال.

- وهناك أقيم الخطباء الذين سبق إعدادهم وألقى كل خطبته ومنهم مندوب عن الطلاب. وسأل الملك " أين الطلاب؟! " فكان مكرم عبيد باشا هو الذى أجابه " في السجون والمستشفيات يا مولانا"

- النقراشي يترنح
- كان الإخوان المسلمين هم زعماء تلك الحركة وقادتها وجنودها، وطلاب الجامعة من ورائهم. ولذلك حين وجه الأستاذ البنا رسالة إلى السراى يطلب فيها إخراج النقراشي من الحكم فقد كان لذلك الطلب وزنه... بل كان - ولو أه، لم يحمل ذلك الأسلوب - بمثابة إنذار. وفي منتصف الليل وقفت سيارة ملكية فاخرة في الحى الشعبى الخلمية الجديدة أمام البيت المتواضع الذى يسكنه الرجل الفقير الذى يهز الدولة ويهز العرش... حسن البنا. وطلب الرجل لمقابلة عاجلة مع رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا. وكان موقف حسن البنا حاسما وواضحا... لقد أساء النقراشي بالاعتداء على أبنائنا الطلاب

الذين لم يقتربوا إنما إلا المطالبة بأمانينا القومية... إنهم لم يطلبوا إلا جلاء قوات الاحتلال ووحدة وادى النيل، وهى مطالب مشروعة لا ينكرها إلا خائن... ولذلك لابد أن يخرج النقراشى من الوزارة. ولم يخرج الرجل من سراى عابدين إلا ومعه وعد بذلك. وسئل عن رأيه فيمن يلي الوزارة من بعد النقراشى، وأجاب لا يهمله شخص من يجيىء.. المهم سياسته.

- مقابلة مع حسنين باشا

- وفى نفس الوقت كانت اتصالات أخرى تجرى معنا نحن الطلاب. اتصل بى عمر أمين سكرتير قسم الطلاب حينذاك وكان طالبا بكلية الهندسة وطلب إلى الحضور - مندوبا عن كلية التجارة - فى موعد حدده بميدان عبد المنعم بالدقى لمقابلة رئيس الديوان الملكى! وفى الموعد جت مندوبين من الإخوان عن سائر الكليات. كنت فى العشرين من عمري وكانوا نحو ذلك. وتقدمنا إلى الفيلا التى كان يقطنها أحمد حسنين باشا فأدخلنا إلى حجرة الصالون. وعلمت أن واسطة الاتصال بين الباشا وبيننا كان الصحفى المعروف الأستاذ مصطفى أمين وكان هو نفسه حاضرا. كما شهد جانبا من الاجتماع كريم ثابت المستشار الصحفى للقصر الملكى. وجاء الباشا وكان حريصا مل الحرص أن يتبسط معنا فى الحديث، وبدأ حديثه بذكرياته عن أيام شبابه وعن رحلته فى صحراء مصر الغربية وعن هوايته للعبة الشيش وأنه أجادها إلى المستوى الذى جعله يحصل على ميداليات وكتوس لتفوقه فى مبارياتها، واستطرد فى الحديث عن لعبة الشيش وأن كل بطل له حيله الخاصة فى تلك اللعبة التى يحرص على ألا يبوح بأسرارها، ولكنه الآن وبعد أن بلغ تلك السن فإنه لا يخجل بتلك الأسرار على أبنائه من الشباب، وظل يدور حول معنى الشباب من زوايا متعددة إلى أن ذكر أن جلاله الملك شاب مثلنا وأنه يحبنا لأننا من جيله ويحس بأحاسيسنا ويشعر بمشاعرنا، وسقط كريم ثابت فقال: إن الملك مثلنا يحب معاكسة الفتيات وله فى ذلك صولات وجولات، ولم يكن منتبها فيما يبدو إلى أننا إخوان مسلمون، وأراد حسنين باشا أن يتدارك الأمر ولكن بعد فوات الأوان. واستمر يقول: إنه لذلك فهو - جلاله الملك - عاتب علينا أشد العتب لما فعله الطلاب فى الجامعة، وإنه فوجيء أشد المفاجأة لأنه كان يفهم وهو قادم أنه إنما جاء ليضع حجر الأساس لمشروع يفيد منه الطلاب حيث يجدون المأوى بدلا من الضياع ويغنيهم عن البحث عن مساكن لا تليق بهم ولا يجدون إيجارها، وأن جلالته رأى الطلاب قبل ذلك يوم اصطحب جلاله الملك عبد العزيز آل سعود لزيارة الجامعة فقال له: "لماذا أرى وجوه الطلاب صفراء يا حسنين؟ لابد أن تعمل

لهم مشروعاً للغذاء" والآن يجيء لمشروع إنشاء المدينة الجامعية فتقابلونه هذه المقابلة يا عجز! قالها بدلال بالغ وتصنع للعشم الذى ينقله لنا عن الملك.

- وأجينا بأن النقراشى أساء وضربنا. قال هناك سلطة عليا فى البلاد وهى الملك وانه باستطاعتنا أن نشكو النقراشى إلى الملك. قلنا إن النقراشى منع المظاهرة سلمية من الوصول إلى قصر عابدين وزج إخواننا فى السجن وهو ما زال يبحث عنا للقبض علينا!.. وانتهى الحديث بيننا إلى أن أصبح صفقة... النقراشى يخرج الحكم ويفرج عن المقبوض عليهم وتحفظ القضايا ونحن نقوم بمظاهرة من الجامعة إلى قصر عابدين تهتف بحياة الملك! حفاظا على كرامته فى البلاد وقد ضحى الملك بالنقراشى وكان كل ما يهمله هيئته هو. وكان ما يهمننا سقوط النقراشى والإفراج عن إخواننا.

- وزارة صدقى

- ذهب النقراشى فى فبراير ١٩٤٦ وجاء من بعد إسماعيل صدقى. ولصدقى باشا تاريخ أسود، فقد ترأس الوزارة قبل ذلك عام ١٩٣٠، وفى بعض الإضرابات الطلابية التى أثارها ضده خصومه أمر البوليس فافتحم المدارس وضرب الطلاب بالرصاص فى الفصول. عاد إسماعيل صدقى وبدأ يخطب ود الإخوان ويطلب علانية - الصفح عن ماضيه ويستشهد فى سبيل ذلك بمستقبله وما سوف يفعل لقد كان الظن أن الملك سيعهد بالوزارة إلى خاله شريف صبرى، فلما عدل عن ذلك فجأة إلى إسماعيل صدقى ظن الرجل أن حسن البنا هو الذى طلبه، ولعله نما إلى علمه أن مقابلة تمت بين وأحمد حسنين. ومر على دار الإخوان بالحلمية الجديدة فلم يجد المرشد العام فانصرف بعد أن ترك له بطاقة وتحرى الأستاذ البنا وقتنا يعلم غياب صدقى فيه عن مكتبه فرد له الزيارة وترك ورأى الإخوان أن يمنحوا الرجل الفرصة التى استجدهاها. وقد أثار هذا تائرا حزب الوفد على الإخوان فقد كان صدقى هو عدوه اللدود. واحتمل الإخوان من أذى الوفد وسلطة السنة صحفه الشىء الكثير، وانحاز الشيوعيون إلى الوفديين فى هذا، فقد كانوا يدركون دائما أبدا أن لا حياة للشيوعية فى وجود الحركة الإسلامية وكثيرا ما ركبوا موجة الوفد.

- ووعده صدقى ووعده... وأسرف فى الوعود. وسافر إلى لندن فى ١٧/١٠/١٩٤٦ وظل يتفاوض مع وزير الخارجية البريطانية مستر بيفن وكان يصحب صدقى فى هذا وزير خارجيته إبراهيم عبد الهادى، وأخيرا عاد صدقى وخرج على الأمة بما اسماه مشروع معاهدة " صدقى - بيفن ". ولم يكن

ذلك المشروع بالذى يحقق للأمة أمانها وإنما كان صيغة أخرى لمعاهدة ١٩٣٦، وبه من النصوص ما يربط مصر بعجلة الامبراطورية العجوز، فقد كان ينص على الوجود الإنجليزي في مصر في حالة الحرب أو التهديد بالحرب، وكان ما عرف عن مشروع المعاهدة قبل سفر صدقي وإبراهيم عبد الهادى إلى لندن يكفى لرفضها فرضها الإخوان وانتقدها. ولكن صدقي أعلن أنه سيوقع المعاهدة... واشتدت مهاجمة الإخوان لصدقي وللمعاهدة، وعادت الجامعة تشتعل بالاضرابات والمظاهرات الفرية التى ظل الوفديون والشيوخيون يكررونها.

- وأطلق بوليس صدقي النار على مظاهرة جامعية يتزعمها الإخوان فرفضها. وفي اليوم التالى ٢٣ / ٩ / ١٩٤٦ تجددت المظاهرات بقيادة الإخوان أيضا وكانت يومذاك مسلحة، فما أن أظهرت قوات البوليس بسلاحها حتى ألقيت عليها تسع قنابل يدوية بشارع الجامعة بين كلية الزراعة وميدان الجيزة - من النوع الصوتى لتخويف البوليس وتفريقه... وقد كان. إلا أن بعض العساكر قد اصيب وتوفى أحدهم في اليوم التالى ٢٤ / ٩. وأصدر صدقي باشا قرارا بإغلاق الجامعات والمدارس وتعطيل الدراسة، وكان وزير معارفه حينذاك محمد العشماوى باشا.

- وفي رسالة من الأستاذ حسن البنا إلى شعب وادى النيل على الصفحة الرابعة من جريدة " الإخوان المسلمون" ١٠ أكتوبر ١٩٤٦ جاء فيها: " إن حكومة صدقي باشا في إصرارها على إجراء المفاوضات لا تمثل إرادة الأمة. وأى معاهدة أو تحالف تتوصل إليه مع بريطانيا قبل أن يتم جلاء قواتها هو إجراء باطل ولن يلزم الأمة".

- وحسب صدقي أن الحالة تحصر بإغلاق الجامعة بؤرة المظاهرات، والواقع أن غير الإخوان لم يكن لهم ميادين أخرى، ولكن الإخوان واجهوه بمظاهرات صاحبة تخرج من المساجد بعد صلاة الجمعة، فشدد حراسته على المساجد وخاصة في أيام الجمعة وكان مستعدا لضرب المصلين في المساجد حتى امتنع بعض الناس عن الصلاة في المساجد... فويل للمصلين! لولا أن غير الإخوان من تكتيكهم فنظموا بعض المظاهرات من المساجد أيضا ولكنها كانت ليلة تخرج بعد صلاة العشاء. وظلت قوات البوليس متأهبة في حالة طوارئ مدة طويلة حتى أصاب رجالها الإعياء. وفي ليلة قررت قيادتها منح بعض قواتهم راحة. كان ذلك يوم ١٦ / أكتوبر / ١٩٤٦ شن الإخوان مظاهرات ضخمة في جميع أنحاء البلاد.

- في تلك الليلة تصادف أن كان الإخوان قد أعدوا عدتهم لمظاهرة من نوع جديد. ففي تمام الساعة السابعة والنصف بدأت مظاهرة في حي شبرا وأخرى في الجزيرة واتجهت قوات البوليس إلى هذين الحيين من أطراف القاهرة . ولكن جمهور الإخوان كما يتجمع فى ميدان العتبة بوسط القاهرة. ومع دقائق الساعة الثامنة من ساعة البريد كان سعد الدين الويللى يعتلى الأكتاف ويهتف بهتاف الإخوان " الله أكبر والله الحمد" واجتمع الإخوان حوله في ثوان وسارت المظاهرة من العتبة بحذاء حديقة الأزبكية نحو شارع فواد وتستمر المظاهرة، فإذا حضر البوليس مرة أخرى فلنتفرق ثم نتجمع من جديد عند شارع عماد الدين وتستمر المظاهرة.... وهكذا. ولكن الذى حدث أن البوليس الذى جذبته المظاهرتان الخادعتان في شبرا والجزيرة لم يحضر فاستمرت المظاهرة من العتبة حتى الإسعاف. ووقف بعضنا هناك يتساءل... والآن ماذا تفعل؟. وكان الجواب " انصرف".

وجاءت قوات البوليس بعد ذلك. لا يطيب لبعض العقلاء هذا الأسلوب من المظاهرات، ويتساءلون ماذا خسر الإنجليز بتحطيم المصاييح؟ لم يكن الأمر أمر المصاييح ولا مركبات الترام ولكنه كان إعلان السخط على الحكومة في سياستها التى تحدث بها إرادة أمتها، فهو أسلوب من أساليب زلزلة أقدامها لإسقاطها حتى لا يتم لها ما تريد. وعلى الأثر أصدر صدقى باشا بيانا يعلن فيه أن بعض الدهماء من المشاغبين فعلوا كذا وكذا. وأنه لن يخضع أبدا لتوجيه الدهماء وأنه ماض فى سياسته وأنه سيوقع معاهدة " صدقى - بيفن" وكان فى ذلك يرد على هتافات المظاهرات... يسقط صدقى ويسقط بيفن.

- يوم الحريق

- وأعلن الإخوان عن يوم الحريق، وهو يوم غير معلن مواعده تحرق فيه الجرائد والمجلات والكتب الإنجليزية كرمز لمقاطعة الإنجليز وإعلامهم وثقافتهم. وتم ذلك فجأة فى ليل ٢٥ نوفمبر ١٩٤٦ فى أماكن عديدة من القاهرة والأقاليم وقد شاركت فى إحراق بعض أجولة فى تقاطع شارع الملك { مصر والسودان الآن } وشارع الملكة نازلى { رمسيس الآن } وقد تم ذلك عن طريق شعب الإخوان وكانت هذه لشعبة حدائق القبة.

- ضرب أقسام البوليس

- ألقى الباشا القفاز فى وجهنا، فلم يكن إلا تصعيد المقاومة. ووزعت أقسام البوليس بمدينة القاهرة على بعض المجموعات لدراستها. وجلست مجموعتنا فى بيت احدنا تعد اللفائف المتفجرة. كان

بكل لفافة بعض أصابع الجلجنايت وبها مفجر اتصل به قطعة من الفتيل السود طوله أربعون سنتيمترا، تكفى اشتعاله أربعين ثانية، وفي نهايته مشعل كيماوى يشتعل بالضغط عليه بزراديه أو بكعب الحذاء.

- كان المطلوب تفجير تلك العبوات في أقسام البوليس ذاتها، في كل قسم عبوة بحيث لا تصيب أحدا. لقد كانت المتفجرات ملفوفة في ورق كرافت فليس لها شظايا ومن الممكن ألا تصيب، ولكن الفرقعة في حد ذاتها كانت مطلوبة لإعلان عن أن قسم البوليس هذا قد ضرب بالقنابل. لم نكن نبتغى أكثر من الفرقعة وكان قسم مصر الجديدة هو نصيب مجموعتنا. وتم توزيع العبوات المتفجرة على المجموعات المشتركة في العملية. وانتظرنا كل مجموعة في بيت واحد منها في انتظار أوامر الانطلاق، ولكن جاءت التعليمات بتأجيل العملية والانتظار في اليوم التالى. وكان اليوم التالى كسابقه مع تعليمات بزيادة دراسة الأقسام.

- وفي اليوم الثالث جاءت التعليمات في الساعة التاسعة والنصف مساء بأن يكون التنفيذ فيما بين الساعة العاشرة والعاشره وعشر دقائق، فمن لم يتمكن من التنفيذ في خلال تلك الفترة فليعد دون تنفيذ. وليس عليه أن ينفذ بعد الميعاد وذلك لخطورة العملية حيث سيكون كل قسم قد علم بما حدث للأقسام الأخرى فيتخذ حيطته وتستيقظ حراسته.

- وتعسرت معنا المواصلات فلم نتمكن من الوصول إلى قسم مصر الجديدة في الموعد المناسب. وعز علينا أن نعود بمتفجراتنا فاتجهنا إلى نقطة بوليس حدائق القبة عسى أن نجد فيها هدفا مناسباً. ولكن كان هناك زفاف في منزل يقابلها وقد امتلأ بالكهارب والزينات التى أحالت الليل نهاراً كما امتلأ الشارع بالأطفال الفرحين بالفرح فانصرفنا عنها إلى هدف آخر. كان ذلك في ٤ ديسمبر ١٩٤٦. وبتنا على جمر حتى الصباح، ثم هاتفتنا على الصحف وقد نشرت أخبار ضرب أقسام البوليس على صفحتها الأولى بخط كبير. وكأنا شعر والدى بشيء فراح يسألنى أين كنت ليلة أمس، ولكنى لم أخبره، وفى لقائنا مع قيادتنا علمنا أن العملية تمت بنجاح وأن جميع إخواننا قد عادوا بسلا، إلا أن أخاننا الذى وضع عبوة قسم الموسكى بميدان العتبة قد حشرها فى نافذة بين الزجاج والحديد فأدى انفجارها إلى شظايا أصابت بعض الناس وشرطة القسم. كما وضعت قنبلة قسم عابدين فى سيارة لورى مما يحمل عساكر الشرطة كانت تقف أمام القسم، وضعتها على المقعد الأمامى إلى جوار السائق الذى كان يغط فى نومه من الإرهاق والتعب، ولحسن الحظ والحمد لله لم تنفجر وكانت هى الوحيدة التى

عشروا عليها صحيحة وأجروا عليها بحوثهم وعرضوها على خبير القنابل والمفرقات بفرقة مطافى القاهرة فوضع عنها تقريرا وصفها فيه وصفا دقيقا وذكر أنها صناعة محلية ثم قال عن النشعل إنه صفيحة أمان تنزع ليشعل الفتيل بالكبريت! فكانت مادة لتكهنا وتذرنا.

- لقد أعلنت وزارة الداخلية عن مكافأة ٢٥٠٠ جنيه {على ما أذكر} لمن يرشد إلى الفاعل أو معلومات تؤدي إلى الفاعل، ولكن أحدا لم يتقدم بأى شيء. وعلى أثر هذه العملية تنازل إسماعيل صدقى عن كبريائه وغطرسته فكتب الملك استقالة في ٨ ديسمبر ١٩٤٦ يتعلل فيها بالمرض. وسقط مشروع " صدقى - بيفن".

- قطار الشرايبة

- كان الإنجليز قاعدة كبيرة فى العباسية عرفت باسم " القرنص " وكان هناك خط سكة حديد يخرج من هذا القرنص حتى يتصل بشبكة السكك الحديدية فى مصر عند الشرايبة. فى هذا المكان - الشرايبة - ينحنى الخط ليتجه نحو منطقة القنال كما تتجه شعبة منه نحو الإسكندرية، ويعترضه مزلقان، ولذلك كان على أى قطار يجتاز تلك المنطقة أن يهدى من سرعته.

- ويبدو أنه هناك موعد ثابت لقطار الجنود المتجه من القرنص إلى القنال وفى ليلة سمعت - وكنت فى منزلى - أصوات انفجارات، ثم نشرت الصحف أن القطار الحربى المتجه إلى الإسماعيلية قد تعرض لهجوم بالقنابل اليدوية أدى إلى مصرع عدد من جنود الحليفة، وأعلنت وزارة الداخلية عن مكافأة خمسة آلاف جنيه لمن يرشد عن الفاعل أو إلى أى معلومات تكشف الغموض عن الحادث. كما أعلنت السفارة البريطانية عن مكافأة أخرى ماثلة - خمسة آلاف أخرى لنفس الغرض . ولم يكن للمكافأتين أى أثر.

- ولقد علمت بعد ذلك أن اثنين من الإخوان أخذوا سلة مما يستعمل فى نقل الخضروات وانتظروا القطار حيث يبطن من سرعته، فكان أحدهما يأخذ القبيلة من السلة ويناولها فينزع مسمار أمانها ويسقطها فى إحدى نوافذ القطار المتحرك فتفجر داخله وسط الجنود ثم يناوله غيرها وهكذا حتى مر القطار. لم يعلن أى بيان عن رقم الخسائر ولم نسمع شيئا فى هذا الشأن ولكن لا شك أنه كان يتناسب مع مقدار المكافأة.

- قنابل عيد الميلاد

- سقط صدقي وعاد ذلك الرجل - السيء عند الإخوان وغيرهم - النقراشى رئيسا للوزارة يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٦. وفي الأيام الأولى من وزارته قمنا بعمليتنا الجماعية التالية. فقد أتى الكريسماس - عيد الميلاد عند المسيحيين الغربيين - وفي هذا اليوم اعتاد جنود الجيش الإنجليزي بكل أجناسه { استراليين - نيوزيلنديين - جنوب أفريقيين.. الخ} اعتادوا أن يحتفلوا به على طريقتهم. هذه الطريقة كانت تقوم أساسا على السكر والعربة في الحانات والكباريهات ودور المجون التي امتلأ بها وسط القاهرة، وكثير منها خصص لجنود "الحليفة" المنجترا في ذلك الوقت، ثم يخرجون في صخب شديد ليجتاحوا ما أمامهم. كانوا ينهون المحلات ويخطفون النساء ويستبيحون كل شيء.

- وقرر النظام مقابلة هؤلاء في سوراخ وسط القاهرة. ولكن قرار النظام جاء متأخرا بعض الشيء، وتصادف أن مكثت في عملي بالبنك الأهلى المصرى حيث كنت أعمل من الصباح حتى الحادية عشرة مساء. فلم أعلم بذلك القرار ولم يبلغنى به أحد. وكان التوقيت المحدد للعملية من الساعة العاشرة إلى العاشرة وعشر دقائق ثم الرجوع. وكانت البارات والحانات التي تعج بهم ذات أبواب زجاجية بشدة بحيث تحطمه وتنفذ من خلاله فتنفجر بالداخل وسط الجنود.

- ولكن حدث شيء من سوء الحظ. فبعد أ، تم تسليم القنابل للإخوان وصدرت التعليمات إليهم، وكانت تصدر إليهم في بيوتهم، حدث في حوالى الساعة الثامنة مساء أن مرت سيارة مسرعة أمام نادى الاتحاد المصرى الإنجليزي بالزمالك، وألقى مجهول قنبلة يدوية من السيارة على النادى ولاذ بالفرار. هذا النادى كان رمزا للصدقة المصرية الإنجليزية، وكان أعضاؤه بعضا من الإنجليز مع بعض المصريين العملاء. وكان لهذا الحادث أثره، فقد أعلنت حالة الطوارئ في البوليس المصرى وبين قوات الجيش الإنجليزي. وانتشر البوليس المصرى العلنى والسرى وكذا قوات البوليس الحربى الإنجليزي انتشرت في الشوارع في حالة من التأهب والترقب لأى محاولة جديدة.

- وكانت التعليمات تقضى بأن من يجد صعوبة في تنفيذ عملياته أن يعود دون أن يغامر بنفسه. ويبدو أن العملية كانت صعبة بالفعل في ظروف اليقظة التامة والتأهب. ومع ذلك فقد نفذ كثير من الإخوان عملياتهم بنجاح فكانت شبه مذبحه للجنود الإنجليزي السكارى. وكانت القوات تروح وتجيء تتفرس وجوه الناس فاشتبه ماهر رشدى حكمدار بوليس العاصمة وكان في لورى بوليس، اشتبه في

شابين يسيران متجاورين في شارع عبد الخالق ثروت وأوقف سيارته ونزل جنوده بسرعة فأحاطوا بهما واقتادوهما معهم في السيارة. كانا محمود نفيس حمدي وصديقي حسين عبد السميع وكانت قنباته ما زالت في جيبه... وصارت قضية وكان حسين ونفيس أول صيد يقع منا.

- عبد المنعم عبد العال نفذ عملياته وعاد إلى بيته بالعباسية، وكان يوم الاحتفال بعرس شقيقته، فشارك أهله الاحتفال حتى منتصف الليل. وحين أراد ابن خالته كمال القزاز الانصراف نزل معه لتوصيله إلى محطة الأتوبيس، ودفعه حماسه أن يأخذ معه قنبلة أخرى. وفي عودته صادف أحد لوريات الجيش الإنجليزي في شارع الملكة نازلي - رمسيس حاليا - يعود بحمولته من الجنود في اتجاه ثكناتهم بالعباسية. وقذف اللورى بالقنبلة فأحدثت دويًا في سكون الليل واجتمع حوله حرس الليل من البوليس المصرى وحاصروه بصفايرهم حتى قبضوا عليه. فكانت قضية ثانية.

- وأودع المتهمون في هاتين القضيتين سجن الأجانب الذى كانت تشرف عليه حكمدارية بوليس القاهرة، هذا البوليس كان الإنجليز هم الذين يديرونه بشكل مباشر، ولذلك كانوا يودعون المتهمين في القضايا السياسية في مراحل تحقيقها الأولى هذا السجن. وكانت نوعية المقبوض عليهم تدل بوضوح وجلاء أن البوليس يتخبط وأنه لا يهتدى إلى شيء فقبض مثلا على سعد الدين الوليلي مدرب عام الجواله ظنا منهم أن هذه الأعمال لابد أنها كانت صادرة عن الجهاز ذى المظهر العسكرى، الذى يرتدى الزى الكاكي ويرفع الأعلام ويدق على الطبول والترومبيتا. كذلك كان محمد فريد عبد الخالق رئيس قسم الطلاب من بين المقبوض عليهم.

- وكان لحسين عبد السميع دولاب في كلية الزراعة كنا نحتفظ فيه بعدد من القنابل اليدوية احتياطا للحاجة إليها في نظراتنا إذا ما اصطدمت بالبوليس واحتاج الأمر. فلما قبض على حسين أردنا استخراج القنابل من دولابه وكان لابد من أحد منا يعرفه. وقال عبد الحميد حسن أنه رآه مرة وأنه ترك معه أحد مفتاحى الدولاب. وذهب عبد الحميد مع أحد إخوان الكلية لتنفيذ المطلوب ولكنهما وجد أن الدولاب قد نقلت من مكانها. وبعد صعوبة بالغة استطاعا التعرف على الدولاب في مكانه الجديد دون لفت الأنظار. وذهبت لأبشر حسينا فقد قدرنا أنه يحمل هم ذلك الدولاب، وكان المتهمون - وكلهم كانوا محبوسين انفراديا - يجلسون على حواف نوافذهم ينظرون إلى الطريق، فقد كان السجن الأجانب في شارع الملكة نازلي، وقبض على وأنا في تلك المحاولة بعد أن أخبرته فعلا ولكنى أنكرت كل صلة لى

بأحد من المتهمين، فأفرج عنى بعد أيام قضيتها في قسم بوليس الأزيكية. وفي الواقع كان من الجائز أن أتهم في القضية لولا أن قسم البوليس حين أحالني إلى النيابة العامة للتحقيق أرسلني سيرا على الأقدام مع أحد عساكر القسم، وفي الطريق أمكنني التفاهم معه ماليا وأن أتصل بمنزلي تليفونيا لأخبرهم. وفي ليلتها أمرت النيابة بتفتيش منزلي وذهبت صحبة البوليس، فلما دخلت غرفتي مع البوليس أنكرتها مما اعتراها من تغيير. لقد أخرج والدي مكنتي ودولابي حيث لم يكن لديهم متسع من الوقت لفرز ما بها، أخرجوها بكل محتوياتها إلى خارج البيت كله. ووضعوا مكانها مكتب أحد إخوتي بعد تفرغه مما به. فما أن فتح الضابط الذي صحبني أدراجه ولا حظ خلوها تماما حتى أدرك كل شيء فلم يتم تفتيش البيت، وهدنا تورا إلى القسم، وبطبيعة الحال كتب تقريره بأنه لم يعثر على شيء يفيد التحقيق. وأفرج عنى.

- ويذكر محسن محمد في كتابه "من قتل حسن البنا" أن النقراشي أبلغ حادث قنابل عيد الميلاد تليفونيا إلى السفير البريطاني سير رونالد كامبل وعرض أن يرسل إلى المستشفى مساعدات إضافية { الأمر الذي يعنى جسامه الخسائر } وأن السفير أجابه بقوله: "إني على ثقة من أنك ستتحذ كل الإجراءات لاستتصال هذا النوع من الجرائم" ثم قام السفير بزيارة النقراشي وقال له: "أتحدث إليك بدون تعليمات ولكني أنقل قلقى الشخصى، إني واثق من أن سلطات الأمن تحت قيادتك تبذل كل ما فى وسعها للقبض على مرتكبى هذه الأعمال الإجرامية... الأمر الذى لا بد أن يكون محيطا للشرطة ومشجعا للمجرمين هو التأخير فى الإجراءات الجنائية والإفراج عن كثير من المتهمين بكفالات بسيطة".

- ولقد كانت ثقة السفير بأن سلطات الأمن تحت قيادة النقراشي تبذل كل ما فى وسعها صحيحة ويعلمه السفير دون شك فإن الذى كان يقود تلك السلطات كان اللواء الإنجليزي الجنسية رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة.

- قال النقراشي للسفير: "ليس فى الإمكان التدخل لدى القضاء، فالمحافظة على مشاعرهم فى الاستقلال والأمان أمر جوهري، لتحقيق الممارسة الصحيحة لعدالة" وأضاف أنه لا شك أن المحاكم المصرية لا تعمل بالسرعة المعتادة فى بريطانيا. وهنا يتبادر سؤال: هل كان نقل المستشار أحمد الخازندار من الإسكندرية إلى القاهرة مصادفة؟

كانت هناك فى الإسكندرية قضية مماثلة لعدد من الشبان الوطنيين اتهموا ب"الاعتداء" على جنود الحلفاء. ونظرت القضية أمام محكمة جنايات الإسكندرية برئاسة أحمد الخازندار بك رئيس محكمة استئناف الإسكندرية.

وصدر الحكم ضد الشباب الوطنى بأقصى عقوبة. ونظر الخازندار بك أيضا قضية أخرى شهيرة اهتم فيها المقاول حسن قناوى بقتل سبعة من الصغار بعد ممارسة الشذوذ الجنسى معهم. وكانت من القضايا التي اجتذبت انتباه الرأى العام ومتابعته وصدر الحكم ضد قناوى بالحبس سبع سنوات، فكان حكما محيرا بل مثيرا بالنسبة لتفكيرنا نحن الشباب. إذا كان قناوى بريئا فكيف يحكم عليه، وإذا كان مذنبا فكيف يقتصر الحكم على سبع سنوات في قتل سبعة لدوافع غير كريمة؟!

المهم. صدر الأمر بنقل أحمد بك الخازندار من الإسكندرية ليشغل وظيفة رئيس محكمة استئناف القاهرة. وقدمت إليه القضيتان. القضية المتهم فيها حسين ونفيس والقضية المتهم فيها عبد العال. ولقد شهدت جلسات القضية الأولى. اعتمد الدفاع أساسا على نفى إتيان المتهمين لأى اعتداء على جنود الحلفاء، ثم على طريقة المحامين ذهب الدفاع إلى أنه إذا افترضنا جدلا أن لهما شأنا في ضرب الجنود الإنجليز السكارى بالقنابل ، فأى دافع يكون وراء ذلك؟ لا شك أنه دافع وطنى يهدف إلى تحرير أرضنا من دنس الاحتلال ... وإذا بالخازندار بك ينتفض فوق منصبه ويدقها بقبضته ويصيح في الأستاذ المحامى الذى كان يترافع بذلك فقال له "كلام فارغ يبه ده يا استاذ اللى بتقوله؟ دول حلفاء موجودين هنا للدفاع عنا بموجب معاهدة الشرف والاستقلال... تبقى فوضى لما نسيب كل واحد يدي أحكام على كيفه وينطلق الأولاد في الشوارع بالقنابل والرصاص! لا ده كلام فارغ ما نسمعوش أبدا!!" من الناحية القانونية الصرفة التي لا شأن لها بأى اعتبار آخر ربما كان كلامه سليما... ولكن... كان هذا الكلام صدمة لنا.

وكشاب مشحون بالحماس في الثانية والعشرين من عمرى رجعت من المحكمة أطلب برأس الخازندار حماية لنا في عملياتنا المستقبلية، واعتبرت أن الرجل يصدر أحكامه والدفاع لم يتم مرافعته... ولعله لم يكن أصدر أحكاما ويبنى هذه الأحكام على أن وجود جيش الاحتلال في مصر وجود شرعى وأن جنوده حلفاء... وأن معاهدة الذل والاحتلال هي معاهدة شرف واستقلال، إنه من وجهة نظرنا رجل صفته كذا وكذا... ولم تكن مفاجأة لى أن أعلم أنه لم يكن رأى وحدى وأن هناك غيرى من تطوع لاغتيال الخازندار. وصدرت الأحكام. حكن على حسين عبد السميع بالحبس ثلاث سنوات وعلى عبد المنعم عبد العال بالسجن خمس سنوات. واستأنف الإخوان الأحكام.

محاولات لتنظيمات

هذا في حين كانت قضية الجلاء ووحدة وادى النيل تأخذ نصيبها من الإهتمام ، بل كانت هي قضية البلاد يتصدرها الإخوان ويضغطون على الإنجليز للجلاء وعلى الحكومات المصرية الهزيمة حقا ليكون لها موقفها الرسمي. وتحت هذا الضغط أعلن النقراشي أنه ذاهب إلى مجلس الأمن لعرض قضية مصر... وذهب.

في ذلك الوقت من عام ١٩٤٧ كان قد ظهر جليا أن للإخوان المسلمين نظاما خاصا يقوم بعمليات خاصة. لم يكن معروفا باسمه ولا بأشخاصه ولكن بأعماله، وربما أيضا بأعمال أتاها آخرون. لم يكن رجل الشارع ليميز بين هذه وتلك، إنما بدأت تنشر حوادث التفجير المنضبطة وغير المنضبطة والاختيالات أو محاولاتها. ومن ذلك اغتيال لورد بأيدى اليهود واغتيال أمين عثمان بيد حسين توفيق وأنور السادات، وغيرهما ومحاوله اغتيال النحاس باشا بتفجير سيارة أمام منزله بجاردن سبتي رجال الملك... الخ.

وكان مصطفى مؤمن في زعامته للحركات الطلابية كثيرا ما يطلب دعم النظام الخاص لمواجهة رصاص البوليس بالمثل ولم يكن يجاب إلى طلبه غالبا ، حيث لم يكن الأستاذ المرشد يوافق على التصعيد الدموي مع من لا ذنب له، حتى ضرب أقسام البوليس كان بعبارات صوتية لا لتدميرها ولا لإصابة من بها.

حينذاك بدأ مصطفى مؤمن في تكوين مجموعتي له خاصة تتلقيان أوامرها منه. ونما علم ذلك النظام، وبدأ التحرى عن أفرادهما وما إذا كان هناك غيرهما. في ذات الوقت كان النقراشي قد اتجه إلى الولايات المتحدة لعرض قضية مصر في مجلس الأمن، لهذا وذاك كلف الأستاذ حسن البنا مرشد الإخوان كلف مصطفى مؤمن بالسفر إلى الولايات المتحدة للدعاية للقضية المصرية فسافر في ٢٦ يولية ١٩٤٧.

وهناك ومن شرفة الزوار تسلق مصطفى درابزين الشرفة يوم ٢٢ أغسطس ١٩٤٧ ونزل إلى قاعة مجلس الأمن يخطب بالإنجليزية متحدئا عن عدم شرعية احتلال الإنجليز لمصر ووجوب جلاء قواها دون أى شروط... الخ . وكان ذلك التصرف مفاجأة للجميع لم يحدث مثله قط، واستدعى رئيس الجلسة حرس المجلس لإخراج مصطفى.

وعاد مصطفى إلى محاولته في يوم آخر وأخرجوه أيضا. وكانت هناك مشكلة خاصة بالجزارين وأخرى بسائقي التاكسي فاتصل بهم مصطفى ونظم معهم مظاهرات لأهداف مشتركة تجمع قضاياهم وقضية مصر. وضاعت دوائر الأمن الأمريكية بنشاطه فأخرجوه من الولايات المتحدة. وبعث إليه المرشد العام أن يتجه إلى إنجلترا للدعاية لقضية مصر ذلك أن موضوع مجموعاته لم يكن قد انتهى في مصر، وذهب مصطفى إلى إنجلترا وترك أمريكا.

تم حصر النظام الخاص بمصطفى وفرز أفراده وتم ضم بعضهم إلى النظام الخاص للإخوان واستبعاد آخرين. وعاد مصطفى فجلس إلى المرشد ينهى إليه ما كان في جولته.

وبعد أن فرغ من ذلك فاتحه المرشد في موضع التكوين الخاص الذى ذكرنا " مصطفى، أنت المرشد أم أنا؟" فأجاب " فضيلتك طبعاً!" واستمر المرشد فى هدوء يشرح له أن الجماعة لا يصلح لها مرشدان، فأما أن يلتزم، وإنا أن يطلب منه أن يتنحى ليتولى مصطفى منصب المرشد العام!" وانتهى الأمر بحل المجموعتين وتعهد مصطفى بلزوم الصف والالتزام بخط الجماعة.

والحقيقة أن ذلك الحدث لم يكن حدثاً مفرداً وإنما نشأت عدة أحداث من مثل هذه التنظيمات كان النظام الخاص يبادر إلى تصفيتهم بفرز عناصرها حتى لا يبقى سوى تنظيم الجماعة وكان ذلك أمراً ضرورياً ولازماً لعدم انقراط السيطرة على التصرفات فى جو مشحون بالحماس.

حادث الجبل

هكذا اشتهر بهذا الاسم. ذلك أننا كلفنا بالبحث عن مكان مناسب بجبل المقطم يصلح للتدريب على استخدام الأسلحة والمفرقات. فقد كان جبل المقطم قريباً من القاهرة فهو لا يحتاج إلى أجازات أو سفر والمطلوب أن يكون المكان موعلاً فى الجبل ميسوراً الوصول إليه بالسيارة. وأن يكون صالحاً كميدان ضرب نار، وأن يكون مستوراً عن الأعين، وأن يكون به ما يصلح أبراج مراقبة للحراسة. ووجدنا كل تلك الصفات فى موقع حين واقعناه على خرائط المساحة وجدناها عبرت عنه باسم الأسيمرات. أما الآن فقد امتدت إليه المنشآت ويقع حالياً جنوب المنطقة الثانية لمقابر مدينة نصر. وبدأ التدريب فى ذلك الموقع بمعدل مجموعتين فى اليوم الواحد، مجموعة تذهب مع الفجر حتى العصر وأخرى تذهب مع العصر وتعود مع الفجر، وكان الذهاب والعودة يتم بسيارة ستیشن واجن، وكان الترتيب ألا ترى مجموعة الأخرى وأن يكون هناك بصفة دائمة فى مكان مرتفع من يرقب المجال حول الموقع بمنظار مكبر، هذا الحارس كان فى استطاعته أن يرى سيارة قادمة بسرعة قبل أن تصل بثلاث ساعة على الأقل. وكانت هناك حفر معدة ليوضع بها كل السلاح والذخيرة ويردم عليها لدى أول إشارة وبذلك تبقى المجموعة فى حالة معسكر وليس معها ممنوعات قانونية.

واستمر ذهاب المجموعات وعودتها بمعدل مرتين كل يوم ولمدة طويلة حتى صنعت السيارة مدقا واضحا مميذا فى الجبل.. وحتى لفتت نظر الحجارة فى محاجر الجبل بأول الطريق. وبلغ الخبر إلى البوليس ونحن لا نشعر. وكان مسئول التدريب يدرّب مجموعة هناك، ومن تكرار التدريب فى أمن وسلام فقد تاغضى عن حذره فتجاوز عن

وضع الحارس مكانه ولم يشعر والجموعة معه إلا بقمم الجبل حوله وقد ظهرت من فوقها قوات البوليس شاهرة سلاحها وتطالبهم بالتسليم وهم منهمكون في تدريبيهم، كان ذلك يوم ١٩/١/١٩٤٨ ونشرت الصحف الخبر.

وحتى هذه الحالو كان هناك إعداد لمواجهةها. أجاب إخواننا المقبوض عليهم بأنهم متطوعون لقضية فلسطين، وهي إجابة كان متفقا عليها. وفي نفس الوقت كانت استمارات بأسمائهم تحرر في مركز التطوع لقضية فلسطين، كما تم اتصال بالحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا وشرحنا له الوضع على حقيقته، وكان متجاوبا معنا تماما فأقر بأن المقبوض عليهم متطوعون من أجل فلسطين وأن السلاح سلاح الهيئة. وبذلك أفرج عن الإخوان وسلم السلاح إلى الهيئة العربية العليا.

ومع ذلك فقد كان للحادث أثر بعيد . ذلك أنه عثر مع المسئول رحمه الله على كشف اشتهر فيما بعد بأنه كشف الجبل يحوى مائة اسم من أسماء إخوان النظام وأرقامهم السرية مرتبين في مجموعات هي المجموعات التي كان مزمعا تدريبها تباعا من منطقة جنوب القاهرة. ولم يعلم أحد من المسئولين عن النظام في حينها شيئا عن كشف الجبل، ولم يذكره المسئول، ولكن ذلك الكشف ظهر بعد ذلك في القضايا وكان من قرائن الاتهام القوية فضلا عن أنه كشف الأسماء التي احتواها.

وقبل أن نمضى مع الإخوان في أحداثهم داخل مصر، اعترض مسيرتهم حادث هام ومثير جاءهم من وراء الحدود... من ذلك الأفق البعيد في الجنوب... من اليمن السعيد.

الفصل السادس

حكاية يحيى حميد الدين

اليمن السعيد

كل شعب على سطح الأرض أخذ بقسط قل أو أكثر من التقدم والرقى إلا هذا اليمن السعيد. لا زراعة غير زراعة القات والزراعة البدائية المحدودة، ولا صناعة إلا الصناعة المتخلفة في الغزل والنسج، ولا طرق ولا مواصلات ولا صحة ولا تعليم ولا مرافق ولا... ولا... لا شيء على الإطلاق... تخلف ليس كمثله تخلف. وليت الأمر وقف عند هذا الحد، إذا لقلنا تجاوزا "هان الأمر" ولرضينا بالهم، ولكن أسلوب الحكم في اليمن أكمل الصورة السوداء البشعة لذلك اليمن السعيد.

كانت اليمن إحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية وكان المنصور والد يحيى حميد الدين مفتيا لمدينة صنعاء. وتوفي الإمام شرف الدين فبويج المنصور خلفا له وظل في منصبه حتى توفي عام ١٩٠٢. وحدث نزاع على الإمامة انتهى بفوز ابنه يحيى فظل يحكم اليمن حتى شهر مارس ١٩٤٨. ولقد تزعم يحيى مقاومة الحكم التركي بالسلاح حتى أرغم الأتراك عام ١٩١١ على توقيع معاهدة تعترف فيها تركيا باستقلال اليمن. ثم انهزمت تركيا في الحرب العالمية الأولى فدعم ذلك استقلال اليمن. وكانت اليمن محط أنظار إيطاليا وأطماعها، كما كانت يسيل لها لعاب الإنجليز الذين كان لهم وجود سياسي وعسكري مجاور في عدن. وتلافيا لأي مواجهات أو متاعب بين الدولتين الاستعماريتين فقد اتفقتا - إيطاليا والمجتراتا - على ترك اليمن وشأنها فلا يتدخل أى منهما فيها.

حدثني أحد الإخوان، كان مدرسا هناك في الأربعينيات، قال ... كانت مدرسة ابتدائية واحدة في صنعاء التحق بها عدد محدود من التلاميذ الذين يعانون الفاقة والمرض. وكان " سيف الإسلام" أحمد ولى العهد وإمام اليمن بعد ذلك هو شخصا الذى يمتحن الأولاد في آخر العام، فكان يتخذ مكانه في شرفة المدرسة. ويصف له التلاميذ في فئاتها أسفل الشرفة. ثم يسأل كل ولد منهم أن يذكر النسب الشريف، فينطلق الولد " مولانا الإيمان المعظم يحيى بن المنصور بن... الخ" حتى يصل به إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد راع هذا الأخ الصديق فقر الأولاد الذى بلغ بهم درجة العرى، فتشفع لهم لدى سيف الإسلام أحمد أن يمن عليهم بجلباب منحه لكل ولد. وبعد تردد وامتعاض وافق " السيف" وصرف لكل تلميذ جلاببا استحق به دعاء وثناء. ومر العام وبلية الجلابيب، وتشجع صاحبنا فعاد يتشفع للأولاد في جلبا آخر في العام الجديد. ولكن سيف الإسلام رفض هذه المرة وأصر على الرفض، فإنه أعطاهم الجلابيب إحسانا في العام الماضى فإذا ما كرر العطاء هذا العام صارت عادة وقد يظن الأولاد بما أن الجلابيب صار حقا لهم يطالبون به إذا لم يمنحه من تلقاء نفسه فيختل نظام الدولة ويتناول السوقة على أسيادهم!

ومرض مولانا الإمام يحيى حميد الدين ذات مرة فاستعان بأطباء استجلبهم من مصر الفتاة مؤقتة... كان أحدهم قريبا لى وعاد يقص... دعاهم وزير المواصلات في مقر وزارته، وكان يجلس على وسادة على الأرض وجلسوا مثله يتحادثون، ودخل الحجرة رجل يحمل كيس بريد أفرغه على الأرض بين يدي الوزير مما به من خطابات. زمد الوزير يده فأخرج من تحت وسادته خاتم البريد والختامة وراح يختم الطوابع وهو ينفخ من كثرة العمل في هذه الوزارة.

كان نظام الحكم فرديا استبداديا مطلقا. شعب يحكمه رجل واحد بمفرده مستعينا في هذا بأسرته وقبيلته...قبيلة حميد الدين. كان باليمن قبائل أخرى كبيرة فكان يجي حميد الدين يحتفظ لديه في صنعاء برهائن من أبناء شيوخ تلك القبائل. إن كانت القبيلة مستقيمة في ولائها وتنعم برضاء الإمام اتخذ من رهائنها موظفين وعمالا في قصره ووزارته، وإن كان الأمر على خلاف ذلك ففي سجن صنعاء متسع... كانت زنازين السجن حجورا - أو حفر- منحوتة في الجبل وأبوابها أغطية علوية من قضبان الحديد تقفل بأقفال يحتفظ الإمام \$\$\$بمفاتيحها. ويخترن المسجونون بها مقرنين في الأصفاد كل اثنين أو ثلاثة أو أربعة معا. ولقد تصادف أم كان الإمام بمفاتيحه على سفر حين توفي أحد المساجين، وبقي أياما مقيدا مع زملائه حتى أتت جنته إلى أن عاد الإمام فأفرج عن الجثة . لقد رفع أعضاء هيئة كبار العلماء بصنعاء عريضة إلى يجي حميد الدين، لم يتسن لنا الحصول عليها كاملة بعد انقضاء أكثر من أربعين سنة، ولكننا عثرنا على مقتطفات منها نضعها بين يدي القارىء وهي تتضمن ولا شك مطالب جريئة. جاء

١- جعل الواجبات المالية أمانة على أربابها كالواجبات البدنية يؤديها الرعايا والملاك طيبة بما نفوسهم، ويحلف ذوو التهم.

٢- إسقاط الجبايات الجمركية والمطالب المعتبرة غير شرعية والمنهى عنها مثل المكس وزكاة الباطن والضرائب التي كنتم تنأون وتتهون عنها وهي التي يسمونها عائدات بيت المال ويلزمها الجلادون أقلاما معدودة ويؤذون بها خلق الله باسمكم وقد أغناكم الله عنها.

٣-... النظر في تحسين أحوال أرباب الدوائر الحكومية كلها بلا استثناء بزيادة المعاشات سدا لباب ذريعة الرشوة ونهب الصعفاء وليخلصوا لكم ولدولتكم في أعمالهم وينصحوا فيما يرفع ولعلى كلمتكم. والعفو تفضلا عن القايا المزمنة التي أرهقت الرعايا إرهاقا وألجأهم إلى الخروج من أوطانهم راغمين لما حل بهم، والتحنن على البقية الباقية، والرفق بهم هو الركن الركين لاستجلاب القلوب واجتذاب الذين ودعوا اليمن.

٤- منع كل ذى سلطة من سيوف الإسلام والأمراء والعمال عن الخوض والتدخل بالتجارة في الرعية ورحمة الناس بالمناكب في معاشهم ومكاسبهم ومهنهم، فقد استاء لهذه الحال الحاضر والبادى ونهى عن ذلك وحذر الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم حيث نهي

عن تجارة ذوى السلطان فى الرعية وتوعد وأنذر من لم ينته عن الإضرار بالمسلمين بما ليس يخفى على سعة معلوماكم. وهذا من أهم الضروريات التى يجب الالتفات إليها.

٥- العفو منه وتنازلا عن المعتقلين فى حجة فقد نالت منهم العقوبة منالها وأصبحوا فى حالة يرثى لها، ولنن أحسنتم إليهم وجبرتم ما تصدع من قلوبهم فستجدونهم كعادتهم من خيرة رجالكم

. وفى رسالة وجهها إليه العالم الجليل الشيخ محمد بن سالم البيجاتى: " يا أمير المؤمنين. إن دخول الجندى فى بيوت الرعية لجباية الأموال أو تأديبهم أو لأى شىء آخر أمر لا يقره دين ولا ترضى به شريعة ولا يقبله أى قانون أو ذوق سليم".

واستتجد اليمنيون الأحرار بالمرشد العام الأستاذ " حسن البنا" فأرسل فى (١٧ فبراير ١٩٤٧) رسالة إلى ولى العهد سيف الإسلام أحمد يناشده فيها الله العمل على رفع مستوى اليمن الاجتماعى، ثم بعث بناء على قرار مكتب الإرشاد العام فى (٢٢ فبراير ١٩٤٧) وجه المرشد العام رسالة مطولة إلى يحيى حميد الدين عبر فيها عن شعور الإخوان نحوه وأمانى الشعب اليمنى. { الدعوة ع٣ص٣١ }
الجمعية اليمنية الكبرى

وبالرغم من الكبت والجبروت الذى خيم على اليمن فقد استطاع بعض اليمنيين المغضوب عليهم الفرار إلى عدن حيث تكتلوا وأنشأوا الجمعية اليمنية الكبرى { الحركة اليمنية الحرة } وكان سيف الإسلام إبراهيم - أحد أولاد يحيى { ولده السادس }، وكل أولاده سيوف الإسلام! قد فر من قبل إلى الحبشة، فعاد إلى عدن وانضم إلى الجمعية وتغيرت كنيته إلى سيف الحق تمييزاً عن إخوته. وامتد نشاط الجمعية إلى داخل اليمن ذاتها، كما اتجه بعض أعضائها إلى الالتحاق بمعاهد التعليم فى مصر.

كان اليمنيون الأحرار فى حاجة إلى كل معونة من كل حر مخلص، وكان الإخوان المسلمون هم حملة لواء العمل للحرية وتخليص المسلمين فى كل الأرض من كل ظلم ونير. وجاء بعض اليمنيين من أعضاء الجمعية إلى الأستاذ المرشد حسن البنا يحكون له حقيقة الأوضاع فى اليمن ويطلبون العون بالرأى، ويعرضون خطة لاغتيال يحيى حميد الدين والاستيلاء على السلطة هناك لتحرير رقاب الناس فى اليمن.

وكان الأستاذ البنا يقدر للدم حرمة فرفض فكرة اغتيال يحيى، وكان منطقته لإقناع إخواننا اليمنيين أن يحيى قد بلغ الثمانين أو جاوزها، وهو شيخ كبير مريض مصاب بالفالج ويشكو هبوط القلب، اجتمعت عليه العلل حتى لقد ظن به الموت من قبل. فإذا انتظرنا أجل الله فيه فلن يطول انتظارنا كثيرا والمار بيد الله فإذا توفاه ملك الموت الذى وكل به فليكن حينئذ تصحيح المسار دون إراقة دماء. وعلى هذا اتفق اليمنيون أعضاء الجمعية والإخوان. وأعطى الأولون الآخرين قائمة بأسماء وزرائهم الذين سيتولون الأمر بوفاة الإمام يحيى لنشرها بجريدة الإخوان لدى وصول برقية منهم بوفاة الإمام.

ومات الإمام يحيى... وأصدر طبيبه الخاص الألمانى شهادة بذلك . وجاءت البرقية إلى الإخوان... وطلعت جريدة الإخوان بالخبر، وبأن عبد الله بن الوزير تقلد مقاليد الأمور باليمن، ونشرت قائمة كاملة لوزراء الوزارة الجديدة... سبق صحفى جبار ذهلت له كبريات الصحف المحلية والعالمية التى لم تحرز مثله ولكن..!

وكما حدث من قبل... عاد يحيى حميد الدين إلى الحياة ! كان ذلك فى شهر فبراير ١٩٤٨ . اغتيال يحيى

المفاجأة مذهلة.. وهى ضربة قدر

وسارع عبد الله بن الوزير ووزراؤه يهنئون الإمام على حياته ويدعون له بالعافية وطول البقاء، وينفون عن أنفسهم ما نشرته جريدة الإخوان بمصر. وقبل الإمام منهم وتظاهر بالاعتناع ، ولكن ذلك التظاهر لم ينطل عليهم. فقد اكتشف يحيى أن هناك شيئا لم يضع يده عليه بكامله، فهو ينشد المهلة حتى يحيط بكافة جوانب الموضوع ويعرف جميع المتأمرين على نظامه قبل أن يبطش بهم. ولم يكن ذلك يخفى عليهم، كانوا يدركونه ويحسونه وكانوا يشعرون بالعيون تحيط بهم وتحصى عليهم أنفاسهم... وهم فى أمس الحاجة إلى لقاءات بتدارسون فيها موقفهم بعد الذى كان. وفى ذلك التوتر والأعصاب المشدودة قرروا - استدراكا لحيواتهم ودفاعا عن أنفسهم وعن أمل شعب اليمن فى الخلاص - قرروا اغتيال يحيى حميد الدين.

جميل جمال ضابط عراقى سابق اشترك فى حركة رشيد على الكيلانى بالعراق أثناء الحرب العالمية الثانية... كانت ثورة من الجيش العراقى على الوجود الإنجليزى بالعراق، وتحرك رشيد بالجيش العراقى فحاصر الجيش الإنجليزى بقاعدة الحبانية والتحم به، ولم يقدر للحركة النجاح ففر رشيد إلى ألمانيا وفر ضباطه كل إلى حيث استطاع. ولجأ جميل إلى اليمن السعيد، واتخذ يحيى حميد الدين منه قائدا لحرسه. بهت قائد حرس الإمام مما رأى من أحوال اليمن... السعيد. وانضم إلى اليمنيين الأحرار . قضى يحيى تفاهته فنزل إلى بساتينه يستروح الهواء ويستشعر الحياة

- ويثبت للناس أنه في صحة وعافية. كان يمشى بين أشجاره ومن ورائه حارسه جميل يحمل الرشاش الصغير تومي جن. وفجأة صوب الحارس رشاشه إلى الخروس وأفرغ في بدنه ثمانين مقدوفا بعدد سني حياته وكأنما أراد أن يستوثق من أنه لن يعود إلى عادته في الرجوع إلى الحياة. ومات يحيى موتاً... فكانت آخر مودة يموتها، وقتل معه اثنان من أبنائه.

هذا ما رُفِه من زمن طويل - من حينها - ولكن جاءتني رواية أخرى عن أحمد رائف عن إبراهيم الوزير - ابن شقيق عبد الله الوزير - أن الذين قتلوا يحيى حميد الدين كانوا ثمانية عشر رجلاً كل رجل من قبيلة حتى يتفرق دمه في القبائل فالله أعلم.

وبدأت الحركة

ونشرت جميع الصحف الخبر هذه المرة... كما نشرت أسماء الوزراء الذين سبق أن نشرتها جريدة الإخوان منذ حوالي ثلاثة أسابيع. وقامت الدنيا وقعدت... أو لم تقعد، فقد صار التواطؤ مع الإخوان ظاهراً لا ليس فيه... وصار موقف الإخوان في غاية السوء. أن يقتلوا جنود الاحتلال في مصر وأن يجاربوا الصهيونيين في فلسطين فهو أمر من وجهة نظر معارضيه في كلام... إرهاب.. وجرائم... الخ. أما أن يقتلوا ملكاً لدولة شقيقة عضو في جامعة الدول العربية فهي سابقة خطيرة لا يكفيها أي كلام... تقوم لها الدنيا، أو تقام لها الدنيا!.. الإنجليز... اليهود... والأحزاب... والسراي... وحتى الشيوعيون الذين اعتادوا معاداة الملكية في كل مكان لا بأس أن يخالفوا مبادئهم هذه المرة بأوامر من موسكو.. وباختصار: الدنيا جميعاً وجدت في ماتم يحيى حميد الدين مناحة مناسبة، وقيصاً جديداً لعثمان! وتلقى الإخوان المهجوم أشكالاً وألواناً من هؤلاء جميعاً كل بأسلوبه وبإمكانياته. فهذه - وفق تصويرهم - دولة بأكملها تسقط في يد الإخوان.. لقد كان الظن بهم أنهم يخططون لقلب نظام الحكم في مصر، ولكن جاءت ضربتهم حيث لم يتوقع أحد... الخ هكذا بدأ الموقف!

هذا في مصر.. فماذا في اليمن؟

قتل يحيى في صنعاء ولم يكن ولي عهده أحمد بما وإنما تصادق وجوده تعز فاعتصم في حجة وهي قلعة منيعة أقيمت على جبل يشق ارتقاؤه. ولم يخطط له الثوار شيئاً. اكتفوا بالانتفاض من صنعاء على أن يديروا حكم اليمن! كان يحيى في الجو المتوتر قبل اغتياله قد ابرق إلى أحمد يستدعيه ولكنه اغتيل قبل أن يصل أحمد. وأسقط في يد أحمد بادئ الأمر، فبعث برقياته إلى ملوك العرب يستغيثهم وكانت برقياته بلغته وأسلوبه "أغيشونا أدركونا آخ آخ آخ" ثم طلب إلى السلطات السعودية السماح له بالالتجاء إلى الأراضي السعودية. واستبطن سيف الإسلام أحمد

ردودهم فاتجه إلى تسليم الأمر بلا مقاومة إلى عبد الله بن الوزير، وأعلن أنه يقبل وساطة الأستاذ حسن البنا ووساطة الفضيل التلاني. كان الفضيل من أحرار الجزائر وقد أصدرت السلطات الفرنسية هناك حكما بإعدامه فعاش حياته في الدول العربية وخاصة مصر ثم عمل باليمن. ولكن الفضيل - ولم يكن داخل اليمن حينذاك - رفض الوساطة اعتقادا منه أ، أحمد لم يعرض قبوله لهذه الوساطة ألا ليستدرجه إلى اليمن حيث يقبض عليه، فقد كان متهما بالاشتراك في تدبير الانقلاب واغتيال يحيى حميد الدين. على كل حال لقد وصلت إلى أحمد بريقة في الوقت المناسب من دولة عربية مجاورة ان دبابتها في الطريق إليه لنجدته.

وفي صنعاء أدلى عبد الله الوزير - رأس الحركة - بتصريح لندوب جريدة المصرى جاء فيع". .. كانت اليمن قديما في مقدمة الشعوب رقيا وثقافة وعلما ونبلا وفضلا، ثم عراها ما عرى وتأخرت الأحوال فيها وحل الفقر بالناس وأخذ يفتك بهم". ووصل سيف الحق إبراهيم إلى صنعاء ورأس المجلس العسكري وألقى فيه خطابا جاء فيه"... لقد سبقناكم بالتضحية بالمناصب في سبيل الصالح العام ودسنا تحت أقدامنا سلطة الفرد وسلطان الطغيان والجبروت، ورسنا لكم المثل العليا لجمع كلمة الأمة لتأخذ مكانها الممتاز بين أمم العالم ... إنكم تنظرون بأعينكم وتحسون بأنفسكم الفرق بين العهدين ، العهد الذى خلق الله منه الأمة فخرجت إلى نور الحرية والكرامة والعهد الذى انطلقتم فيه إلى المعتقلات والسجون" { جريدة الأهرام ١٩٤٨/٣/٢ }. وقال بعض اليمنيين الذين كانوا يتلقون العلم في مصر" لقد كنا نعيش في سجن كبير أشبه بسجون القرون الوسطى، لا حرية في القول ولا حرية في التجارة ولا حرية في الكتابة. كنا نعيش في عهد استبدادى إقطاعى... لقد عاشت اليمن في الظلام دامس وازدادت فقرا وبؤسا بينما ازداد بضعة أشخاص بالذات غنى وبذخا".

وفي صنعاء أعلن ابن الوزير أن عهد من الحرية والسلام قد بدأ، وأطلق سراح جميع الرهائن الذين كان يحتفظ بهم يحيى حميد الدين، وسارع هؤلاء إلى قبائلهم، وقد ذكرت جريدة الأهرام في ٢ مارس ١٩٤٨ أن حكومة ابن الوزير أفرجت عن ٣١٠٠ معتقل وهو رقم كبير. وطلب ابن الوزير إلى جميع الحكومات العربية ولا سيما السعودية الاعتراف به وإمداده بالسلاح. في حين بادرت الأردن تحذره مغبة عمله.

وفي مدينة حجة أُلن أحمد أن أباه جمع كنوزا لا حصر لها من شعب اليمن، وأن جميع تلك الكنوز في صنعاء... وقد اباحها - أحمد - لهم فهي منهم ولهم وهم - شعب اليمن - أصحابها! وهكذا بتلك البساطة استثار احمد قبائل اليمن على صنعاء التي كان يحكمها ابن الوزير، فحدث زحف القبائل على صنعاء تريد نهبها... تريد كنوزها. لقد كانت ضرائب يحيى حميد الدين باهظة دون أن ينفق منها شيئا، وبذلك تراكمت في خزائنه أموال

لا يعلم أحد حقيقتها، وقد قدرها بعضهم بأربعين مليوناً من الجنيهات الذهبية من مختلف العملات، وإلى البيحاني في رسالته إلى يحيى حيث قال "... والعالم أجمع يعلمون أو يظنون أن في اليمن مالا كثيرا وثروة عظيمة لا يستهان بها، ولكن كيف يكون أمرها ومن الذى سيتولاها وما هو المراد من جمعها وتكديسها في الخزائن والمغرات والكهوف كما يشيعون ذلك؟ ولأى شىء تدخر سوى إصلاح البلاد وإسعاد بنيتها؟ فما أجل أن يحصوها وتضبطوها ضبطا تاما ثم تجعلوها تحت إشراف الجامعة العربية التى يهملها أمر اليمن كما يهملكم. فإن لم تتقفوا بها وتعتمدوا عليها فما أسهل أن تؤلفوا هيئة من رجال العلم الصالحين والموثوق بدينهم وأمانتهم لحفظها وتسليمها إلى من يتولى الأمر من بعدكم من أبنائكم الغر أو من الذين ترضاهم الأمة لدينها وديناها وبذلك تكونون قد أبرأتم ذمتكم وحفظتم المسلمين في بيت ما لهم وأنتم المعروفون بزهديكم وورعكم وأنكم لم تبددوا ثروة الشعب وأمواله في سبيل ملذاتكم والمصالح الشخصية.."

انتكاس

أمام زحف القبائل اضطر ابن الوزير إلى إغلاق أبواب صنعاء فحاصرتها القبائل. وبعث الأستاذ حسن البنا باثنين من الإخوان إلى صنعاء لبذل كل في وسعهما لحقن الدماء ووقف الحرب الأهلية باليمن، كانا عبد الحكيم عابدين وأمين إسماعيل رحمهما الله. وبعد أن هبط المندوبان مطار صنعاء بالطائرة وانتقلا منه إلى صنعاء ذاقا، سقط المطار في أيدي القبائل الزاحفة وبذلك حصرا داخل المدينة. وأصيب الإخوان في مصر بقلق بالغ على مصيرهما ومصائر جميع شعب صنعاء.

وبعث ابن الوزير إلى الإخوان بمصر مبلغ مائة ألف جنيه استرليني على دفعتين عن طريق بنك باركليز للدمنيون والمستعمرات وما وراء البحار - بعد أن قبل المبلغ لم يبق بالتحويل مخالفا بذلك القواعد والعرف والأمانة المصرفية. ونال الإخوان من التشجيع الحزبي على قصة هذا المبلغ ماناهم، واتهمت الجماعة بأنها تنهب أموال اليمن! وكان الأستاذ البنا شجاعا في الرد على ذلك. قال إن المبلغ لم يصل ولو وصل لاستخدم في الغرض الذى أرسل من أجله وهو شراء سلاح لأحرار اليمن، وطالب الدول العربية بالتدخل لحقن الدماء وإصلاح الأوضاع في ذلك القطر الشقيق.

كان في صنعاء مخازن للبنادق من طرازات قديمة فتحتها ابن الوزير ووزعها على أهالي صنعاء للدفاع عن مدينتهم وعن ثورتهم التى قامت لتحريرهم، ولكن الطرف الآخر استطاع أن يستميل هؤلاء بالمال والذهب فازداد الموقف

تفاقما. وبعث ابن الوزير إلى الدول العربية وإلى الجامعة العربية مستنجدا ومستغيثا باسم النساء والأطفال خشية سقوط صنعاء في أيدي قبائل جاءت تريد استباحتها في توحش.

وكتبت جريدة أخبار اليوم في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ / ٣ / ١٩٤٨ تقول " إن جلالة الملك عبد العزيز يملك من النفوذ في اليمن ولا سيما في الشمال والغرب ما يجعله سيد الوقف في تلك البقاع. إن ما يغدقه ابن سعود على القبائل لضاربة في البقاع المتاخمة لمملكته وما يهديه إلى زعمائهم وشيوخهم قد جعل قيادتهم في يده، يضاف إلى ذلك العلاقات المذهبية التي تربط الشوافع به وهم أكثر من نصف أهل اليمن. إن بين هؤلاء الشوافع والزبيد الذين منهم الإمام والطبقة الحاكمة والذين هم سكان الجبال غالبا جفاء قديم يسكن حيناً ويثور حيناً. وهم يرون في الملك السعودي ولياً روحياً لهم تربطهم به رابطة المذهب . وقد تضمنت المعاهدة التي عقدها الفريقان على اثر حربهم الأخيرة ما يؤكد هذه الصلة، أو ما يجعل لابن سعود حق حماية الشوافع على حد تعبير أحد وزرائه. إن هؤلاء الشوافع على شدة ما قاسوه قديماً من الإمام الراحل وعلى شدة نفورهم من سيف الإسلام أحمد الذي عرفوه حاكماً قاسياً لبعض مقاطعاتهم مدة طويلة، إن هؤلاء الذين كان ينتظر منهم أن يروا في الانقلاب فرصتهم للإنتقام أو لتبديل أوضاعهم على الأقل قد سكنوا سكونا غريباً وأخلدوا للأمن إخلاداً عجبياً، مع أنهم كانوا في موقف يمكنهم من مضايقة أحمد والقضاء على حركته غداً كانوا محيطين به. ولكن إشارة من وراء الحدود جعلتهم إما أن يلتزموا الحياد وإما أن ينصروا أحمد ويمدوه بالرجال والعتاد، ولقد بادر الملك عبد العزيز منذ بد الحركة إلى إرسال قواته إلى الحدود".

هذا هو الذي نشرته أخبار اليوم. ولكن الأنباء جاءتنا أمامها بأن الدبابات السعودية قد عبرت الحدود بالفعل لنصرة أحمد بن يحيى.

واشتدت المعركة بين من قيل عنهم أنصار أحمد من الزاحفين الطامعين في الكنوز وبين من ثبت من الأحرار يدافعون في بسالة. وأخيراً سقطت صنعاء وتدققت عليها القبائل، وقبضت على الرجل الصالح عبد الله بن الوزير فباعوه بالمال إلى أحمد بن يحيى حميد الدين وصار إعدامه في حكم المقرر بعد أن عاشت حركته أربعين يوماً.

وسيق الرجل الصالح عبد الله بن الوزير مكبلاً بالأصفاد وقد أركب على حمار ووجهه إلى مؤخره، وطلّى هذا الوجه الحر الكريم بالقار. ،استقبل الرجل محتته في صبر وإيمان فما زالت البسمة شفّتيه وأحسبه كان يحمد الله أن أدى واجبه على قدر استطاعته. وتم إعدامه بالسيف رغم محاولات الأستاذ البنا لدى دوائر الجامعة العربية.

وتربيع أحمد بن يحيى إماما جديدا على عرش اليمن... السعيد وأعلن أن الشعب بايعه باسم الناصر لدين الله وكتب بذلك إلى الدول العربية. واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأشارت بقبول الوضع الجديد، وتوالى الاعتراف والتهنئة للملك أحمد من الدول الأعضاء في الجامعة، وكانت المملكة الاردنية الهاشمية أول دولة تستنكر الانقلاب وتعترف بأحمد، ووقفت العراق موقفا مماثلا، وكانت سوريا ولبنان آخر من اعترف بالإمام أحمد ملكا . وكان من المذهل أن تسمع أصواتا لم يمنعها حياء من الدفاع عن الأوضاع المؤسفة في اليمن ولو بطريقة أن تصيح على السود بأنه أبيض. في أعقاب تلك الحركة أصدر الدكتور راشد البراوي كتيباً عن أحداث اليمن قال فيه:

"... ولقد استطاع ملكها { يعنى اليمن } المحافظة على استقلالها إلى أن وقعت الواقعة التي انتهت باغتياله على تلك الصورة التي تتم على الجنب. وكان الملك يحيى يرى أن الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ باستقلال بلاده تنحصر في إبعادها عن كافة المؤثرات الأجنبية، كما يبدو لنا أن تربيته الدينية الشرقية وكانت تجعله ينظر بعين الشك إلى كل مظاعر الحضارة الغربية ويراهم لا تتفق وأحوال الشعب اليمنى!"هـ—

يا سلام...!!

الورتلاني والذهب

كذلك أفاضت الصحف في قصة تناسب الهوايات الصحفية، فقد ذكر أن الفضيل الورتلاني قد خرج من اليمن وهو يحمل ثلاثة أكياس من الذهب. ولسنا ندرى شيئا عن حقيقة أكياس الذهب وهل حدثت فعلا أو هي من نسج الخيال، وإذا كانت حدثت فذهب من كان؟.. ولكن الذى لاشك فيه أن الورتلاني أراد اللجوء إلى السعودية فلم يقبل بها، وكان على سفينة يونانية تعمل على خط ملاحى بين جدة وبيروت. وأبحرت السفينة من جدة إلى السويس وأراد الورتلاني أن ينزل في مصر فمنع من ذلك ووضعت عليه حراسة فوق السفينة تمنعه من النزول حتى اجتازت بع قنال السويس خارجه من بور سعيد إلى بيروت. وفي بيروت رفضت السلطات اللبنانية السماح له بالنزول. وكان على الباخرة بعد ذلك أن تعود إلى جدة، وتكرر في رحلة العودة ما حدث في رحلة الذهاب. ثم عادت الباخرة من جدة إلى بيروت وهكذا... ظلت الباخرة شهورا بين جدة وبيروت لا تغير خطها، والفضيل فوقها تحرسه قوات كل دولة تدخل الباخرة مياها لمنعها من الهبوط فيها وتصوره الصحافة المعادية أنه كان يجلس محتضنا أكياس الذهب!!

وأخيرا... وبطريقة ما نزل الفضيل من الباخرة وأعد له جواز سفر بغير اسمه أقام به في لبنان.

أسباب

لم تنجح ثورة ابن الوزير أن تصل إلى أهدافها ولا بد لكل نتيجة من أسباب. لقد كانت ثورة ابن الوزير سابقة لأوانها من الناحيتين التاريخية والاجتماعية. ولم يكن شعب اليمن قد تحرر أفراده من ريق ما ولده أسلوب الحكم فيها. كانت حرته أعلى ما كان يجب عليه أن يتعلق بها ويعض عليها بالنواجذ، ولكن أكثر من جيل آخره نشأ في ظل يحيى حميد الدين بكل ما فرضه عليهم من استعباد واستبداد فأثرت أغلبية الناس مالوح به أحمد بن يحيى من ذهب على حرته. ولم يكن هذا الشعب في أغليته حتى يوم ذاك قد استعد لذل دمه في سبيل حرته ولكنه كان مستعداً لبذله في سبيل جنهات من الذهب فوضع القيد بيديه في عنقه ويديه.

ولم تكن الجامعة العربية مستعدة على مستوى دولها لتقبل ذلك، فأكثرها حينذاك كانت ملكية، مهما كانت الحقيقة أنه لم يكن ميّتا التدبير لقتل يحيى فلم يكن لملك عربي أن يقبل أو يستسيغ قتل ملك شقيق، مهما كان حكمه فاسداً فتلك مسألة ينظر إليها على أنها داخلية لا شأن لأحد بها.

أما الشعوب فلم تكن تدرى شيئاً خاصة وقد قامت صحافة الأحزاب بشوشرة حادة. ثم كان الانتماء الإسلامي الذي أعلنه عبد الله بن الوزير وصحبه مما لا يرحب به شرق ولا غرب، حتى الشيوعيون الذين كانوا يلعنون ملوك الدنيا قاطبة صاروا يتباكون على الملك يحيى وقيموه له مآتماً وعويلاً. ولم يكن قد حدث في أي دولة عربية انقلاب بعد ولا حتى الجمهوريات التي يتغير رئيسها بطبيعة نظامها فكيف بالنظم الملكية. إلا أن ابن الوزير وإن لم يصل إلى تغيير الحكم في اليمن فما من شك أن حركته قد هزت أعماق كل يمني وأشعلت في قلبه شرارة الحرية ولئن قلنا إنها كانت سابقة لأوانها فقد كانت هي التي أنضجت الأوان لما يحيى بعد.

فقر وأمراض وظلم فادح

{ القاضي الزبيرى }

الفصل السابع

الخازندار في خبر كان

السبب

مر بنا حين تناولنا قنابل الكريسماس كيف امتلأ بعض شباننا بأ، القاضي أحمد بك الخازندار رئيس محكمة استئناف القاهرة كان يرى شرعية الوجود الإنجليزي في مصر بموجب معاهدة ١٩٣٦

وتطوع بعضنا لتخليص الحركات التحررية منه فإن أماننا منطلقا كبيرا وجهادا مريرا طويلا، فإذا سمحنا لهذا السيف أن يظل قائما يقتطع من أطرافنا وأعضائنا فأى خسارة سوف تصيبنا وأى تضحيات من ذواتنا سوف نقدمها على مذبح الحرية بدون ميرر. تلك كانت النظرة عند شباب يتعجل تحرير وطنه. وعلمت أنه تم اختيار من يقوم بهذه المهمة. فصرت أول شيء أفعله كل صباح أن أقلب الصحف بحثا عن الخبر... ومرة الأيام دون أن أقرأ الخبر الذى انتظره وعدت أفاتح فى الموضوع وأسأل عن سبب البطء، وجاء الجواب إننا نبحث عن عنوان الرجل ونجد صعوبة فى ذلك فإن اسمه ليس فى دليل التليفونات، وربما كان هذا طبيعيا فقد كان منقولا من الإسكندرية ولعله لم يحصل على تليفون بعد أو حصل عليه ولم يدرج فى الدليل. وأخيرا عرف أنه كان يقيم فى ضاحية حلوان.

اغتيال

وعادت الأيام تمر بطيئة ونحن نتصبح بالبحث فى صحف الصباح، حتى كان يوم ٢٢/٣ / ١٩٤٨... كنت فى عملى بالبنك الأهلى حين شاهدت أحد الموظفين الأجانب يندفع وسط المكاتب ويصيح "جهدوا حساب أحمد بك الخازندار" فسأله أحدهم "لماذا؟" قال "جاءنا خبر الآن بالتليفون أنه مات... ضربوه بالرصاص".

لم يكن الخبر عند موظفى البنك أكثر من أنه "حادثة" وأن حسابه سيجمد حتى يمحصر الورثة ويتحدد نصيب كل وارث، ولكنه عندى كان أكثر من ذلك. وما أن انتهى عمل اليوم بالنسبة لى حتى انطلقت أطمئن على ما حدث، ولكن لم تكن الأخبار مطمئنة. لقد اغتاله اثنان من إخواننا فى الصباح ولكن قبض عليهما.

كيف اغتيل الخازندار

وقع الاختيار على حسن عبد الحافظ ومحمود سعيد زينهم لاصطياد الرجل. وبعد مراقبة الرجل أياما علم أنه يذهب إلى المحكمة فى باب بالقاهرة ويعود إلى حلوان بالمواصلات العادية، سيرا على الأقدام إلى محطة سكة حديد حلوان ثم قطار حلوان إلى باب اللوق ثم المواصلات المعتادة. كذلك أبانت الدراسة أن قسم بوليس حلوان لا تتبعه سيارات! وعلى ذلك وضعت الخطة أن ينتظر خروج الرجل من بيته... فيغتاله حسن بالمسدس بينما يقف له محمود حارسا وحاميا لانسحابه بالمسدس وبقنابل يدوية صوتية، ثم ينسحبان ويمنعان تتبعهما من الجماهير

بإطلاق الرصاص في الهواء وإلقاء القنابل. ويكون انسحابهما في غير تتبع من أحد إلى بيت عبد الرحمن. ولقد باتا ليلتهما عنده أيضا في هذا البيت، بيت عبد الرحمن السندی.

وفي الصباح الباكر وقبل الموعد المعتاد لخروج الخازندار من بيته كان الصائدان يترصدان ذلك الخروج. ثم خرج في خطوات وثيدة لا يدرى ما هو مبيت له. وكان محمود بعيدا بعض الشيء يرقب الطريق والمارة ويرقب أيضا أخاه في المهمة، بينما تقدم حسن وأطلق بضع طلقات لعلها كانت ثلاثا لم تصب الهدف. ولم يضع محمود الفرصة فترك مكانه وتقدم نحو الخازندار وقيل إنه أمسك به من ذراعه وأوقعه على الأرض، كان محمود مصارعا ورياضيا وكان مكتمل الجسم مثل الجمل الأورق، وصوب إليه مسدسه فأفرغ فيه ماشاء، ثم تركه وانسحب بزميله وقد خرجت الأرملة تصيح من الشرفة وتقول " ألم أقل لك؟ يا أحمد بك ألم أقل لك؟" { أنا مش قلت لك؟ }

كان العجلاتي القريب من البيت يفتح محله حين سمع إطلاق الرصاص وصراخ الزوجة ونظر فوجد الخازندار ممددا على الأرض في دمانه وانطلق العجلاتي بإحدى دراجاته إلى قسم البوليس فأبلغ الأمر. وهنا كانت مفاجأة. القسم الذي كان معلوما خلوه من السيارات تصادف أن جاءته من القاهرة سيارة في تلك اللحظة لنقل بعض المحجوزين به. وانطلق الكونستابل الذي كان يصاحب السيارة بها في أثر الفارين.

وتغير الموقف فاتجه محمود وحسن صوب الجبل بدلا من اتجاههما إلى بيت بحلوان والذي يعرف جبل المقطم يعلم أنه ليس مجالا مناسباً للفرار في تلك المنطقة. واجتازا في انسحابهما هذا بعض أسوار الحدائق والبيوت، وسقط حسن فجذعت قدمه، واضطر محمود أن يحمله أو يسند به بعض الوقت. وتوالت قوات البوليس من القسم نحو الجبل ثم لم يلبث الجبل أن ضرب عليه حصار من العباسية إلى حلوان على مسافة تزيد عن ثلاثين كيلو مترا، وتقدمت تلك القوات إلى داخل الجبل الأجرد فقبضت على محمود وحسن. وأنكرا كل صلة لهما بالحادث. وجرى التحقيق ليلتها في قسم حلوان بمعرفة النائب العام محمود منصور، ثم نقلوا إلى القاهرة. في اليوم التالي وجدتني أشهد جنازة الخازندار إلى مسجد شركس وقد سار فيها جمع من رجال القضاء.

الحكم

وطال التحقيق وكذلك المحاكمة، وتظاهر حسن بالمرض العصبي وأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وقدمت البحوث والتقارير والمناقشات حول مرضه ومدى مسئوليته الجنائية في ظل الحالة التي تنتابه.

وفي قضية مصرع الخازندار عمد الدفاع إلى تأجيل النظر بكافة الحجج، ومن المعلوم عن القضايا " الساخنة " أنها تبرد" بمضى الوقت، وكان هذا في الواقع ما يهدف إليه الدفاع. وكان الأستاذ فتحي رضوان من هيئة الدفاع وقد بنى مرافعته أساسا على براءة المتهمين مما نسب إليهما من قتل القاضي الخازندار ثم لجأ إلى الدفاع الاحتياطي فقال... ومع ذلك نفرض جدلا أنهما قاتلاه، فما الدافع لهما على ذلك؟ وذكر ما شاء تحت هذا العنوان ثم ختم مرافعته بتحذير... إنما نار فحذار أن تطفئوها بالبزين! وأخيرا صدر الحكم في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ على محمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالأشغال الشاقة المؤبدة.

ردود الفعل

كان للحادث ردود فعله السيئة في كافة المجالات، فلدى القضاء كان الإستياء على أشده، فمن المعلوم أن الأحكام تصدر بأغلبية آراء أعضاء المحكمة وليس برأى رئيسها وحده. ومهما حدث... لم تجر العادة أبدا أن يعتدى على القضاة. ولقد حاولت النيابة بعد ذلك في بعض قضايانا اتخاذ الحادث كقميص عثمان لاستعداد القضاء علينا. ومع ذلك فقبل أن يغتال أحمد الخازندار نظر النقض المقدم من حسين عبد السميع في الحكم الصادر بحيسه ثلاث سنوات، ورفض النقض. ثم لقي الخازندار مصرعه، ونظر النقض المقدم من عبد المنعم عبد العال في الحكم الصادر بسجنه خمس سنوات، وقبل النقض وأعيد نظر القضية إلى دائرة جنابات أخرى فحكمت ببراءته. وربما كان في القضية الثانية ما يركز عليه النقض بخلاف ما يركز عليه النقض بخلاف القضية الأولى... ولكن طبائع الشباب لا تحملها دائما على هذا الحمل.

لقد كان اغتيال الخازندار جريمة قتل جزاؤها الإعدام، ولكن عدم الحكم بالإعدام ربما يعكس أن رأى القضاء لم يتعد عن الاعتبارات التي عرضناها. وكما ترك الحادث أثره في دوائر القضاء كذلك استغلته الدعاية الحزبية المضادة ولا سيما حزب الوفد أسوأ استغلال لمهاجمة الإخوان فكان موضوعا ثانيا مع موضوع يحيى حميد الدين ومعاصرا له. ورسم كاريكاتير صحافة الأحزاب الأستاذ حسن البنا يلعب بالسكاكين والمسدسات ونال الإخوان من التشهير أكثر مما نال اليهود من حادث قتل لوردموين وما نال اسرائيل من فضيحة لافون! وفي الواقع أنه ولو أن اللذين قتلوا أحمد كانا من الإخوان بل من إخوان النظام... ولو أن ذلك القتل تم بناء على تعليمات صدرت من رقم واحد في النظام... وبالرغم من أن تلك العملية كانت تجاوبا مع ما في نفوس بعضنا إن لم يكن كثير منا... بالرغم من كل ذلك فقد كانت عملية فردية.

ذلك أن الوحيد الذى ينطق باسم الجماعة ويحدد اتجاهها هو المرشد العام. فماذا كان موقف المرشد العام؟ لقد كان الرجل رحمه الله أكثر الناس مفاجأة بهذا الحادث، فاللذان قتلا الرجل من جماعته ومع ذلك لم يؤخذ رأيه ولم يخبره أحد مسبقاً... وهذه هي الحقيقة. غضب الأستاذ " المرشد " غضبا شديدا وناقش عبد الرحمن الحساب وكان مما قال " أودى وشى فين من حسن بك الهضيبي؟" لم يكن اعتراض الأستاذ البنا مقصورا على تخطيط العملية وإنما انصب اعتراضه في المقام الأول على شرعيتها. كان من رأيه أن من حق القاضى أن يخطئ وأن اغتياله غير جائز شرعا.

وهنا وبعد أن عرفنا هذا انتكست أحاسيسنا وارتد حماسنا لهذه العملية وأشفقنا أيما اشفاق على حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم. اننا نفعل ما نفعل - كل ما نفعل - جهادا في سبيل الله ابتغاء رضاه فإذا انتهينا إلى أن العمل غير جائز شرعا فمن شأن هذا أن يضيينا بصدمة. لست أدري لماذا لم نحاول أن نعالج المشكلة معالجة شرعية، لم نحاول أن نؤدى الدية إلى ورثة الخازندار وأ، نسترضيهم حتى يرضوا... ربما كانوا رضوا وربما كانوا رفضوا... ولكننا لم نحاول.

قد يذهب البعض إلى أنها سيئة للنظام الخاص، باعتبار أ، وجوده يحمل في طياته احتمال مثل تلك الاندفاعات بما لا يمكن تجنبه وبما يعنى أن قيام النظام في حد ذاته كان خطأ من هذا الوجه. وفي هذا مناقشة للموضوع في غير إطاره. فإننا إذا أرجعنا الأمور إلى مناخها العام لوجدنا أن النظام قد كبح جماح كثيرين من أن ينطلقوا بدافع الحماس الذى ساد تلك السنوات بكل مبرراته إلى أعمال لا حصر لها من مثل هذه. فكم من أفراد أرادوا تنفيذ أشياء منعها النظام، فإذا أفلتت عملية أو عمليتان ولو من المسئولين في النظام ففى موازين الإنصاف يمكن القول إن هذه مقابل تلك، ودون زعم أنه قياس بمعناه الشرعى نذكر أن سيف الله خالد بن الوليد قد قتل في بعض سراياه من أدى شهادة الإسلام باجتهاد خاطيء أنكره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حدث مثل ذلك مرة أخرى منه أيضا في حروب الردة بما أنكره عليه ابو بكر وعمر. وسألنى سائل : إذا حكم قاض أفغاني مسلم في محاكم أفغانستان على المجاهدين الأفغان على أساس أن الوجود الروسى شرعى في أفغانستان، أيكون قتل ذلك القاضى خطأ؟

لست اقصد بهذا السرد أنى أؤيد العملية وأدافع عنها، ولا يسعنى هذا بعد أن استبانة كافة جوانبها، إنما أردت أن أوضح أبعادها كما حدثت، أما الآن فلا يسعنى إلا أن أقر بخطئها. لئن قلنا انه كان بحسن قصد فإننا نقول ايضا أنه كان أمرا جسيما، وحين رفضه الأستاذ حسن البنا وأنكره فقد كان يقدره حق قدره.

مشروع تهريب

ولقد شددت عملية الخازندار أعصابنا شدا عنيفا، وكان اعتمادنا بمحمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالغا، لست أقصد مجال الدفاع في القضية وتوكيل أفضل المحامين للدفاع عنهما. ولكننا كنا نعد لعملية أكبر، هي تهريبهما من السجن باقتحامه ليلا وإخراجهما منه.

وقمت دراسة العملية... مباني السجن من الخارج ومسالكه من الداخل ونظام الحراسة فيه... وأعدت معدات الاقتحام... سلام من الخشب يمكن طيها وفردها. وسلام من الحبال ذات عقد وذات عقل من الخشب... واختير مكان الاقتحام من سور السجن الخلفى الجنوبي... ودرس كل ما سوف تقابله مجموعة الاقتحام، وتم اختيار هذه المجموعة ودربت على العمل الموكول إليها وانتخب السلاح المناسب وكان في جملته من الرشاشات الصغيرة والمسدسات، ولم يكن مع الطرف الآخر من حراس السجن سوى بنادق قديمة الطراز مما يحشى طلقة طلقة يقدموا الأطعمة. وتم استمالة بعض حرس السجن بالمال واعتاد الإخوان المسجونون أن يقدموا الأطعمة للحراس وكان مقررا أن تكون الأطعمة ليلة التنفيذ أطعمة محذرة وشهية. وصنعت مفاتيح لأبواب السجن وزنازينه وتم تجربتها على أبوابها، وأعدت السيارات اللازمة للاختطاف كما أعد المخبأ الذى يلجأ إليه الهاربان... ودرس نظام الإنارة في المنطقة لقطع التيار الكهربائى ساعتها. وكان كل شىء يسير فى مساره المرسوم.

ولكن جاء حادث السيارة الجيب ومحنة ١٩٤٨ وقبض على المخططين للعملية وعلى بعض المرشحين للإشتراك فيها قبل التنفيذ، وحتى مفس المفتاح الذى كان مقررا أن يفتح أبواب السجن سقط مع ما كان بالسيارة الجيب ولم يلتفت أحد من المحققين ولا من البوليس السياسى وفتها إلى أنه مفتاح "السجن"، سجن مصر العمومى رغم تردد أعضاء النيابة على السجن عدة مرات خاصة محمد بك عبد السلام رئيس نيابة الاستئناف الذى كان يتولى التحقيق فى قضية السيارة الجيب والذى لا شك رأى المفتاح الكبير المميز ضمن أحرار القضية كما رآه أمثاله بأيدى جاويشية السجن، ولكنه لم يربط بين الاثنين. فلبث محمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالسجن بضع سنين، خمسا أو ستا، إلى أن قامت الثورة فأصدرت هفوا خاصا عنهما.

وفى جريدة "الأخبار" المصرية بتاريخ ١٩٨٦/٤/٩ كتب الوزير المفوض محمد أحمد الخازندار نائب مدير الإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية - نجل الفقيه - تعقيا على مقال للمستشار عبد الحميد يونس - لم نطلع عليه - تعرض فيه لحادث اغتيال والده المستشار أحمد الخازندار، وذكر أن هذا الاغتيال تم بيد اثنين من أعضاء التنظيم الخاص للإخوان المسلمين... "الفئة المتعصبة الخارجة عن خط الدين الإسلامى الصحيح"... وأن ملف

القضية لم يفتح بعد الثورة، وكأنه يدعو إلى فتحه. وقد كتبت تعقيبا إلى جريدة الأخبار لا دفاعا عن الحازندار ولا هجوما عليه، إنما وقائع مجردة. ولكن الجريدة لم تنشره.

الفصل الثامن

١٩٤٧ - ١٩٤٨

النقراشى والإخوان

كانت وزارة النقراشى الثانية والأخيرة فترة صدام عنيف بل ومسلح بين الإخوان والحكومة. ولقد أعلن النقراشى أنه سوف يطرح قضية مصر على مجلس الأمن، وبالفعل ذهب إلى الولايات المتحدة وألقى بعض الخطب هناك. كان النقراشى مدفوعا في ذلك بالضغط الداخلى، ولم يكن قادرا - بحجمه الطبيعى - أن يتصرف إزاءه تصرفا كفاحيا جادا. فإن الوصول إلى كراسى الحكم كان هدف كل حزب، ولا يتفق كفاح الإنجليز الرواسى مع البقاء على الكراسى!

وفي يوم ١٩٤٨/٢/٣ اصطدم البوليس بالطلاب في الزقازيق بسبب المطالبة بجلاء جيش الاحتلال الإنجليزى عن مصر، وألقى طلاب مدرسة الزقازيق الثانوية القنابل عليه فأصاب بعض رجاله، واتهم في ذلك نجيب جويفل وحسن عبد الغنى من الإخوان وطلب القبض عليهما ففرا إلى فلسطين حيث انضموا إلى قوات الإخوان المسلمين المتطوعين هناك.

قسم الوحدات

ومع أن النظام الخاص كان هو التشكيل الذى حمل عبء الكفاح المسلح للإخوان، فقد كان هناك جهاز آخر ساهم في هذا النوع من التعليمات، وهو قسم الوحدات الذى كان يرأسه ضابط البوليس صلاح أبو شادى - صاحب حصاد العمر - كانت المهمة الأساسية لقسم الوحدات نشر الدعوة بين عساكر وضباط البوليس وصف ضباط الجيش. أما ضباط الجيش من الإخوان فكانوا شعبة من النظام الخاص. وفي ١٩٤٨ / ٦/٢٠ فجر قسم الوحدات عربة يد محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة، وأحدثت بها تلفيات كبيرة. وبعد أن ذهبت الطنون أن تلك الحارة قد أخذت نصيبها ولن تنفجر مرة أخرى عاد في ١٩٤٨ / ٩/٢٢ فجر قسم الوحدات عربة يد محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة. وأحدثت بها تلفيات كبيرة. وبعد أن ذهبت الطنون أن تلك الحارة قد اتخذت نصيبها ولن تنفجر مرة أخرى عاد في ١٩٤٨ / ٩ / ٢٢ فجر عربة أخرى بها. ولما عجز البوليس

في الحادث الأول عن الوصول إلى شيء أعلن أن الحادث وليد خلاف طائفي بين اليهود فهم يضربون بعضا وأن اليهود القرائين قد نسفوا محلة اليهود الربانيين . فلما وقع الانفجار الثاني استمر البوليس يقول إت الربانيين انتقموا من القرائين بنسف مماثل.

وبين حادثي حارة اليهود فجر قسم الوحدات أيضا ترسكل ممتلنا بالمتفجرات أسفل محل شيكوريل في ١٩ / ٧ / ١٩٤٨، وكان إحدى ليالي شهر رمضان فأفشى بالخل الخراب، وراح ضحية الحادث الأخ الذي قام بالعملية، إذ استبطاً الانفجار بعد أن ابتعد فعاد لينظر ماذا جرى، ووقع الانفجار حينذاك.

مصر الفتاة وآخرون

كان الرأي العام يدرك أن الإخوان هم أصحاب ذلك النوع من العمليات، وكان كبير الثقة بالإخوان حتى إنه حين تقع حادثة ليست على المستوى كان يدرك أنها ليست من صنع الإخوان. من ذلك أن بعض شباب مصر الفتاة أجاد أن يحاكي الإخوان ففرقوا صندوقاً من صناديق الأحمية معبأ بالمتفجرات أمام محل بنزايون بميدان مصطفى كامل ليلا بعد أن أقفل الخل أبوابه. وفي ٢٨ / ٧ / ١٩٤٨ فعلوا مثل ذلك بمحل داود عدس بشارع عماد الدين على سلم خلفي للمحل وفي ٣ / ٨ / ٤٨ ألقى أحدهم قبلة يدوية على مبنى شركة أراضي الدلتا بالمعادي.

كان البغض متبادلاً بين الملك وحزب الوفد، وحاولت السراي قتل النحاس باشا فدفعت بعض عملائها إلى تفجير سيارة مليئة بالمتفجرات أمام منزله. ونجا النحاس من الموت وقد تناثرت السيارة وتعلق رفرها بناموسية سريره. وحرصت صحف الوفد على تصوير تلك العناية الآلمية، وعنى الأستاذ البنا أن يقابل فؤاد سراج الدين - الرجل الثاني في حزب الوفد - ليفهمه أن هذا الحادث ليس من عمل الإخوان وكان الوفد حينذاك يخاصم الإخوان ويهاجمهم، فوجده مدركاً لذلك وأجابه سراج الدين بأنهم يدركون تماماً أ، الحادث ليس من عمل الإخوان وأنهم يدركون من الذي دبره

وإخوان أيضاً

ونشط بعض الإخوان المتحمسين من غير إخوان النظام في عمليات " خاصة". من ذلك الأخ التريزى ا.ع أحد إخوان مصر الجديدة كانت لديه دراجة ومسلس فكان ينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة ثم يطلق عليهم

الرصاص وينطلق بدراجه ، فقتل بعضهم وأصاب بعضا، فعل ذلك في ١١/٨، ١٧/٨، ٢٦/٨ / ١٨٤٨. ولم يقبض عليه. وكان النظام الخاص يحاول أن يجد منه وأن يسيطر عليه بضم من يصلح منهم إلى صفوفه ومحاولة تشييط الآخرين عن نشاطهم فلم تكن كل حركاتهم مرغولة أو صالحة.

الإخوان وفلسطين

ليست صلة الإخوان بقضية فلسطين التي يكفيها فصل في باب من كتاب، فالموضوع أكبر من هذا بكثير. وقد تناول الأستاذ كامل الشريف جانبا منه في كتابه "الإخوان المسلمون وحرب فلسطين". كما أظلم أن محمود الصباغ يتناول هذا الموضوع في كتاب له تحت الطبع.

ولقد بدأ— صلة الإخوان بقضية فلسطين عام ١٩٣٧ حين اندلعت الثورة العربية بفلسطين فجمع الإخوان التبرعات لها ثم بعثوا غلايها بالسلح الذي تسنى جمعه من مصر. واستمر تدفق اليهود على فلسطين تحت الانتداب البريطاني واندلعت المقاومة العربية، ومن حين لآخر كان للإخوان مبعوث هناك... الشيخ عبد المعز عبد الستار.. سعيد رمضان... الشيخ السيد سابق... محمود الصباغ... الخ كان اليهود يقيمون مستعمراتهم في مواقع استراتيجية حاكمة ويسلحونها وكان العرب يقاومون. وحدثت حركة كبيرة ومنتسعة بين الإخوان للتطوع للقتال في فلسطين حتى شملت القطر كله. ولم يكن بوسع المركز العام أن يوفد كل من تطوع، فإن موراده لم تكن بالتى تسمح بذلك. ومع ذلك فقد تجاوز عدد الإخوان الذين دخلوا الأرض المقدسة للتقال ألفين من مصر من القوات الفدائية التى أذهلت العالم بطولاتها وجسارتها وحرصها على الشهادة، وكان على رأسهم الأستاذ محمود عبده والشهيد محمد فرغلى. هذه الوقائع شهد بها فى قضية السيارة الجيب بعد ذلك سماحة مفتى فلسطين والشيخ صبرى عابدين سكرتير الهيئة العربية العليا، واللواء أحمد على المواوى أول قائد للجيش المصرى فى حرب فلسطين واللواء أحمد صادق الذى قاد المعركة فى مرحلتها الحاسمة. نشطت كتائب الإخوان هناك، وفى أول معركة خاضوها فى فبراير ١٩٤٨ ضد مستعمرة دير البلح بالقرب من غزة استشهد منهم أحد عشر من إخوان النظام الخاص، فكانت تلك المعركة ذات أثر فعال فى تفكير الإخوان تجاه القضية.. كانت مقنعة بأ، الحرب لا تكسب بالبطولة وحدها وإنما يلزمها أيضا التخطيط والتدريب والإعداد. وفتحت معسكرات التدريب.

السلح لتطوعينا

وحصل الإخوان ، بتوسط من الجامعة العربية والهيئة العربية العليا لدى وزارة النقراشي، على تصريح بجمع السلاح من صحراء مصر الغربية حيث كانت بقايا معارك الحرب العالمية الثانية ما زالت متناثرة حيث دارت. وكان التصريح لاثنتين من سيارات جريدة الإخوان عليهما اسم الجريدة وشارة الإخوان، غير أن النقراشي مالبت أن سحي التصريح. ولم يكن بوسع الإخوان إذ سحب التصريح أن يمتنعوا عن جمع السلاح بعد أن صار لهم ألفان من المتطوعين لهم وجودهم الفعلي في الميدان ويفنون فيه أكبر الفناء في معاونة الجيوش النظامية بل ونجدتها كلما تورطت أو وقعت في شرك... فكان يلزمهم السلاح والذخيرة... واستمرت حركة الجمع، وكان إخواننا الذين يجويون الصحراء وراء السلاح يشاهدون اليهود يفعلون نفس الشيء من صحرائنا. وفي مصر أنشأنا بعض الترسانات المجهزة بالعدد والأدوات لترميم ذلك السلاح وفحص الذخيرة والمفرقات وكافة أدوات الحرب التي نحصل عليها بعد أن بقيت بالعراء ما بين ثلاث سنوات إلى سبع. وتعرض إخواننا بسبب ذلك لمخاطر مهلكة، ولنفس السبب وقع انفجار بمبنى كان ملحقا بالمركز العام للإخوان المسلمين في شارع محمد علي بالقاهرة بالقرب من مسجد قيسون بفعل لعض الألغام التي تآكلت أجهزة الآمان بها. وأرادت تقارير البوليس وقتها أن تذهب إلى أن اليهود فعلوها ردا على نسف حارتهم، ولكن الأستاذ البنا أعلنها صريحة، إنها مفرقاتنا التي نقوم بإعدادها فخواننا المتطوعين في حرب فلسطين. ولقد أراد بهذا إعلان أننا ما زلنا نجمع السلاح ونصلحه ونرممه بعد سحب الترخيص حتى لا يهاجمنا بعد ذلك أحد بدعوى أن في يدنا سلاحا.. ومع ذلك شهدنا تلك البجاجة بعد ذلك حين عرضت قضايانا على القضاء بتهمة جمع السلاح للعمل على قلب نظام الحكم. يظهر كتبنا هذا بعد سقوط الملك والملكية بأربعة وثلاثين عاما، فلا يضيرنا ابداً أن نفخر بأن ذلك السلاح كان لقلب نظام حكم فاسد انقلب فعلا، ولكن ذلك يجافي الحقيقة، أنه الاقمام السهل ، وقد تكرر ذلك الزعم بعد ذلك ايام جمال عبد الناصر... مزاعم أيضا تجافي الحقيقة لتبرر مذابح للتخلص من الجماعة ثم ليصير جبارا في الأرض.

كان انسحاب الإنجليز من فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو تاريخ إعلان الجيوش العربية الحرب من أجل فلسطين. ولكن الإخوان كانوا هناك من قبل ١٩٤٨ وكانوا يقاتلون في أسوأ الظروف، وأي سوء ابلغ من أن تخونهم حكوماتهم وتطعنهم من خلفهم وتبيعهم إلى عدوهم؟

شركة الإعلانات الشرقية

كانت إذاعات وصحافة الدول العربية و قهون من شأ، اليهود وتصف إسرائيل بأنها "الزعومة" ولم يكن هذا يعنى شيئا، فقد كانت عصابات هؤلاء تتحول إلى جيوش شبه نظامية، ثم نظامية أشد مراسا من الجيوش العربية،

وقامت طائراتهم بغارات على المدن العربية وألفت قنابلها على بعض الأحياء الشعبية بالقاهرة مثل باب الشعرية وعابدين وكانت الجماعات اليهودية ترتكب الفظائع ضد الأهالي المسلمين بفلسطين فكان النشاط الداخلي ضد المنشآت والأماكن اليهودية جانبا من الرد على تلك الغارات... شكيوريل وحرارة اليهود، ثم كان أكبر حادث نسف من هذا النوع هو الذى وقع فى شركة الإعلانات الشرقية بشارع جلال قريبا من شارع عماد الدين بالقاهرة فى ١٢/١١/١٩٤٨، ولقد كانت الشركة مركز العملاء الصهيونية بمصر ومكانا لاجتماعهم وتجميع الأخبار لهم تحت ستار الصحافة والاعلان.

فى كتابه { من قتل حسن البنا } قال محسن محمد: " نفذ الإخوان - كما قال رجال الشرطة - تهديداتهم ضد أكبر وأخطر المؤسسات اليهودية فى مصر. فى ١٢ من نوفمبر ١٩٤٨ أمر السندى بنسف مكاتب ومطابع الشركة الشرقية للإعلان التى يملكها اليهود ويرأسها يهودى... هنرى حاييم" أ.هـ. تلك الأهداف كانت داخل بلادنا ويعمل فيها عمال مصريون مسلمون ومسيحيون، ومحاولة لتلافي وقوع ضحايا من هؤلاء كنا نحاول اختيار وقت متأخر من الليل والمحل ملق، وكان حادث شركة الإعلانات الشرقية قريبا من الفجر فى وقت انصرفت فيه وردية من العمال ولم يبدأ موعد الوردية التالية فالعمال هناك أقل ما يمكن، هذا فى حين كانت حادثنا حرارة اليهود فى منتصف الليل.

وتم حادث شركة الإعلانات بسيارة بيك أب امتلأت بصناديق المتفجرات ساقها رحمه الله أخونا على الخولى حتى حشرها فى بوابة المبنى الكبير للشركة ثم تظاهر بتعطيلها، وأجاب بأن بها ورقا للشركة، وانصرف بحجة إحضار مفك وبعض الأدوات اللازمة لتشغيل السيارة. وبعد انصرافه انفجرت ، وخربت الدار، وظلت السماء تمطر حجارة من حطامها لدقائق بعدها. لقد سمعت ذلك الانفجار من منزلى الذى كان يبعد نحو من سبعة كيلو مترات. ومن المؤسف أن قتل فى الحادث بعض المواطنين فيهم الشرطى المصرى المكلف بالحراسة.

الفصل التاسع

السيارة الجيب

عهدة المدرسة

ذكرنا أن مجموعات النظام الخاص كانت تتلقى دروسا فى بيوت أعضائها مختلف أنواع الأسلحة ولا سيما المسدسات والقنابل اليدوية والمتفجرات والقنابل والتوصيلات الكهربائية لتفجير الشحنات الناسفة. كذلك

كانت هناك رسائل ومطبوعات خاصة بتلك الدراسات، هذا فضلا عن التقارير التي كانت يجورها إخوان النظام دراسة لهدف من الأهداف أو عملية من العمليات أو لمجرد التدريب على تلك الدراسات وأوراق الإجابة لامتحانات مراحل النظام، تلك الأوراق التي صدرت أخيرا أوامر عبد الرحمن السندي إلى مسئول النظام عن منطقة القاهرة بإعدامها. هذه الأوراق وعديد من الأسلحة التي ذكرناها كانت في حاجة إلى مكان لتخفظ فيه. وكنا قد استأجرنا شقة بحى الدمرداش وضعت هذه الحاجيات التي يمكن أن نطلق عليها أدوات أو عهدة المدرسة التي كان يتعلم عليها إخوان النظام بالقاهرة في إحدى حجراتها بينما شغل اثنان من الإخوان الطلاب حجرتين أخرتين.

ورئى النخلص من هذه الشقة. وكان أحد إخواننا عادل النهري طالبا بإعدادى الطب ويسكن بالعباسية، كانت له حجرة خاصة ينزل إليها من حديقة منزله بعدة درجات وكانت أرسنه تسكن فوق تلك الحجرة. وقد استضاف الأخ عادل تلك العهدة مدة طويلة في حجرتة تلك فكانت تملؤها. وانتهى العام الدراسى وكان من مقتضى دراسته أن يتمها في كلية الطب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية لضيق الأماكن بالقاهرة. وقد شرح لنا عادل ذلك قبلها بوقت كاف، وأبلغت بدورى المسئول فوقى رحمه الله فوعد بإعادة البحث عن شقة. ومرت الأيام وعاد أخونا ينبهنا إفلى إلى موعد سفره وتكرر الوعد بأخذ وديعتنا من عنده، وظل الأخ يذكرنا حتى اليوم السابق لسفره فأرسلته مباشرة إلى المسئول فوقى ليتفاهم معه. ولم يعد لى في ذلك اليوم حتى ظننت أن الأمر قد قضى. ولكن في اليوم التالى وأنا أغادر بيتى صباحا في طريقى إلى عملى حضر لى طاهر عماد الدين وسلمنى رسالة من المسئول بنقل تلك الحاجات اليوم بأى طريقة، وأنه قد اتفق مع إبراهيم محمود ليأخذها في مسكنه، وأنه لذلك سيكون في انتظارنا في محله " محل ترزى" بالعباسية طوال اليوم. وعرض طاهر على أن يقدم جهده وخدماته. فاتفقت معه على موعد معين في العباسية. وانصرفت إلى عملى وأنا حائر... كيف أنقل تلك الحمولة؟ وقلت في نفسى لعل المسئول قد اتفق مع أخينا إبراهيم على شىء في هذا الشأن. كنت أخرج من عملى الساعة الواحدة لأعود إليه في الرابعة. كان ذلك يوم الاثنين ١٥ / ١١ / ١٩٤٨ وكنت صائما.

وغادرت عملى إلى محل إبراهيم محمود فلم أجده وأفادنى شريكة أنه نزل إلى البلد لشراء حاجات للمحل. وقلت في نفسى لعل إبراهيم يعمى على شريكه ولعله أن يكون منتظرنا في مسكنه القريب، غير أنى لم أجده به. وانصرفت اضرب أحاسا في أسداس. وأنا في تلك الحيرة صادفت مصطفى كمال وكان من إخوان النظام وفي عهده سيارة جيب مملوكة للنظام كانت مشتراه حديثا من مخلفات الجيش الإنجليزى ولم تكن لها أرقام. وناقشته في المشكلة فوافق على استخدام السيارة في النقل وعرض أن يأخذ العهدة في بيته حتى نجد لها مكانا وهكذا

تراءى لى أن المشكلة قد حليت فجأة. ومررنا فى طريقنا بطاهر حيث كان ينتظرنا، ثم إلى بيت طالب الطب عادل النهرى فحملنا ما كان لديه على العربة وكانت حمولة فوق طاقتها. غير أنه تبين لى أن بطارية العربة ضعيفة وأنها تتوقف أثناء دورانها، ورغم أنى أوجست من ذلك خيفة إلا أنه لم يكن أمامى حل آخر. وفى عودتنا إلى بيت مصطفى قابلنا إبراهيم مصادفة فانصرفنا جميعا إلى بيته حيث أفرغنا حملتنا

سقوط السيارة

كان إبراهيم يسكن فى بيت رجل يريد أن يحمله على إخلاء مسكنه لتشغله ابنته التى على وشك الزواج من مخبر فى البوليس السياسى! ولم نكن نعرف ذلك، وحضر ذلك المخبر حال تفريغنا الحمولة ورآها، فارتاب فى محتوياتها. ولم يخف علينا جميعا ما وراء ذلك، فانتهزت فرصة اختفاء الرجل عن أعيننا - واستنتجت أنه ذهب لإبلاغ رؤسائه بما رأى - وأعدت كل الحمولة إلى العربة لننطلق بها، وقد تم لنا ذلك عاد الرجل، ووجدنا صعوبة فى إدارة محرك السيارة الجيب بسبب ضعف البطارية ولم يدر الخرك، وبدا الموقف حرجا للغاية... وراح المخبر يصرخ، وبذلك صار الموقف ميؤوسا منه فتركنا كل شىء وانطلقنا نبتعد والمخبر والناس من خلفنا، حتى قبض على طاهر وعلى، أما مصطفى فقد استطاع الفرار، وعاد إبراهيم إلى محله حتى قبض عليه ليلا.

سوء حظ

كنت ومصطفى وطاهر وإبراهيم نرتدى - بدون أى اتفاق - بنطلونا من الفانلة الرصاصى وبلوفر... مصادفة عجيبة. فلما فر مصطفى تناقل الناس أن شخصا يرتدى بنطلونا فانلة وبلوفر قد فر... وهنا مر من المنطقة مصطفى مشهور أحد المسئولين الخمسة عن النظام يحمل حقيبة جلدية بها مجموعة خطيرة من أوراق النظام.. كان يرتدى بنطلونا فانلة وبلوفر، وتصايح به الناس أنه هو الهارب المطلوب... وقبضوا عليه... وشهد الشهود الذين استحضروهم البوليس أنه كان معنا فى السيارة!! وأنكرنا جميعا أننا كنا بها، كما أنكر كل منا معرفته بالأخرين. وقد أدهشنى وجود مصطفى مشهور مقبوضا عليه معنا.

قضاء وقدر

وكان من المقرر عقد اجتماع للمجلس الأعلى للنظام فى بيت مصطفى مشهور فى تلك الليلة. فلما أراد الخروج أوصى أهله أنه إذا جاء أحد من إخوانه قبل أن يعود فلينتظره فى حجرة الضيوف... وجاءوا، أحمد حسنين وأحمد زكى، ومحمود الصباغ. وذهب البوليس يفتش بيت مشهور، فوجد هؤلاء هناك فاصطحبهم إلى قسم بوليس

الوايلي. فقط عبد الرحمن السندي تأخر عن موعد الاجتماع فلما ذهب ووجد البوليس يحيط بالمنزل لم يدخل. وهكذا سقطت هذه المجموعة الثمينة من إخوان النظام في يوم واحد

التحقيق

أخذنا جميعا إلى قسم الوايلي بالعباسية وحجز كل منا في غرفة بمفرده، وامتلاء القسم بكل من هب ودب.. رجال البوليس السياسي عن بكرة أبيهم، اللواء سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة، ورجال النيابة.. نيابة شرق القاهرة ونيابة الإستئناف، رئيس هذه ورئيس تلك ووكلاء النيابة ومعاونوهم... النقراشي باشا رئيس الوزراء بشخصه جاء ينظر إلينا.

وكان من الواضح من اللحظات الأولى أن البوليس السياسي بدأ يلعب في القضية. فقد رأينا شهود السيارة جميعا وعددهم ثلاثة عشر يشهدون أنهم رأوا مصطفى مشهور معنا في السيارة... وإذ فر سائق السيارة، شهد الثلاثة عشر بأن طاهر عماد الدين هو الذى كان يقودها... وقد استطاع طاهر أن يثبت أنه لا يعرف قيادة السيارات، إذ كان قد انفق مع سائق قبلها بيوم واحد أو يومين أن يعلمه القيادة لقاء أجر معين، فاستشهد به وشهد له السائق، حينئذ عاد جميع الشهود يعدلون عن زورهم. ولقد ثبت بعد ذلك في المحكمة أن عشرة من أولئك الشهود كانوا من رجال البوليس، وكل منهم ادعى وجوده مصادفة في مكان الحادث وأنه رأى ما جاء يشهد به، كما كانوا ينكرون صلتهم بالبوليس حتى أن أحدهم - وقد ضيق عليه الدفاع الخناق في المحكمة - اضطر إلى الإعراف بأنه بوليس ملكى يوم شهادته بالمحكمة ولكنه لم يكن كذلك يوم ضبط السيارة!

واستمر التحقيق وقد ضربت عليه النيابة ستار السرية، وفرضت على المتهمين الحبس الإنفرادى حتى لا نلتقى، وكنا في وقت من الأوقات موزعين على ثلاثة سجون بالقاهرة، سجن الأجانب بشارع الملكة نازلى { رمسيس } - مكانه الآن محطة بنزين التعاون بجوار مستشفى الهلال الأحمر - جارى هدمها - وسجن مصر العمومى بالقلعة وسجن الاستئناف بباب الخلق. واستمرت تلك القيود علينا رقما قياسيا لم يحدث في أى قضية أخرى إذ امتدت ٣٥٠ يوما. واستجوبت النيابة أكثر من أربعمائة شخص وزاد ملف التحقيق على أربعة آلاف ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة وأكثرها بخط صغير، وقد حفل بأكثر من ثمانمائة محضر ما بين استجواب ومعاينة وتفتيش، وقد اشترك في تحقيق القضية خمسة عشر محققا تقلد بعضهم بعد ذلك منصب نائب عام أو وزير أو محافظا، وقد تولى مسئولية التحقيق مصطفى بك حسن نيابة الاستئناف وكان رجلا نزيها، غير أنه بعد فترة أحس بتدخل رجال البوليس السياسى مثل الصاغ محمد الجزار والضاغ توفيق السعيد الحمار وأحمد طلعت ومحمود طلعت

فرفض أن يستمر في تحقيق القضية وتخلي عن ذلك فتولاها محمد بك عبد السلام. وبلغ عدد جلسات التحقيق من لم يحقق معه سوى مرة واحدة ومنهم من حقق معه ثلاثين مرة مثل أحمد حسنين و طاهر عماد الدين و كاتب هذه السطور. وكانت النيابة تستدعينا من السجن للتحقيق معنا في سراى النيابة بمبنى محكمة مصر بباب الخلق، فكان الواحد منا يصحبه ضابط مسلح بالطبنجة واثان من عساكر الشرطة المسلحين بالبنادق في سيارة أجرة، وأنفقت الدولة نحو ستة آلاف من الجنيهات مصارف انتقال لنا ما بين السجن والنيابة وهو رقم كبير جدا بتقديرات وقتها.

حين وصلنا إلى قسم بوليس الوايلي تلقانا ضابط برتبة بكباشى - مقدم - فسألنا عن أسمائنا، ثم أمر بتفتيشنا وأخذ ما في جيوبنا. وحمدت اله آلاف حمد أن يد الضابط الذى فتشنى لم تمتد إلى جيب البلوفر الذى كنت ارتديه، ففيه كانت رسالة رئاستى التى تكلفنى فيها بنقل ما كان بالسيارة الجيب، وقد تخلصت منها بعد ذلك. ثم راح ذلك البكباشى يدير قرص التليفون ليبلغ رجال البوليس السياسى والنيابة والأمن العام. وبالرغم من سوء الموقف الذى كنا فيه والإجهاد الذى كنت أحسه والجراح التى أصبنا بها من جراء اعتداء الناس علينا ظنا منهم بأننا يهود جننا ننسف حيهم... بالرغم من ذلك كله فقد كنت أشعر بشيء من الصفاء وضبط النفس. لقد وقفت طويلا في التحقيق وبينما كان يجرى استجواب مصطفى مشهور شعرت بتعب وطلبت مقعدا من أحد الضباط الواقفين فقال لى " اقعد على الأرض" ودون أن أجيبه اتجهت إلى مقعد خال وسحبته.

لأقعد عليه، وصاح الرجل بى أن أتركه فإنه مقعد " أحمد طلعت بك وكيل الحكمدار!" وأذكر أنى في هدوء شديد قعدت على المقعد وأنا اقول " يستطيع طلعت بك أن يجد مقعدا" ثم اضطر الرجل أن يسكت حيث لاحظ أنه بصياحه قد شغب على الخقق.

استمر التحقيق الليل كله، ومع فجر اليوم التالى وزعونا على أقسام بوليس القاهرة، فأودعت قسم روض الفرج ليلتين حدثت في كل منهما غارة جوية ثم نقلت إلى سجن الأجانب.

كان سجن الأجانب يحتوى على ثمان وعشرين حجرة مقسمة على دورين، وكان نظيفا للغاية فقد كان مخصصا لحبس الأجانب، أما المصريون فلهم سجون قدرة . نزلت غرفة رقم ٧ في مواجهة مستشفى الهلال الأحمر وكانت جدرانها مطلية بالزيت وبها سرير ومنضدة وكرسى وزر جرس كهربائى اضغط عليه عند الحاجة فيحضر خدم السجن من مخبرى البوليس السياسى! وبالغرفة نافذة كبيرة تسمح بالجلوس عليها ولكن كان عليها قضبان

الحديد وشبك من السلك. كان يحيط بالسجن حديقة وبداخله فناء. وكان الغذاء المقدم جيدا من حيث النوع وفيرا من حيث الكم. وكان ببعض غرف السجن نزلاء من الأجانب ولكن أكثر غرفه مغلقة علينا البواب.

وكان مأمور السجن يمر علينا يوميا ومعه أحد ضباط البوليس السياسى، كما كانوا يحضرون حلاقا لحلاقة ذقوننا. وقد طلبت إلى المأمور مصحفا فاعتذر بأن الأمر يحتاج إلى تصريح من النيابة. ووصلنى خطاب من البنك الأهلى الذى أعمل فيه بإيقافى عن العمل. ونحن فى ذلك السجن أيضا أصدر النقراشى بصفته حاكما عسكريا أمرا بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٢/٨ / ١٩٤٨. وفى ٢٨ من نفس الشهر اغتاله عبد المجيد حسن فى بهو وزارة الداخلية. وخلفه فى رئاسة الوزارة والحزب إبراهيم عبد الهادى باشا.

سجن الأجانب الدور الأرضى { وكان فوقه دور ثان على نفس النسق }، الجزء الخارجى منه مخصص للإدارة ، أما الخاص بالمحتجزين فيبدأ من الحاجز الحديدى الذى يتوسطه باب من القضبان الحديدية أيضا. الزنانين تحيط بفناء كان مزروعا ببعض الزهور، وتحيط به أعمدة من الحجر الجيرى وتحمل الدور الثانى. وكانت الحجرات (٦،٧،٨) تطل على مستشفى الهلال الأحمر أما (٩-١٤) فكانت تطل على شارع الملكة نازلى {رئيس} وكانت تحيط بالسجن من الخارج حديقة ذات أشجار ونخيل، يحوطها سور الأسلاك الشائكة مكسوا بالحصير.

سجن مصر العمومى

وبقينا بسجن الأجانب حتى ١٣ / ١ / ١٩٤٩، فى صباح ذلك اليوم حاول أخونا شفيق أنس وضع حقيبة متفجرات حارقة فى حجرة التحقيق التى يحفظ فيها ملف القضية وأحرازها، وقد سمعنا الانفجار صباحا وفى مساء نفس اليوم تم نقلنا واحدا واحدا إلى سجن مصر العمومى بحى الخليفة. هناك فى هذا السجن كان حسين عبد السميع مازال يقضى السنوات الثلاث التى حكم عليه بها أحمد الخازندار، وكان معه فى دور ٦ المحكوم عليه فى قضى اغتيال أمين عثمان التى كان متهما فيها أنور السادات. كان سجن مصر يختلف تماما عن سجن الأجانب فليس فيه أثر للنظافة، وكانت زنازينه مظلمة لا تدخلها الإنارة وكان النوم على "برش" نسج من جبل من مسد حشن جدا والغطاء قطعة من بطانية غاية فى القذارة. ولم يكن لنوافذ الزنانين ما يقفلها فيحول دون الرياح الباردة التى تحتاحها ولا ماء المطر الذى يكاد يغرق أرضها. وكانت جدرانها مليئة بالبق الذى يقض المضاجع. كما كان الطعام فيه ردينا وعلى نفقتنا وهو غالى الكلفة، ومن أراد أن يأكل طعام السجن الذى يقدمه فعليه مع هذا أن يرتدى بردائه . وبنس الرداء كان.

إلا أنه هنا في هذا السجن ورغم فرض قيود الحبس الإنفرادى وصدور التعليمات المشددة بالا يتصل متهم بالآخرين، رغم هذا فقد كان الاتصال سهلا وميسورا، فقد كان فوق باب كل زنزاة شراعة مفتوحة إلا من قبضان الحديد وبذلك تسنى لكل منا مخاطبة الآخرين من تلك الشراعات، أما العساكر الذين وكل إليهم منع اتصالنا فلم يكن احدهم يجرؤ القول بأننا نتصل، كما كانت برتقالة أو قطعة من الحلوى كفيلة بجعلهم لا يسمعون صياحنا ونحن نتخاطب. وقد أفادنا هذا كثيرا في ترتيب أقوالنا في التحقيقات.

كان سجن مصر العمومي ثلاثة عنابر أ.ب.ج، كل عنبر من أربعة أدوار فكان الدور الثاني من عنبر ب {دورا} مخصصا للقضايا السياسية. وكان شاويش الدور يجب ثمار المنجة كثيرا، فكان يمر أمام الزنازين يسأل ويقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فنعطيه منها. وكان دور ٥ تحتنا للمحبوسين احتياطيا لقضايا لم يتم الفصل فيها كما كان دور ٧ فوقنا للمحكوم عليهم لأول مرة أما دور ٨ فكان للسوابق الذين تكرر حبسهم.

وبالخارج نظم الإخوان إمدادنا بالطعام المناسب لسوء طعام السجن، كما كان أكثرنا ممن تنقطع موارده بحبسه موظفا كان أو صاحب عمل، فنظموا جمع التبرعات من الإخوان والمعونات لاستمرار الإنفاق على العائلات.

وكانت السجون من أسوأ ما يتصور إنسان قذارة وسوء معاملة، يدخلها المجرم فيخرج أكثر إجراما، ويتعارف أبناء الجريمة الواحدة فيدخلون أفراد ويخرجون عصابات، كما كانت الجرائم تمارس داخل السجن ولا سيما المخدرات والجنس. ولقد حاول الإخوان جهدهم لاصلاح السجون سواء من داخل السجن أو من خارجه.

الإتهام

وقد وجهت النيابة الاتهام إلى اثنين متهما وبطبيعة الحال كان المتهم الأول عبد الرحمن السندى. وكان الاتهام الموجه إلينا يبدأ بتهمة الاتفاق الجنائي على قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بالقوة وإتلاف سيارات وأسلحة الجيش وتخريب المنشآت وقتل عدد كبير من المصريين والأجانب وتعريض حياة الناس وأموالهم عمدا للخطر وتعطيل وسائل النقل العامة وإتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية وإقامة واستعمال محطات سرية للإذاعة اللاسلكية... الخ

وبأننا حزنا مقادير كبيرة من القنابل اليدوية والفسفورية والجلجنايت والمفرقات والأسلحة النارية والأسلحة البيضاء... الخ وقد اعتبرت النيابة العامة جميع أوراق الدراسة التي كتبت أصلا للتدريب على أ.ها كانت مشروعات للتنفيذ.

ثم بدأت المحاكمة أمام محكمة جنايات عسكرية في ١٠/١٢/١٩٤٩ مكونة من ثلاثة مستشارين واثنين من كبار الضباط. ولكن التحقيقات في قضية مصرع النقراشى باشا أدت إلى إعادة فتح التحقيق في قضية السيارة الجيب بمعرفة النيابة بهدف إثبات مزيد من الترابط بين القضييتين وتجميع مزيد من الأدلة على المتهمين في كليهما. بل لقد ضمت القضيتان في بعض تلك المراحل واتجهت النية إلى تقديمها إلى محكمة واحدة برئاسة المستشار محمد مختار عبد الله، وكان مستشارا متجهما كما وصفه الدفاع من طراز أحمد بك الخازندار. وجلسنا في قفص الاتهام أمام المحكمة العسكرية ثلاث جلسات كان آخرها في ٢٨/٣/١٩٥٠ وطلب الدفاع التأجيل بسبب أن الأحكام العرفية كانت بسبيلها إلى الإلغاء. وبالتالي كان تشكيل المحكمة في مهبط الريح. ثم استقر نظر القضية أمام محكمة جنايات عادية، يرأسها المستشار " أحمد بك كامل" وكان المستشار محمود عبد اللطيف" عضو اليمين بها، كما كان المستشار " زكى شرف" هو عضو اليسار.

وفي ١١/٦/١٩٥٠ قررت المحكمة الإفراج عن ثمانية من المتهمين منهم المتهم الأول عبد الرحمن السندى لاصابته بروماتيزم القلب، كانت باردة طيبة جدا من المحكمة. وبدأ النظر الفعلي للقضية في ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ فعقدت إحدى وأربعين جلسة، ثم كانت الثانية والأربعين في ١٧/٣/١٩٥١ للنطق بالحكم، بمعدل أربع جلسات في الأسبوع، واستمر نظر القضية ثلاثة أشهر ونصفا. وقد طلبت النيابة في الجلسة الأولى تعديل بعض مواد الاتهام إلى مواد أشد عقوبة وطالبت براءوسنا وإعدامنا.

واستغرق سماع ومناقشة شهود الاثبات ثلاث جلسات، ثم نوقش شهود النفي في ثلاث جلسات أخرى. وكان ممثل الاتهام هو محمد بك عبد السلام رئيس نيابة الاستئناف الذى تولى تحقيق أكثر القضية، وقد خصص ثلث مرافعته عن جماعة الإخوان، وأراد أن يحط من شأنها فجاءت مرافعته صورة من مذكرة عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام عن حل جماعة الإخوان المسلمين. ثم انتقل إلى الكلام عن المتهمين فألقى عليهم جميعا قائمة كبيرة من الاتهامات وطلب إلى المحكمة استعمال القسوة وقد قدم إلى المحاكمة ثلاثة وثلاثين متهما.

ثم استغرق الدفاع (٣٤) ثلاثين جلسة بدأها عبد المجيد نافع الذى كان يترافع عنى. وتلاه شمس الدين الشناوى وكان يترافع عنى أيضا، وازدحمت الأسماء المعروفة في هيئة الدفاع فكان منهم محمد هاشم باشا وزير الدولة في وزارة حسين سرى، وقد كان زوجا لابنته، وأحمد رشدى وعبد المجيد عيد الحق ومحمد مندور وأحمد حسين وعلى منصور وهنرى فارس وزكى عربى (وكان يهوديا وقتها وقد أعلن إسلامه هو وابنته قبل أن يموت بسنوات) وفتحى رضوان وغيرهم كثير، ومن محامى الإخوان شمس الشناوى ومحمد المسمارى وعلى طمان وفهمى أبو

غدير وإبراهيم الطيب وطاهلا خشاب العشماوى ومختار عبد العليم وفريد شريف قنصورة وعمر التلمسانى. وكان ملف القضية ٣٠ جزء فى كل جزء ١٥٠ صفحة وكان دخول القاعة بتصريح من النيابة، وقد واظب أهلونا على الحضور ولقد كان شهود النفى من الناحية التاريخية على القل على قدر كبير من الأهمية. وكان من أبرز هؤلاء سماحة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين. قالت مجلة المصور " حينما دعت المحكمة للشهادة لم يناده الحاج بصوته الجمهورى بل ذهب إليه بعض رجال البوليس، وجئ له بكرسى فجلس فى حرم المحكمة، وكان يتكلم بصوت خافت وبهدوء شديد" وقد شهد بأن الإخوان كانت لهم مشاركتهم فى حرب فلسطين منذ عام ١٩٣٦ فجمعوا السلاح والذخيرة وقتلوا هناك بأنفسهم حتى النهاية. وقال إن الأستاذ حسن البنا أخبره بأنه قلق مما ظهر من تحاذل بعض الجيوش العربية ومما لمس من الدساتس التى ترمى إلى تسليم فلسطين لليهود، وأنه لذلك يفكر فى إرسال عشرة آلاف متطوع من الإخوان إلى فلسطين وأنه سيعرض الأمر على المختصين والحكومة المصرية لتموينهم بالسلاح، فإذا تعذر ذلك فسيطلب ذلك من شعب الإخوان وأنه كان مصمما على هذه الفكرة وأ، هذا الحديث جرى بعد الهدنة الأولى فى ١١/٦/١٩٤٨. وذكر فى شهادته أيضا أن حكومة النقراشى باشا صادرت أسلحة الهيئة العربية ووعدت بإعادة تسليمها لهم، ولكن ذلك لم يتم. وعند انصراف المفتى وقفنا فى قفص الاتهام تحية له وهتفنا: دماؤنا فداء فلسطين. فلسطين عربية وستعود عربية.

وشهد اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين فقال إن الإخوان كانوا جنودا أبطالاً أدوا واجبهم على أحسن ما يكون، وأن اليهود كانوا يبحثون عن مواقع الإخوان ليتجنبوها فى هجومهم وأنه أرسل عددا منهم إلى جنوب دير البلح بنحو ١٠٠ كيلو لملاقاة الهجوم الإسرائيلى على العريش من ٢٦ إلى ٣٠/١٢/٤٨ بعد صدور قرار حل جماعة الإخوان، فاستبسوا وأدوا واجبهم تماما، وأنه فى كل مرة كان يكلفهم بواجب كانوا يقومون بأعمالهم ببطولة ولم يؤثر قرار حل جماعة الإخوان المسلمين على روحهم المعنوية أبدا، حتى كتب إلى الرئاسة فى مصر يطلب منحهم نياشين. وقال إنه رفض أمر الحكومة باعتقالهم ولكنه وضعهم تحت حراسته الخاصة وأنه عاملهم معاملة كريمة لأنه اعتبرهم زملاء ميدان. ولكن الحكومة قامت باعتقالهم وإعادةهم من الميدان إلى المعتقلات.

كما شهد اللواء أحمد على المواوى أول قائد عام لحملة فلسطين فقال إن الإخوان سبقوا الجيوش النظامية فى الدخول إلى معركة فلسطين وإن القوات المسلحة اعتمدت على الإخوان كقوة حقيقية تعمل على جانبها الأيمن، وإن روحهم المعنوية كانت قوية للغاية، وذكر بعض العمليات البطولية الهامة التى قاموا بها.

ومن أهم الشهادات التي جرت في المحكمة شهادة إبراهيم عبد الهادي باشا خليفة النقراشي في الوزارة والحزب. كتبت مجلة " المصور " كان المتهمون يرمونه بنظرات قاسية، وكان أقربائهم الجالسون في المقاعد يتهامون بالتعقيب على أجوبته . ثم ودع في النهاية بالهتاف بسقوط الظلم والطغيان والهتاف لذكرى الشهيد الأعزل. وكان أشد الحاضرين هتافا فتاة ترتدى الملابس البيضاء وتغطي وجهها بنقاب "أ.هـ، وقد طلبه الدفاع كشاهد نفى لسؤاله عن مقابلته لعبد الرحمن عثمان أحمد المتهمين في القضية للتأثير في أقواله وكذا سؤاله عن التعذيب.

الذي وقع على المتهمين في حضوره أو في عهده، وقد أنكر معرفته بحدوث أى تعذيب. وكانت موافقة المحكمة على استدعاء إبراهيم عبد الهادي للشهادة بعد اتفاق ودى مع الدفاع على ألا يوجه الاتهامون ولا المتهمون إليه أى إهانة، وقد كان.

حادث دبلوماسى مثير

وقد وقع أثناء نظر القضية حادث دبلوماسى خطير نكفى في عرضه هنا بمقتطفات مما نشرته عنه الصحف في حينه. نشرت صحيفة المصرى في عددها الصادر في ١٩٥١/٢/٢ ما يأتى:

حادث دبلوماسى بين مصر وبريطانيا تثيره قضية سيارة الجيب

بريطانيا تطعن بالتزوير في وثيقة قدمها الدفاع وتطلب أن تمثل في المحكمة لتبدي وجهة نظرها وزارة الخارجية المصرية تدفع بعدم الاختصاص والسفارة لوزارة العدل.

قابل مستر " تشابمان أندروز" الوزير المفوض بالسفارة البريطانية سعادة عبد الرحمن حقى باشا وكيل وزارة الخارجية منذ يومين وابلغه أن السفارة البريطانية في القاهرة علمت أخيرا أن أحد حضرات ممثلى الدفاع عن المتهمين في قضية السيارة الجيب، قدم إلى هيئة المحكمة وثيقة جاء فيها أن الكولونيل " ماك درموث" الضابط بالقيادة رسميا بأن سفارة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة، ستتخذ خطوات دبلوماسية، لإقناع السلطات المصرية بحل الإخوان المسلمين في أسرع وقت مستطاع".

بريطانيا تمثل في المحكمة

وعلم مندوب المصرى أن مستر تشابمان أندروز طلب إلى سعادة وكيل الخارجية إتاحة الفرصة أمام السفارة البريطانية بأن تمثل في المحكمة لتدفع بالتزوير في هذه الوثيقة التي تدعى أن السلطات البريطانية كان لها شأن في أمر حل جماعة الإخوان المسلمين.

الخارجية ليست جهة اختصاص

والمفهوم أن سعادة حقي باشا ابلغ أندروز أن وزارة الخارجية ليست جهة الاختصاص في هذا الشأن، وأن الرأي في هذا متروك لوزارة العدل تتخذ فيه ما تراه.

الدفاع حر أمام المحكمة

وقد رجع مندوب المصرى إلى معالى وزير الخارجية يسأله عن رأيه في هذه المسألة، فقال إنه لم يعلم بها إلا من المندوب وأضاف قائلا "وعلى كل حال فالدفاع حر يقول أمام المحكمة ما يشاء".

فى وزارة العدل

وعلى أثر ذلك توجه مستر جراهام المستشار القانونى للسفارة البريطانية إلى وزارة العدل حيث قدم مذكرة للسفارة أشار فيها إلى رغبتها فى تسوية هذه المسألة بطريقة ودية.

طعن بالتزوير

وقد نفت المذكرة حدوث تدخل من جانب بريطانيا فى صدد حل الإخوان المسلمين، وطعنت ثانيا بأن الوثيقة إلى المحكمة مزورة.

طلب التمثيل فى المحكمة

وطلبت المذكرة بعد ذلك أن يسمع صوت السفارة البريطانية فى مصر أمام المحكمة مادام الاتهام قد وجه إلى بريطانيا فى هذا الشأن، وأيدت المذكرة رأى السفارة بحجج قانونية

وزارة العدل تدرس المسألة

وعلم مندوب المصرى فى وزارة العدل أ، الوزارة تدرس هذه المذكرة طبقا للإجراءات القانونية الواجب إتباعها فى مثل هذه الأحوال، حتى يتسنى للسفارة البريطانية أن تبلغ رأيها إلى هيئة المحكمة، سواء أكان بحضور مندوب من السفارة البريطانية أمام هيئة المحكمة أم بإيداع مذكرة فى هذا الشأن بدوسيه القضية

السفارة لا تستطيع مخاطبة المحكمة

واستطلع مندوب المصرى رأى مصدر قضائى كبير فى هذه المسألة فقال إن السفارة لا تملك فى مثل هذه الأحوال حق مخاطبة المحكمة رأساً، بل ولا أن ترسل إلى المحكمة من يمثلها، لأن المحكمة لا تقبل فى دعوى معروضة أمامها شيئاً يأتيها عن طريق الخصوم. ولذلك فإن الإجراء الطبيعى هو أن تخاطب السفارة وزارة العدل وهذه تبلغ سعادة النائب العام الذى يرسل إلى ممثل النيابة فى القضية وهو الأستاذ محمد عبد السلام بك كنان بما تقرره السفارة فى شأن هذه الوثيقة، ويقوم حضرته بعد ذلك بعرض هذا الخطاب على هيئة المحكمة التى يرأسها سعادة أحمد بك كامل وعندئذ تنظر المحكمة فى أمر الوثيقة والخطاب.

لا مسئولية على الدفاع

وأضاف المصدر إلى ذلك قوله إنه من المفهوم أنه لا مسئولية على المحامى الذى يقدم وثيقة من هذا النوع حتى لو رأت المحكمة أنها غير صحيحة، لأن المحامى قد يكون حسن النية عند تقديمها وهو يتكلم بلسان موكله، وحق الدفاع مقدس. أ.هـ

وعلى اثر ما نشرته الصحف حول هذا الموضوع وقف الأستاذ شمس الدين الشناوى فى المحكمة واحتج على ذلك وقال إنه يخشى أن يكون لما تنشره الصحف تأثيره على وجدان المحكمة، وإن الوثيقة التى قدمها صحيحة. وقد أجبا رئيس المحكمة بأن المحكمة لا تتأثر بما تنشره الصحف، وأنها ستعتبر هذه الوثيقة صحيحة حتى يصلها من الجهات الرسمية ما يثبت تزويرها. هذا وقد توجه تشاجمان أندروز فى زيارة إلى إبراهيم عبد الهادى للتداول معه فى شأن الوثيقة ونشرت الصحف أ،ه طلب إلى عبد الهادى تكذيبها، ولكن هذا الأخير أجابه بأن الوثيقة منسوبة إلى السلطات البريطانية ولذلك فيجب أن تصدر ذلك التكذيب من تلك السلطات

نص خطاب السفارة

"عزيزى وحيد رأفت بك"

طلب إلى سفير حضرة صاحب الجلالة بأن أقرر أن نظرة قد استرعى أخيراً إلى خبر نشر فى الصحف بشأن محاكمة قائمة أمام المحاكم جاء فيها أن محامياً يدعى الأستاذ شمس الدين الشناوى حاضراً عن المتهم أحمد عادل كمال صرح بأن الحكومة البريطانية أوعزت إلى الحكومة المصرية فى سنة ١٩٤٨ بإلغاء وحل الإخوان المسلمين. وأن الأستاذ الشناوى دلل على ذلك بصورة كتاب مؤرخ فى ٣٠ نوفمبر ١٩٤٨ زعم أنه موقع عليه بمعرفة الكولونيل . أ.م ماك درموث نيابة عن السلطات العسكرية البريطانية .

وأرى من واجبي إخباركم أن هذه الوثيقة إن وجدت تكون مصطنعة فضلا عن أن أمر حل الإخوان أو مشابه ذلك، كما زعم الأستاذ الشناوى لم يشر ولم يكن محل حديث بين هذه السفارة والحكومة المصرية.

ولعلمكم ترون من الضروري لمصلحة العدالة إحاطة المحكمة علما بما تقدم.

التوقيع

مورى جراهام

ويلاحظ أن الخطاب مرسل بالإنجليزية من مستر جراهام المستشار القانوني للسفارة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٥١ إلى سعادة وحيد رأفت بك بصفته مستشار الرأى لوزارتي الخارجية والعدل، وقد بلغه سعاداته إلى سعادة محمد رشدى بك النائب العام فأحاله سعاداته إلى الأستاذ محمد عبد السلام بك ممثل الاتهام فى القضية أ. هـ

وقد سايرت بعض الصحف السفارة، وكان هو ذاته اتجه الحزب السعدى، وإمعانا فى التضليل نشرت أن هناك جماعة لتزوير الوثائق وأخرجت بالفعل بعض الوثائق المزورة للتدليل على ذلك وليسحب ذلك الشك على وثيقتنا هذه. ولكن امتد بنا العمر حتى انقضت فترة السرية { ثلاثين عاما } التى تفرض على بعض الوثائق فى إنجلترا وصار مباحا نشرها. وقد قام الصحفى المصرى محسن محمد جزاه الله خيرا بنشرها فى مجلة " المسلمون " واستبانة الحقيقة الآن من وثائق الدبلوماسية البريطانية بما لا يدع مجالا للشك فى تدخل الانجليز وطلبهم حل جماعة الإخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٤٨

الوثيقة

والواقع أن الذى قدمه الدفاع فى القضية كان وثيقتين وليس وثيقة واحدة نورد نصها هنا، وقد نشرتها مجلة الدعوة فى عددها الأول الذى صدر فى (٣٠ يناير ١٩٥١) أثناء نظر القضية، وفى الوثيقة الأولى وتاريخها ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ أرسل ماجور ج.و. أوبريان السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البرية البريطانية فى الشرق الأوسط وكان مقره فى فايد، أرسل الآتى:

الموضوع: اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا فى فايد فى (١٠ نوفمبر ١٩٤٨)

رقم القيد : (١٨٤٣ / أى / ٤٨)

التاريخ: ١٩٤٨/١١/١٣

إلى رئيس إدارة المخابرات رقم (١٣)

فيما يختص بالاجتماع الذى فى فايد فى (١٠) الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا، أحظركم أنه ستخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة، حل جمعية الإخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاءها.

إنشاء

ج.و . أوبريان ماجور

أ.هـ

وفى (٢٠ نوفمبر ١٩٤٨) أرسل رئيس إدارة المخابرات (أ) فى قيادة القوات البرية البريطانية فى الشرق الأوسط الكولونيل أ.م. ماك درموث إلى إدارة المخابرات { ج.س.٣ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر، يقول ما ترجمته }

الموضوع: الإخوان المسلمون

رقم القيد: (١٦٧٠ / أن ت / ٤٨)

إلى إدارة : ج.س.٣

التاريخ: ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر.

١- إلحاقاً بمذكرتكم رقم (٧٣٤ / أن ت / ب / ٤٨) المؤرخ نوفمبر (١٩٤٨) رسمياً من سفارة صاحب الجلالة.

٢- لقد أخطرت هذه القيادة البريطانية فى القاهرة أن خطوات دبلوماسية ستخذ لأقناع السلطات المصرية محل جمعية " الإخوان المسلمين" فى أقرب وقت مستطاع.

فيما يختص بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين فى مصر، فقد أرسلت إلى وزارة الخارجية للعلم.

عن الدعوة عدد ١

رئيس إدارة حرف (أ)

١٩٥١ / ١ / ٣٠

قيادة القوات البرية البريطانية في الشرق الوسط

امضاء

كولونيل أ.م. ماك درموت.

الحكم

وأخيرا صدر الحكم في القضية يوم ١٧ / ٣ / ١٩٥١ وكان كالاتي:

أولاً: معاقبة كل من مصطفى مشهور مشهور ومحمود الصباغ وأحمد حسنين وأحمد قدرى الحارثي والسيد فايز عبد المطلب بالسجن ثلاث سنوات.

ثانياً: بمعاقبة كل من عبد الرحمن السندی وأحمد زكى حسن وأحمد عادل كمال وطاهر عماد الدين ومحمود حلمى فرغل ومحمد أحمد على وعبد الرحمن عثمان وجلال الدين يس ومحمد سعد الدين السنانيرى وعلى حسنين الحريرى وصلاح الدين محمد عبد المتعال بالحبس مع الشغل لمدة سنتين

ثالثاً : معاقبة محمد إبراهيم سويلم بالحبس مع الشغل لمدة سنة واحدة.

رابعاً: مصادرة السيارة المضبوطة وجميع الأسلحة والذخائر والمفرقات المضبوطة.

خامساً: براءة المتهمين جميعاً من التهمة الرابعة الخاصة بجيازة أجهزة وأدوات مخططة إذاعة لا سلكية.

سادساً: براءة كل من محمد فرغلى النخيلى ومحمد حسنى عبد الباقي وأحمد متولى حجازى وإبراهيم محمود على والدكتور أحمد الملط وجمال الدين فوزى والسيد إسماعيل شلبى وأسعد السيد أحمد ومحمد بكر سليمان ومحمد الطاهرى حجازى وعبد العزيز البقلى وكمال القزاز ومحمد محمد فرغلى وسليمان مصطفى عيسى.

ونصت المحكمة فى حيثياتها على الآتى: وحيث إنه من هذا يتبين للمحكمة أن أفراد هذه الفئة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة وإنما انحرفوا عن الطريق السوى فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درسا حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم... على أن المحكمة تراعى فى هذا الدرس جانب الرفق فتأخذهم

بالرأفة تطبيقا للمادة ١٧ عقوبات نظرا لأنهم كانوا من ذوى الأغراض السامية التى ترمى أول ما ترمى إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره !

حل الإخوان

فى ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ أصدرت حكومة النقراشى أمرا عسكريا بحل هيئة " الإخوان المسلمين" وصادرت حرياتهم وأموالهم وفتحت لهم السجون والمعتقلات. وبالرغم من أن الدولة قد أعدت لهذا الأمر سرا إلا أن الأستاذ البنا كان يعلم بذلك العزم قبلها بأيام، وفى صباح ذلك اليوم كان يعلم أن القرار الخطير سيذاع ليلتها وتأكد له ذلك حوالى الساعة الثالثة ظهرا. كانت هناك مقدمات... فقد حلت الحكومة شعبة الإسماعيلية وشعبة بور سعيد ثم انتظرت... وبعد أيام أوقفت جريدة الإخوان المسلمين. وراحت الصحف المأجورة والعميلة مثل جريدة الأساس لسان الحزب السعدى تمهد للحل بنشر هجوم على الإخوان وكانت عملية القبض على الإخوان تسير فى طريقها.

واجتمع سفراء دول الإستعمار فى فايد وعلم الإخوان أن هؤلاء السفراء قد طلبوا حل الإخوان من حكومة النقراشى فقد بدأ الجميع.. الأحزاب والحكومة والسراى والإنجليز بدءوا يشعرون بالقلق بعدما ظهر من ضروب البسالة التى ظهرت من الإخوان فى فلسطين وتصوروا أن جيش الإخوان سوف يعود من فلسطين ليقوم بانقلاب فى مصر. وبعد يومين من اجتماع السفراء ذكر صديق للأستاذ البنا أن قرار الحل فى مكتب وكيل الداخلية عبد الرحمن بك عمار وأنه سيذاع الليلة وامتألت شوارع الحلمية الجديدة - حيث دار المركز العام للإخوان - امتألت بمخبرى البوليس السياسى.

وطلب الأستاذ البنا تليفونيا إبراهيم عبد الهادى فى مكتبه وكان مازال رئيسا للديوان الملكى، ولكن هذا طلب منه فى عجرفة أ، أن يقابل عبد الرحمن عمار أولا. وذهب الأستاذ إلى عمار ثم عاد إلى المركز ولم يحاول مقابلة إبراهيم عبد الهادى. وكان حسن البنا حين ذهب إلى عمار فى وزارة الداخلية عبده قاسم وسعد الويللى، ولكنه قابله منفردا ودارت بينهما مناقشة حادة. قال عمار إن الإخوان قد صاروا خطرا على الأمن وعلى الدولة وأن فى البلد أجنب وقد هدد الإنجليز بالعودة إلى احتلال القاهرة. وكان أول ما قاله الأستاذ حسن البنا حين عاد إلى المركز العام بصوت مرتفع " خلاص حلونا" وكررها. وذكر الأستاذ البنا أن عمارا قال له: لقد علمنا أننا إذا نفذنا قرار الحل فإنكم

ستقبلون إلى جمعية سرية. فقال الأستاذ البنا : هذا طبيعي، ستضيقون علينا وتحرمون علينا الاجتماع وتسلبونا حريتنا، فلقد اعتاد الإخوان أن يجتمعوا ويلتقوا ويتراووا لأهم إخوة، وهذا عندهم جزء من العقيدة التي يقدوسونها ويتقربون إلى الله، فإذا حلتهم بينهم وبين أداء هذه الشعيرة فلا بد أنهم يجتهدون في الحصول على ذلك وتحقيقه بصفة سرية.

وبعد الساعة العشرة مساءً أذاع راديو القاهرة قرار حل الإخوان في حين كان رجال البوليس يحتلون المركز ويعتقلون من فيه، وقد تعالت هتافات الإخوان. كان هذا الحل في وقته حدثاً تاريخياً خطيراً لا مثيل له. وكان صدوره بناء على مذكرة تفسيرية وضعها عبد الرحمن عمار. وقد كتب الأستاذ البنا رداً مطولاً فند فيه ما جاء بها وحالت الرقابة دون نشرها فطبعها الإخوان على شكل منشور وزعوه على السفارات والقنصليات والهيئات ودور الصحف الحرة. والمذكرة تبدأ بمقدمة يتلوها الفصل الأول في نماذج من المظالم الواقعة على الإخوان، ثم الفصل الثاني في تنفيذ اتمام الحكومة للإخوان والتدليل على بطلانه، وكان الفصل الثالث في بيان السبب الحقيقي وراء ذلك القرار، والفصل الرابع في بيان ما قدم الإخوان لوادى النيل والوطن العربي والإسلامي، ثم الفصل الخامس في بيان خطوات التفاهم قبل الحل وبعده والفصل السادس في معنى موقف الحكومة ونتائجه ثم ختمها بخاتمة ونشرت مجلة آخر ساعة المتعاطفة مع الحكومة في ذلك الوقت في عددها الصادر في ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ تقول " لقد تخلصت (الحكومة) من جماعة يمكن اعتبارها أقوى خصومها. وهذه الجماعة لم تكن مجرد حزب بل كانت تشبه بالأحرى دولة كاملة بأسلحتها ومستشفياتها ومداسها ومصانعها وشركاتها".

ورأتج العالم الإسلامي لهذا القرار وانمالت الاحتجاجات من كل مكان وشعرت الهيئات الإسلامية في كل مكان بالفراغ الذي أحدثه حل الإخوان من خائن أحق مثل النقراشي، فقد بدأت محنة الإخوان وشغل الإخوان بقضيتهم عن قضايا الوطن الإسلامي.. عن قضية مصر وعن قضية فلسطين وعن سواها من قضايا المصير وكان ذلك في حد ذاته هو الهدف المستهدف من حل الجماعة.

حديث مع الأستاذ

والتقى مندوب جريدة المصري بالأستاذ حسن البنا وأجرى معه حديثاً لم تستطع الجريدة نشره في حينها فاحتفظت به حتى نشرته في أكتوبر ١٩٤٩ بعد زوال العهد السعودي. قال المراسل: كان لما

حدث للإخوان المسلمين أخيراً صداه في مختلف الدوائر السياسية التي كانت ترقب بإهتمام حركات الجماعة وآثارها في مختلف الشئون الإسلامية والعالمية. لذلك رأينا أن نستوضح فضيلتكم في الأسباب التي دفعت بالمستولين في مصر إلى اتخاذ تلك الإجراءات فأجاب " لا يمكن بالتحديد أن أحصر الأسباب التي دعت الذين أصدروا هذا القرار إلى إصداره، ولكن يقال إن هذه الأسباب.. التحول الذي طرأ - أو في النية أن يطرأ - على اجاهات السياسية البريطانية في الشرق.

ومن المعلوم أن بريطانيا تعتبر الإخوان المسلمين قوة وطنية متطرفة، وتغزو إلى دعايتهم تعطيل مشروعات الاتفاق بينها وبين مصر. كما يقال إن من هذه الأسباب العوامل الحزبية التي تصاحب قرب موعد الانتخابات النيابية.. إذ إنه من المعروف أن الحزب السعدى يريد أن يظفر بأغلبية برلمانية تمكنه من الاستقرار في الحكم، ومن المعروف أن الإخوان المسلمين قوة شعبية ينتظر منها الصمود في هذا الموقف.. فمن " التكتيك الحزبي " أن يشوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات الذي سيكون في اكتوبر ١٩٤٩ مالم تطرأ عوامل أخرى على الموقف.

ويقال كذلك إن رغبة الحكومات العربية في إنهاء قضية فلسطين - ولو على ما تريد الشعوب - كان من العوامل التي أوحى إلى الحكومة المصرية بهذا الموقف.

ويقال أيضا إن هناك من الضغوط الأجنبية ما لم تستطع معه الحكومة المصرية إلا أن تتخذ هذا الإجراء.

وعلى كل حال فهو موقف مؤسف له، وقد أدى على عكس المقصود منه، وما لم يعدل في وقت قريب فإن الأمور في الداخل والخارج لا يمكن أن تستقر على هذا الأساس من الضغط والظلم والتحدى والإرهاق".

نحت ومن حولنا

لم نكن وحدنا الذين صالينا آلام تلك الحنة بل تجاوزتنا إلى أسرنا وأهلينا. كثير منا اعتقل إخوتهم لأنهم إخوتهم، أنيس أنس اعتقل لأنه شقيق شقيق أنس، محمد نبيل كمال - رحمه الله لأنه شقيق أحمد عادل كمال ، محمد على زهدى اعتقل، لأنه شقيق محمود فؤاد زهدى.. وهكذا .. إلى معتقل هايكستيب ثم إلى معتقل الطور. ومن لم يعتقل من الإخوة والآباء لم ينقطع طرق أبواهم من البوليس

السياسى وقام الإخوان بتنظيم رعاية أسر المسجونين والمعتقلين بالنفقة المناسبة قدر الإمكان، وكانت المبالغ تأتي من جيوب الإخوان القدرين في مصر وفي الخارج، وتمت دراسة أحوال الأسر واحياجا لها. كما نظم الإخوان أمور الدفاع في القضايا والحامين عن إخوانهم.

وطلبنا ونحن بالسجن نسخة من ملف القضية وقد بلغت صفحاته أكثر من أربعة آلاف فقرأناه ودرسناه وكتبنا ملاحظاتنا لحامينا الذين يتولون الدفاع عنا ونحن في سجن مصر العمومى. واتخذ الإخوان مكتبا لتنسيق الدفاع ودراسة القضايا انقطع للعمل فيه إبراهيم الطيب - رحمه الله - فكان يجهز لكل محام دفاعا أوليا ويستخرج له من أوراق التحقيقات الكثيرة جدا ما يتعلق بالمتهم الذى يدافع عنه.

ومع ذلك فقد كان من الطبيعى أن تكبد الأسر وراء أبنائها في سجونهم. وصار لا يخلو يوم من الزيارات، وتعارف أهلونا من كثرة اللقاء، في النيابة، وفي السجن، وفي المحكم، وبمكاتب الحامين. وتوجه والدى في يوم مطير إلى أحد الحامين الذين نولوا الدفاع عنى فرلت قدمه فسقط من المترو وهو منطلق، وتعلق معطفه به فسحبه معه مسافة كانت كافية - مع كبر سنه - كسر عظم الحوض وبعض عظامه، كما أصابته بارتجاج في المخ.

وانقطع عن حضور جلسات المحاكمة إلى نهائيتها، يوم أفرج عنى كان مازال طريح الفراش. وكثير فقدوا آباءهم أو أمهاتهم أو الأقربين إليهم في غيبتهم.

وحين فتشوا منزلى عشروا على خطاب وصلنى من صديقى محمد الغندور (زميل لى بالبنك الأهلى المصرى) وكان قد نقل إلى فرع المنصورة - صار بعد ذلك نائبا لحافظ البنك المركزى المصرى - وقد ذكر بالخطاب عنوانه لأكتب إليه، ولم يكن من الإخوان، ودون أن يسألونى عنه ذهبوا إلى عنوانه فى بلقاس واعتقلوه وفتشوا بيته فعثروا على صورة له مع أربعة من أصدقائه، فاعتقلوهم وأرسل الجميع إلى طور سيناء، وبعضهم استقبل ذلك بصدر رحب رغم عدم علاقته بالإخوان

البوليس السياسى مرة أخرى

صدر الحكم فى قضية السيارة الجيب يوم (١٧ مارس ١٩٥١) وأفرج عنى فى ذات اليوم مع بعض الإخوان الذين كانوا قد استوفوا مدة الحكم مثلى . وجاء صبرى أبو المجد وكان صحفيا ناشئا فى

دار الهلال فسجل مجلة المصور تحقيقا مصورا لرجوعنا إلى بيوتنا. ومضت الأيام حتى آخر مارس قبل أن اشعر أن هناك من يتعقبني. وأجريت اختبارات أكدت لي ذلك، كنت أسير وأعود إلى حيث كنت فأجد خلفي ذات الشخصين اللذين بدءا معي من أول الرحلة كانا مخبرين من البوليس السياسى وكانا دائما يغيران مواقعهما خلفى فيسير أحدهما ورائى بمسافة تقصر أو تزيد ويسير الثانى خلفه بمسافة أخرى ثم يتبادلان الموقع وأحيانا ينتقل أحدهما إلى الرصيف الآخر. فإذا ذهبت إلى مكان كانا ورائى وإذا دخلت أى مبنى انتظرانى أمامه وإذا سرت سارا وإذا ركبت ركبا وإذا نزلت نزلا. وبطبيعة الحال كان كل ذلك يرصد ويدون فى تقارير تستقر بملقى لدى البوليس، وقد أزعجنى ذلك وسبب لى ضيقا شديدا. ومن جانبى اجتهدت ألا يشعرا باكتشافى لهما، فكنت أراقبهما فى الواجهات الزجاجية للمحال وفى زجاج نظارة الشمس وأقتصد فى الالتفات إلى الوراء إلا بصورة طبيعية، فكانا يرتبكان كلما فعلت ذلك.

وكانت بناية بشارع الملك { شارع مصر والسودان الآن } ذات باين، باب على شارع الملك وباب آخر يفتح على شارع خلفى، وبين البابين ممر يدور حول سلم النباية ولا يظهر من خارجها، فكنت أخرج من بيتى إلى تلك النباية فأدخل من باب وأخرج من الآخر، تاركا المخبرين واقفين تجاه الباب الأمامى فيسيران خلفى حتى بيتى. وربما وصلت تقارير إلى البوليس السياسى برؤيتى فى جهات أخرى فى الوقت الذى كان المخبران يقفان أمام العمارة بشارع الملك أو لعلهم تحروا على سكان العمارة فلم يجدوا لى علاقة بأى منهم، فقد اكتشف أمر الباب الثانى ويطل مفعول الحيلة بعد فترة وتخيرت يوما شديد الحرارة ومشيت على قدمى مباشرة ودون أى توقف من بيتى فى حدائق القبة إلى أهرام الجيزة، مسافة لعلها تبلغ عشرين كيلوا مترا وارتقيت هضبة الأهرام ودرت حولها، ودون أن أستريح رجعت عودا على بدء نحو بيتى والمخبران ورائى فى أسوأ حالة. وفى اليوم التالى اختفيا، ولبضعة أيام جاء غيرهما ثم عاد الأولان مرة أخرى، فعرفت أن الغرض من ذلك التعقب لم يكن مجرد معرفة أين أذهب وماذا أفعل وإنما كان أبعد من ذلك، كان الغرض شل حركتى ومنعنى من أى نشاط.

إذ ذاك اعتزمت أمرا، فذهبت إلى الأخ إبراهيم الطيب الحامى رحمه الله وفاتحته فيه فلم يوافق عليه، قالا: أنى سوف أنفذ ما انتويت... سوف أضربكما ضربا يمنعهما من معاودة تعقبى. قال هذا مخالف للقانون ولكن على أن أشهد عليهما شهودا ثم أحرر بلاغا فى قسم الشرطة لإثبات الواقعة ثم أرفع

قضية باعتبار أنه ليس علىّ حكم بالمراقبة.. وظل يذكر لى إجراءات لم تقنعنى قلت: لا، إنما أخبرك لتستعد لقضية ضرب. ودبرت أمرى.

خرجت من بيتى فى الصباح وسرت نحو بعض الشوارع التى يخف فيها مرور الناس، وكان هناك كمين من بعض الإخوان يقودهم عبد العزيز على من مدر بي النظام الخاص فى المصارعة اليابانية وفى غيرها. ومشيت فى طريقي لا ألوى على شىء، وأطبق الإخوان فجأة على المخبرين من كل جانب وأوقعوهما على الأرض وأوسعوهما ضربا فصارا يصرخان بأتهما لن يعودا مرة أخرى إلى هذه " المهمة التى مثل الزفت".

كان الذين نفذوا العملية من غير إخوان المنطقة حتى لا يتعرف عليهم أحد فى حراسة إخوان من المنطقة. وخرج الناس من بيوتهم يسألون عن الخبر فأجابهم أحد الإخوان عن المخبرين أهما من اليهود جاءا يتجسسان على المنطقة وبكل ثقة ودون أى تحقق راح الناس يضربونهما.

وكان هناك إخوان آخرون تعقبوا المخبرين بعد ضربهما فوجدوهما اتصلا تليفونيا بالصاغ محمد الجزار ضابط البوليس السياسى وأخبراه بما جرى لهما فجاء إليهما وعان معهما المكان الذى ضربا ثم ذهبا بتعليمات منه إلى قسم بوليس الوايلى، وإذ كانا لا يعرفان أحدا ممن ضربهما فقد حررا بلاغا ضدى وضد أخى نبيل رحمه الله بأننا اعتدينا عليهما بالضرب أثناء تأدية وظيفتهما فى مهمة خاصة بالمنطقة، ثم انصرفا مثخين بما أصابهما إلى بيتهما أحدهما فى بلاق والثانى فى الزيتون.

وصارت قضية جنحة. وكنا حصلنا على شهادة من شركة الأسمدة بالمصنع وقت الحادث، ولم يحضر المخبران المحاكمة وترافع عنا إبراهيم الطيب رحمه الله واقتنعت المحكمة بكذب المخبرين فحكمت ببراءتنا، كما حكمت عليهما بغرامة مالية.

بعد ذلك انقطعت تلك المراقبة وازداد اعتباري خطرا عند البوليس السياسى، كانت هناك مراقبات أخرى من هذا النوع لإخوان آخرين من إخوان القضية فخاطب الأستاذ حسنين مراقبيه مباشرة أن يكفوا خيرا لهم وأصابهم الخوف فاخفتت جميع تلك المراقبات عن جميع إخوان القضية.

الفصل العاشر

اغتيال النقراشى

الأسباب

كان سقوط السيارة الجيب في ١٥/١١/١٩٤٨. ونراى للنقراشى بما أنه قد استمكن من الإخوان. كان النقراشى رئيسا للوزارة وحاكما عسكريا عاما ورئيسا للحزب السعدى أكثر الأحزاب المصرية هزالا وضعفا حينذاك، كما كان في نفس الوقت وزيرا للداخلية ووزيرا للمالية في وزارته. وفي ٨/١٢/١٩٤٨ أصدر النقراشى أمره العسكري بحل جماعة الإخوان المسلمين ولم تنفض ثلاثة أسابيع حتى سقط النقراشى قتيلا في عرينه بوزارة الداخلية برصاص الإخوان. وكان لذلك الاغتيال أسباب ثلاثة هي كما أفصح عنها عبد المجيد أحمد حسن الذى اغتاله ، تماونه في شأن قضية مصر وحدة مصر والسودان، وخيانه لقضية فلسطين واعتدائه على الإسلام بحل الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية في عصرها.

الحادث

منذ وقع النقراشى قرار حل الجماعة وهو يدرك أنه ارتكب حماقة وتهورا يعرضه لما أصابه، فأعد لنفسه حراسة مشددة وبروجا مشيدة. وكان يذهب أياما إلى رئاسة مجلس الوزراء وأحيانا إلى وزارة الداخلية وأحيانا أخرى إلى وزارة المالية. وقد استدعى الأمر قيام الإخوان بعملية رصد متوال لمعرفة جدولته في توزيع أيامه على وزارته. كذلك كان يغير طريقه من منزله بمصر الجديدة إلى أى من تلك الوزارات بوسط المدينة. ولذلك استبعدت فكرة اصطيداه في الطريق.

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٨/١٢/١٩٤٨ ذهبت قوة الحراسة المكونة من الصاغ عبد الحميد خيرت والضابط حباطى على حباطى والكونستابل أحمد عبد الله شكرى إلى منزل النقراشى لاصطحابه، وانتظروا الباشا حتى نزل إليهم قبل العاشرة صباحا بعشرين دقيقة، وركب الأول معه في سيارته بينما استقل الآخرون سيارة أخرى تتبع السيارة الأولى، ووصل الركب وزارة الداخلية واتجه نحو الساعة العاشرة ونزل الباشا من سيارته أمام الباب الداخلى لسراى الوزارة واتجه إلى المصعد مجتازا بهو السراى وإلى يساره الصاغ عبد الحميد خيرت وخلفه الحارسان الآخرون هذا بالإضافة إلى حراسة أخرى تنتظر بالبهو مكونة من كونستابل وصول وأونباشى بوليس.

وكان هناك أمام الوزارة الداخلية " مقهى الأعلام" تم اختياره مسبقا ليجلس به عبد المجيد أحمد حسن - ٢١ سنة- وقد تسمى باسم حسنى في انتظار مكالمة تليفونية لتلقى إشارة بأن الموكب قد

غادر بيت الرئيس في طريقه إلى الوزارة وتمت تلك التجربة مرات قبلها. وفي يوم الحادث تلقى " الضباط حسنى "إشارة تليفونية بأن الموكب قد تحرك، فغادر المقهى إلى البهو الداخلى لوزارة الداخلية وهناك كانوا يخلون البهو من الغرباء فى انتظار وصول الرئيس ولكن عبد المجيد وقد تزيا بزى ضابط بوليس لم يطلب إليه أحد الإنصراف فهو من " أهل البيت" إذا. وحين غادر عبد المجيد مقهى الأعلام كانت هناك عيون على مقهى آخر ترقبه.. شفيق أنس فى زى كونستابل ومحمود كامل السيد فى زى سائق سيارة بوليس، فتبعاه إلى داخل الوزارة.

اجتاز عبد المجيد الباب الخارجى ثم الداخلى وانتظر فى البهو. وجاء النقراشى بين حرسه متجهها نحو المصعد حتى إذا صار على وشك ولوجه فاجأه عبد المجيد بإطلاق ثلاث رصاصات من مسدس بارتا إيطالى الصنع كان معه، وقد تم ذلك بسرعة خاطفة وأصاب الرصاصات الهدف فسقط النقراشى على الأرض جسدا له شخير وخوار. كانت الساعة العاشرة وخمس دقائق صباحا. وأخذ رجال الحرس بما حدث فلم يستطع أحد منهم عمل شىء قبل إطلاق المقذوفات الثلاثة والتفت الصاغ عبد الحميد خيرت إلى الخلف فاصطدم - بالمصادفة على ما يبدو - بعبد المجيد فوقعا على الأرض وهجم الحراس على عبد المجيد وفى تماسكهم به انطلقت رصاصة رابعة ومات النقراشى بعد قليل. وقد ذكر بعض الشهود أنه بعد القبض على عبد المجيد وأثناء الذهاب به إلى غرفة وكيل الأمن العام بالبهو انطلق نحوهم عيار آخر أصاب الحائط، مما أوحى بوجود شركاء آخرين، ولكننا نستبعد ذلك، فتلك شهادة لم تذكر أمام النيابة فى الحقيق وإنما ذكرت أمام المحكمة بعد أن عرف أن شفيق ومحمود كامل كانا هناك. وهى رواية ابتدعتها البوليس للتأثير على عبد المجيد بإيهامه بأن الإخوان أرادوا قتله بعد الحادث. كما ظن البعض هذه الحكاية أنه كان هناك تدبير لتهريب عبد المجيد. ولكن الذى نعلمه أنه لم يكن هناك أى تخطيط للفرار بعبد المجيد وإنما كان الهدف من وجود شفيق ومحمود هو اغتيال إبراهيم عبد الهادى وعبد الرحمن عمار حين يحضران على أثر مصرع النقراشى . غير أنه صدرت الأوامر بإغلاق كل الأبواب وتفتيش المكان، فبادر محمود بالإنصراف متخطيا سور الوزارة كما خرج شفيق من الباب وكان عليه حرس من عساكر البوليس فقال له أحدهم إن الأوامر تمنع خروج أى إنسان فأجابه على الفور " نعم"... لا تسمح لأى إنسان كان بالخروج" وخرج!

،ابلق صابر طنطاوى بك مدير الأمن العام الحادث تليفونيا إلى النائب العام محمود منصور باشا، فانتقل إلى مكان الحادث وياشر التحقيق.

وقد جاء بتقارير الطبيب الشرعى أن جثمان الجنى عليه به ثلاث إصابات نشأت عن مقذوفات نارية، الأول أصاب الجهة اليسرى من الظهر مقابل المسافة الضلعية التاسعة وقد نفذ العيار للتجويف الصدرى ثم لتجويف البطن فى اتجاه من الخلف واليسار للأمام واليمين بميل قليل لأسفل، وقد وجد المقذوف مستقرا بجدار البطن الأمامى واستخرجه الطبيب من تحت الجلد. أما الثانى فقد أصاب أعلى خلف القطن الأيسر أسفل الضلع الأخير نشأ عنه جرح نافذ حيوى إلى تجويف البطن من الخلف واليسار للأمام واليمين، وقد استقر المقذوف أيضا بجدار البطن الأمامى واستخرجه الطبيب الشرعى. وقد أصاب الثالث مقدم الكتف اليسرى وطية الإبط وامتد على جدار الصدر الأمامى وانتهى بجرح هو فتحة الخروج. واستنتج الطبيب الشرعى أن " الجانى " كان خلف " الجنى عليه " وإلى يساره وعلى مسافة تزيد على النصف متر وكان مصوبا سلاحه بميل قليل إلى أسفل وأن الوفاة قد نشأت عن عيارى الظهر وما أحدثاه من إصابات بالرئة اليسر والكبد والأوعية الدموية والأمعاء، وما ترتب على ذلك من نزف دموى وصدمة عصبية، أما عيار الكتف اليسرى فلا دخل له فى الوفاة.

راجعت تلك الذكريات بعد زمنها بأربعين عاما مع شاهد العيان شفيق إبراهيم أنس - صاحب التأييدتين**** قال : إن فريق الاغتيال تكون فى بادىء الأمر من عبد المجيد أحمد حسن وشفيق إبراهيم أنس وجلال الدين يس ولكن شفيقا لم يطمئن إلى أعصاب جلال وأفضى بذلك رئاسته فتم اختيار محمود كامل السيد بدلا منه وبدأ عبد المجيد فى هذه العملية برتبة ملازم ثان، ثم رثى من الأنسب أ، يكون ملازما أول.

كما ذكر أن موكب النقراشى باشا كان يجيء من بيته بمصر الجديدة مارا بشارع الملكة نازلى { رمسيس } إلى وسط المدينة، وكان بيت سعد شهنندر بشارع الملكة نازلى بالعباسية، فكان هو المكلف بترقب الموكب من شرفة بيته حتى إذا مر من أمامه يطلب رقما معيناً للتليفون { هو تليفون قهوة الأعلام أمام وزارة الداخلية } ثم يطلب الضابط حسنى، وكان عبد المجيد يذكر لصاحب المقهى إنه ينتظر مكالمة تليفونية وأن اسمه حسنى، فإذا أجاب عبد المجيد يقول له سعد: " لقد مر الآن ". لم يكن سعد ولا عبد المجيد يعرف أحدهما من يخاطب. وأجريت ثلاث تجارب أثبتت أن الموكب يصل بعد ١٤ دقيقة من المكالمة.

كان عبد المجيد يتحده بعد المكاملة إلى بهو وزارة الداخلية من الباب الرئيسي وبعد دقيقة يتبعه شفيق من ذات الباب، وبعد دقيقة أخرى محمود كامل ليدخل من باب جانبي ثم يسلك إلى البهو من باب صغير يوصل إليه. وترصدت المجموعة صيدها ثلاثة أيام، كانت التعليمات أن ينتظروا ثلاث دقائق فإذا لم يصل النقراشى فعليهم بالانصراف حتى لا يثير بقاؤهم انتباه الحراس. وفي اليوم الأول انتظروا خمس دقائق بدافع الحماس والحرص على التنفيذ، ثم انصرفوا، وعملوا بعد ذلك من الصحف أنه ذهب إلى جامعة الدول العربية بدلا من وزارة الداخلية. وفي اليوم التالي كان مقررا أن يذهب إلى وزارة المالية - حيث كان وزيرا للمالية أيضا- ولكنه خالف وذهب إلى وزارة الداخلية ربما لعدم ذهابه في اليوم السابق، ولم يكونوا في انتظاره. وفي اليوم الثالث جاء الباشا بعد دخول عبد المجيد وشفيق إلى البهو مباشرة وكان ذلك مفاجأة لهما، ودخل محمود كامل من الباب الجانبي ولكن الأحداث جرت أسرع منه حيث أطلق عبد المجيد النار على النقراشى دون انتظار محمود فأغلقت جميع البواب فورا واحجزوا محمود بالخارج.

كما ذكر شفيق أنه في مناقشة العملية دارت مناقشة حول ما إذا كان عبد المجيد يطلق النار على النقراشى في مواجهته أو من خلفه وذلك لأفضلية ألا يقال بعد ذلك أنه ضربه من الخلف، ولكن الحرس كان يحيط به إحاطة السوار بالمعصم فصار متعذرا على عبد المجيد أن يضربه مواجهة، حتى إذا مر من أمامه تقدم فأزاح أحد الحراس من خلفه وأطلق النار بسرعة فسقط النقراشى على الأرض وله شخير وحشرجة مسموعة رغم الضجة، وتكالب الحراس على عبد المجيد فوقعوا به أرضا، وأقفلت الأبواب على الفور، ولما كان الذى أطلق الرصاص في زى ضابط شرطة فقد بدأ ضابط بالملايس الملكية يطلب من جميع من بالبهو - وكانوا نحو من سبعة أشخاص خلاف ثمانية من الحراس - طلب إبراز بطاقتهم الشخصية - وبادر شفيق إلى الباب الرئيس وكان قد أغلق وحارسه يقف بالخارج فطرق شفيق الباب وطلب الحارس منه بطاقته وهو يجتاز الباب أن يؤكد الأوامر على حارسه ألا يسمح لأحد بالخروج.

يقول شفيق: إن الأمور بالخارج كانت عادية تماما ولم يدر أحد خارج باب البهو بما حدث وراءه، فذهب إلى إدارة تحقيق الشخصية ومر خلالها خارجا إلى شارع سكة حديد حلوان فاستقل تاكسى وابتعد به. كما أكد أنه لم يكن هناك أى تخطيط للخروج فقد كانت عملية ذهاب بلا عودة

الرأى العام فى المجلترا وفى مصر

وعلقت جريدة " المانشستر جارديان" البريطانية على الحادث فقالت: " إن مقتل النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى هو عمل سوء. وقد حدث بعد سلسلة من الاعتداءات كانت أيدى جماعة الإخوان المسلمين واضحة فيها، فمنذ ثلاثة أسابيع قتل حكمدار بوليس القاهرة فى أحد الشوارع. (تقصد سليم زكى) وفى ٢١ نوفمبر دمرت الدار التى تحوى مكاتب أكبر جريدتين فرنسية وإنجليزية فى مصر (تقصد شركة الإعلانات المصرية) وفى الشهر نفسه رفع حادث الاعتداء الرابع فى مدى عامين على النحاس باشا (كان من تدبير السراى ولا شأن للإخوان به). وفى أول العام قتل أحد القضاة ممن حكموا على أفراد تلك الجماعة (تقصد الحكمدار)..

" ولقد لقى النقراشى باشا حتفه عقب قراره الذى تأخر كثيرا بل جماعة الإخوان على أساس أن وجودها يهدد الأمن والنظام.. وكان ذلك هو جواب الإخوان عليه".
وقالت اللى تلجراف:

" وهذه الجريمة لن تحقق غرضا وستقابل بالسخط والاستنكار فى جميع أنحاء العالم، وقد محت من سجل الوجود رجلا برهن خلال حياته السياسية الطويلة على أنه أقوى رجل سياسى فى مصر!"
ذلك كان رأى صحافة الإنجليز فى الباشا النقراشى وفى حادث مصرعه.. أما فى مصر فقد عمت الفرحة الناس بقتل النقراشى ورقص بعضهم فاعتقل. وتقلد مقاليد السلطة من بعده إبراهيم عبد الهادى باشا. وإذا كان النقراشى قد بدأ فتح المعتقلات فقد كان على إبراهيم عبد الهادى أن يملأها، وإذا كان النقراشى قد بدأ سياسة البطش والتكيل فقد فاقه إبراهيم عبد الهادى فى ذلك. كما كان تكليف عبد الهادى بتأليف الوزارة من بعد النقراشى يعنى - على الأقل - موافقة الملك على تلك السياسة.

عود إلى القضية

وفى ٢٢ / ٣ / ١٩٤٩ نوصل التحقيق إلى من وصفه رئيس المحكمة بأنه " مهندس الجريمة" وهو ضابط البوليس أحمد فؤاد عبد الوهاب وكان قد نقل أثناء التحقيق إلى مدينة بنها، وذهب البوليس بصحبة النيابة للقبض عليه وتفتيش منزله، وتذكر التحقيقات أنه تمكن من التفرير بأحد زملائه

الضباط وركب سيارة البوليس وانطلق هاربا وتبعته قوات البوليس لمطاردته في حقل على مقربة من الطريق الزراعى إلى القاهرة، وحاول فؤاد الهرب عندما شاهد رجال البوليس يقتربون من مكانه الحقل وعبر بملابسه إحدى الترع فأطلق عليه البوليس النار فاستشهد على الأثر.

كذلك تناول عبد المجيد بأقواله في ٢٢ مارس ١٩٤٩ محمد مالك، فانتظره البوليس الملكى في مسكن اثنين من أقربائه، وحضر ملك إلى المسكن فظنه رجل البوليس زميلا له - كذلك كان مستوى الذكاء - وسأله عن اسمه فتسمى مالك باسم عبد المنعم إبراهيم، وأخبره رجل البوليس بأنه مكلف بأن يحضر إلى قسم البوليس أى شخص يجيء على المسكن، فعاقه مالك وعاجله بضربه بكرسى على رأسه وبادر بالفرار، ولم يتمكن رجل البوليس المضروب على رأسه من اللحاق به

وظل محمد مالك محتفيا رغم المجهودات المكثفة التى بذها البوليس للقبض عليه والإعلانات المتكررة التى ملأت الصحف والجدران وكل مكان تحمل صورته ووعدا بمكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عنه. وأرشد كثيرون عن أشخاص تبين أن ليس منهم محمد مالك، ولكن تشابه فى الصورة، حتى قبض عليه بالإسكندرية فى ١٤ مايو ١٩٤٩، ونشأت عن ذلك قضية أخرى عرفت باسم قضية " إخفاء مالك"

اقم فيها محمود يونس الشربيني محام تحت التميرين وملازم أول طبيب جراح السيد بهجت الجيار والسيد محمد شامة وسعد محمد جبر وأحمد البساطى وآخرون. وقبض على مالك بعد تبادل إطلاق النار ولم تكن جدوى من المقاومة فقد كان البيت محاصرا ونفذت ذخيرته.

تولى تحقيق قضية اغتيال النقراشى النائب العام محمود منصور باشا بنفسه وهو الذى كان رئيسا للمحكمة العسكرية التى حاكمت محمود عيسوى رحمه الله الذى قتل أحمد ماهر فى فبراير ١٩٤٥ وحكمت عليه بالإعدام. ومحمود منصور هذا هو الذى أراد ضم قضية السيارة الجيب وقضية مقتل النقراشى فى قضية واحدة.

ولقد حقق معى هذا الرجل عدة مرات فكان يعتمد اعتمادا أساسيا على جهاز البوليس السياسى بضغطه على المتهمين واصطناع الشهود وشرائعهم، وإلى جوار ذلك كان رأى الذين حقق معهم أنه غبى شديد الغباء وجبان أيضا. ولقد أفدنا نحن المتهمين الذين حقق معهم كثيرا من ذلك وكان ذلك دائما مادة للفكاهة والتندر فيما بيننا بالسجن وفى يوم رفض أن يثبت لى أقوالا عن تدخل رجال

البوليس السياسى لأدلى بأقوال غير صحيحة بدعوى أنها أقوال خارج الموضوع وأن المحكمة لن تصدقنى، فلما هددته ارتعب حتى صار يرتعش وتصطك أسنانه وصرت أكبح ضحكى، حتى إذا تمالك نفسه بعد دقائق راح يعاتبنى ويثبت فى التحقيق ما اردت إثباته.

ولقد كانت حيثيات الحكم فى قضية اغتيال النقراشى على القبض من حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب. فى قضية النقراشى كان رئيس المحكمة محمد مختار عبد الله متحاملا على المتهمين وعلى جماعة الإخوان المسلمين بشكل ظاهر، فى حين كان رئيس المحكمة فى قضية السيارة الجيب أحمد كامل بك متفهما للدعوة وأهداف الجماعة متجاوبا ومقتنعا بمواقفنا وأكثر من ذلك كان معجبا بنا، فوصفنا الأول بأننا جماعة إجرامية إرهابية ووصفنا الثانى بأننا شباب وطنى يهدف إلى تحرير بلاده

القضاء فى مصر

مصر تعتر بقضائها. ولا يعنى هذا أن جميع أسرة القضاء بكاملها كانت دائما وفى جميع العصور على المستوى الذى تعتر به مصر. ولسنا نذهب إلى حد اتهام قاض بأنه عميل أو مرتش بغير دليل، ولكن مهمة القاضى أن يطبق القانون فيما أمامه من أفضية. فإذا كان وجود الإنجليز فى مصر - مثلا - يستند إلى معاهدة وقعها رئيس الحكومة واعتمدها برلمان البلاد فإنه من وجهة نظر القانون هو وضع شرعى! وهنا يكون للقاضى أن يحكم بمقتضى هذا فيعتبر من اعتدى على جنوهم اعتداء على شىء شرعى، ولكن هناك نوعا من القضاة يضع فى اعتباره أنهم جنود احتلال بغيض فيجهد نفسه ليجد لبني وطنه الذين يحاولون تحريرها مخارج مما وقعوا فيه، فتكون فى أحكامهم جرأة وشجاعة وهذا هو الذى يعتر به بلدة ويخلد اسمه

ولقد زخر سجل القضاء بأسماء من هذا النوع الثانى مثل أحمد كامل ومحمود عبد اللطيف وزكى شرف وعبد القادر عودة وعبد الغفار محمد رحيم الله. ولكن كان هناك أيضا بطرس غالى قاضى دنشواى ومحمود منصور ومحمد مختار عبد الله وأحمد الخازندار... ويكفى هذا قبل أن أقول وجمال سالم وأنور السادات والدجوى.. الخ ممن تطفل على منصة القضاء فتسلقها فى عصور الظلام كما تسلق الأبراص والسحالى. فى محكمة الشعب - وهى محكمة شاذة - قال رئيس المحكمة وعضو مجلس قيادة الثورة جمال سالم مخاطبا إبراهيم الطيب الحامى والمتهم رحمه الله قبل أن يحكم بإعدامه،

قال: " أنا مش عارف أنت إيه اللي عملك محامي؟! " فأجابه: " اللي عملنى محامى دراسى ومؤهلاتى، لكن أنت إيه لكن أنت إيه اللي عملك قاضى!!!"

حين تتدهور الأمور وتصل في مصر إلى مرحلة اضمحلال يظل في مصر قضاء ولولا هذا ما حدثت مذبحه القضاء المشهورة في العهد الأسود لجمال عبد الناصر . وقد تستطيع السلطة الباطشة استقطاب هذا أو ذاك. ولكن يكون هناك دائما من يقول كلمة الحق ويرفعها عالية وأجره على الله.

الحكم

وفي الخميس ١٣/١٠/١٩٤٩ صدر الحكم في القضية كالاتي:

أولاً: معاقبة عبد المجيد أحمد حسن بالإعدام.

ثانياً: معاقبة كل من محمد مالك والدكتور عاطف عطية وشفيق إبراهيم أنس ومحمود كامل السيد بالأشغال الشاقة المؤبدة.

ثالثاً: براءة كل من كمال سيد القراز وعبد العزيز البقلي والشيخ السيد سابق والسيد فايز عبد المطلب ومحمد صلاح الدين عبد المعطى وعبد الحليم محمد أحمد ومحمود حلمى فرغل ومحمد أحمد على وجلال الدين يس ومحمد نايل إبراهيم مما أسند إليهم.

وكان المستشار محمد مختار عبد الله وهو ينطق بالحكم يملؤه الغيظ والتشفي وما قال: " ومما يؤسف له أن مهندس الجريمة - يقصد الأخ " أحمد فؤاد عبد الوهاب - رحمه الله - ليس حاضرا، وأنه فضل رصاصات البوليس على حكم الإعدام الذى كان مؤكداً أن هذه المحكمة ستصدره عليه! وكان يتهدد أصحاب البراءة بأن مواعده معهم سيكون في قضية السيارة الجيب، ذلك أنه كان من المقرر حتى حينذاك أن ينظر قضية الجيب أيضا، ولكن مختار عبد الله قدر فقتل كيف قدر، وقدر الله وما شاء فعل.

وتم تنفيذ حكم الإعدام في عبد المجيد أحمد حسن رحمه الله يوم ٢٥ أبريل ١٩٥٠ في عهد وزارة الوفد بعد أن رفض التماس أسرته بالعفو عنه.

استمرار المقاومة

كان حل الإخوان المسلمين في ١٢/٨ / ١٩٤٨ إيذانا بمقاومة عنيفة قد بدأت قبل صدور قرار الحل ذاته وتصاعدت بعده، فقد اتجهت حكومة النقراشي إلى بيع قضية فلسطين والتراخي في قضية مصر والسودان، وقامت مظاهرات واضطرابات كان الإخوان هم مشيروها في محاولة لحمل الحكومة على عدم التفريط في حقوق الأمة واتجاهها. وحاصرت قوات البوليس كلية الطب، حيث اجتمع الطلبة المضربون، وجاء اللواء سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة يجلس على سيارة بوليسية مصفحة يركبها من خارجها وقد أمسك في يده رشاشا صغيرا يتقدم قوات البوليس لافتحام الكلية، وألقى أحدهم قنبلة يدوية من فوق سطح الكلية، كانت القنبلة من النوع الإيطالي الصوتي الذي لا يصيب عادة ولكن شظية من غلافها الصفيح انطلقت فذبحته من قفاه، وقيل بل أصابته في خصيته. ومال الرجل على جنبه ميتا.. وعادت بهم صفحته التي تسمت باسمه "سليم" ولم يعرف البوليس الفاعل فلم تكن قضية. وقيدت ضد مجهول.

واستمرت الإضرابات في الجامعات والمدارس واصطدام البوليس يوم ٦/١٢/١٩٤٨ بطلاب المدرسة الخديوية وألقيت عليه القنابل وقبض على الأخوين السيد بدر ولطفى فتح الله فيما عرف بقضية قنابل الخديوية وحكم عليهم بالسجن عشر سنوات. زفي ١٤ / ١٢ / ١٩٤٨ ضبط البوليس دكانا يستأجره الأخ سعد السنانيرى مليئا بالقنابل والمفرقات. وراحت الحكومة تعتقل الإخوان وتفتح لهم معتقل الهايكستيب ثم معتقل الطور. وعمد الإخوان إلى استئجار منزل للإيواء إليها وقد هجروا بيوتهم حتى لا يقعوا في أيدي البوليس، وسقطت بعض تلك البيوت وأطلق عليها أعداء الإخوان اسم الأوكار، وشاع الاسم حتى استعمله الإخوان أنفسهم، بعض تلك البيوت عشر فيها على أسلحة، وكانت " قضية الأوكار". وقد استشهد الأخ أحمد خليل شرف الدين عندما هاجمت الشرطة أحد تلك المنازل بحي روض الفرج.

وفر يوسف على يوسف من البوليس الذي كان يطلبه ثم قبض عليه بمدينة الإسكندرية فكانت قضية اسمها " قضية يوسف على سوسف" اقم فيها إبراهيم عمار وحسن أبو العينين ومحمد نبيل دكرورى وعبد الحليم محمد حسين ومحمود محمد يونس ومحمد على خليفة وسعيد سلام وخطاب السيد خطاب وحسن الخندويل.

ثم وقع حادث خطير من أحد تلك " الأوكار " ففي ٥ مايو ١٩٤٩ أطلقت النار بكثافة من بيت بجبهة فم الخليج على موكب حامد جودة رئيس مجلس النواب السعدى فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى. وكان الهدف فى واقع الأمر هو موكب إبراهيم عبد الهادى نفسه. الذى كان يسلك طريقه من مجلس النواب إلى بيته فى المعادى . ولكن مر حامد جودة قبله من نفس الطريق حيث كان يسكن المعادى أيضا وفى موكب كموكبه، فحسبه الإخوان المتربصون الموكب المطلوب وفتحوا عليه النيران أسلحتهم من التومى جن والبرن والقنابل اليدوية. أصابت النيران بعض المارة ولم تصب حامد جودة، ولكن كان للحادث أثره فى تحول السياسة الداخلية، إذ بدأ الملك فاروق يقلق من استمرار حوادث المقاومة ولعله أن يكون قد خشى على نفسه. ولقد كان هناك تفكير بالفعل عند بعض الإخوان لتوجيه ضربتهم إليه، وعلى اثر هذا الحدث سقطت وزارة إبراهيم عبد الهادى وولى الوزارة حسين سرى باشا، فأجرى انتخابات جديدة فاز فيها حزب الوفد. وكانت عدته فى ذلك الفوز إساءة السعديين إلى الأمة، واعتقال أبنائها والحكم بالإرهاب.

حادث المحكمة

وقبل أن نمضى مع العهد الوفدى الجديد نعرض لحادث هام وقع فى ١٣ / ١ / ١٩٤٩، فى وزارة إبراهيم عبد الهادى. ففي هذا اليوم حاول شفيق إبراهيم أنس إحراق غرفة التحقيق لقضية السيارة الجيب وفيها ملف القضية وكل أحرارها. وقد سبق ذلك أن التحق الأخ جمال الدين عطية بوظيفة كاتب تحقيق نيابة الإستئناف وشهد بعض تحقيقات قضايا الإخوان قبل أن يقبض عليه هو نفسه متهما فى قضية الأوكار. ذهب شفيق يحمل حقيبة مليئة بالمتفجرات متظاهرا بأنه من وكلاء النيابة فى الأقاليم جاء ببعض التحقيقات الهامة لعرضها على النائب العام. كان وصوله فى وقت مبكر قبل موعد حضور المحققين والقضاة والمتقاضين، وسأل عن النائب العام فقبل له إنه لم يحضر بعد، فقال إنه سيترك الحقيبة حتى يتناول إفطاره ويعود، وترك طربوشه مع الحقيبة وانصرف.

ولكنه ما كاد يفعل حتى اشتبه ساعة النيابة العامة فى أمر الحقيبة فقد كانت حوادث الانفجارات تقع من حين لآخر، فحملوا الحقيبة إلى خارج المبنى ووضعوها أمامه فى ميدان باب الخلق حيث انفجرت وسمعنا دويها من سجن الآجانب، وانطلقوا فى أثر شفيق حتى قبضوا عليه. ونفى شفيق أن يكون قد

حضر إلى النيابة أو ترك الحقيبة ولكن الطربوش كان مقياسه واستعان الخقق بكلب بوليس فشم الطربوش ثم تعرف على شفيق. وعلل شفيق ذلك في التحقيق بأن الخقق قد وضع الطربوش على رأسه قبل أن يشمه الكلب، وأراد الخقق أن يدحض حجة شفيق فألبس الطربوش أحد موظفي النيابة ثم عرضه على الكلب فلم يتعرف عليه. وهنا قال الدفاع ممثلا في زهير جرانة الخامي إنه كلب لا يمكن أن يوثق به بتجربة النيابة ذاتها، فقد وضعت الطربوش على رأس موظفها ومع ذلك عجز الكلب عن التعرف عليه. ومع ذلك فقد حكم على شفيق بالأشغال الشاقة المؤبدة، وكان ذلك قبل أن يرد ذكره في قضية النقراشي، فكان يحضر تحقيقات هذه القضية الأخيرة ومحامتها بملايس الليمان.

كان يمكن أن نمضى مع هذا الحادث عند هذا الحد. ولكن حصاد العمر يخرجنا عن خطنا مرة أخرى فقد جاء في صفحة ٩٤ ما يأتي: " ويفسر لنا هذا الحادث الذى نفذ في هذا الوقت مدى فقد الشعور بالمسئولية التى كان السندي ينظر من خلالها إلى الأحداث..

ويجد ربي أن أشير هنا إلى أنه قبل هذا الحادث بأشهر قليلة عرفني المرشد بالأخ فايز لإعتباره المسئول عن النظام الخاص وكان عبد الرحمن السندي في هذا الحين محبوسا احتياطيا بسبب اتهامه في قضية السيارة الجيب ورأيت في سيد فايز صنفا من الرجال يحدوه الحرص على الالتزام بكل ما يأمر به المرشد.. وفي نفس الوقت كان يفكر في الأحداث بعقل مستنير يستلهم به الحفاظ على كيان الجماعة، يخدمها بجهده وعزمه ولا يستخدمها لهواه، وكان سيد فايز يشارك حسن البنا إدراكه خلل روابط السندي بالقيادة، ويعلم أن حسن البنا كانت تشغله قضية الإصلاح، وأن الظروف ربما أتاحت هذه الفرصة بواسطته، حيث إنه أصبح مسئولاً عن إدارة النظام تحت إشراف من موافقة في الفكر والرغبة في الإصلاح. ولذلك فقد حدثني عن كيفية ذلك وعن الصعاب التي يواجهها في نقل الاختصاصات إليه حتى انتهى الأمر إلى الفشل، وكان تخطيطه لهذا الإصلاح سببا في إيغار صدر السندي عليه. "ووصل إلى علم المرشد عزم السندي على القيام بحادث إحراق المستندات التي كانت في دولا ب محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق فكلفني بإبلاغ سيد فايز برفض هذه العملية والتأكيد على ذلك، بل والالتزام بالهدوء الكامل، خاصة والجماعة ما زالت تعاني من آثار قتل الخازندار والنقراشي".

وأكدت على سيد فايز هذا المفهوم الذى أبلغني أنه أكده بدوره على إخوان النظام!! {علامات التعجب من كتاب حصاد العمر}

" ولكن السندى كان قد أبرم أمره وهو فى السجن بضرورة تنفيذ العملية! من وراء ظهر سيد فايز ومن وراء مرشد الجماعة، ظنا منه أن إحراق أوراق التحقيق لقضية الجيب فيه إعدام الدليل على التهمة التى تلحق بالأشخاص المدونة أسماءهم فى أوراق التحقيق".

ويعضى حصاد العمر على هذا المنوال يبين ويدلل على عدم صلاحية السندى وانحرافاته واتجاه الأستاذ البنا إلى إبعاده ثم لا يعفى قيادة الإخوان - يعنى الأستاذ البنا - من مسئولية عدم مبادرتها إلى مساءلته.. الخ. لا داعى لنقلها مرة أخرى وإنما يخرجنى لأقول ما أعلم اضطرار وباختصار شديد.

حدث الحكمة نفذه شفيق إبراهيم أنس بأمر من السيد فايز رحمه الله شخصيا. وفوجيء عبد الرحمن السندى بالحدث ولم يكن له به علم مسبق. شفيق أنس لم أره منذ عشر سنوات على الأقل أطل الله بقاءه حتى يرزق يسأله من يشاء دون أن أستاذنه فى ذلك. ثم لا تعليق أكثر.

حدث الخازندار أنفذه عبد الرحمن السندى دون استئذان المرشد، وحدث الحكمة أنفذه " السيد فايز" بعد رفض المرشد. يرحم الله الجميع، حسن البنا وعبد الرحمن السندى، والسيد فايز، وصلاح شادى ويرحمنا جميعا.

وفى الطبعة الثالثة من حصاد العمر، جاء مرة أخرى {ص ١٣٨} ما نقلنا عنه سابقا وأضاف فى الهوامش.

"أبلغنى الأخ عبد الحلیم محمد أحمد أنه كان ضمن الأشخاص المكلفين بهذه العملية. وأكد أن المرحوم السيد فايز هو الذى أبلغهم بنفسه تنفيذها وأنه متأكد تماما أنه لم يتلق أى أوامر من المرحوم عبد الرحمن السندى بشأن التنفيذ كما أنه متأكد تماما من أن هذا الحادث قد جرى بغير موافقة الأستاذ حسن البنا.

" كما أنى من جهتى، أثق تماما فى عمق احترام سيد فايز لأوامر المرشد العام كما أثق تماما فى صحة أقوال الأخ عبد الحلیم محمد أحمد التى أكدها أيضا الأخ شفيق أنس للأستاذ عبد الحفيظ الصيفى.

والأمر بهذه الصورة يدعوننا إلى نفي اتهام المرحون السندی بتكليف الإخوة المنفذين لهذه العملية بالقيام بها في أثناء وجوده خلف القضبان بشهادة مسلمين عدلين هما الأخوان شفيق أنس وهيد الحليم محمد أحمد.

"ولكن.. الأمر بعد ذلك يثير العجب، فرمما يكون أمر التنفيذ قد صدر من المرحوم سيد فايز بالإعداد لهذه العملية فقط، فطن القائمون على التنفيذ أنه أمر بالتنفيذ، فلما لاحقهم أمر المرشد العام بالرفض لم يسعف الوقت المرحوم سيد فايز إبلاغه لهم.. فتم التنفيذ قبل إبلاغهم بالرفض.. وربما كان هذا التصور أقرب إلى الواقع الذي ننشد جلاء غوامضه، خاصة وسرعة الاتصال لم تكن ميسرة في هذا الوقت..".أهـ

أعتقد أن الأمور قد وضحت بلا غموض، ولا مجال لربما من بعدها ربما. وكإخوان مسلمين أقترح أن يكون نهجنا أنه كلما استابنت الأمور أن نصحح المفاهيم فتتقارب القلوب ول بعد موت بعضنا، بدلا من استمرار تناوبنا بالألقاب لغير أسباب.

الفصل الحادى عشر

١٢ فبراير ١٩٤٩

استشهاد الإمام

تريدون قتلى

حين اقتحمت قوات الشرطة دار المركز العام للإخوان المسلمين على أثر إعلان قرار حل الجماعة مساء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨، وراحت تعتقل كل من كان هناك إلا الرجل ذاته. وراح يركب مع إخوانه لوريات الشرطة التي جاءت لتحملهم إلى المعتقل، ولكنهم منعوه.. قالوا إن الأوامر لديهم بإعتقال الإخوان، أما رئيس الإخوان فلا! وسمعه الإخوان يقول لهم "إذا تريدون قتلى". نعم.. إذا لم يكن لدى هؤلاء الناس هذه النية فإن المنطق كان يقضى بأن يكون حسن البنا هو المعتقل رقم واحد. أما وقد تركوه.. بل رفضوه معتقلا فقد بات الأمر واضحا.

لقد كان محمود فهمى النقراشى من أكبر الطغاة فى عصره طغيانا وكذلك خلفه إبراهيم عبد الهادى باشا. هذا باشا وذاك باشا. وإذا نحن ذهبنا نقارن ونوازن بينهما وبين جمال عبد الناصر لنقرر أى العهدين كان أظلم وأظغى، لما كان هناك جدال فى أن عهد عبد الناصر كان أسود العهدين من حيث كمية اجترائه على حرمان العباد والغلو فى شأن استذلالهم.. كما ونوعا. لقد كان من طراز فرعون موسى إذ قال لشعبه {أنا ربكم الأعلى} {وما علمت لكم من إله غيرى}

كما قال عبد الناصر فى خطابه يوم المنشية ممتنا على شعبه "أنا خلقت فيكم العزة! أنا خلقت فيكم الكرامة!!". غير أن عهد السعيد قد أخذ راية السبق.. لقد فتح النقراشى وعبد الهادى الباب لهذا الاجتراء.. واجتازاه على شىء من الاستحياء أو التخفي. فإذا أراد عبد الهادى قتل الرجل تأمر لذلك فى الظلام وإذا أباح تعذيب الإخوان لتقديمهم إلى قضايا ومحاكمات أخذ من وقع عليه الاختيار خارج السجون العمومية إلى حيث يعذبونه بمبنى المحافظة حيث البوليس السياسى. أما عبد الناصر - وقد مهد له إبراهيم عبد الهادى - فقد جاء أكثر تعريفا وأقل حياء، فعم التعذيب فى عهده عشرات الألوف فى سجونهم، وإذا أراد أو أراد زبانيته قتل رجل قتلوه عيانا بيانا داخل السجن بشج رأسه فى جدار الفسقية بالسجن الحربى أو بالضرب بالكرباج حتى الموت، أو بغير ذلك من الأساليب المفضية إلى إزهاق الروح، أو بافتعال محكمة من بعض ضباطه نحكم على الشهيد بالإعدام شنقا. "إذا تريدون قتلى".. قالها الرجل يكشف النقاب عما يبيتون من نية. وأراد الأستاذ بعدها أن يقيم لدى الحاج عبد الله النبراوى رئيس الإخوان فى بنها.. فرفضت الحكومة!. الإعداد للجريمة

وشأن جميع الزعماء كان لدى الأستاذ مسدس مرخص، فسحبت الحكومة الترخيص وصودر السلاح. كذلك سحب التليفون من منزله وفضت على الرجل الرقابة فلم يكن يروح ولا يجيء إلا ورجال البوليس يتابعونه ويحاصرونه. وكان شقيقه عبد الباسط البنا ضابطا بالبوليس فاستقال من الخدمة حتى يتفرغ لحراسة شقيقه بعد أن استشعر الخطر على حياته، فصدر الأمر باعتقال عبد الباسط.

وبدأت مرحلة من الاتصالات بين الأستاذ المرشد وبين الحكومة عن طريق وسطاء، ولكنها لم تكن أكثر من مماطلة من الحكومة حتى تنفذ قتل الرجل. وكان أول وسيط هو المحامى (الوزير) مصطفى

مرعى فى لجنة ضمت صالح حرب باشا وزكى على باشا ومصطفى أمين، ولكن مصطفى مرعى رفض الاستمرار فى الوساطة على أثر حادث المحكمة.. ذلك الحادث الذى استؤذن الأستاذ البنا فى تنفيذ فرفضه ولم يأذن به.. ولكنه نفذ فوضع الرجل فى أشد حالات الحرج. لست أدرى ماذا قال فى حينها، ولكنه لو قال إن هذا العمل تم دون أمره لصدق الصدق كله.

ولم يكمل الأستاذ فعاود الاتصال عن طريق رجل آخر اسمه محمد الناعى، كان يمت إلى إبراهيم عبد الهادى بصلة القرابة. وكان لقاؤهما يتم فى دار جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى { حاليا شارع رمسيس - القاهرة) ولقد كان عبد ميلاد الملك فاروق فى ١١ فبراير، ولا بد أن التنفيذ كان مديرا أن يتم فى ذلك اليوم أو تلك الليلة، ولكنه تم بالفعل فى مساء اليوم التالى ١٢ فبراير ١٩٤٩. ولا بد أنه كانت هناك أسباب - لا ندرىها - عاقبتهم عن قتل الرجل لمدة يوم.

وكان للبوليس السياسى مرشدون فى كل مكان، وكان مرشدهم فى جمعية الشبان المسلمين هو محمد الليشى أو لعله كان أحد مرشديهم لدى الجمعية. وقد اتصل به الصاغ (الرائد) محمد الجزار أحد الضباط المبرزين بالبوليس السياسى ومن أكثرهم ولاء للإنجليز، وكلفه بإبلاغه تليفونيا حين يقترب الأستاذ البنا من الخروج من دار الجمعية. ولعل الليشى كان يظن أن الغرض من ذلك هو الغرض الروتينى لمراقبة الرجل وتعقبه فنفذ ما كلف به.

الحكومة القاتلة

وخرج الأستاذ من دار الجمعية وبصحبه صهره (زوج شقيقته) الأستاذ عبد الكريم منصور المحامى فكان المرور مقطوعا بهذا الجزء من الشارع الذى هو أكبر وأطول شوارع القاهرة، كذلك كانت الإضاءة مقطوعة والظلام يخيم على المكان. كانوا قد استدعوا سيارة أجرة ركبها الأستاذ البنا والأستاذ عبد الكريم، وقبل أن تتحرك تقدم منها شخصان مسلحان بالمسدسات وراح أحدهما يطلق النار على الأستاذ داخل السيارة فأصابه برصاصات. وفتح الأستاذ البنا باب السيارة ونزل منها وأمسك ذلك الجرم بيده، فتقدم زميله الجرم الثانى لتجدته وأطلق على الأستاذ وانسحب بزميله فعبرا الشارع إلى الجانب الآخر حيث ركبوا سيارة كانت تنتظرهما وبها سائقها فانطلقت بهما.

يبدو أن محمد الليشى كان قد خرج لتوديع الأستاذ عند انصرافه من دار الجمعية، أو أنه خرج على صوت إطلاق الرصاص واستطاع أن يلتقط رقم السيارة، فتكلم به وذكره. لقد كان الشارع

حينذاك تخترقه خطوط الترام ذهابا وإيابا في شطر الشارع جهة دار الجمعية وكان له رصيف عريض، أما السيارات فكان مخصصا لها الشطر الآخر، فكان عرض الشارع للسيارات ذهابا وإيابا على النصف مما هو عليه اليوم أو أقل، ولذلك أمكن محمد الليثي وقد اجتاز شطر الشارع المخصص للترام أن يرى السيارة وأن يلتقط رقمها. واستطاع مراسل جريدة المصرى أن يحصل على هذا الرقم من فم الليثي وسارع به إلى جريدته التي بادرت بنشره صباح اليوم التالي، وصودرت الجريدة وأحرقت جميع نسخها فقد كان الرقم هو رقم سيارة الأميرالاي (عميد) محمود عبد المجيد الذي كان مديرا لأمن سوهاج وكان مشهورا هناك- وهو مدير الأمن - أنه سفاح متعطش للدماء..

وسارع الصاغ محمد الجزار يتصل بمرشدهم محمد الليثي ليطلب إليه عدم ذكر رقم السيارة ويلح في الطلب ويرهفه بالضغط والالحاح. ولجأ الليثي إلى رئيس الجمعية اللواء صالح حرب باشا وكان من أصدقاء الإمام الشهيد وإلى السيدة زوجة اللواء يقص ما رأى وتدخل الصاغ الجزار لتزييف شهادته. ولنترك الآن أمر الليثي والجزار لننظر ما كان من أمر الأستاذ البنا.

اتمام الجريمة

هرب الجناة يعد أن أصابوه برصاصهم كما أصابوا الأستاذ عبد الكريم منصور إصابة غير قاتلة. واتجه الأستاذ البنا والأستاذ عبد الكريم إلى المركز الرئيسي لجمعية الإسعاف وهو لا يبعد كثيرا عن جمعية الشبان المسلمين، ولكنها مسافة طويلة على رجل مصاب برصاصات تدل على قوة بنيته إذ قطعها سيرا على الأقدام - ومازال الاسعاف وجمعية الشبان في مكائهما حتى يومنا هذا. ومن هناك نقلنا إلى مستشفى القصر العيني لإجراء الإسعافات اللازمة، فلم تكن جمعية الإسعاف طرفا في المؤامرة.

ولاشك أن الرجل كان تحت أعين البوليس السياسى ورقابته طوال هذه الرحلة غدا إنه قبل أن يصل إلى مستشفى القصر العيني كان محمد الجزار ورجاله هناك وضربوا حصارا حول الرجل الصالح. كان الدكتور محمد سليمان من الإخوان وكان من أطباء المستشفى ومن هيئة التدريس بكلية طب قصر العيني، وطلبه الأستاذ البنا باسمه فوعده خيرا، ولكن أحدا لم يبلغ الدكتور محمد سليمان شيئا، واستمر الحصار حول الرجل يمنع إسعافه والدماء تنزف حتى قضى الأمر وأسلم الروح إلى بارئها. ما أجون قتل الأئمة المصلحين في هذه الأرض، ومن قبل كان ذلك من فعال بنى اسرائيل التي

استحقوا بما غضب الله سبحانه وتعالى { افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون }

الجنائز

واتصل البوليس السياسى بالشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الإمام الشهيد فى بيته ليخبروه الخبر ويخبروه بين أمرين.. أن يحضروا جثمان ابنه إلى بيته ليقوم بدفنه دون أى احتفال أو جنازة..

أو يقوموا هو بدفنه بمعرفتهم دون أن يراه. وفى ثبات وصبر وإيمان اختار الشيخ الأمر الأول. وتحت جنح الظلام فى جوف الليل حملوا جريتهم وجريمة عهدهم بل جريمة عصرهم إلى ذلك المنزل المتواضع بالحلمية الجديدة، ولم يغفلوا عن حصار البيت، فلا أحد يدخل ولا أحد يخرج.

ورفضوا استدعاء الحانوتى للقيام بما يلزم فقام الشيخ بنفسه وبدون معاونة من أحد بتغسيل ولده الشهيد إمام الهدى فى عصره الذى لم يجاوز الثالثة والأربعين من عمره.. غسله وكفنه، وأحضروا له نعشا فوضعه فيه، ثم طلب إلى رجال البوليس حمل الجنازة، قالوا تحمله النساء!!! وكان الرجل شيخا كبيرا وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا. فعاونوه فى حمله نساء بيته المؤمنات الصابرات إلى مسجد قيسون للصلاة عليه وهى مسافة مجهدة. وكان البوليس ينتشر فى المنطقة وقد أمر بإغلاق النوافذ والأبواب حتى لا يرى أحد هذه الجنازة التى لم يذكر التاريخ قديمه ولا حديثه مثيلا لها.. لا فى الشرق ولا فى الغرب ولا فى أى مكان أو زمان. لم يسمح لأحد أن يرفع إصبعه بالشهادة، ومن فعل اعتقل، واستطاع أفراد قلائل من الإخوان الوصول إلى المكان فاعتقلوا، مثل محمد الغزالى الجبيلى وإبراهيم صلاح ومحمود يونس رحمه الله.

وتم الدفن فى مقابر الأسرة بالإمامين. والإمامان هنا هما الإمام الشافعى والإمام الليث بن سعد لكل منهما ضريح فى مسجده، ودفن الإمام حسن البنا فى مقبرته بعد هذين المسجدين فى مكان معروف هناك... ورابط رجال البوليس ومعهم إحدى سياراتهم المدرعة على القبر شهورا بعدها! لا ندرى لماذا!!! لعلهم خافوا أن يأتى أحد فيقرأ الفاتحة!! ذلك الحى(الإمامين) إن جاز أن تقول عنه "الأئمة" فقد حل به حسن البنا رضى الله عنه. وأذاعت حكومة إبراهيم عبد الهادى أن الإخوان المسلمين قتلوا مرشدهم! وحفظ التحقيق وقيد ضد مجهول.. ولم يكن أحد يجهد من المحرض ولا من القاتل، لقد كانت أسماء محمود عبد المجيد والمخبرين اللذين أطلقا الرصاص أحمد حسين جاد وأحمد عبد

الحميد وسائق السيارة محمود محفوظ ومحمد الجزار الذى أراد أن يخفى معالم الجريمة كانت كلها أسماء معروفة لنا جميعا. وظل أصحابها فى أمان تام حتى وقع انقلاب ٢٣ يوليه ١٩٥٢ وأراد أصحابه التقرب إلى الجماهير والتشهير بالعهد البائد ونشر غسيله القذر وفضح مخازيه، فكانت هذه القضية من أبرز ما بتاجر به فى ذلك، فأعيد التحقيق وقدمت القضية إلى المحاكم وصدر حكم القضاء على هؤلاء جميعا بالسجن مددا متفاوتة بدأ تنفيذها. ولكن ما إن ساءت الصلات بين الإخوان وبين جمال عبد الناصر حتى أصدر عفوا عن هؤلاء القتلة وتم الإفراج عنهم.. الأمر لا يحتاج إلى أى تعليق.

لم يبق للشهيد مآتم.. وكل من حلول الوصول للبيت وصل إلى معتقل جبل الطور بالطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء، قريبا من الوادى المقدس طوى حيث كلم الله موسى.

لا إسعاف... ولا جنازة... ولا مآتم.

ولم يستطع الوصول إلى البيت وتقديم العزاء للشيخ الوالد إلا مكرم عبيد باشا الوزير السابق استطاع الوصول والقيام بالواجب لسببين:

الأول: أنه كان قبطيا فلم يكن محل تهمة بانتتمائه إلى الإخوان المسلمين.

والثاني: أنه كان رجلا.

ولقد كان مكرم عبيد من أصدقاء الأستاذ البنا الذين يعرفون للرجل فضله وقدره، وكان الأستاذ البنا يبادله التقدير.

وهناك فى قصر النقراشى بمصر الجديدة كانت زوجته تمنح هداياها إلى المخبرين اللذين أطلقا الرصاص على الإمام الشهيد.. خمسين جنيتها وبدلة من حلل زوجها المتوفى التى لم تعد لها قيمة لكل منهما. يذكرنا هذا بما جاء فى إنجيل متى أن يهوذا باع المسيح إلى الرومان ليقتلوه بثلاثين مثقالا من الفضة. كان حزب الكتلة الذى يرأسه مكرم عبيد يصدر جريدته " الكتلة" وقد وصفت ما حدث، كتبه مأمون الشناوى بدون توقيع فى عددها (١١ نوفمبر ١٩٤٩) بعد عهد إبراهيم عبد الهادى، ونقله عنها كتاب " من قتل حسن البنا" {ص ٥٤٢}.

قال: " نقل جثمان حسن البنا إلى بيته فى سيارة تحرسها سيارة مملوءة بقريق من رجال البوليس المسلحين.

وفي أحد شوارع الحلمية وقفت القافلة ونزل الجند فأحاطوا ببيت الفقيد، ولم يتركوا تقبا إليه الشك إلا وسدوه بجندى وسلاح! وقف والد الشيخ البنا، ذلك الرجل الهرم الذى جاوز التسعين عاما، ولم تبد عليه عوامل السنين.

عرف بخبر وفاة ولده من أحد الضباط فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. وقيل له: إنهم لن يسلموا جثته إلا إذا عدهم بأن تدفن فى الساعة التاسعة بلا احتفال، وإلا فإنهم سيضطرون إلى حمل الجثة من مستشفى قصر العيني إلى القبر.

واضطر إزاء هذه الأوامر إلى أن يعدهم بتنفيذ كل ما تطلبه الحكومة رغبة منه فى أن تصل جثة ولده إلى بيته ليلقى عليه نظرة أخيرة. ظل الرجل ساهرا تطحنه الأحزان. وقيل الفجر تتابعت على باب المسكن طرقات كان صداها يطحن قلب الشيخ كان وحده الذى يعلم وينتظر، فإن أشقاء الفقيد كانوا داخل المعتقلات، فتحوا الباب وأدخلوا الجثة متسللين فلم يشهدا أحد من الجيران، ولم يعلم بوصولها سواه. وظل حصار رجال البوليس مضروبا لا حول البيت وحده بل حول الجثمان نفسه، لا يسمحون لإنسان بالإقتراب منه مهما كانت صلته بالفقيد. وقام الأب نفسه بإعداد جثة ولده وتجهيزها للدفن، فإن أحدا من الرجال المختصين بذلك لم يسمح له بالدخول.

ثم نزلت الجثة حيث وضعت فى النعش وبقيت مشكلة من يحملها إلى مقرها الأخير. طلب إلى رجال البوليس أن يحضروا رجالا كي يحملوا النعش فرفضوا. قال هو:

-ليس فى البيت رجال.

أجابوا: لتحملها النساء!

وخرج الفقيد محمولا على أكتاف النساء وفى مقدمتهن فتاة قوية صبور تهتف بأبيها:

قر عينا يا أبتاه فلن نتخلف عن رسالتك، لئن منعت الحكومة من يشيع جنازتك - وأسفاه لندالة الحكام - فحسبنا عزاء وجزاء أن أرواح الشهداء تمشى معنا، وتشيع عن أهل السماء ما عجز عن تشييعه أهل الأرض.

وسارت الجنازة الفريدة فى الطريق، فإذا بالشارع كله قد صف برجال البوليس. وإذا بعيون الناس من النوافذ والأبواب تصرخ ببريق الحزن والألم والسخط على الظلم المسلح، الذى احتل جانبي

الطريق. وعندما وصل الموكب الحزين إلى جامع قيسون للصلاة على جثمان الفقيد كان المسجد خاليا من الناس حتى من الخدم، فإن رجال البوليس قدموا إلى بيت الله وأمروا من فيه بالانصراف كي لا تتم الصلاة على الجثمان. ووقف الأب أمام النعش يصلى ، فانهمرت دموعه في ابتهاجات إلى السماء، ومضى النعش إلى مدافن الإمام الشافعي و فورى " البنا" التراب، وعاد الجمع القليل إلى البيت الباكي الحزين.

عادت النساء الثلاث اللاتي حمان النعش على أكتافهن، وعاد الوالد الواله الحزين { أحسب الثلاث المذكورات كن أم الأستاذ وزوجته وابنته وفاء} وهكذا في اثني عشرة ساعة قتل الشيخ البنا، وشرح، وغسل، ودفن، وانطوت صفحة حياته.

ومضى النهار وجاء الليل، فحرم على أفراد الأسرة إقامة العزاء وتلاوة القرآن ولم يحضر أحد من المعزين، لأن الجنود منعوا الناس من الدخول، أما الذين استطاعوا الوصول للعزاء فلم يستطيعوا العودة إلى بيوتهم، فقد قبض عليهم وأودعوا المعتقلات، عدا مكرم عبيد باشا الذى تعرض لعنت رجال البوليس حين أرادوا أن يمنعوه من واجب العزاء فلم يمكنهم، ودخل البيت وأزجى كلمات العزاء"أ.هـ—

وقد كتب مكرم عبيد باشا كلمة بعنوان " الإمام الشهيد" نشرتها مجلة الدعوة في عددها رقم ٥٢ - ١٢ فبراير ١٩٥٢ جاء فيها:

" ولقد زرتة رحمه الله إثر موته في منزله.. فكانت زيارة لن أنسى ما حييت أثرها الفاجع والدامع.. ولقد هالني أن أجد قوة من البوليس تحاصر الشارع الذى به منزل الفقيد، لولا أن ضابط البوليس عرفنى فسمح لى بالمرور، لما تيسر لى أن أؤدي واجب العزاء.."

"ولئن نسيت فلن أنسى، كيف كان والده الشيخ البار متأثرا بهذه الزيارة حتى أنه قص علينا والدمع يفيض من عينيه كيف منعوا الناس من تشييع جنازة الفقيد، ولم يسمح لغير والده بالسير وراء نعشه، كما لم يسمح للمعزين بالعزاء في منزله، وراح الوالد الكريم شكرني ويدعوا لى دعواته المباركات التى مازلت أتبرك بها.. ولو أنى قلت له: إن واجب العزاء هو رفض واجب الأداء . فإذا ما قصرت فيه أنا أو أى مصرى كان فى ذلك تنكر لتقاليدنا وأوليات الوفاء... الخ

في كتابه " من قتل حسن البنا" لم يذكر محسن محمد رأيا وإنما كان جامع أخبار وكأما انتهى ما قدمه إلى أن الذى قتل الأستاذ هو املك فاروق وقد ختم كتابه بمقارنة ذات مغزى عقدها بين الأيام الأخيرة للأستاذ والأيام الأخيرة للملك، ثم بين جنازة الأستاذ وجنازة الملك. جاء بها أن الدولة فرضت حصارا على الأستاذ البنا ولم تعتقله مع إخوانه حتى صار وحيدا لا يلقى أحدا ولا يلقاه أحد، وكذا فاروق في ايطاليا بعد عزله.. بلا أتباع، ولا أحد يحفل به أو يناقحه أو يتملقه، ولا أحد يخطب وده إلا ماله. كان من يحاول الاتصال بحسن البنا يلقى في المعتقل وصار من يحاول الاتصال بقا روق يلقى العنت كل العنت من نظام الحكم في مصر. استشهد حسن البنا في الثالثة والأربعين من عمره ومات فاروق في الخامسة والأربعين - في ليلة ١٨/٣/١٩٦٥ - تقريبا في نفس توقيت استشهاد " حسن البنا".

وبعد استشهاد المرشد بمستشفى قصر العيني نقل إلى مشرحة النيابة، وبعد موت فاروق نقل إلى مشرحة روما لمعرفة سبب الوفاة وتحنيط جثته.

وحملت نساء الأسرة نعش حسن البنا ومعهن ابنه أحمد سيف الإسلام الذى كان في الرابعة عشرة. وبقيت جثة فاروق في مقبرة روما تنتظر موافقة عبد الناصر على دفنه في مصر وسار خلفه هناك بعض بعض أخواته وابنه أحمد فؤاد وكان في الثالثة عشرة، ثم وافق عبد الناصر بشروط، ألا يشيع كملك وألا يكون جنازته موكب وألا يدفن في مقابر الأسرة المالكة بالرفاعى وإنما يدفن في مقابر الإمام الشافعى. ونقلت الجثة في طائرة مصر للطيران التى تأخرت عمدا في أننا حتى لا تصل إلى القاهرة إلا بعد منتصف ليلة (٣١ مارس ١٩٦٥) وكان في استقباله شقيقاته وقد اتسحن بالسواد، ثم تأخر وصوله إلى المقابر بسبب إجراءات الأمن، فتم ذلك في التاسعة صباحا تحت حراسة بوليسية تمنع الناس من الإقتراب (سبحان الله). يقول محسن محمد" كانت جنازة فاروق في نفس موعد جنازة حسن البنا ومشابهة لها.. تماما!" ولم يدخل مقبرة فاروق ساعة الدفن من رجال الدولة إلا جاويز شرطة، وشيعت جنازته النساء وحدهن. ثم طلبت الأميرة فوزية بعد ذلك نقل شقيقها فاروق إلى مسجد الرفاعى فوافق الرئيس السادات بشرط أن يتم ذلك سرا وأن ينقل في سيارة الموتى السوداء بلا موكب، فتم في ذات الموعد - التاسعة صباحا - ولم يصل عليه إلا عمال المسجد ولم يحضر الدفن سوى فوزية وكان هذا الدفن الثانى بعد عشر سنوات من الدفن الأول ومشابهة له.. ومشابهة لدفن الشهيد حسن البنا رضى الله عنه .

بعد تلك الأيام التي قتل فيها الأستاذ الإمام شهيدا فلم تكن له جنازة، كانت راقصة يهودية اتخذت "كاميليا" اسما فنيا لها واسمها الحقيقي ليليان كوهين، كانت عشيقة للملك فاروق وكان لها شأن في الأمر العسكري الذي اصدره النقراشي بحل جماعة الإخوان المسلمين، إذ كانت على صلة معلومة بمدير الأمن الذي أعد للنقراشي مذكرة حل الجماعة في فترة من فترات هجر فاروق لها. وعلمنا ونحن في السجن أن إخوانا لنا بالخارج يدبرون لضرب مدير الأمن العام هذا وهو في بيتها ولكنه انقطع عن التردد عليها. هذه الراقصة المثلة اليهودية أخذت الطائرة الأمريكية ستار أوف مرييلاند من طراز كونستالشن من القاهرة إلى سويسرا***** في عام ١٩٥٠ بدعوة من الملك فاروق لقضاء وقت معا في ديوفيل بفرنسا . ولكن ما كادت الطائرة تصعد إلى السماء حتى انفجرت فوق الصحراء الغربية وسقطت جثتها على رمال الصحراء قريبا من طريق مصر - الإسكندرية الصحراوى وقد أتت النار على ثيابها النايلون وتركت جثتها العارية تلتهمها عدسات المصورين لتنتشرها المجلات في مصر. هذه الراقصة اليهودية المحترفة كانت لها جنازة أى جنازة، ملأت شارع قصر النيل ما بين ضفتيه إلى مسافة طويلة، نشرت الصحف أيضا صور هذه الجنازة. ولم تكن لجنازة حسن النبا صورة لأنه لم تكن له جنازة، ولا سمح لأحد بالاقتراب حتى يصور النعش بلا جنازة.

هذه المفارقة إن دلت على شيء فإنما كانت تدل على نوع الحكم في مصر، فلم يكن بين استشهاد الإمام في فبراير ١٩٤٩ ومصرع كاميليا في صيف ١٩٥٠ سوى قليل. هذا يقتل شهيدا فلا يسمح لأحد أن يبكى عليه وهذه تموت فتملء الدنيا عويلا على جملها الذي فقدناه ورقصها الذي خسرها!!

لقد كانت حكومة عبد الهادي تشعر أن الناس يدركون أنها أخذت على عاتقها هذه المهمة الكبرى.. محاربة الإسلام وشن الحرب على الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية وأكثرها صدقا وأثرا وجدية. وأرادت أن تفعل شيئا تثبت به أنها "مسلمة" فأصدرت قانونا بإلغاء البغاء العلنى.

نعم لقد كان البغاء العلنى وصمة في جبين مصر.. أن تتقدم من تشاء من نساء السوء بطلب ترخيص لمزاولة البغاء وتفتتح لها محلا معلوما لهذه المهنة المهينة. ولكن ما الذى فعله إبراهيم عبد الهادي ليثبت أنه مسلم؟ أصدر القانون بمنع هذه التراخيص وأغلقت تلك المحال فانتقلت هاتيك المحترفات من

محال معلومة في حى بذاته هو شارع كلوت بك وحواريه إلى أى مكان من بيوت القاهرة تحت اسم " فنانة" أو "خادمة" أو زوجة ديوث.. لم تعتقل منهن واحدة كما اعتقل الإخوان، فبقين يمارسن عملهن، ولكن العمل هو العمل والمهنة هى المهنة والزنا هو الزنا والدعارة هى الدعارة.. فانتشرت أكثر.

رثاء الثاكل المؤمن

وقد كتب الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الشهيد فى العدد الرابع من مجلة الدعوة الصادر فى ١٣ فبراير ١٩٥١ بمناسبة ذكراه الثانية بعنوان " ولدى الشهيد" فقال:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى قصة موت إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم. قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بالصبي فضمه إليه، قال أنس فلقد رأيت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكيد بنفسه فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا يرضى ربنا عزوجل ، والله إنا بك يا إبراهيم لخزون.

تتمثل لى ياولدى الحبيب فى صورتين: صورة رضيع لم تتجاوز الستة شهور، وقد استغرقت مع والدتك فى نوم عميق، وأعود بعد منتصف الليل من مكتبى إلى المنزل، فأرى ما يروع القلب ويهز جوانب الفؤاد، أفعى مروعة قد التفت على نفسها وحشمت بجوارك، ورأسها ممدود على جانب راسك وليس بينها وبينك مسافة يمكن أن تقاس.

وينخلغ قلبى هلعا فأضرع على ربي واستغيثه فيثبت قلبى ويذهب عنى الفزع وينطق لسانى بعبارات واردة فى الرقية من مس الحية وأذاها وما أفرغ من تلاوتها حتى تنكمش الحية على نفسها، وتعود إلى جحرها ، وينجيك الله ياولدى من شرها لإرادة سابقة فى عمله، وأمر هو فيك بالغة.

وأتمتلك يا ولدى وأنت صريع وقد حملت فى الليل مسفوكا دمك، ذاهبة نفسك، ممزقة أشلاؤك. هابت أذاك حيات الغاب ونهشت جسدك حيات البشر فما هى إلا قدرة من الله وحده تثبت فى هذا الموقف، وتعين على هذا الهول وتساعد فى هذا المصاب، فأكشف عن وجهك الحبيب لإارى فيه إشراقه النور وهناءة الشهادة، فتدمع العين، ويجزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا عزوجل (إنا

لله وإنا إليه راجعون) وأقوم يا ولدى على غسلك وكفنك وأقوم يا ولدى على غسلك وكفنك، وأصلى وحدي من البشر عليك، وأمشى خلفك أحمل نصفى ونصفى محمول ، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد.

أما أنت يا ولدى فقد نلت الشهادة التي كنت تسأل الله تعالى في سجودك أن ينيلك إياها فهنيئا لك بها، فقد روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما من أحد يدخل الجنة يجب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع على الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة".

اللهم أكرم نزله وأعل مرتبته، واجعل الجنة مثواه ومستقره، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله وبلغه أمله من القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

وأما أنتم يا من عرفتم ولدى واتبعتم طريق، إن خير ما تحيون به ذكره أن تسجوا على منواله وترسموا خطاه، فتمسكوا بأداب الإسلام وتعتصموا بحبل الإخوة، وتخلصوا العمل والنية لله.

وأوصيكم أن تكونوا صورة صادقة لسيرة ولدى رحمه الله، لا تبتغون من الماس جزاء ولا تخشون غير الله ربا ولا تضمرون لأحد شرا أو أذى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

وعن العلاقة بين الوالد الفاضل وابنه أذكر أن الأستاذ حسن البنا عاد من الحج ذات عام وتكاثر الإخوان حوله في فناء المركز العام فوقف على كرسي وقد اصطفوا صفا يبرون عليه مصافحين ومقبلين يده. ورأى الأستاذ والده في الصف فنزل إليه وصافحه وقبل يده.

الحكم

وفي (٢ أغسطس ١٩٥٤) أصدرت محكمة الجنايات برئاسة المستشار محمود عبد الوارق، وعضوية المستشارين، محمد شفيع الصيرفي ومحمد متولى عتلم حكمها في القضية، وكان كالاتى:

أولاً: معاقبة أحمد حسين جاد بالأشغال الشاقة المؤبدة، وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد، والأميرالاي محمد عبد المجيد بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشر سنة، وإلزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المستولة عن الحقوق المدنية بالآتي:

(أ) أن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة زوجة المرحوم الشيخ حسن البنا وأولاده القصر منها وهم وفاء وأحمد سيف الإسلام وسناء ورجاء، وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا.

(ب) وأن يدفعوا للشيخ {أحمد} عبد الرحمن البنا والسيدة والدة القتيل " قرش صاغ" على سبيل التعويض لأمؤقت.

(ت) وأن يدفعوا للأستاذ عبد الكريم محمد أحمد منصور مبلغ ألفي جنيه على سبيل التعويض.

ثانيا : معاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة، ورفض الدعاوى المدنية قبله.

ثالثا: براءة كل من مصطفى محمد أبو الليل، واليوزباشى عبده أرمانوس والبكباشى حسين كامل والجاويش محمد سعيد إسماعيل، والأومباشى حسين محمد بن رضوان مع رفض الدعاوى الموجهة إليهم.أ.هـ

ومما لا يشرف جمال عبد الناصر أنه أصدر في ٢٩ يونية ١٩٥٥ أمرا بالإفراج الصحى عن محمود عبد المجيد. كما أفرج صحيا عام ١٩٦٠ عن محمد محفوظ سائق محمد عبد المجيد والذي قادة السيارة التي استخدمها المجرمون في الحادث. وأفرج صحيا في سبتمبر ١٩٦٧ عن أحمد حسين جاد.

هذا ما ذكره محسن محمد فى كتابه" من قتل حسن البنا" ولكن المستشار عبد الحميد يونس ذكر فى العدد(٥٣٨ - ١٥ فبراير ١٩٨٧) من مجلة أكتوبر أن المخبرين ماتوا فى الليمان، وأن محمود عبد المجيد قد افرج عنه صحيا بعد سبع سنوات وبعد أن كف بصره، وأنه بعد خروجه وأمام منزله بشارع رمسيس وهو الشارع الذى اغتيل فيه الأستاذ وجدت جثته

ملقاة في الطريق العام لا يدري أحد اختل توازنه فوقع من الشرفة أم ألقاه مجهولون. وعلق المستشار على حادث الإغتيال بأنه يدعو إلى الغثيان والإحساس بالعار.

الهضيبي مرشدا

انتقل حسن البنا إلى جوار ربه راضيا مرضيا، وكان الإخوان في المعتقلات والسجون، واعتبر صالح ع شماوى هو القائم بأمر الجماعة باعتباره الوكيل العام لها. وسار الرجل بالأمر بمعاونة إخوانه إلى أن عادت الجماعة إلى نشاطها القانوني. وطبقا لقانون الجماعة كان على الهيئة التأسيسية أن تجتمع لتختار المرشد الجديد.

ولكن حدث ونشاط الجماعة مازال محظورا أن دعا منير دلة رحمه الله الأربعة الكبار الذين كانت تدور بينهم توقعات الاختيار، عبد الحكيم عابدين السكرتير العام وعبد الرحمن الساعاتى شقيق الأستاذ البنا والمراقب العام والشيخ أحمد حسن الباقورى وصالح ع شماوى الوكيل العام. اجتمعوا في منزله بالدقى، وسألهم عن رأيهم فيمن يلي الأمر. وبادر عبد الحكيم بأنما لا يطلبها لنفسه. أما عبد الرحمن فقد طلبها وغير اسمه من عبد الرحمن الساعاتى إلى عبد الرحمن البنا وأطلق لحيته وكان حليقا قبل ذلك ورأى أن بقى اسم البنا رمزا للجماعة خاصة أنه كبير الشبه بأخيه الشهيد صورة وصوتا. وكان رجلا فاضلا عفا. وسئل الشيخ الباقورى.. ز قال الراوى: فخلع العمامة وقال إنها شرف عظيم، ولا شك أنها منزلة كبيرة، ولكنى لا أطلبها لنفسى. ويمضى الراوى يقول: كان الباقورى متفقا مع عبد الحكيم عابدين أن يقوم له عابدين بالدعاية بين الإخوان، كما آزره الأزهريون في الجماعة وكان يظن نتيجة ذلك أن الجميع يختارونه بين فلما تم الاجتماع بعد ذلك واختير الأستاذ الهضيبي فوجيء الباقورى وقال لصالح ع شماوى " لو كنت أعلم يا شيخ لكان أى واحد منا أفضل!" نعود إلى اجتماع منزل الأستاذ منير دلة.. سئل صالح ع شماوى فقال طالب الولاية لا يولى، وأنا لا أرفض نفسى ولكن للإخوان الخيار، فإذا وقع اختيارهم علىّ فهو عبء ثقيل. ولم يتفقوا على واحد منهم. فقال منير :

أنتم مختلفون ولم تتفقوا على رأى. فما رأيكم لو أحضرنا رجلا كبيرا أبا لكم جميعا ويكون رمزا - مجرد رمز - ثم أنتم كل شىء بعد ذلك؟ ما رأيكم في حسن بك الهضيبي؟

لا اعلم خلافا بين مؤيدي الأستاذ الهضيبي وبين معارضيه على أنه لم يكن عضوا مسجلا في شعبة من شعب الإخوان، ربما كان لوضعه كمستشار اثر في ذلك، فقد كان يتمتع على رجال القضاء أن تكون لهم انتماءات سياسية. وبذلك وضع اقتراح منير مبدأ جديدا بجوار أن يكون المرشد من خارج الجماعة. يقول الراوي: إن منير دلة كان يريد تولية صهره محمد العشماوى باشا المحامى ووزير المعارف السابق بوزارة إسماعيل صدقى، ولكنه لم يكن ليجد الصدى والقبول من الإخوان فاستبعد مبكرا من أن يكون مرشحا، ولكن ترشيح الأستاذ الهضيبي يفتح الباب بتجاوز قانون الجماعة وهو رجل كبير السن وشيك الخروج من الخدمة إلى المعاش وقد كان مستشارا بمحكمة النقض فهو أيضا صاحب منصب كبير وكان مريضا لا تساعد نفسه، كما كان من الأربعة المجتمعين يشك كثيرا في أن يتول الأمر إلى نفسه ولذلك وجها كلمتهم فرصة لإعادة تجميع الأنصار وزيادة عددهم حتى تجتمع الهيئة. فأظهروا القبول على اختيار الأستاذ حسن الهضيبي.

ولكنهم جميعا صدموا بأن الهيئة لن تجتمع.. ذلك أن الحاج حسنى عبد الباقي قد كلف بالمرور على أعضاء الهيئة لدعوتهم إلى الاجتماع، ولكنه عاد يقرر أنهم يرفضون الاجتماع لسبب قيام قرار حل الهيئة رسميا وأنهم خافوا مغبة اجتماعهم! وعلى ذلك كتبت ورقة باختيار الأستاذ الهضيبي مرشدا لتؤخذ عليها بالموافقة بالتمرير، وقدمت أول ما قدمت إلى صالح عشناوى فوقعها متورطا، وكل من وقعها بعد ذلك قال إنه وقع غذ وجد توقيع صالح عشناوى. ولقد اجتمعت الهيئة بعد ذلك في المركز العام المؤقت الذى أقامه الإخوان بمنزل صالح عشناوى.

ولقد اجتمعت الهيئة بعد ذلك في المركز العام المؤقت الذى أقامه الإخوان بمنزل صالح عشناوى بالظاهر، وأعلنت انتخاب حسن الهضيبي مرشدا، وقام عبد الحكيم عابدين فأعلن مبايعته مرشدا. ثم كان أول خطاب للأستاذ الهضيبي للإخوان يوم الثلاثاء ٢٣ أكتوبر ١٩٥١ " هذا أول لقاء بينى وبينكم، ويسعدنى أن أوصيكم أيها الإخوان بتقوى الله وطاعته والإقبال على الله وترتيل القرآن الكريم.. وأن تستعدوا في هذه الظروف التى تمر ببلادنا، والله معنا ينصرنا ويوفقنا."

وفي الحقيقة أنه بذلت جهود كبيرة لإقناع الرجل - أو لحملة على قبول المنصب حتى قبل، ثم نفخ الله فيه من روحه فامتدت حياته اثنين وعشرين عاما بعد انتخابه خلافا لظن الذين رشحوه يوم رشحوه والذين قبلوه - مؤقتا - يوم قبلوه.

حسن إسماعيل الهضيبي من عرب الصوالة بمنطقة شبين القناطر من القليوبية شمالي القاهرة بقليل. تلقى تعليمه الأولى في كتاب القرية وحفظ القرآن الكريم. وبعد انتهائه من التعليم الثانوي التحق بمدرسة الحقوق العليا وتخرج فيها عام ١٩١٥. وعمل بمكتب حافظ رمضان الذي تولى زعامة الحزب الوطني بعد مصطفى كامل ومحمد فريد. وبعد أن حصل الأستاذ الهضيبي على ترخيص مزاولة المهنة تزوج ثم رحل إلى سوهاج وشارك في أحداث ١٩١٩. وعين قاضيا عام ١٩٢٤ وظل في سلك القضاء متنقلا بين المحاكم. ويبدو أن أول لقاء له ببعض الإخوان كان عام ١٩٤٤.

قضى الرجل حياته في مناصب القضاء حتى اكتسب صفة الصمت واعتادها، فلم يكن خطيبا ولا متحدثا. وكان له من مركزه ومستواه الاجتماعي ما لم يألفه الإخوان في مرشدهم الأول. كان حسن البنا يتحدث فيأسر القلوب يلقي إخوانه فيجالسهم على الأرض ويبيت معهم على الحصير. أما حسن الهضيبي فكان لا يجلس إلا على مقعد ولو كان الآخرون يجلسون أرضا، وكان لذلك أثر في صدم مشاعر بعض الإخوان. مع ذلك فقد اعتاد الإخوان السمع والطاعة لمرشدهم. ولنكن منصفين. لم يكن لرجل في مركزه الاجتماعي - مستشارا بمحكمة النقض - قضى ستين عاما من عمره لا يجلس على الأرض أن يعتاد ذلك بسهولة. قد يكون اعتادها بعد ذلك في السجن.

عدى بن حاتم الطائي صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش عمره بدويا يجلس على الأرض فلما تقدم به السن وصار يؤذيه ذلك استأذن أصحابه أن يجلس على وسادة. فلا غصاصة. بدأ الإخوان يألّفون الوضع الجديد ويعرفون أن مرشدهم الجديد ليست له كل صفات المرشد الأول.

جاء الرجل جديدا على جماعة لا يعرفه أفرادها من قبل ولا يعرفهم، ولنضع النقط فوق الحروف.. ز. لقد سار في عهده الأول معتمدا على فريق معين من الإخوان دون الآخرين، هو الفرق الذى رشحه ليكون مرشدا. ورغم محاولات الآخرين أن يشعروا بأبوتة.. لم يشعروا.

وهنا تختلف الآراء، يقول الأولون إن الآخرين لم يكونوا متعاونين معه، ويقول الآخرون إنه كان يجابى ذلك الفريق. ولكن الأستاذ الهضبي نفسه كان يشهد في معتقله الأخير أنه عرف عن الناس الذين كانوا حوله ما لم يكن يعرف في بادىء الأمر.. لقد كان من أشد المعارضين لسياسته وأعلامهم صوتا وألذعهم نقدا الشيخ محمد الغزالي. وفي عهد الأستاذ الهضبي فصل الغزالي من الإخوان. ولكن بعد أن أفرج عن حسن الهضبي من اعتقاله الأخير تم الصلح والصفاء بين الرجلين بسهولة بالغة ودون أى عتاب من أحدهما للأخر، وكأما كان كل منهما مشتاقا لذلك!. وقال لى الشيخ الغزالي "لقد كتبت عنه في بعض كتاباتي وكتبي ما أتمنى أن أعيد طباعته لأغير ما ذكرت عنه". لم يكن من المتوقع أن يحتمل مستشارا النقص الذى يحمل رتبة البكوية الخنة تلو الخنة يخوضها مع الإخوان فيسجن معهم ويعذب معهم وقد بلغ منه الكبر وشاركه الخنة أفراد أسرته.. أولاده الذكور المهندس أحمد أسامة والقاضي محمد مأمون والحامى إسماعيل، وبناته وزوجته.. جميعهم سيقوا إلى السجن فكان، والحق يقال صابرا، كانوا صابرين معه، وحين يؤرخ له فلن يغفل مؤرخ أنه كان عنيذا أمام جمال عبد الناصر بكل طغيانه ولقد كان العند من طبيعته. ولقد كان يتمسك بأنه المرشد العام للإخوان المسلمين. قالوا إن جماعة الإخوان عالمية فإن كانت قد حلت في مصر ولكنها قائمة في عديد من بلاد المسلمين غير مصر، وقد ارتضاه جميع الإخوان مرشدا لهم. وفي آخر مواجهة له مع عبد الناصر قبض عليه في ٢٣ / ٨ / ١٩٦٥ وحكم عله من محكمة الدجوى بالحبس ثلاث سنوات قضاها في السجن الحربى وفي ليमान طرة وهى محكمة عسكرية رأسها اللواء محمد الدجوى، فعرفت باسمه - وبعد انتهاء مدة حبسه، كما كان الدأب حينذاك لم يفرج عنه، ولكنه نقل من السجن إلى معتقل مزرعة ليमान طرة، وأفرج عنه في عهد أنور السادات في أكتوبر ١٩٧١ بعد وفاة عبد الناصر بأكثر من عام. ز. بدأ مرشدا مختلفا عليه وانتهى ولا خلاف عليه.

فقيه الإسلام والعروبة

ودعت أسرة الهضيبي بعرب الصواحة أمس عميدها المرحوم المجاهد الكبير الأستاذ حسن الهضيبي واقتصر العزاء على تشييع الجنازة تحقيقا لرغبة الفقيد وإنا لله وإنا إليه راجعون.أ.هـ

كان النعي على نفقة الأسرة ولم تنشر الدولة شيئا! بعدها بأيام قلائل في بيروت على محمود رئيس تحرير وكالة اسوشيتد برس، وكان معتقلا معنا في طرة وكانت له هناك مع الأستاذ الهضيبي جلسات، وفوجيء حين ذكرت له خبر وفاة الأستاذ وحزن حزنا شديدا وأبدى دهشته لم تنعه الدولة، وأصدر بها نشرة إخبارية من بيروت. رحمه الله كان مسلما مجاهدا صلبا لا يلين، وأسرته أسرة مسلمة ملتزمة أفاضل رجالها ونسائها، قبلت بكل رضا أن تشاركه محنة في مواجهة أشد طغيان قال كلمة الحق أمام طاغية جائر، ونها فلم ينته بل سجنه المرة لو المرة، وفي عام ١٩٥٤ صدر حكم محكمة الشعب برئاسة جمال سالم بإعدامه، ثم خفف الحكم إلى السجن المؤبد أمام غضبة العالم الإسلامي فجزاه الله وجزاها خير الجزاء.

الفصل الثاني عشر

التجميع الثاني للنظام الخاص

اتصالات

كنا ونحن بالسجن نعرف من بقى منا خارجه يواصل المقاومة. ولكن استمرار المحنة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩ إلى ١٩٥٠ جعل وفودا أخرى من إخواننا يفدون في شكل قضايا وتحقيقات فينضمون إلينا داخل السجن، منهم من قدم - مثلنا - إلى المحكمة ومنهم من أرسل إلى المعتقلات دون محاكمة. كانت أعداد غفيرة من الإخوان تلك التي سجنتم أو اعتقلت حتى أدركنا أخيرا انه لم يعد بالخارج نظام قوى قائم. هذه الحقيقة التي كما نعلمها لم يكن يعلمها الرأي العام ولا الحكومة ولا البوليس السياسى ولا السراى ولا الإنجليز. وما إن صدرت الأحكام في قضية السيارة الجيب ،أفرج عن عدد منا يوم صدور الحكم - وكنت منهم - حتى بدأنا نتفاهم حول تجميع النظام. وفي حديث بينى وبين أحمد زكى وكان أكبرنا وضعنا في النظام تصورا للأمور قال إن الأمر أصعب من هذه البساطة الظاهرة بكثير، وكان صادقا صائبا. وفي زيارة لعبد الرحمن السندى حيث كان مازال محبوسا بمستشفى قصر العيني

وجدته أكثر حماسة من أحمد زكى في ضرورة المبادرة بإعادة تشكيل النظام الخاص وكان يشكو بمرارة من عدم حماس من يتعاونون معه وعدم مقدرتهم على القيام بهذا الأمر.

وبدأنا اتصالاتنا لتنفيذ ما رأينا أنه لابد من تنفيذه فكانت اجتماعات. كان أكثرها بمنزل جمال فوزى بحى الروضة أو بعيادة الدكتور أحمد الملط وكان يشهد الاجتماعات معنا المهندس حلمى عبد المجيد وإسماعيل عبيد ومحمد شديد وسيد أبو سالم وكان يرأسنا أحمد زكى. لم تكن اجتماعاتنا قصيرة على بحث ما يخص النظام الخاص بل تناولت كل ما كان يهم الجماعة فى تلك المرحلة، تناولنا فيها مواضيع القضايا والمسجونين ودار المركز العام ومظاهر البرلمان ودبرناها بالاتفاق مع الأستاذ صالح عشاوى. وفى الواقع أن الإفراج عنا كان بمثابة انتعاشة محسوسة لنشاط الجماعة. وكان من أبرز الظواهر التى لاحظناها بعد الإفراج عنى انضمام جيل جديد إلى صفوف الجماعة، وكان ما ظننته مقبل عن فراغ الميدان من جماهير الإخوان ظنا يناقضه الواقع، فلم تكن مجرد جموع وإنما كانت جموع من نوع معين يلزمه التعهد بالرعاية والدراسة حتى يلتزم بتعاليم الإسلام ويأخذ نفسه بها

عقبات

وبدء هذه الاجتماعات بدأت تتبلور أمامنا العقبات وتتجسد.

كان هناك اعتراض على إعادة تكوين النظام الخاص. قالت مجموعة إننا فكرة... عقيدة... والعقيدة تنتشر بالدعوة وإبلاغ الناس وتبصيرهم بها وإفهامهم أصولها ومقاصدها، ولا يمكن أن تنتشر بالقوة والانقلاب. هذه واحدة، والثانية أن دعوى الجهاد فى سبيل الله لا تكون إلا بتعيين الإمام.. يعنى فى حالة قيام الدولة المسلمة، فالدولة هى التى تكلف الأفراد بأعباء الجهاد، والإمام رئيس هذه الدولة هو الذى يعلن الجهاد، أما حيث لا يكون لنا دولة فإنه لا يحق لأى إنسان أن يعتبر نفسه مسئولاً عن الجهاد واستعمال السلاح. وقادهم هذا إلى إثارة مسألة. هل نحن الجماعة المسلمة بمعناها الشرعى؟ أو نحن جمعية من المسلمين؟ انتهوا إلى أننا جمعية من المسلمين ولسنا الجماعة المسلمة وعليه فلا يحق لنا أن نعلن جهادا ولا أن نقاتل أو نقتل باسم الإسلام أحدا ولو كان خائنا سفاحا. كما أثار بعضهم - وفليس كلهم - اعتراضا آخر بأن قادة النظام قد تنكبوا الطريق حين جعلوا من تعليماتهم لإخوان النظام أن

يكذبوا إذا لزم المرء، فيزعمون أنهم ليسوا من الإخوان وأنهم لا يعرفون ما يسألون عنه في حين أنهم يعرفون، وليس الكذب من الإسلام ولا التقية من مذهب أهل السنة. كانت دعوتهم أننا في حاجة إلى دراسة الإسلام والاستزادة منها، فاقراً وأقرأ واقراً دائماً.. حتى تموت وأنت تقرأ.. فئة أخرى من إخوان المحيط العام اعترضوا على تشكيل النظام بدعوى أن في قيامه ازدواجاً في الجماعة، وزعموا أن الأخ يتميز بين تعليمات المحيط العام للجماعة وتعليمات النظام الخاص، كان أبرز هؤلاء وعلى رأسهم الدكتور رئيس مكتب إداري القاهرة. كان يرى بحكم وضعه ذلك أن يكون "رئيساً" لكل صغيرة وكبيرة في القاهرة، بما في ذلك النظام الخاص، هذا أو لا يكون نظام خاص. وأبي في إصرار عنيد أنه من الناحية التنظيمية يمكن أن يكون رئيساً لتشكيل عام وأن يكون سواه مسئولاً عن تنظيم خاص وأن يقوم بينهما نوع يتفق عليه من التعاون. خصصت الدكتور بالذكر لأنه كان أكثر هؤلاء إصراراً وجهراً في مقاومة النظام الخاص، اتجه إلى أن يفرض رأيه بأن يجعل من هذا الموضوع الخاص بتنظيم سرى - مشكلة تناقش بصورة علنية في كل مكان!

فئة ثالثة اعترضت على قيام النظام، لا لفلسفة فكرية ولا لاعتراضات تنظيمية ولكنهم كانوا فئة يهتمهم بأى حجة ألا يقوم النظام فتراهم مع أى من الفريقين يؤيدون هذا ويشدون أزر ذلك. أولئك الذين ناءت كواهلهم بحمل أثقال المحنة منهم الباكون في المعتقلات وغيرهم ممن ستر الله ضعفهم.

ردود

تلك الاعتراضات كانت لها ردود. فنحن مسلمون نستشعر الجندية الإسلامية والفدائية المؤمنة التي تبذل الرخيص والغالي في سبيل الله، ولم نكن نرى أن غيرنا يلتزم بنصوص الإسلام أكثر منا، فنحن أيضاً نلتزمها ولا نجد في صدورنا حرجاً من أمر الله. وإن نشر الدعوة وإبلاغها للناس وشرح أهدافها ومقاصدها ومبادئها هو من أوليات العمل فكرتنا لم ننكره ولم ننتقص من شأنه، وكلنا انتسبنا إلى الجماعة عن ذلك الطريق... طريق الدعوة. وإنما النظام الخاص - كما أردناه - جيش يحمي الجماعة والقائمين بالدعوة الذين لولا قيام النظام لأخذهم خصومهم من أول الأمر أخذاً. وهنا يعرض لنا سؤال.. هذه المحن التي

توالت على الجماعة، هل كان النظام الخاص سببا لها؟ قال بعضهم : نعم. وقلنا بالعكس. فإن وجود النظام الخاص لدى الإخوان أمر شعرت به حكومات الطغيان المتعاقبة والمستعمرون كما شعر به الرأى العام حتى من قبل أن يظهر نشاطه. وأذكر أنه في صيف عام ١٩٤٥ نشر الصحفى الصهيونى المشهور جون كيمش وكان مراسلا لوكالة رويتر للأنباء فى الشرق الأوسط - واستوطن إسرائيل بعد قيامها - نشر أن للإخوان المسلمين تشكيلات خفية تستعد سرا بالتسليح والتدريب، وحذر الحكومات العربية منهم. ولزم الأمر حينذاك أن ينفى الإخوان ذلك القول وأن يحتجوا عليه وأن يطلبوا إلى الحكومة القائمة إبعاد ذلك المراسل عن مصر. لم يكن ذلك النشر عن علم ومعرفة بأسرار الجماعة ولكنه كان - لاشك - إحساسا عند ذلك المراسل أراد أن يترجمه إلى تحقيق صحفى يسىء على الجماعة أمام الحكومات فى مصر، ويوقع الخوف فى صدورها من الإخوان ويحرضها ضدهم. ولكن الذى حدث أن ذلك التصريح - كما أنه قد أصاب هدفه - خدم جماعة الإخوان خدمة كبرى إذ أقبلت عليها وفود الشباب المتحمس الذين كانوا يتوقن إلى جهاد جاد لا دجل ولا تهريج فيه وقد افتقدته وافتقرت إليه الأحزاب كافة.

فماذا لم ترتكب تلك الحكومات حماقة حل جماعة الإخوان المسلمين قبل ١٩٤٨؟ وبعبارة أخرى لماذا أقدمت على حلها عام ١٩٤٨ بالذات؟ لا جواب على هذا إلا خوف تلك الحكومات من النظام الخاص الذى لك نكن نعرفه باسمه ولا بصفته ولا بأشخاصه ولا بشيء من أسرارها. فلما تراءى لها أنها قد استمكنت منه على اثر ضبط السيارة الجيب وعدد من قادة النظام فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ أقدمت فى ديسمبر من نفس العام على تنفيذ ما كانت تتوق شوقا إليه منذ زمن مضى مستجيبة فى ذلك إلى نزواتها وإلى توجيهات من سلطات الاستعمار الإنجليزى.

وإذا فإن اعتداء الحكومة على الجماعة ما جاء حينما كان النظام الخاص قويا قائما، وإنما جاء حين علمت تلك الحكومة أنه فى مأزق متورط. فإذا افترضنا عدم قيام النظام بادية ذى بدء لوجب أن نفترض مع هذا أن الجماعة كانت ستتعرض للحل قبل ذلك بسنوات إذا اختارت أن تسير بنفس القوة الظاهرية التى سارت بها ولكن بدون نظام خاص. فضلا عن ذلك، لو أنها سارت بقوة فى مجالات الخطابة وإصدار قرارات الاحتجاج والاعتراض

على الحكومات واصطدام مظاهرتها بالبوليس.. لو أنها فعلت ذلك وليس لها نظام خاص يحميها لكانت جماعة من المهرجين لا تزيد على سواها من الجماعات والأحزاب التي كثرت في ذلك الحين.. ثم إن نصوص الإسلام صريحة في أن الجهاد في سبيل الله فريضة ماضية إلى يوم القيامة. والجهاد فرض عين إذا ديس شبر من أرض الإسلام، فكيف ونحن لا نجد شبرا حرا من أرض الإسلام؟ فإذا استطاعت القوى المعادية تصفية الخلافة الإسلامية ولم نجد من يحمل صفة الإمام أفيعنى هذا إلغاء الفريضة ونسخها؟! كنا نرى أنه إذا كان الجهاد فرضا في حالة إعلان إمام المسلمين النفي فإنه يكون أحرى بالفرضية إذا لم يكن للمسلمين إمام يقيم حكم الله فيهم. وإذا فلا طائل من فتح باب البحث في "عل نحن جماعة من المسلمين - ونحن فعلا كذلك - لوجب ما أوجب الله على المسلمين.

لقد انتقدوا مبدأ الطاعة. وطاعتنا لمرشدنا لم تجب علينا له بحكم البيعة التي أدينها عن طواعية واختيار.. وهي لم تكن إلا بندا من بنود متعددة في تلك البيعة منها ما هو للقائد ومنها ما هو للجنود، وبذلك كانت عهدا وميثاقا بين طرفين، وكيف نتصور أن يكون لجماعة نظام ثم يكون أفرادها أحرارا في أن يلتزموا بقراراتها أو لا يلتزموا؟ وفي مختار الصحاح في شرح معنى فوضى "كل قوم متساوون لا رئيس لهم فهم فوضى".

ومن عجيب أمر إخواننا هؤلاء - وإنصافا لهم - نقرر أنه حين ألغيت معاهدة ١٩٣٦ في أواخر ١٩٥١ كانوا ممن حمل السلاح وقاتل به الإنجليز في منطقة قناة السويس. وكان بعضنا يرى في هذا أنهم أرادوا تعميم حمل السلاح حتى يقولوا في تلك المناسبة العملية إنهم يستطيعون الجهاد بدون نظام خاص، فلا جدوى إذ للنظام الخاص، ووصفه بعضهم بأنه جهاز ضرار. والله أعلم بالسرائر وهو الذي يجزى بها. ولكننا نجد نفس هذا الفريق حين أصدرت حكومة الثورة قرار بحل جماعة الإخوان المسلمين في ١٥ يناير ١٩٥٤، ثم عادت فألغت ذلك القرار، انخرط هؤلاء في التنظيم السرى الجديد ودانوا بالولاء والطاعة لقادتهم وساهموا في تدبير ما كانوا يعيرون علينا أقل منه.. هم بأشخاصهم وأعيانهم! وأما قولهم إن الإسلام لا ينتشر بالقوة والانقلابات. فلم يكن الانقلاب في أى يوم هدفا للنظام الخاص ولا وسيلة.

عقبات أخرى

وغير هؤلاء كان هناك معترضون آخرون أكبرهم - كما ذكرنا - كان رئيس مكتب إداري القاهرة. أراد أن يكون النظام الخاص جزءا من النظام العام، فإخوان النظام في نطاق كل شعبة يريدون خاضعين لإشراف شعبتهم. وكان رأينا أن التنظيم بهذه الصورة لا يجعل من النظام الخاص تشكيلا سريا، فإذا ما وقعت الواقعة وعادت الحكومات تصطدم بالجماعة وذهبت تعتقل الظاهرين فيها فقد انتهى كل شيء قبل أن بدأ شيء.

فضلا عن هذا فالقاعدة أن يختار لكل عمل الأنسب له، فالنظام الخاص يناسبه الفدائية واللياقة البدنية وكتمان السر وخفة الحركة وسرعة البديهة والذهن الحركي ويفضل فيه قلة أو انعدام الأعباء العائلية، وهذه لا تتوفر غالبا لنائب الشعبة أو رئيس المنطقة (المنطقة عدد من الشعب المتقاربة). بينما يناسب نائب الشعبة أن يكون خطيبا متحدثا لائقا لتمثيل الجماعة أمام حية.. هذا فضلا عن أن شعب الإخوان قد امتلأت برؤساء من المؤلفة قلوبهم ومن ذوى الوجاهة. فكيف مواقف على تسليم إخواننا لإخوان لا نجرحهم، ولكن لكل ما يناسبه؟.

كنا أشداء على إخواننا في تكوينهم.. صلاة الفجر جماعة في المسجد.. التدخين ممنوع بدافع من ذواتهم قبل أن يكون الدافع هو الأوامر، ولو أن الأوامر كانت صريحة وحاسمة، فلم يكن بين إخوان النظام - فيما أعلم - مدخن.. كانت عليهم أورد من حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والدراسات في المعارف الإسلامية المتنوعة. فماذا كان في الشعب؟ كانت طقاطيق السجائر تمتلىء بأعقابها ولم يكن تنفيذ أى برنامج منتظما ولم يكن حفظ شيء من القرآن والحديث محتما.. الخ. كانت هناك برامج وأنشطة محترمة ولكن لا جدال في أن برامج النظام الخاص وأنشطتها كانت أكثر التزاما وفاعلية وبعدا عن التسيب.

على كل حال لقد أتيح لرئيس مكتب إداري القاهرة ومن شاركه رأيه أن ينفذوا فكرهم بعد فصلنا من الجماعة. أدمجوا النظام الخاص في الكيان العام، وقضوا على ما أسموه ازدواجيا. ووضعت تحت تصرفهم جميع إمكانات الجماعة، وفصل منها كل من عارضهم أو أبدى رأيا لا يرضونه، وأقبل كل من عارضنا سابقا يؤيدونهم، حتى كثير من إخوان النظام

الخاص، عملوا معهم حرصا على وحدة الصف، ثم أطمأنوا إلى جمعهم فهاجموا حكومة الثورة في معركة تمثلت فيها جميع نظرياتهم التي عارضناها وبجميع الأشخاص الذين اعترضنا على لياقتهم ، فأتاحوا للحكومة أن تأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأخذتنا معهم، وأصبحت أكبر وأقوى وأخلص جماعة إسلامية في عصرها بنكية!

رفضنا فكرته فذهب يشكونا في كل مكان ولكل إنسان أننا نتصرف في القاهرة بدون علمه، وراح يكتل نواب الشعب ورؤساء المناطق ويحذرهم من خطرنا! وأصدروا أوامرههم إلى الإخوان ألا يسمعوا لنا، وزعموا أن الغرور أصابنا بعد خروجنا من محنة ١٩٤٨. ولقوا في هذا تأييد الإخوة حيث سيطروا تماما على قسم الطلاب، وأنفق من مال الجماعة على هؤلاء ليطوفوا القاهرة وأنحاء الأقاليم بهذه الرسالة، واستمروا على ذلك عاما أو يزيد. وسائر هذا الاتجاه أيضا ضعفاء المحنة ، وأبينا أن نكشف ستر الله عنهم، فإنهم إخوان أصابنا وأصابهم ما أصبنا به في سبيل الله والعمل لدعوته.

كنا نرى أن النظام الخاص ملك للجماعة ولم نره قط تشكيلا خاصا بنا كمجموعة. ومن هنا لم نكن نعترض حين بدأنا إعادة تجميعه على أن ينضم إليه كبير من مخالفينا في الرأي ما داموا غير متهمين في إخلاصهم، فكان معنا بعضهم قبلوا أن يضعوا أيديهم في أيدينا... كنا نرى أنه لا بد أن نتفاعل تلك الآراء وأن تذوب الفوارق بينها حتى تتقارب على شيء يقبله الجميع.

ولكى لا أطيل على القارىء أصل إلى أن مجموعة برزت في ذلك الوقت تقف حياتها على تكوين النظام الخاص، يقيمونه ويدافعون عنه ويدلون صعا به. أولئك كان على رأسهم عبد الرحمن السندي وأحمد زكي وكاتب هذه السطور، وإخواننا المسئولون عن مناطق القاهرة والعاملون فيها. كان هذا التكوين متجاوبا أشد التجاوب متفاهما إلى أبعد الحدود، ورغم كل ما ذكرنا سابقا فلم يكن تجميع النظام الخاص بعد محنة ١٩٤٨ ضد التيار بل كان معه، سواء من الصفوف القديمة للإخوان أو لمن استنجد انضمامه إليها بعد المحنة. لقد كان كل ما كشفت عنه القضايا أقوى من مائة ألف خطبة وموعظة واحتفال واستعراض في جذب الشباب الجاد إلينا. بعبارة أخرى لقد جاء هذا الشباب الجديد إلى النظام الخاص واجتمع حوله وكان بعضهم يؤازره وهو ليس منه.

يضاف إلى ذلك أن التشكيلات الأولى للنظام الخاص عام ١٩٥١ كانت تعنى أيضا بأمور النظام العام. أذكر من ذلك فرش المركز العام بالأثاث بعد أن تم استرداد مبناه من الحكومة. وأذكر اجتماعا لمستول النظام الخاص بالأقاليم تم في القاهرة وقد فرض أحمد زكى على كل مسئول مبلغا من المال يؤديه ثم يتولى جمعه بعد ذلك، وكان هذا على أثر زيارة قام بها أحمد زكى إلى الدار فوجدها خلوا من الأثاث المناسب في وقت تزور فيه الدار وفود صحفية من جميع أنحاء العالم.

كذلك مظاهرة البرلمان التي تمت في ١٨ أبريل ١٩٥١ كانت عملا نظاميا أشرف على إعداده أحمد زكى وتمت بنجاح رائع.

الفصل الثالث عشر

النظام الخاص ١٩٥١ - ١٩٥٣

ما أشرت إليه من عقبات واجهت النظام الخاص لازمته طوال هذه المرحلة من مبدئها إلى منتهاها دون أى هدنة أو استراحة.. وهى عقبات كان من شأنها أن توقف نشاطه وتشله شلا. ولكن بعد فترة من التعطل والركود تقرر أن ندع المسئولين عن النظام فيما فيه من استغراق في المشاكل وأن ننطلق لما هو واجب.

بدأت بداية جديدة مع مجموعة من المسئولين التنفيذيين نجمع حبات ذلك العقد وننظمه في مناطق القاهرة. وفي ذات الوقت بدأت أضع البرامج وأقوم على طبعها وتجليدها وإخراجها في أحسن ثوب. وبدأنا عملية تدريب جديد وجمع جديد للسلاح. وكنا نحرص قدر طاقتنا أن نجذب إخواننا الذين اجتمعوا إلينا الدخول إلى تلك المشاحنات أو أن تلوث قلوبهم الخصومات، وذلك رغم أن منهج المعارضين لنا كان يقوم على الاتصال بجميع الأفراد لتحذيرهم منا ومحاولة ملء رءوسهم باعتراضاتهم، ولقد كان حفظ إخواننا وسط تلك الدوامة يعيدنا عن الدوران فيها أمرا في غاية المشقة. ولقد تجاوب إخواننا معنا.

ولقد وضعنا برنامجا دراسيا مؤقتا لمدة عام ولكنه لم يستمر العام المقدر له، حيث قطعناه لبدأ برنامجا غير مؤقت أكثر جدية. وكنت صريحا مع إخواننا في أننا نبدأ من الصفر. وماسرنا في

تكويننا الجديد إلا قليلا حتى أعلنت وزارة الوفد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فكان لنا في ذلك مجال للنشاط المسلح ضد الإنجليز بمنطقة القناة. ولقد أقمنا معسكرا ممتازا للتدريب بعزبة الحاج إبراهيم نجم بالشرقية، وكان يقوم بالتدريب فيه يحيى عبد الحليم وجمال فوزى ومحمد على سليم ويوسف على وعبد العزيز على وغيرهم. في حين راحت مجموعات من إخواننا تغير على دوريات الإنجليز وعلى معسكراته فتتسف مخازن ذخائره في أبو سلطان وفي غيرها من مصالحهم بالشرقية ومنطقة قنال السويس، واتخذ الله منا شهداء مثل الشهيد عادل غانم والشهيد سيد الشراقي وآخرين استشهدوا من إخواننا من الشباب المسلم، أخوانا عمر شاهين وأحمد المنيسى رحمهما الله.

البرنامج الدراسي

وضعنا البرنامج الذي نجحنا في تنفيذه بالكامل وبدأنا المرحلة الأولى منه لمدة عام في شهر مايو ١٩٥٢. وقد تم تقسيم هذه المرحلة إلى أجزاء شهرية فكنا نطبع لكل شهر ما يخصه ونوزعه على أفراد النظام. لقد كان ذلك البرنامج اقوي برنامج في نظم الجماعة منذ أنشئت، وكانت قوته تكمن - إلى جوار ما في مادته - في أنه كان منفذا بتمامه وكماله، فلم يكن برنامجا نظريا على الورق. لقد كنت مسئولاً عن القاهرة فقط ولم تمتد مسئوليتي إلى أكثر من هذا، ومع ذلك فقد طلب المسئولون عن الأقاليم هذا البرنامج حتى عم القطر كله، ثم عبر الحدود إلى إخواننا في سوريا، وإلى جوار ذلك حرصنا على مظهر ذلك البرنامج فكنا نوزعه مجلدا تجليدا مناسباً لانقفا. كان يعاونني في وضعه يحيى عبد الحليم وأحمد العسال وصالح العطار. وكان يعاونني في طباعته إبراهيم صلاح وسيد عيد، وفي كتابته على الآلة الكاتبة محمد أحمد. وقد قدمت لهذا البرنامج وملحقاته بهذه النشرة.

دراساتنا

أخا الهدى

هذه المطبوعات التي تصلك إنما هي دراسات إعدادية لأمر عظيم. توهموه اعتداء على الأبرياء الآمنين، وتوهموه خروجاً لأمر عظيم. وتوهموه قلباً لنظام الحكم، وتوهموه خلطاً بين الدين والسياسة، وأفرطوا في الوهم ما شاء لهم ظنهم، والظن لا يغني عن الحق شيئاً.

وعلم الله أنها ليست شيئا سوى الإذعان لأمر الله تبارك وتعالى { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترعبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم }

وعلم الله أننا ما نبغى وإنما رد البغى نبغى، فإننا كأصحاب دعوة وعقيدة كتب الله على المؤمنين بما صنوفا من البلاء، وابتلاء وامتحان وإحقاقا لحق وإزهاقا لباطل الشيطان لا بد أننا متعرضون لما وعدنا الله به ما تمسكنا بعقيدتنا وما استقمنا على الجادة.

فتأمل موعظة لقمان لابنه وهو يقول { يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر واصبر على ما أصابك }. وانظر إلى هذا الترتيب في نبوءة لقمان الذى وضع قاعدة لا تتغير للدعاة إلى الحق... حسن الصلة بالله ودعوة الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. ثم انتظار المصيبة. فاصبر على ما أصابك.. إن ذلك من عزم الأمور.

لهذا لا بد أن تكون هذه المطبوعات صفة الخصوصية فكل ما يصلك منها إنما هو خاص بك لا يطلع عليه غيرك كما لا يجوز ذكره لكائن من كان، كيفما كانت ثققتك به، وما أحكم قول الرسول صلى الله عليه وسلم " استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان " وإن القرآن ليحدثنا عن رجل من قوم فرعون يكتم إيمانه وإن السيرة لتلقى علينا أعظم دروس الحركات فى الدعوات بالدعوة إلى الله سرا ثلاث سنوات من بدء الرسالة حق نزول قوله تعالى (فأصدع بما تؤمر)

ولهذا أيضا أحرص على أن يكون هذه المطبوعات مكان خاص بها كدرج فى دولا ب أو مكتب خاص بك وأن يكون هذا المكان معين معلوما عندك فلا تضع ورقة هنا وورقة هناك. وأن تخصص غالفا يجمعها جميعا فإذا ما احتجت أو احتاج الأمر نقلها سهل عليك دون حاجة إلى البحث عنها وجمعها ونسيان بعضها.

إن هذه المطبوعات أمانة وعهدة عندك قد نستردها منك لأجل أو لغير أجل، فحافظ عليها ولا تطبقها ولا تكتب فى هامشها ولا تشطب فيها أو تعلق عليها وكن أمين هذه العهدة والأمانة من الإيمان . فتأمل هذا رشدا مهديا إن شاء الله.

وختاماً ندعو الله أن ينصر دعوتنا وأن يوفق قادتها وأن يهييء لنا من أمرنا رشداً ، وأن يرحم مرشدنا وشهداءنا، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله وألا يجرمنا أجرهم ولا يفتننا بعدهم وأن يغفر لنا ولهم.

آمين.. آمين.. آمين أ.هـ—

المرحلة الأولى

أما البرنامج ذاته فكان قائمة بمواد دراسية لمدة عام، ثم تقسيم هذه القائمة إلى اثني عشر قسماً شهرياً، لكل من البرنامج الكامل أو الشهري مقدمة مناسبة أعانني في تحرير أكثرها الأخ أحمد العسال وكذلك باختيار الأحاديث الشريفة المقررة للحفظ. أما مادة البرنامج نفسه فبعضها مواضع بنفسى بالرجوع إلى مراجع عربية وإنجليزية من المطبوعات الرسمية وغير الرسمية. ونقتطف ما يلي من نصوص البرنامج تعبر عن جوانبه.

تقديم البرنامج

قلنا منذ ##### عام

إن الغرض من برامجنا هو:

١- تكوين الفرد المسلم الفاهم لفكرته فهما صحيحاً يحفظه دائماً من الانحراف عن أغراض الجماعى وأهدافها ووسائلها والانخداع بغيرها.

٢- وأريد من البرنامج كذلك أن يجعل الأخ عاملاً بما يعلم.

٣- وحارساً للجماعة داخلياً بحفظ الفكرة سليمة من كل شائبة العمل لها بدافع الإيمان بأنها رسالة حياته وأنه إنما يحيا بها ومن أجلها (وما خلقت الجن والإنس إلا لعبدون).

٤- ونريد من البرنامج أن يكون الأخ أهلاً وكفواً لحماية دعوته بدفع كل عدوان غير مشروع يقع عليها.

٥- كما نريد من البرنامج منح الطاقة التى تدفعه إلى العمل لفكرته حتى تحقق أهدافها المباركة. ففهم الفكرة التى هى الإسلام والعمل لها والذود عنها هى العناصر التى

كان يهدف إليها البرنامج منذ عام والتي مازلنا نهدف إليها. ورحم الله
الرجل ### إذ يقول:

إن الوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

١- الإيمان العميق

٢- التكوين الدقيق

٣- العمل المتواصل.

ولنلاحظ جميعاً أن برنامجنا يتناول الإعداد من جميع نواحيه، من روى يغذى القلب
وثقافى يغذى العقل وعملى رياضى يعدنا كمجاهدين جادين. ثم إنه يهوى كل أخ
لأخذ مكانه من الوصاية والإشراف على أرض الله إحقاقاً لإرادته تعالى } وكذلك
جعلناكم أما وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً{

ورحم الله الإمام الشهيد إذ يقول فى رسالة " إلى أى شىء ندعو الناس": " إن
القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة
والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة، وغذ فذلك من شأننا لا من شأن
الغرب ومدنية المادة".

وبرنامج عامنا هذا زاخرا بالخيرات يحتاج منا إلى كثير وكبير عناء وتما طاعة
وحرص على الموعد، فاحرصوا على ذلك أكرمكم الله وبقدر تمسككم بهذا
ينصركم الله } ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم.. فى
قهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم{.

المرحلة الأولى

١- القرآن الكريم:

أ- تلاوة جزء يومياً.

ب- حفظ سورة آل عمران - تجويدها - وتفسيرها.

٢-الحديث والسنة:

أ- حفظ أربعين حديثا صحيحا أو حسنا - راويه ومخرجه ومعناه

ب- رسالة في علم الحديث.

٣-السيرة

أ- نور اليقين للعمال.

ب- ابن هشام للطلبة.

٤-الفقة.

أ- فقة السنة - الجزء الأول.

ب- فقة السنة - الجزء الثاني.

ت- فقة السنة - الجزء الثالث

٥- الدعوة:

أ- الرسائل الثلاث.

ب- التعاليم والسر.

٦-الرياضة الروحية

أ- المأثورات (تلاوة الوظيفة يوميا) ودراسة الرسالة كلها.

ب- ورد الرابطة.

ت- ورد الإستغفار

ث- ورد المحاسبة.

ج- كتيبة شهرية على الأقل.

ح- جدول المحاسبة ويشمل : صلاة الفجر - الرياضة البدنية - القرآن-

المأثورات - ورد الرابطة - الاستغفار - الكتيبة - عدد الصلوات

القضاء.

٧- طبوغرافيا - رسالة.

٨- إسعاف - رسالة.

٩- القانون - رسالة.

١٠ - مصارعة ياباني - رسالة وعملي، يلزم إعدادها بالنسبة لكل منطقة ويؤدى

فيها امتحان عملي.

١١ - السويدى - تمرين ما بين ١٥ و ٢٠ دقيقة يوميا.

١٢ - أسلحة صغيرة - رسالة وشرح عملي.

١٣ - حرب العصابات - رسالة

١٤ - مفرقات - رسالة.

١٥ - تكتيك ميدان - رسالة.

١٦ - معلومات عامة : زيارة المتاحف والأمكنة العامة.

أ- دار الآثار المصرية.

ب- المتحف الحربى،

ت- المتحف الصحى.

ث- المتحف الزراعى.

ج-متحف السكة الحديدية

ح- دار الاثار العربية

خ- دار الكتب المصرية

د- حضور جلسة في محكمة جنايات.

١٧- دراسات عملية.

أ- السباحة

ت- تجديف

ث- دراجة.

ج- موتوسيكل.

ح- الجرى

خ- القفز

د- شد الحبل.

ذ- رحلة كل ٦ شهور. أ.هـ

كان هذا هو البرنامج الكامل للمرحلة الأولى. وقد قسمناه على الاثنى عشر شهرا. وكان الشهر الأول يصادف شهر رمضان ١٣٧١ (مايو ١٩٥٢) وكان ما يخص كل شهر يعد ويطبع قبل حلول الشهر بوقت كاف حتى يبدأ تنفيذه من أول يوم في الشهر وشغله حتى منتهاه.

برنامج الشهر الأول

يا أبا العقيدة

إن هذا الشهر أوله مغفرة، فيجب أن يبدأ بالتوبة وأن يحاول كل أخ أن يتجدد. والتوبة لا تنفع إذا صاحبها العزم القوى والذكر النافع الخاشع {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}

ولا يمكننا التغلب على الصعاب بقرارات تتخذ ولكن بأعمال تنفذ. إذا لابد أن تعطي من نفسك نموذجاً حياً لمبادئك والدنيا تترقب جيلاً من الشباب الممتاز بالطهر الكامل والخلق القويم، فكونوا أنتم هذا الشباب.

إن عظمة الأمم الحقيقية تكمن في الصفات ذاتها التي تتألف منها عظمة الأفراد، وعظمة الأفراد راجعة إلى ما يعتقدون من مبادئ ومبدؤنا من صنع الله الذي أتقن كل شيء.. { صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة }

والمبدأ لا يأخذ طريقه التطبيقي إلا بثبات جنده وصلابة معتنقيه، وذلك لا يتبين إلا بالتجربة العملية، وطريقنا طويل وشاق أوله توبة إلى الله ووسطه طاعة وقربة وآخره تنفيذ وتوفيق وتثبيت.

ولأمر ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نأوهم حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك". فهل نكون نحن من بين هذه الطائفة؟

وهل نكون نحن الطليعة المبصرة لذلك الرعيل الطاهر؟

وهل نصيخ السمع إلى صوت الدعوة وهو يصرخ في أعماق الجند { فأعينوني بقوة } فأليك يا أخي هذا البرنامج خاصاً ليكون ميداناً لتوفيق الله ل كفى الشهر الكريم إن شاء الله.

القران الكريم:

- أ- تلاوة جزء يومياً.
- ب- حفظ الربع الأول من سورة آل عمران " ٣٢ آية" مع تجويده وتفسيره - ابن كثير أو رشيد رضا.
- ت- علوم القرآن - باب آداب قارئ القرآن وحامله.

الحديث والسنة:

- ١- روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب. فمن أعطاه الله الدين فقد أحياه. والذي نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قالوا وما بوائقه يابى الله؟ قال غشه وظلمه. ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف

ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث".

ت- عن عبد الله بن سهل بن حنيف أن سهلاً حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أعان مجاهداً في سبيل الله أو غازياً أو غارماً في عسرتة أو مكاتباً في رقبته أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله".

ج- قال الإمام أحمد، حدثنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً يتدارسون فقال " إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه ببعض، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به وما جهلتم فكلوه إلى عالمه".

د- روى عن مسلم عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من نبى بعثه الله في أمة قبلى إلا كان من أمتة حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".

هـ- عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر".

٣- السيرة: غزوة أحد - كتاب ابن هشام

٤- الفقه: فقه السنة الأول - المقدمة وأقسام المياه - النجاسات

فقه السنة الجزء الثالث - الزكاة، حكمتها وحق الله في الزرع والثمار.

٥- الدعوة: رسالة التعاليم - حفظ خمسة من أصول العشرين من عنصر الفهم.

٦-رياضة روحية: المأثورات - صلاة ثلاثة أوقات بالمسجد، الفجر والعصر والعشاء - ورد الرابطة - ورد الاستغفار - ورد المحاسبة، كتيبة شهرية - جدول المحاسبة، ويكون شخصيا لا يطلع عليه غيرك { كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا }

٧-رحلتين: رحلة فهارية إلى المتحف الزراعي.

رحلة ليلية قمرية إلى الأهرام.

وصلى اله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أ.هـ-

كان هذا هو النص الكامل لبرنامج الشهر الأول رمضان ١٣٧١ قدمناه كاملا ليكون نموذجا. وكان لكل شهر برنامج على هذا المنوال. وكنا نعقد كل شهرين أو ثلاثة امتحانا لاختبار مدى أخذ الإخوان أنفسهم بالبرنامج وكان الشهر الثاني عشر مراجعة شاملة ثم الاختبار النهائي بعد الشهر الثاني عشر، نضعه هنا بتمامه تحت عيني القاريء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الزمن ١٨٠ دقيقة

المرحلة الأولى - الامتحان النهائي

درجة

أولا : القرآن الكريم (١٦ درجة)

١- {..وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها} أكمل خمس آيات بعد هذه الآية مع التشكيل ٥

٢- أكتب قوله تعالى {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى}.. إلى آخر السورة. ٥

٣

٣- ما مزايا الرسم العثماني للمصحف؟

٣

٤- كيف تميز بين الآيات المكية والآيات المدنية مستعينا بمميزاتهما؟

ثانيا : الحديث الشريف(١٦ درجة)

١- اكتب خمسة أسطر عن كل من:

٢

أ-صحيح مسلم.

- ب-جامع الترمذی ۲
- ج- سنن أبي داود ۲
- د-مجتبى النسائى ۱
- هـ-صحيح الترمذى ۱
- و- سنن ابن ماجه ۱

۲- اشرح التعبيرات الآتية ۵

- ۱- المرسل. ۲- المسند ۳- المرفوع
- ۴- الغريب ۵- المضطرب ۶- الصحيح
- ۷- الحسن ۸- الضعيف ۹- الشاذ

۳- اذكر دعاء السفر الذى كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم

۴- ثالثا السيرة (۱۲ درجة)

۵- كيف كانت غزوة الخندق نقطة تحول في تاريخ المسلمين؟ ۵

۷- اذكر ما تعرفه عن غزوة مؤتة ۷

رابعا : الفقة (۲۵ درجة)

۴- اذكر فرائض وسنن الغسل ۴

۲, ۵- ما لأسباب المبيحة للتميم؟ وما يباح به؟ ۲, ۵

۳- هل يجوز فى الصلاة:

أ-البكاء.

ب-الالتفات. ج-تغميض العينين

د-قتل العقرب. ه- النظر إلى السماء و-المشى.

ز-الابتسام والضحك. ح-رد السلام ط- التصفيق

ى-القراءة من المصحف.

٤ - مالنصاب الشرعى الذى تؤخذ منه الزكاة فى كل من ٣,٥

أ-الذهب ب-الفضة ج-البنكنوت.

د-الزرور ه-الإبل و- البقر ز- الغنم.

٥ - ما حكم زكاة الفطر وما قدرها وعلى من تجب؟ ٣

٦ - اذكر أيام صيام التطوع ويوجب القضاء، وما يبطله ويوجب القضاء والكفارة. ٤

خامسا: الدعوة (١٠ درجات)

٦ ١- ما الأركان الثلاثة التى تقوم عليها دعوتنا كما جاءت فى رسالة "دعوتنا"؟

٤ ٢- ما المراد بالجهاد كركن من أركان دعوتنا؟

سادسا: الرحلات (٨ درجات)

٨ اذكر ما قمن بهمن رحلات وفق هذا البرنامج.

سابعاً: التكتيك (٢١ درجة)

٧ ١- اشرح باختصار تكتيكات الانسحاب

٧ ٢- ما أهمية الدوريات؟ وما أنواعها؟

٧ ٣- ما القواعد التى يجب على قائد الجماعة أن يراعيها حال تسلل جماعته نحو العدو؟

ثامنا: حرب العصابات (١٠ درجات)

٥ ١- اذكر مواضع الطعن القاتلة وكيف تصيبها من خصمك.

٥ ٢- اشرح كوكتيل مولوتوف وكيفية استعماله.

تاسعا: الطبوغرافيا (٩ درجات)

٤ ١- عرف خطوط الكنتور وخطوط الطول والعرض

٢- ارسم الاصطلاحات التي تدل على المدلولات الآتية:

٥ مستنقع - أسلاك شائكة - أشجار - مواقع يهود - جبانة.

عاشرا: الإسعاف (١٢ درجة)

٦ ١- اشرح كيفية إجراء عملية التنفس الصناعي.

٢- وجدت مصابا يتقيأ قيئا مصحوبا بدم داكن جدا ليس به أى رغاوى. شخص الحالة واذكر الإسعاف اللازم.

حادى عشر - الأسلحة الصغيرة (١٦ درجة)

٧ ١- اذكر ما تعرفه عن ميزات قنبلة الأنيرجيا، وفيما استعمل.

٢- ما الأثر الذى تحدثه أنواع الرياح المختلفة من مسافات ٢٠٠ و٣٠٠ و٤٠٠ ياردة إذا هبت الريح من اتجاه

٩ الساعة ٣؟

ثانى عشر: المفردات (٢٠ درجة)

١- اشرح الوصلات الآتية: البسطة - الصندوقية - ورقة الشجر - حرف Y - الاسبانية.

٥ ٢- احتجت إلى قنبلة ٧٥ ولم تجدها. اذكر تفصيلا كيف تجهزها محليا. وما استعمالها؟

٥ ٣- اذكر ميزات استعمال النسف بالكهرباء واستعمال النسف بالفتيل.

ثالث عشر: المعلومات العامة (٢٥ درجة)

١- صف فى سبعة أسطر جلسة شهدتها فى محكمة الجنائيات.

٢- علل صلتك بمن معك. أ.هـ.

كانت رسائلنا مطبوعة طبعا نظيفا بالآلة الكاتبة على آلة الرونيو. وكانت صفحاتها في حج نصف صفحة الفولسكاب ١٦×٢١سم وكما نسلمها الإخوان مجلدة تجليدا أنيقا.

المرحلة الثانية

بدأت المرحلة الأولى على ما ذكرنا في شهر مايو ١٩٥٢ وكانت تمتد إلى شهر أبريل ١٩٥٣. وقبل أن نصل إلى ذلك التاريخ كنا قد وضعنا برنامجا للمرحلة الثانية يبدأ من شهر مايو ١٩٥٣ ليمتد حتى أبريل ١٩٥٤، وبدأنا شأن برنامج المرحلة الأولى تجزئته إلى قطاعات شهرية. ولكن لم يقدر له أن يتم، وأتت الرياح بما لم تشتهي السفن.

مقدمات أمر خطير

فمع هذا السير الموفق في تكوين إخواننا كانت الخلافات الداخلية تجتاح الجماعة. ولم نعد كما قال الشاعر:

حبذا العيش حين قومي جميع
لم تفرق أمورها الأهواء

ولقد كان يمثل النظام في تلك الخلافات مجلس قيادته المكون من الخمسة المسئولين، ونجحنا إلى جوار ذلك في أن نأى إلى حد كبير بجمهور إخواننا عن تلك المعركة.

لم يكن هناك وفاق بين الأستاذ الهضبي مرشد الجماعة وبين عبد الرحمن السندی المسئول الأول عن النظام. كان الأستاذ الهضبي يصرح لنا أنه يؤيد النظام الخاص ويدعمه ويباركه، وكان عبد الرحمن يرى أن تصرفات الأستاذ المرشد لا تتفق مع تصريحاته في اجتماعاته معنا. وعلى ذلك فقد حدث بين الرجلين مناقشات واحتكاكات. وقد كان مجلس قيادة النظام حريصا على حسن الصلة بالمرشد وبراها ضرورة للسير بالنظام في ركاب الجماعة. وعلى أثر أحد تلك الاحتكاكات قرر المجلس تنحية عبد الرحمن عن قيادته، وتقدموا بذلك الاقتراح إلى المرشد العام الذي قبله. واستمر الحال على ذلك فترة قام بعدها بعض الوسطاء بالإصلاح بين الرجلين فعاد عبد الرحمن السندی إلى وضعه الأول. ولكن عادت المتاعب مرة أخرى. وفي الواقع أن أسباب المتاعب كانت ترجع كلها إلى نشاط العناصر المناوئة للنظام داخل الجماعة في معاداته، ووعد الأستاذ الهضبي بالزامهم بوقف ذلك النشاط، ولكنه لم يتوقف أبدا حتى اجتمعت الهيئة التأسيسية للنظام وعرض المجلس النظام عليهم

المشكلة ثم قرروا التنحي وتفويض المرشد العام لاختيار من يشاء، وأذكر أنه كانت لهم ترشيحات قبلها الأستاذ المرشد.

الفتنة الكبرى

كان هذا يحدث داخل الجماعة . وفي ١٥/١١/١٩٥٣ دعا جمال عبد الناصر مكتب الإرشاد العام على العشاء في بيته. لم تكن العلاقات بين الإخوان وبين الثورة على ما يرام، وبلغنا أنه في تلك المأدبة جرى حديث عن النظام الخاص. وقال جمال إنه يتكلم بصراحة وانفتاح وإن هذا النظام هو دليل سوء نية الإخوان تجاه الثورة وقال إنه كان يفهم وجوده أيام الملك قبل الثورة، أما الآن فلم يعد لاستمرار وجوده سوى معنى واحد هو أن الإخوان يتنون السوء بحكومة الثورة. وبلغنا أنه كان هناك وعد من الطرف الآخر بتصفية هذه المشكلة(!) ويبدو أن ذلك الوعد كان مؤقتا إلى أجل محدد. كذلك كان لجهود إخوان الاتجاهات الأخرى أثرها في ذلك القرار، أولئك الذين ما فيتوا يوغرون صدر الأستاذ المرشد على عبد الرحمن السندی بالذات. وتجهض محاولات الإصلاح. أخبرني عن ذلك الوعد بعد ذلك أحد أعضاء مكتب الإرشاد وأقطاب الإخوان في "محكمة الشعب" وأيضا في كلام "رئيس المحكمة" جمال سالم. وأنقل هنا بعض ذلك.

ومن محضر الجلسة رقم (١٣ بتاريخ نوفمبر ١٩٥٤):

جمال سالم - رئيس الحكومة من مايو سنة ١٩٥٤ بلغت علشان أنك تحل الجهاز السرى وتسلم سلاحه وبيّن لك النتائج البطالة التي ممكن أن تصل إليها البلاد بوجود هذا الجهاز السرى المسلح. عملت إيه من مايو (١٩٥٣)؟ قل لنا الخطوات التي عملتها من الألف إلى الياء.

د. محمد حميس حميدة - لم يتخذ شيء إلا اللي قلته لسيادتك. وقال لك تروح تبلغ المسؤولين باعتبارك واحد منهم في جمعية الإخوان يانك تحل الجهاز السرى وتسلم السلاح بتاعه، وأنت باعتبارك واحد من المسؤولين ووكيل الجماعة تقرر: أن المسئول الأول والأخير عن الجهاز هو المرشد، والمفروض أنك قابلته فإيه نتيجة المقابلة؟ قلت له (إيه)؟ وقال لك (إيه)؟

د- خميس - قلت للمرشد: إن السيد الرئيس يطلب أن تشكيلات الجيش والبوليس والنظام تسرح، فهو قال إحنا ماشيين في حل النظام والإجراءات اللى متخذينها إنا نحله وماشيين في هذا الطريق. {ج-ص ١٠٦٢}...

المدعى - ذكرت موضوع عبد الرحمن السندى.. هل صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصله؟

د. خميس - أيوه

المدعى - هل هذا القرار كان بناء على اقتراح مقدم من أحد الأعضاء؟

د. خميس - أيوه

المدعى - مين؟

د. خميس - الشيخ محمد فرغلى {ج ٥ ص ١٠٧٣}..

جمال سالم - لما طلب رئيس الحكومة منك ومن الناس اللى طلب منهم في مايو سنة (١٩٥٣) حل الجهاز، (إيه اللى) أنت عملته؟
د. خميس - بلغت هذا للهضيبي.

د. خميس - كان رده.. نصفى هذا الوضع. [ج ٥ ص ١٠٧٦]

جمال سالم - لماذا سمحت لنفسك وأنت وكيل جماعة الإخوان المسلمون أن ينشأ باسم الجماعة أو يظل ناشئا باسم الجماعة جهاز سرى مسلح، مع علمك بأن هذا مخالف لقوانين البلاد؟

د. خميس - أشهد الله أن مهمة يوسف طلعت كانت علشان نخلص الجماعة من الوضع اللى كان فيه النظام(ده)، وإتمام هذا الوضع وقلنا ليوسف طلعت، أنت مهمتك أن تنتهى هذا الوضع [ج ٥ ص ١٠٨٠] د. خميس - المرشد كان يرى عدم وجود هذا النظام [د ٥ ص ١٠٨٤].

الدفاع - مين اللى قابل رئيس الحكومة وإيه الحديث اللى جرى بينه وبينهم؟

د. خميس - الأستاذ عمر التلمساني والشيخ أحمد شريت ومحمد الحضري وحلمى نور الدين وأنا كنت معاهم، ده كان فى أكتوبر ١٩٥٣ (واضح أن هذا كان تكرارا للمطلب السابق فى مايو ١٩٥٣).

الدفاع - الحديث اللى جرى فى هذا الاجتماع كان إيه؟

د. خميس - كان فى حنتين، المعاهدة والنظام الخاص، وأنه لا بد أن هذا النظام ينتهى منه، لأنه ما يصحش انه تبقى فيه هيئة من الهيئات عاوزة ديمقراطية حقيقية ويكون فيها نظام خاص. [ج ٥ ص ١٠٨٨]

جمال سالم - مخاطبا الجمهور! من مايو سنة ١٩٥٣ وإحنا بنطلب منهم إهمم يحلوا الجهاز بتاعهم ويسلموا الأسلحة بتاعتهم... [ج ٥ ص ١٠٩٢]

الدفاع - ما هى الإجراءات التى اتخذت لا بلاغ نتيجة الاجتماع؟

د. خميس - ليس عندنا إجراء يتخذ إلا اننا نتخلص من النظام مفيش غير هذا.

الدفاع - ماذا كان جواب المرشد حينما أبلغته؟

د. خميس - كان موافق على هذا.

وكيل النيابة - إيه أسباب خلاف عبد الرحمن السندى مع المرشد؟

الشيخ محمد فرغلى - ذكرت أن الخلاف كان بسبب قيام النظام، وكان الأستاذ الهضبي لا يريد أن يكون النظام موجودا فى الجماعة ولكن عبد الرحمن السندى باعتباره أول من كوّن هذا النظام، وهو طبعا مؤمن بفكرته ومنتعصب لها هو ومن معه من الشبان، فوقف فى وجه المرشد باعتبار أن هذا الجهاز هو خلاصة الجماعة ولا يمكن بحال من الأحوال أن يلغى هذا النظام ولا بد من بقائه واستمراره... [ج ٥ ص ١١٢٢].

وتكرر هذا المعنى على لسان الأستاذ محمد فريد عبد الخالق وغيره بالحكمة بما يقطع بان جمال عبد الناصر طلب حل النظام الخاص - وهو ما لم نعرفه فى حينه ولم يخبرنا به أحد - وأن الأستاذ الهضبي

قد وافق على ذلك واتجه إليه وأن قرار مكتب الإرشاد بفصلنا وتكليف يوسف طلعت بالقيان بأمره تنفيذاً لذلك.

ولكن العجيب أن الأستاذ الهضيبي نفسه لم يذكر ذلك في المحكمة.

جمال سالم - هل لم يرسل لك الرئيس جمال عبد الناصر من مايو سنة ١٩٥٣ عدة مرات وأتكلم معك شخصياً، ولما بعث لك هذه الإرساليات على يد ناس أعضاء في مكتب الإرشاد يطالبك فيها بحل الجهاز السرى وتسليم الأسلحة التي معهم وعدم تكوين أى نشاط لجمعية الإخوان المسلمون في القوات المسلحة وقوات الأمن والبوليس، هل وصلك؟
الأستاذ الهضيبي - وصلنى.

جمال سالم - ماذا عملت في الجزء الخاص بالمدينين؟ والرئيس طلب منك في نفس الوقت في مايو ١٩٥٣ عدة مرات متوالية إما مباشرة أو عن طريق غير مباشر عن طريق أعضاء مكتب الإرشاد ويطالبك بحل الجهاز الخاص بجمعية الإخوان المسلمين القسم المدنى وتسريحهم وتسليم أسلحتهم، وأفهمك الخطر الذى ينجم من وجود هذا فماذا فعلت؟
الأستاذ الهضيبي - كنت أعتقد أنه لا يوجد عندهم سلاح.

جمال سالم - يعنى مشيت على اعتقادك وسبت اعتقاد رئيس الحكومة ولم تعره أى اهتمام
الأستاذ الهضيبي - لا ما عرفتش ولا أعتقد أن فيه سلاح لدى هذا الجهاز وعلى الصورة اللي عملناها مكنش ممكن يكون فيه حاجة.

[من محضر الجلسة العاشرة بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٥٤ - ج٤ ص ٨٦٥]

ولا يغيب عن القارىء أن تلك كانت محاكمة الغالب المستبد لخصومه الذين استمكن منهم وأن جميع تلك الأقوال كانت لمتهمين فوق رءوسهم الكبراج.

معود إلى الموضوع

وفي ٢٣ / ١١ / ١٩٥٣ طلعت جميع صحف الصباح بهذا الخبر المثير دون مقدمات معقولة تدعو إليه.. وننقل الخبر عن جريدة الأهرام

فصل أربعة من أعضاء الإخوان المسلمين

اجتماع هام لمكتب الإرشاد إلى منتصف الليل

أعضاء مجلس الثورة يتعشون عند المرشد العام

عقد مكتب الإرشاد هيئة الإخوان المسلمين مساء أمس اجتماعا هاما برياسة فضيلة الأستاذ

حسن الهضيبي المرشد العام ودام هذا الاجتماع من الساعة السابعة حتى منتصف الليل.

فصل أربعة من الأعضاء

وقد أذاع مكتب الإرشاد في منتصف الليل البيان التالي:

قرر مكتب الإرشاد العام فصل السادة أحمد زكي حسن وأحمد عادل كمال وعبد الرحمن السندی ومحمود الصباغ من هيئة الإخوان المسلمين، وبهذا القرار تنقطع صلتهم بالدعوة والجماعة انقطاعا تاما.

من هم المفصولون

ومما يذكر في هذا المناسبة أن الأعضاء المفصولين سبق أن اهتموا في حادث سيارة الجيب وتقرر تبرئتهم في هذه القضية. (بل صدرت ضدنا أحكام فيها).

ويتناول أعضاء مجلس قيادة الثورة العشاء مساء اليوم على مائدة الأستاذ حسن الهضيبي وسيحضر المأدبة جميع أعضاء مكتب الإرشاد. أ.هـ

وصدرت تعليمات السلطات إلى الصحف لانتظار هذا البيان وتخصيص مساحة له. ولم يكن هذا القرار المفاجيء حكيما على أى وجه من الوجوه، فبه راحت الفتنة تجتاح الإخوان. واجتمع بعض من الإخوان واتفقوا أن يذهبوا إلى بيت المرشد العام بالروضة لسؤاله عن أسباب القرار، وبطبيعة الحال لقد قلنا إننا لم نسأل ولم يوجه إلينا أى اتهام أو تحقيق، وكان ذلك حقا ومثيرا بطبيعة الحال، ولم يستطع الطرف الآخر أن يدعى أن شيئا من ذلك قد حدث. وصلى الإخوان المتفقون العصر في مسجد الروضة ثم صعدوا إلى مسكن الأستاذ الهضيبي المقابل له وجرى الحديث بصورة غير مرسومة

بينهم وبينه وأفلتت أعصاب بعضهم هدم اقتناعهم بما يجري وعدم تقديم أى تبرير لهذا القرار فطالب المرشد بالاستقالة. ولكن بعض الحاضرين من هؤلاء الإخوان آثر ألا تجرى المناقشة على تلك الصورة فانتقلوا جميعا إلى دار المركز العام للإخوان بالحلمية. وهناك طلبوا أى مسئول فى الجماعة أن يحضر للنهائى معهم والإجابة على أسئلتهم حول قرار الفصل.

وكعادته فى حصاد عمره ذكر أن عبد الرحمن السندى هو الذى أرسل هذه المجموعة من الإخوان إلى بيت الأستاذ الهضيبى لإرغامه على الإستقالة وعمل انقلاب (!) ينصب فيه صالح عشاوى مرشداً.

وأقر أن ذلك لم يحدث، وإنما ذهب من ذهب باتفاقهم ومن تلقاء أنفسهم، ومن شاء فليسأل من كان منهم هناك وما زالوا والحمد لله أحياء... فليسأل من شاء####محمد مهدي كاعف وعلى صديق وصلاح العطار ومحمد أحمد وفتحى البوز وعبد الرحمن البنان وفوزي فارس وسامى البنا ومحمود زينهم.. الخ.. هل أرسلهم عبد الرحمن السندى؟ فإذا كان لم يرسلهم أصلاً فلا معنى للاسترسال انه أرسلهم لإرغام الأستاذ الهضيبى وتنصيب الأستاذ صالح عشاوى... الخ

ولم يكن عبد الرحمن ولا غيره من السذاجة بحيث يظن أن تعيين المرشد وتبديله يتم بانقلاب. ولكن الذى حدث أنه بعد أن ذهبوا باتفاقهم وكانت النفوس معبأة والأعصاب مشدودة حدث ما حدث فى بيت فضيلة المرشد ثم ذهبوا إلى دار المركز العام وبدءوا يتصلون بي وبعد الرحمن.

أما أن عبد الناصر قد فرح بهذه الأحداث فمما لا شك فيه أن فرحه قد بدأ بصدور قرار الفصل، وبطبيعة الحال استمر فرحه وتزايد، وأى فرح كان له أكبر من ذلك؟.

وفى ذلك الوقت كان إخوان آخرون من الطرف المقابل يجمعهم نحيب### جويفل وصرح شادى يتجمعون ويستعدون فى عربات لاقتحام الدار على الإخوان المحتجين والالتحام بهم، كما أنهم أخذوا يتسلحون ببعض السلاح. كنت فى بيتى حين علمت بما يحدث فذهبت إلى عبد الرحمن السندى للتداول فيما يكون، وأخذنا نتصل بالإخوان الذين انتفضوا للاحتجاج ورفض القرار. كنت متجهاً إلى تهدئتهم حتى لا يضرب الإخوان وجوه بعض ولأن التوتر لا يؤدى إلى حل الأزمة. وكان عبد الرحمن رحمه الله ميالاً إلى عدم التراخى وإلى إجهاض ذلك القرار بكل ما يمكن. ولمس الإخوان بالمركز العام تنقضا فحضر وفد منهم لمقابلتنا حضر صلاح العطار وإبراهيم صلاح ود. عبد العزيز كامل وقد تعهد أن يسعى بكل جهده لحل الأزمة بصورة مرضية، وأجاب على بعضهم بأنه سوف

يستقبل من الإخوان إذا فشل في أداء المهمة. وعلى ذلك انصرف الإخوان المعتصمون من الدار. وعلى الشر حضر الآخرون فاحتلوها. ووضح من سير الأمور بعد ذلك أن الطرف الآخر لن يجيد عن موقفه الذى تورطت فيه الجماعة بأسرها.

الفتنة تستمر

فريق يطالب بمناقشة الأمر وفريق يدعو إلى السمع والطاعة دون مناقشة. وأرسل السكرتير العام [الأستاذ عبد الحكيم عابدين رحمه الله] إلى جميع المكاتب الإدارية للإخوان نصه:
حضرة الأخ الكريم رئيس مكتب ادارى..

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد:

أرجوا أن تبلغوا جميع الإخوان في محيط المكتب الإدارى أن مكتب الإرشاد العام قرر بجلسته العادية المنعقدة في مساء يوم الأحد الموافق ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣ فصل السادة:

١ - أحمد زكى حسن.

٢ - أحمد عادل كمال.

٣ - عبد الرحمن السندى.

٤ - محمود الصباغ.

ولقد صدر هذا بعد الاستماع إلى البيانات العديدة التى عرضت على المكتب عن أخطائهم المتلاحقة فى حق الدعوة والجماعة خلال العامين الماضيين والتي ثبت منها أنهم مسلكا لا يتفق وأغراض الجماعة وأنهم نقضوا البيعة وخرجوا على الدعوة.

ولما كان مكتب الإرشاد هو الجهة المهيمنة على دعوة الإخوان ويحمل أمانتها، فليس للإخوان أن يسترسلوا فى السؤال عن التفاصيل فى أسباب القرار كما يأمل مكتب الإرشاد الذى اتخذ القرار لصالح الدعوة الخض أن يكتفى الإخوان بالعلم به وتنفيذ مقتضاه بكل دقة، وألا يجعلوا هذا القرار موضع بحث أو مناقشة بينهم بأية حال من الأحوال، وليعكفوا على دعوتهم وينشطوا فى أداء تبعاتهم

في مراقبة الله والإقبال على طاعته وحرص على الآخرة، ولينصرون الله من ينصره. والله أكبر والله الحمد.

السكرتير العام

ولم يكن المنطق مقنعا فتعالت الاعتراضات. ثم اجتمعت لجنة العضوية للهيئة التأسيسية بالجماعة وقررت إزالة صفة العضوية عن كل من صالح ع شماوى ومحمد الغزالي وأحمد عبد العزيز جلال. وبعد ذلك صارت قرارات الفصل تصدر تباعا حتى منح ذلك الحق للمكاتب الإدارية فصارت تزاوله ضد إخوة بذلوا من حياتهم وأعصابهم في سبيل الدعوة ما بذلوا...

وأصدر الإخوة الثلاثة بيانا جاء فيه:

- أن مكتب الإرشاد لم يستدع الإخوان الأربعة الذين فصلهم رغم إعلانه انه تحرى صحة الأدلة دون أقل إخلال بواجب التبيين والتحقيق. وأول ضرورات التحقيق مواجهة المتهم بالتهمة والأدلة وإعطائه فرصة للدفاع عن نفسه قبل الحكم عليه.

- أن مكتب الإرشاد كون لجنة من الشيخ محمد فرغلى والأستاذ عمر التلمساني والأستاذ حامد أبو النصر للنظر في تظلمات المفصولين. [وكنت قد قدمت اعتراضا مكتوبا أطلب فيع التحقيق معى حتى أفتح الباب لفرصة إصلاح ما قد فسد. وكذلك فعل أحمد زكى].

وأن اللجنة قد استدعتنا وعندما سألناها عن سبب فصلنا طلب الأستاذ عمر والأستاذ أبو النصر أن نتفاهم مع الشيخ فرغلى وحده لأنهما لا يعرفان التفاصيل وأن من مصلحة الدعوة عدم معرفتها علما بأنهما من أعضاء المكتب الذى قرر فصلنا إلى آخر ما جاء فى البيان.

هذا وقد كان جمال عبد الناصر يتصل بطرفى الخلاف فى الجماعة بدعوى إصلاح ذات البين، ولكنه كان يفسد ذات البين ويدبر لقرار حل الجماعة والتخلص منها فهائيا، ولاشك أنه كان مما يخدم اتجاه حينذاك أن يزداد الخلاف تفاقما حتى إن بعض ضباطه - محمد عبد الرحمن نصير سكرتيره لشئون البوليس الحربى - طلب إلى عبد الرحمن السندى اغتيال المرشد وبعض أعضاء الجماعة وأهداه إياه أن الحكومة سوف تغمض عينها، ولكن إخوانا من المفصولين حينذاك يتصدرهم صالح ع شماوى، وأحمد عبد العزيز جلال حذره من مجرد التفكير فى ذلك ولم يكن عبد الرحمن قد ذهب فى تفكيره قط هذا المذهب رغم شديد غضبه، ولكنها كانت محاولة من عبد الناصر أو رجاله.

حدث عجيب

لقد اجتمعت الهيئة التأسيسية يوم الخميس ٣ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٥٣ ووافقت بعد مناقشات عاصفة على قرار لجنة العضوية بفصل الإخوان الثلاثة أعضاء الهيئة التأسيسية صالح عشاوى ومحمد الغزالي وأحمد عبد العزيز جلال، كما أيدت الهيئة جميع الخطوات التي اتخذها مكتب الإرشاد العام وعلى تجديد الثقة التامة بالمرشد العام. وأثناء انعقاد الهيئة كان عدد من الإخوان الغاضبين يريد على الأربعين يجتمع في مسكن أحد الإخوان قريبا من المركز العام ومعهم بعض الأسلحة لمهاجمة الهيئة في اجتماعها إذا اتخذت مثل هذا القرار. ولم يكن لي علم سابق بذلك الاجتماع حتى أبلغني به مشكورا واحدا منهم انتابته الشكوك بشأنه، وذهبت فورا إليهم وبعد بعض الجدل والمناقشة التي لم تطل استطعت أن أفض الاجتماع، ولم أنصرف حتى انصرفوا جميعا فرادى إلى بيوتهم.

حدث عجيب؟ نعم..

وأعجب منه حدث في جيل الصحابة والتابعين بين أصحاب علي رضي الله عنه وأنصار معاوية بن أبي سفيان. وذلك من آثار الخصومة. حسبت ذلك حدثا عابرا. ولكن مرت عشرون سنة وفي صيف ١٩٧٤ كنت في مأتم أحد أقربائي وقدمني ابنة إلى أحد الحاضرين ياسمي، فقال الرجل انه يعرفني، ولم أكن أعرفه. وسألته عن مصدر معرفته بي.

قال: ألم تكن من الإخوان المسلمين؟ قلت: بلى

قال: ألم تفصل منها؟ قلت: حدث.

قال: فلماذا اعتقلت؟ قلت: أحسبه نوعا من الخطأ

قال: أحمد عادل كمال لا يعتقل خطأ

قلت: إن كان عندك علم فهات، وأخبرني من أنت؟

ضحك الرجل وقال: اختر إحدى اثنتين، إما أن أخبرك بسبب اعتقالك ولا أخبرك من أنا، أو أخبرك من أنا ولا أخبرك بسبب اعتقالك، وأصر على ذلك.

وآثرت أن أسمع منه سبب اعتقالي، وإذا به يذكر لي هذه الواقعة!

وقال إن جمال عبد الناصر كان ينتظر ليلتها هذا الهجوم على الهيئة التأسيسية ليتصرف من جانبه، ولم تكن هذه المجموعة من الإخوان لمهاجمة الهيئة تدرى شيئا عن ذلك، ولكنك ذهبت إليهم وصرفتهم فأفسدت التدبير كله، فحنق عليك عبد الناصر ولم ينسها لك.

ويؤسفني أن لم أعرف من كان الرجل.

محنة عابرة

وصدر قرار حل الإخوان واعتقالهم في يناير ١٩٥٤، وعاصر ذلك تنحية محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية، وكان الأستاذ عبد القادر عودة ذا موقف معارض داخل مكتب الإرشاد العام من قرار فصلنا فلم يكن يوافق عليه، ولم يكن اعتقل مع الإخوان ربما سياسة من جمال عبد الناصر لإلقاء الشبهات عليه وصار هو المتصدر باعتباره أكبر الإخوان مركزا في الجماعة. وزرناه في مكتبه نحن المفصولين وأعربنا له عن وضع أنفسنا تحت تصرفه حتى تنجلي المحنة، وشكرنا الرجل وأصدر بيانا ذكر فيه ذلك للإخوان وجاء به أن ذلك الموقف من جانبنا سيكون له بلا شك أثره في رأب الصدع وجمع الشمل حين تعود الجماعة. وثار السودان لتنحية محمد نجيب، كما حدثت بعض المظاهرات في مصر فتراجع مجلس قيادة الثورة عن القرارين - حل الإخوان واعتقالهم، وتنحية محمد نجيب - ولكن إلى حين، وأفرج عن الإخوان . وذهب المفصولون - وأنا معهم - إلى بيت الأستاذ الهضبي لتحيته والتهنئة بعودة الجماعة والإفراج عن الإخوان، وكان البيت يغص بالإخوان ولكننا استقبلنا استقبالا فاترا بصورة ظاهرة. لقد كان ما حدث فرصة متاحة بل ذهبية للإخوان لكي يصلحوا من موقفهم الداخلي..ز ولكنهم لم يفعلوا... وأضاعوها.

يوسف طلعت

عاد موقف التحدي بين الثورة والإخوان، وكانت الثورة تعد لمعاهدة مع المجلس التي اشتملت على كل ما اعترض عليه الإخوان واعترضت عليه الأمة في مشروع "صدفي - بيفن" وغيره. بل أكثر. فقدت مصر الوحدة مع السودان كما كان الجلاء مشروطا بالعودة في حالة الحرب. وألقى الإخوان القفاز وأعلنوا أن هذه الاتفاقية لن تمر، وهم بذلك قد وضعوا سمعهم وكبرياءهم في كفة الميزان. وفي ظل صفوفهم الممزقة نفسيا ومعنويا وروحيا وإداريا بدءوا عملية إنشاء نظام جديد أطلقوا عليه "التنظيم السري" جربوا فيه أفكارهم التي لم تكن تقبلها من قبل، فإخوان التنظيم في نطاق الشعبة يتبعون شعبتهم وهكذا. وأسندت

قيادة التنظيم على يوسف طلعت رحمه الله. ولقد كان يوسف مجاهدا قديما من جنود النظام الخاص واشترك في عمليات فلسطين وعمليات الإخوان بالقنال هام ١٩٥١.. الخ ولكننا، ونحن نضع النقط فوق الحروف، نقررها في أمانة أنه لم يكن مناسباً لتلك القيادة. لقد كان جندياً صالحاً ولكنه لم يكن قائداً بالمرّة، ونذهب إلى أن اختياره إنما جاء لتلك الجنديّة.. لقد كان عبد الرحمن السندي يبدو غالباً بصورة القائد الذي يجعل نفسه نداً لقيادته، ربما كان ذلك هو السبب في اختيار هذا الجندي المطيع. ولقد سألته يوماً عن عدته في مواجهة الثورة في معركته التي يعدّها فكان جوابه " بنصر الله وبركة طاعة المرشد". كانت أخبار ذلك التنظيم كلها في الشارع! ولقد علمت أول ما علمت بالمستولين عن التنظيم السري في مناقشة مع أحمد صالح داود ضابط المباحث العامة وهو الذي أخبرني بهم. واختفى المرشد فلم يعد أحد يعلم بمكانه. وكانت الأوامر تصل إلى الإخوان باسم المرشد العام حتى غداً كثير منهم في شك من صحة نسبتها إليه. لقد كان اختيار يوسف طلعت بترشيح من الشيخ فرغلي فقد كان وثيق الصلة لإعتبارهما معاً من إخوان الإسماعيلية. ولكن يوسف لم يلبث أن اختفى هو الآخر. وأحس الشيخ فرغلي وكأنه قد ترك وحيداً!

إلغاء قرار الفصل

كنت - وأنا المفصول - أود الإخوان واتصل بهم. وكان بعضهم يرحب بذلك ترحيباً ظاهراً.. وكان بعضهم يرحب في السر والخفاء خوفاً من إخوانهم.. وكان بعضهم يعرض عني. واتصل بي الأستاذ محمد حامد أبو النصر وأخبرني أن الأستاذ المرشد - تقديراً منه لموقفى في الفتنة، وكذلك بالنسبة لأحمد زكي حسن قد قرر إلغاء الفصل واستبدل به قراراً بالإيقاف عن العمل في صفوف الجماعة لمدة سنة حتى تهدأ الأمور. وأجاب الأستاذ أبو النصر بأنها بادرة خير وسوف يتبعها إلغاء الفصل بالنسبة لكل من فصل.

حوار مع الشيخ فرغلي

وجاءتني دعوة من الشيخ محمد فرغلي لمقابلته صباح أحد الأيام بدار المركز العام بإحلمية الجديدة، وانفرد بي في مكتب المرشد، وبدأ حديثه بعرض لسوء الأوضاع الداخلية للإخوان وإلى أنّها غدت مهلهلة، وأن اختفاء الإخوان - بمعنى نزولهم تحت الأرض - جعل من غير المستطاع معرفة كل ما يجري في صفوفهم، وانتهى من ذلك التسلسل إلى أن عرض عليّ العودة إلى العمل في التنظيم السري..

واعترفت.. وأوضحت له الأسباب. وأولها أنى مفصول، أو موقوف ثم إن الخبرات التي كانت تصلح لهذا العمل قد فصلت أة على الأقل أوقفت. وهذا هو أهون الأسباب. ولكن الأشد من ذلك أن اعتمادنا في نشاطنا الإخواني كله كان قائما على الروح المعنوية العالية وعلى ذلك الرباط الوثيق من الحب العميق المتبادل بين الإخوان الذي يورث الثقة بينهم... والذي لم يعد له وجود حينذاك. وأوضحت ان الأمر يحتاج من وجهة نظرى إلى بعض الوقت، الذي قد يمتد إلى سنتين أو ثلاث لإعادة روابط المحبة بين الإخوان وللخروج تماما خلال تلك الفترة من تحت الأضواء إلى دائرة الظل.. لا شأن لنا بالثورة وماتفعل، حتى نضمم جراحنا التي جرحناها بأنفسنا لأنفسنا. كان رأس مالنا من الحب والإخاء والثقة قد تبدد وصار الأخ في شك من أخيه.. كنا بحاجة إلى أن نرى حقيقة ما فعلنا بأنفسنا وأن نحس حجمه.. ومع موافقة الشيخ فرغلى على كل ما ذكرت، إلا أنه قال إنه لا يستطيع ولا يملك أن يتفق معى على ذلك. قلت " فاقبل عذرى". وقبله رحمه الله.

كانت السلطة في مصر تعد عدتها.. وكان الإخوان يهدونه ويتوعدون. ثم اندلعت الحنة بحادث ميدان المنشية الذي قبض فيه على محمود عبد اللطيف من إخوان امباة متهما بإطلاق النار على جمال عبد الناصر بقصد اغتياله وهو يخطب.

كان الإخوان قد أعلنوا أنهم سيعملون من تحت الأرض، واختفى الأستاذ المرشد. وكانت هناك جبهة اخرى ذات عدد لم توافق على ذلك واتخذت وضعا آخر وصعدت الموقف حتى عينت فيما بينها مكتب إرشاد عام آخر، ودعت إلى الحضور إلى المركز العام وأعادت لقاء الثلاثاء وألقيت بالفعل أول وآخر محاضرة من هذا النوع بدار المركز العام، وامتلاً الفناء ولكن ليس كما كان ينتلىء من قبل.

وبعد المحاضرة اجتمع مكتب الإرشاد المذكور وأتذكر من أعضائه بهى الخولى ومحمود الراوى ومحمد لخضرى ومحمد جودة. ومدن فصلى لم أنقطع عن التردد على الدار فكنت هناك ليلتها وكان هناك أيضا الدكتور محمد خميس حميدة والشيخ محمد فرغلى والأستاذ عبد الحمن البنا. وانفض اجتماع فجأة وخرج الأعضاء يصرفون الإخوان الذين كانوا ما يزالون بالدار، ذلك أنهم بلغهم وهم فى الاجتماع نبأ حادث المنشية. ولم يبق بالدار إلا أفراد يعدون على الأصابع.. الشيخ محمد فرغلى والدكتور خميس وعثمان إبراهيم والأحمد صديق وأخ من الإسماعيلية قال انه على طنوبى وأنا.

وأخرج علوى حافظ مظاهرات من معسكر الحرس الوطنى بالدرب الأحمر القريب من المركز العام تفتف بحياة عبد الناصر والتنديد بالإخوان، وراحت وجاءت مرتين بميدان الحلمية الجديدة، وفي الثالثة هاجمت الدار. ورأيت مفتش المباحث العامة أحمد صالح داود يقف مع بعض رجاله وسط الميدان حماية للمظاهرات ومراقبة للأحداث.

ثم اقتحمت المظاهرة الدار، وراحت تحطم بالمقاعد والمصاييح والزجاج والأثاث، وكان مع أحدهم بلطة رفعها علىّ وأسعفتني بديهتي فحصت فيه أنى من المباحث العامة، وغذ وجدت لذلك أثره وأخفض الرجل بلطته تماديت فى زعمى وأخرجت المظاهرة كلها من الدار وأطاعني بعد أن كادت تفتك بي.

وبحثت عن الإخوة الذين كانوا بالدار وقد أظلمت بتحطيم المصاييح فوجدتهم فى حجرة خلفية على سلم حديدى حلزوني كان الدكتور خميس بييت فيها أحيانا.

وكانت مناقشة بين الأمدج صديق والشيخ فرغلى انتهى فيها الشيخ أنه منذ الصباح سيكون له موقف لإصلاح الأوضاع التى تردت.

كان الشيخ فرغلى مراقبا من المباحث العامة عنلية يتبعه المخبرون فى سيارة دون تحف. وكذلك كنت، كثيرا ما كان المخبرون الخاصون بي يحادثوننى فيعتذرون حينما بأنما الأوامر ويدعون حينما أنهم حراسة لحمايتي من الإخوان، وأحيانا كان أحدهم ينصرف لبعض شأنه فترة نتفق عليها مقابل وعد منى ألا أغادر بيتي حتى يعود. فما أن اجتزنا باب الدار حتى هرع المخبرون الموكلون بالشيخ فرغلى وبى فى فرع حيث اختفينا عنهم فلا يعرفون أين ذهبنا وسط الأحداث. وبدلا من البحث عن سيارات تاكسى بعد منتصف الليل ثم يتعقبوننا، أخذونا فى سياراتهم وصحبت الشيخ فرغلى حتى مسكنه وطلب إلى أن أمر عليه فى الصباح وانصرفت مع المخبرين الموكلين بي إلى بيتي.

وفى الصباح عدت إلى مسكن الشيخ فرغلى فوجدته قبض عليه.

الفصل الرابع

الإخوان وضباط الثورة

الصاغ محمود لبيب

امتدت دعوة الإهوان إلى جميع اتجاهات المجتمع فكان طبيعيا أن تمتد إلى محيط الضباط. ولقد ذكرنا أن قسم الوحدات الذي كان يرأسه ضابط البوليس صرح شادى قد اختص بنشر الدعوة بين ضباط البوليس وعساكرهم وبين جنود وصف ضباط الجيش. أما ضباط الجيش في مصر فقد كان لهم وضع آخر. كان الصاغ محمود لبيب من الإخوان، ولحمود لبيب رحمه الله جهاد بعيد ضد الاستعمار الإنجليزي، والإيطالى للعالم الإسلامى، وكان في ذلك شريكا لعزيز المصرى وصالح حرب، وله في ذلك مؤلف صغير بعنوان " حماة السلموم" يتناول جانبا من كفاحه. ورغم كبر سن الرجل فقد ظل معروفا بين الإخوان بصفة " الصاغ" - يهني الرائد - لأنه خرج من الجيش على تلك الرتبة، وبالرغم من شيخوخته فقد كان في نشاط شاب في عنفوانه يغدو ويروح بقميص بنصف كم ولم أر حول عنقه رباطا قط في صيف أو شتاء.

الضباط في الإخوان

كان الرجل هو سنارة الإخوان التي تدلت بين الضباط في الجيش فاستطاع أن يجتذب منهم. وكانت أكبر الرتب التي أقبلت إلى الإخوان (عبد المنعم عبد الرؤوف، وجمال عبد الناصر، وأبو المكارم عبد الحى، وكمال الدين حسين، وحسين حمودة).

ونظرا لحساسية وضع الضابط فقد رئى ألا يكون نشاطهم في شعب الإخوان بالمجال العام حتى لا يكونوا عرضة للمحاكمات العسكرية والفصل والقوانين التي تحظر على الضباط الاشتغال بالسياسة أو الانتماء إلى منظمات سياسية، ولذلك تقرر إلحاقهم - خلافا للمألوف - بالنظام الخاص ، وتم اتصاهم بعبد الرحمن السندي رحمه الله. وخصص الشيخ السيد سابق ليعطيهم دروسا في الفقه ويتقنهم في الإسلام عوضا لهم عن عدم حضورهم المحاضرات العامة. وكتب الشيخ مذكرات في الفقه لهذه المجموعة ثم عممت لإخوان النظام، هي التي نقحت واستكملت وصدرت بعد ذلك مطبوعة فكانت كتاب " فقه السنة".

واشتعلت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وحصرت قوة الفالوجا جمال عبد الناصر والكتيبة ١٣مشاة. واستطاع جمال أثناء ذلك الحصار أن يستميل بعض الأنصار من العناصر الساخطة من المحصورين. ثم مالبت قوة الفالوجا أن عادت إلى مصر بعد فك الحصار عنها ١٩٤٩. واستدعى إبراهيم عبد الهادى وكان رئيسا للوزراء الضباط جمال عبد الناصر إلى رئاسة مجلس الوزراء وأخبره أنه نما إلى علمه انه على علاقة بالإخوان، وأنه سأل عنه فعلم أن له أولادا ولذلك فإنه يسامحه هذه المرة اكتفاء بإنذاره، ولكنه

أقسم وتوعد أن لو عاد جمال إلى نشاطه فسوف يشرده ويشرد عياله. وحلف جمال أن ما بلغ الباشا ليس صحيحا .

كان عبد الرحمن السندى محبوسا حينذاك لاقامه في قضية السيارة الجيب، ونظرا لإصابته بروماتيزم القلب فقد كان يتنقل حيناً في السجن وحيناً في مستشفى القصر العيني، وحين يكون بالمستشفى يكون من الميسور زيارته هناك. وفي يوم زاره جمال وعبد المنعم وابو المكارم وكمال حسين وبينهم خلاف في الرأي كبير.. جمال يقول إن منهج الإخوان طريق طويل ولا يوصل إلى شيء، فما جدوى أن نجمع الضباط في مجموعات لحفظ القرآن والحديث ودراسة السيرة.. الخ، وماضرنا لو انضم إلينا ضابط وطني من غير دين الإسلام، أفترضه لذلك فنحرم جهده معنا؟ وكان عبد المنعم يناقض جمالا فيما ذهب إليه، فنحن إخوان ومسلمون ونعمل لهذه الدعوة ونستهدف قيام دولة مسلمة ويتعين علينا ألا نزيغ عن أهدافنا ولا أن ننصرف عن التفقه في ديننا. وكان كمال حسين من وجهة نظر جمال عبد الناصر، كما كان أبو المكارم عبد الحى من وجهة نظر عبد المنعم عبد الرؤوف. طلبوا عرض الخلاف على المرشد العام.

انفصال

وأجابهم عبد الرحمن بأن المرشد العام - الأستاذ الهضيبي - ولو أن الاختيار قد وقع عليه بصورة غير رسمية إلا أنه لم يعلن هذا الاختيار بعد، ولم ينصب بصفة رسمية ولم يمارس بعد أى عمل في الإخوان، وحين يتم ذلك يمكن عرض الأمر عليه. وقد كان .. ويبدو أن الأستاذ الهضيبي قد وجد أنه أمام أمر واقع، فهذه مجموعة تريد أن تحلل من التزاماتها كإخوان وليس هناك بد من قبول ذلك، وليس في الإمكان إجبارهم على غير ذلك. وهنا يكسر هذا السؤال " هل كان جمال عبد الناصر من الإخوان؟" ولكي يكون الجواب بالإيجاب فلا بد أن ثبت أنه كان قد اقتنع سلفا بفكر الإخوان وعقيدتهم، فهل حدث هذا؟ أو أنه كان يقوم بتشكيله " الضباط الأحرار" وأنه كان يستكشف الأجواء الأخرى؟ لا أستطيع أن أجزم برأى الآن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. ولكنه على أى حال كان قد انضم إلى تشكيلات الإخوان، وأقسم على المصحف أن يحترم مبادئها وأن يلتزم بخطها وكان ذلك قبل أن يبدأ تشكيله الخاص به بسنوات. قال الأستاذ الهضيبي إنه ربما كان من الأصلح عدم وضع البيض كله في سلة

واحدة، فليستمر الإخوان في طريقهم وليستمر جمال في طريقه وكان هذا هو ما أرادته جمال فأجاب بأنه سوف يستمر صديقا للإخوان.

ويتساءل البعض.. ألم يكن أنور السادات من الإخوان؟ وللحقيقة أقرر أنه لم يكن . فقط أعلم أنه حين اتهم في قضية اغتيال أمين عثمان وأوقف من عمله بالجيش وأوقف صرف مرتبه كان الأستاذ البنا يرسل قيمة مرتبه إلى أسرته، رغم ضيق ذات اليد عند الإخوان حينذاك، وأن الأستاذ البنا قد خوطب في ذلك فقال إنه من العناصر الوطنية ولا يجوز أن تشعر هذه العناصر أنها لا ظهر لها وأنها تضيع إذا بذلت من نفسها خدمة لوطنها. كما باعت الزوجة الأولى لعبد المنعم (عبد الرؤف) - رحمهما الله - مصاغها وأعطى عبد المنعم قمته لأنور. كذلك ذكر بعضهم أن عبد اللطيف البغدادى كان على صلة بقسم الوحدات بالإخوان ولا أدري عن ذلك شيئا.

مع الإعداد لحركة الضباط

كان عبد المنعم عبد الرؤف طيارا حين قام بمغامرته المشهورة مع الفريق عزيز المصرى في ١٧/٥/١٩٤١ لمحاولة الهروب بطائرة إلى خارج مصر ولكنها سقطت قريبا من قليوب . وكانت محاكمة لم تتم، عاد إلى الجيش ولكنه نقل من سلاح الطيران إلى سلاح المشاة! وكان عبد المنعم يعمل في العريش حين نزل إلى القاهرة في أجازة في بعض أيام شهر يولييه ١٩٥٢. وجاء عبد المنعم بصحبة أبي المكارم إلى عبد الرحمن السندي فأخبراه أن الضباط الأحرار كثيرو الحركة في تلك الأيام وأنهم يهدون لشيء.

وذهب عبد الرحمن بصحبة عبد المنعم وأبي المكارم إلى جمال عبد الناصر في بيته وأخبروه بمبلغ علمهم واستفسروه عن الأمر. ولم ينف جمال. ز صارحهم بأنهم يعدون لحركة في الجيش وأنه يطلب عون الإخوان. وأجاب عبد الرحمن بأن الضباط الأحرار تنظيم صغير والإخوان تنظيم كبير، وإذا كانت المغامرة جائزة وأنه لكى يعطى الإخوان عونهم يلزمهم أمران، الأول معرفة الخطوات والاتفاق عليها، والثاني الاتفاق على الهدف والغاية، ومن المعروف أن الإخوان غايتهم إقامة حكم الله وهم لا يجازفون لغير هذا الغاية

- يبدو أنك لم تعد من الإخوان يا عبد الرحمن! قالها جمال عبد الناصر.

- كيف؟ - لأن الإخوان اتفقوا معنا ولم يشترطوا ما تذكر.

- مع من من الإخوان اتفقت. - ألم أقل لك إنك لم تعد من الإخوان!

وخرج الثلاثة من عند جمال وهم لا يشكون في صدق ما قال. لقد اتفق مع أحد الإخوان، فمن يكون؟ وعلى أى شىء اتفق؟ المرشد العام حسن الهضبي كان في الإسكندرية . السكرتير العام عبد الحكيم عابدين كان في بلده بالفيوم.. الوكيل العام عبد القادر عودة كان أيضا متغيبا في مكان ما لست اذكره.. حسين كمال الدين رئيس مكتب ادارى القاهرة تفى معرفته بشىء وخرج معهم يطوف بالإخوان سائلا مستفسرا، وكان فعلا لا يعرف. بعد ذلك تبين أن صاحب الإتفاق كان صلاح أبو شادى رئيس قسم الوحدات، وذكر جمال عبد الناصر لعبد الرحمن فيما بعد أن صلاحا كان عنده في بيته حين زاره ثلاثتهم مستفسرين. ولقد ظل صلاح شادى ينفي هذه الواقعة حتى ذكرها أخيرا في حصاد عمره#### ولا شك أن سير الأمور على ذلك النحو كان من أكبر الأخطاء التى وقعت في الإخوان. وأعطينا التعليمات لإخواننا بتنظيف بيوتهم اتقاء لما عسى أن يحدث. ومر اليوم المحدد دون أن يحدث شىء فسألت عبد الرحمن، فقال إن الضباط اجلوا حركتهم يومين. كنت استفتح كل صباح بالإنصات إلى الراديو، حتى إذا كان صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سمعت بيان الضباط الأحرار وعرفت أن الحركة بدأت... وقبل الملك المطالب الأولى للحركة بتطهير الجيش وإبعاد البطانة وتغيير الوزارة

كيف خرج الملك

وعلمت أيضا أن الحركة لم تكن تستهدف خلع الملك وأن الذى أوحى بهذه الفكرة كان الفريق عزيز باشا المصرى، قال لعبد المنعم عبد الرؤوف قل لجمال إذا رجع الملك من الإسكندرية عاد ولاء الجيش إليه وشنقكم في الطرقات.. قولوا له الآن اخرج. وقال لى محمد قطب إن الشيخ محمد الأودن أيضا أوحى إليهم بإخراج الملك. ونقل عبد المنعم الرسالة إلى جمال فعقد مجلس قيادة الثورة وناقشوا الأمر. وقيل بعد ذلك إن على صبرى كان سفير الضباط إلى السفارة الأمريكية في القاهرة في هذا الشأن، وأن السفارة لم تعترض على إخراج الملك ولكنها طلبت ضمان سلامته. وطلب جمال إلى عبد المنعم أن يقود أكثر القوات الموجودة في القاهرة إلى الإسكندرية لإخراج الملك واشترط عليه ألا يقع في اشتباك.

ولكن عبد المنعم أبى، وقال إما أن نقول له أن يخرج فيخرج وإنا أنه يتحتم إخراجه ولو بالقوة ولو اقتضى الأمر ضربه، أما أن نطلب خروجه فيرفض فنتقاعس فهو أمر غير مقبول. وعاد جمال يجتمع بالمجلس ثم خرج إلى عبد المنعم بالموافقة على ما طلب. وذهب عبد المنعم مع القوة وكان فوق في قيادتها

أحمد شوقي . وذهب محمد نجيب مع الضباط الأحرار وخرج الملك، بعد أن أطلق عبد المنعم بعض الطلقات على سراى التين حيث كان الملك.و هى التى وضعت حدا لتردده.

وكان الذى قام بالدور المماثل بالقاهرة هو الأخ المسلم أبو المكارم عبد الحى، هو الذى قاد القوات التى زحفت إلى قصر عابدين لحصاره وإحباط أى مقاومة يقوم بها الحرس الملكى. يقول أبو المكارم إنه حين أمر بوضع المدافع حول القصر وضعها الجنود وظهرها إلى السراى وفوهاهما إلى الجماهير، وحين أعطى الأمر بتوجيه المدافع إلى القصر بدأ التردد على الضباط والجنود فعاد يصيح فيهم مؤكدا الأمر فاستدرات المدافع نحو القصر. واستسلم الحرس الملكى بالقاهرة. وهكذا ساهم ضباط الإخوان فى ثورة ٢٣ يوليو كإخوان ولكن كضباط فى الجيش!

وراح الناس يتساءلون عن صلة حركة الجيش بالإخوان، بل إن الإخوان أنفسهم كانوا يتساءلون وكان بعضهم يظن أنها حركة إخوانية. وفى الحقيقة أن بعض المسئولين بالإخوان أراد أن يعطى ذلك الانطباع غير الصحيح. إلا أن الذى لاشك فيه أن شعب مصر قد استقبل سقوط الملك بفرح لا مزيد عليه، وكذلك كان الإخوان. كتب سيد قطب رحمه الله فى جريدة الدعوة فى عددها ٧٦ الصادر فى ٢٩ يولي ١٩٥٢ يقول:

الملك اليوم لله الواحد القهار

إنه شعور غريب يصعب تصويره فى الألفاظ.. ذلك الشعور الذى استولى على نفسى وأنا أستمع إلى النبأ الأخير.. إنه مزيج من مشاعر كثيرة.. إنها هزة عميقة لا يكاد يحتملها كيان.. إنها دموع حبيسة تريد الانطلاق. ز إنه فرح غامر وإنه وجوم مدهوش.. ثم وجدتني، وبشعور دافق قاهر، أتوجه إلى القبلة أصلى.. ففى هذه الصلاة وجدت نفسى وفى هذه الصلاة وجدت أمنى، وفى هذه الصلاة سكتت دموعى وسكن جأشى.. شكرا لك يا رب لك يا الله..

واليوم تلح على لساني وجنابي تلك الكلمات الخوالد، فما أجد لنفسي عنها حولا: الملك اليوم لله الواحد القهار. ويفد على الكثيرون ليقولوا: إن البطل محمد نجيب رجل مؤمن مسلم، وإن أعوانه الأبطال كانوا يحملون المصاحف وهم يقومون بمخاطرهم العظمى فى سبيل الوطن..

وأقول ما كان لهذه الحركة أن ينهض بها إلا الإيمان. الإيمان بالله. الإيمان بقوة أكبر من قوة الأرض. قوة أكبر من الجابرة والطغاة.. الخ.

الإخوان والملك

وبمناسبة خروج الملك وقيل أن نترك الموضوع نخرج إلى العلاقة بين الإخوان والملك. ماذا كانت؟ وهل جرت مقابلة بين الأستاذ حسن البنا والملك فاروق؟ الذى أكد أنه لم تتم مقابلة قط بين الأستاذ والملك. كان الأستاذ يتمنى لو تمت، كان يستهدف من ورائها وعظ الملك وإرشاده، وكان يرجو أن يكون لذلك أثره الإيجابي للفكرة الإسلامية وأن يقتنع الملك بفوائده له فى دنياه وآخرته، ولاشك أن بطانة السوء التى أحاطت بفاروق وعاشت حوله فى رفاهية وخلاعة وجون لم تكن تريد لمثل هذه المقابلة أن تتم بما يجعلنا نذهب إلى أنهم أخافوه كثيرا منها احتمال أن يكسب الأستاذ البنا الجولة قائما ولو حدث لكان على هذه البطانة أن تتهدى أو تبتعد، وفى هذا أو ذاك ضياع سهراتهم الحمراء فضلا عن - وهو الأهم - الأبعاد اليهودية التى كانت تعشش فى ذلك المناخ وتدس نساءها لتحقيق أغراضها.

هل كان هناك احتمال حقا أن يتهدى فاروق!؟

هدى الله قريب من كل إنسان يهدى به الله من يشاء من عباده. وحين أفصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمله أن يسلم عمر بن الخطاب قال أصحابه، من منظورهم: " والله لا يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب" .. وأسلم عمر ولم يسلم الحمار.

سأت الأحوال بين الإخوان والثورة، تفصيل ذلك يتسع لأن تكتب فيه الكتب. يقول ضباط الثورة إن الإخوان أرادوا أن يسيطروا وصايتهم على الثورة وهى لا تقبل وصاية من أحد. ويقول الإخوان إنهم إنما أرادوا تحقيق ما تم الاتفاق عليه قبل بدء الثورة، ذلك الاتفاق الذى بناء عليه قدم الإخوان كل عون وتأييد إلى الثورة فى أيامها الأولى. ولسنا نقدم هنا بيانا بما كان بين الإخوان والثورة ولكننا فقط نشير إلى بعض ما كان بشكل منشور أو بصورة أقرب إلى النشر منها إلى النظم.

الإخوان والثورة

لقد أنشأت حكومة الثورة محكمة الثورة لمحاكمة رجال العهد البائد على إفساد الحكم فى مصر، وكان من أوائل من قدم إلى تلك المحكمة إبراهيم عبد الهادى العدو لللدود للإخوان، وقابل الإخوان ذلك

بترحاب وألغت الثورة الدستور القائم وتجاوب الإخوان، وحلت الثورة الأحزاب ولم يعترض الإخوان..
اثنان فقط هما اللذان ارتفع صوتاهما في الهيئة التأسيسية للإخوان يعارضان ذلك الاتجاه ويقفان في وجه
السييل... أحمد عبد العزيز جلال وتوفيق الشناوي. قالا إنه اتجاه خطير ينبغي على الإخوان أن يبصروا
عواقبه.. وصاغ الصوتان وسط الزحام فقال أحمد جلال متمثلاً في أسى بما جاء في كليله ودمنة أقولها
لكم وستذكرونها بعد فوات الأوان" إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض". فكانت بعد ذلك محكمة الشعب
على غرار محكمة الثورة، لمحاكمة الإخوان وإعدامهم وسجنهم، وأهدرت الحريات وديست القوانين،
وكان الإخوان أول وأكثر من اكتوى بذلك على نطاق واسع، وحلت الإخوان كما حلت الأحزاب،
ولكن حل الأحزاب انتهى أمره بقرار الحل، أما حل الإخوان فقد استتبعه تعذيبهم وسلخ جلودهم
وسجنهم وبقي في السجون منهم حتى عام ١٩٧١ من دخلها منذ عام ١٩٥٤، بما يسجل للإخوان في
التاريخ - رغم أخطائهم في تلك المرحلة - أنهم هم الذين قالوا "لا" حين أحنى الجميع رءوسهم وأنهم
بذلوا من دمائهم وأرواحهم وأرزاقهم حرياتهم وأعصابهم ونفسياتهم ما لم يقدمه سواهم ولا معشار
معشاره.

ثم جاء حادث المشية في أكتوبر ١٩٥٤.

ولقد كنت ضمن حشود الإخوان التي اعتقلت وحشرت إلى السجن الحربي حينذاك، وشهدت همجية
التحقيقات التي صاحبت هذا الحادث أو التحقيق في سواه، وقد أضافت تلك التحقيقات إلى الاتهامات
من الباطل ما لو وزع على حكومات العالم - في غير مصر - لسقطها، وحكم "جمال عبد الناصر" بمنطق
"أنا أحيى وأميت".

أبطال التعذيب

ومن عجيب أن قضاء الله وقدره قد تتبع أبطال التعذيب والتعذيبات التالية ٦٥-١٩٧٠. ونكاد لا نجد
منهم أحداً قد الفت من انتقام الخالق ابتداءً من جمال عبد الناصر، إلى جمال سالم، إلى صلاح سالم، إلى
شمس بدران، إلى سعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية إلى حمزة البسيوني قائد السجن الحربي إلى
شفيق إلى محمد نصير إلى الباشجاويش أمين حسين السيد إلى العسكري غنيم إلى صفوت الروبي، وعلى
زومة حافظ وزغلول وسنبو... الخ.

جمال سالم أصيب بمرض عصبي وتكاثرت عليه الأمراض حتى قالها في صراحة بالتسمم، وتذكر الإخوان حينذاك حبسهم عن قضاء حاجتهم في السجن الحربي، ومنعهم من أداء وظيفة الإخراج الطبيعية التي يزاولها كل الناس.. وسائر الحيوان. وشمس بدران اهتم بمحاولة الانقلاب على جمال عبد الناصر لصالح عبد الحكيم عامر على اثر الهزيمة الشنعاء التي منيت بها مصر والعالم العربي كله في ٥ يونية ١٩٦٧، وقد حوكم شمس وحكم عليه بالسجن المؤبد.

أما سيده المشير عبد الحكيم عامر فقد انتحر أو قتلوه بالسلم في ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ على اثر فشل تلك المحاولة، ومازال في أنفاس الناس أشياء عن ذلك الانتحار..

أما سعد عبد الكريم فقد كان يبغى السلطة والرفعة لنفسه مالا يرضى بع أى إنسان كريم، وقالها لى عام ١٩٦٦ في التحقيقات بصراحة "نحن نحكمكم بشريعة الغاب.. هل يعجبكم أو لا يعجبكم؟". سعد عبد الكريم هذا دالت سلطته حتى نقل إذلالا له إلى سلاح الحدود. وعند دخوله إلى نكتبه الجديد في السلاح سقط فاقد الحياة من الغيظ.

وحمة البسيون.. ذلك الجاهل الجبار الجبان المغرور.. كان يقتل شاربين في لون الفضة ويمر على المعذنين يشبع عينيه بمنظر دماهم وأذنيه بصراخهم وأناهم ولفظ أنفاسهم، ويوصى بتشديد العذاب على هذا وإحراق جلد هذا وضرب ذاك مائى كبراج والذى يليه خمسمائة.. الخ حمة البسيون هذا الذى كان يسير الشر والعذاب فى ركابه سمع معذبا يستغيث بالله ويقول يارب يارب فأجابه فى ثقة أن هذا الرب المستغاث به لو نزل إلى الأرض لحبسه "حمة" فى زنانة وضربه بالكبراج! حمة كان عاندا مع بعض أقاربه من إجازة عيد فى الإسكندرية بعربته يقودها بنفسه، وعند قويسنا حدث له حادث اصطدم يقال إن جثته تقطعت فيه وأن إخوانا من قويسنا هم الذين تعرفوا على جثته فقالوا هذا حمة! وجمعوا قطع لحمه إلى جانب الطريق وغطوها بفروع الشجر حتى حمل فى سيارة إسعاف إلى مشرحة مستشفى هليوبوليس... وعلى شفيق أحد مديرى مكتب المشير عبد الحكيم عامر اختلف مع شمس بدران واستطاع أن يوقع به ويودعه السجن الحربي ثم سجن القلعة ويذله ويشبعه ضربا. أما محمد نصير سكرتير الرئيس جمال لشئون البوليس الحربي فلا ندرى لماذا أبعد عن منصبه العسكري وعين رئيس مجلس إدارة الشركة العقارية، وأهم باختلاس نصف مليون جنيه منها، وحبس متهما فى

سجن الاستئناف، لقد برأته المحكمة ولكنه فصل من الشركة. ومات بعدها بقليل حتى العسكرى غنيم من إحدى قرى المنوفية.. عثر عليه قتيلا بين الحقول لا يدري من قاتله!

الصول يس من أبطال تعذيب ١٩٥٤ هاجمه جمل له وقضم رقبته فقتله وغيرهم كثير لم يحصهم أحد.

الرائد رياض إبراهيم وصفوت الروبي والعسكرى سنيو والعسكرى زغلول والعسكرى على السود.. الخ حوكموا في قضايا التعذيب في أوائل السبعينات وصدرت عليهم أحكام مختلفة بالسجن كما حسب نصيبه. وكان بعض الإخوان يذهب لتتابعة المحاكمات فكان أولئك المأفونون يسبونهم ويتوعدونهم!! أقولها متمثلا.

هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون؟

ذكرنا التعذيب على عهد فاروق

ونذكر الآن التعذيب على عهد عبد الناصر. ذاك تعذيب وهذا تعذيب فهل يستويان، مهما اتسع التعذيب أيام الملك الفاسد فقد كان يقع على أفراد معدودين ولو كثروا. كان الغرض منه الحصول على اعترافات تخدم القضايا وتصطنع لها الأدلة المفقودة. وكان يتم في استخفاء وعلى استحياء ثم كان الذين قارفوه ينكرونه.

أما في عهد الثورة المباركة فقد اتسع نطاقه حتى شمل الألوف بصورة مباشرة فضلا عما كان يصيب أهليهم. وصار التعذيب علما وفنا تعلمه من مارسه عن بعض خبراء النازي السابقين وخبراء الروس الشيوعيين. ثم صار ضباطنا المواطنون يتوارثون خبرته طبقة عن طبقة. وصار لضباط المباحث العامة بمعتقل القلعة وغيره أسلوبهم وأدواتهم، وكان لرجال المخابرات بمناهم بكوبري القبة أسلوبهم وأدواتهم، كما كان للشرطة العسكرية أسلوبها وأدواتها بالسجون الحربية، وكلها كانت أجهزة تتنافس فيما لم يصل إليه الإنجليز أيام الاحتلال، وتضاءلت دنشواى بشهرتها الواسعة أمام كرداسة وكمشيش. وظهر كتاب " الحرب النفسية" لصلاح نصر مدير المخابرات يشرح فيه أساليب التعذيب خاصة النفسية وعمليات غسل المخ... الخ.

كان إبراهيم عبد الهادي يحسب أن لم يره أحد.

أما جمال عبد الناصر فكان يحسب أن لن يقدر عليه أحد!

الفصل الخامس عشر

السجن الحربي

اعتقال

كانت اعتقال الإخوان على قدم وساق، لا منذ حادث المشية بل من قبلها، وكان المعتقلون يحشرون إلى جميع الجهات، سجن مصر وسجن الاستئناف وسجن القلعة وجميع أقسام البوليس والسجن الحربي. وفي منتصف ليل ١٩٥٤/١١/٩ حضرت إلى منزلنا قوة كبيرة من الشرطة فحاصرتنا من الخارج وملأته من الداخل لكي تصحبنى معها. صافحت والدى ووالدتى وهى تدعولى. وسألت الضابط الذى كان على رأس القوة إن كنت مطلوباً لتحقيق أو أنه مجرد انتقال فأجاب بأنه ليس أكثر من خمس دقائق وأن كل شىء يدعو إلى الاطمئنان، ولكن كبر حجم القوة وكثرة عددها لم يكونا يدعوان إلى الاطمئنان.

وصلنا قسم شرطة الوايلى قبل الفجر. ومن هناك أعطى الضابط إشارة تليفونية إلى رؤسائه بالمباحث العامة أن القبض علىّ تم بنجاح وهدوء! وفى غرفة الحجز بالقسم وجدت عدداً من الإخوان كانت تغص بهم. وصلينا الفجر جميعاً وأصبح الصباح وقد عزمنا على الصوم وواصلت الصيام فامتد أكثر من شهرين استقبلت بهما تلك الحنة العاتية. ومن حين لآخر كان ينادى بعض منا فيذهبون... ومع أذان المغرب نوديت مع اثنين فخرجنا معاً مقيدين بالحديد فى سيارة لورى إلى إدارة المباحث العامة ومنها إلى البوليس الحربي بعابدين، وما زلنا تحت مسؤولية نفس الضابط الذى اصطحبنا من القسم، وكان يحذر العساكر الذين معنا بأنى سوف أهرب لأنى خطراً! ومن البوليس الحربي أحضر خطاباً لإدخالنا إلى السجن الحربي، ثم واصلنا الرحلة.

وقفت بنا السيارة أمام الباب الخارجى للسجن الحربي بصحراء العباسية (مدينة نصر حالياً) وأنزلنا منها فوجدنا الأسلاك الشائكة تحوطنا من كل جانب وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً. وتقدم نحونا من جهة الباب جندى شاهراً بندقيته وقد رشق فيها السونكى ورفع عقيرته فى حماسة بالغة يقول " قف من أنت؟ ... كلمة سر الليل؟" وأجابه الضابط فى سرية تامة لم نسمعها، ثم دخلنا.

كان يدهشني أن أحضر إلى هذا السجن. فقد كنا نسمع عنه أنه مخصص للتعذيب وأن من يؤخذ إلى السجن الحربي فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا!! ومفهوم التعذيب أن يكون بقصد الوصول إلى معلومات في قضايا، ولم يكن لي صلة بشيء أظن أن يكون محل تحقيق فقد كنت مفصولا ثم موقوفا. سرنا داخل السجن وقد لفنا سكون شاملو ثلاثتنا خلف الضابط، كل يحمل حقائبه. إنه ليس سجنا.. يسمونه السجون الحربية، وهي فعلا سجون وإن تبعت إدارة واحدة وأحاط بها سور واحد. وكل من تلك السجون يحمل رقما أو صفة.. فهذه الشفخانة (يعني المستشفى) وهذا السجن رقم ١، ثم رقم ٢، ثم سجن رقم ٣ وسجن رقم ٤ وأخيرا "السجن الكبير"... هكذا كان يسمى، هكذا كان فعلا.

السجن الكبير

وحتى أقرب بالقارىء إلى معايشة الوضع أقدم وصفا لأهم معالم ذلك الباستيل وهو السجن الكبير كان من ثلاثة طوابق مبنيا من الطور الرملى، فأول ما يطالع الضيف وهو يقترب منه حائطه الذى يرتفع بذلك القدر والذى يبدو مصمما إلا صفا من النوافذ الصغيرة تقترب من سقف الدور الثانى ومثلها للدور الثالث وكذلك الدور الأول ما عدا واجهته، فنوافذها أكبر وأدنى الأرض، أما سائر أضلاع الدور الأرضى فمثل سائر السجن فى زنازينه وارتفاع نوافذه وجميعها قضبان حديدية.

ويتجه الوافد إلى السجن الكبير بطبيعة الحال إلى بوابته ذات القضبان الحديدية التى تتوسط ضلع الواجهة، وكانت دائما مقفلة لا تفتح إلا بدخول أو خروج، وكانت حجرة عن يمين وأخرى عن يسار الداخل كانتا مستخدمين كمكاتب، اليمنى كانت لباشجاويش السجن، ولا تحسبن أخى القارىء أن الباشجاويش هناك وظيفة صغيرة أو قليلة أو مثل أى باشجاويش ممن نراهم فى الشارع... أبدا، تستطيع أن تقول أنه رئيس وزراء ذلك المكان أو أكثر، فإن رئيس الوزراء ليس فى سلطته أن يقتل رعاياه، ولكن ذلك الباشجاويش كان فى سلطته أن يفعلو بل إن الرتب الأقل كانت تستطيع ذلك - يا مغيث... كان من جنود إبليس - بعد ذلك يجد الوافد فناء واسعا مربعا يبلغ ضلعه الداخلى حوالى ٤٠ مترا، أمثر من ٥٠ مترا ويبعث المشهد الذى يرتفع أمام الرائي ثلاثة أدوار من بناء تحيط بفراغ مربع الشكل تقريبا ليس له إلا تلك البوابة الواحدة، يبعث فى نفس الشعور بالسجن، فأنت الآن فى سجن لا مخرج منه ولا نفاذ، لا تنفذون إلا بسلطان. هناك فى وسط اليمين سلم من الخرسانة المسلحة يصعد إلى الدور الثالث، ومثل ذلك فى الجانب الأيسر أيضا. من أقصى اليمين يبدأ الرقم المسلسل للزنازين، رقم ١ رقم ٢ وهكذا

ولكن هناك خلف السلم توجد دورة المياه ثم يستمر تسلسل أرقام الزنازين بعدها حتى آخر الضلع ثم الضلع المواجه ثم الأيسر، وهناك أيضا دورة مياه أرى خلف السلم الأيسر، أما ضلع البوابة فيه مخازن بدلا من الزنازين وهى أكثر اتساعا وبعضها كان يستعمل أيضا في تخزين المعتقلين، كانت ستة مخازن ثلاثة عن يمين ومثلها عن شمال

اما الدور الثانى وكذا الثالث فكلهما زنازين، لا مخازن ولا دورات مياه وأرقام زنازينها مسلسلة بعد أرقام الدول الأول. وكان اتساع كل زنزانه ٣×٢ والوحدات هنا بالiardة وليس بالمترو، والسر فى ذلك أن الانجليز هم الذين بنوه للأسرى الإيطاليين أيام الحرب العالمية الثانية فكان ضمن الوحدات العسكرية التى عرفت باسم " القرنص " ثم آلت إلى الجيش المصرى بعد خروج الإنجليز من القاهرة على القتال فى الأربعينيات، والآن يستخدمه جيش الثورة للأسرى المصريين!

كان سقف الزنازين يرتفع إلى أكثر من ثلاث ياردات ربما إلى أربعة بكل زنزانه نافذة تقترب من السقف عليها قضبان الحديد. قال المهندس الأديب أنور رياض فى كتابه [القابضون على الجمر]. " فى السجن "، : ومن خلال القضبان.. كانت السماء تبدو دائما مقسمة إلى مربعات وكانت أبوابها من ألواح الحديد ركبت على أطر من الخشب السميك، لها تراسيس من الخارج ولا يمكن فتحها من الداخل ويمر أمامها دهليز من الخرسانة المسلحة فى الأدورا الثلاثة وللدورين العلويين سور من الحديد مثبت فى أعمدة من الاسمنت يكشف عما وراءه وفوق باب كل زنزانه رقمها. وعلى الجدران كتبت بخط كبير بعض العبارات التى فاه بها جمال عبد الناصر مثل قوله " ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد! " هذا السجن الكبير كان به ٢٥٢ زنزانه و٦ مخازن.

والرسم الذى نضعه مع هذا الوصف هو كروكى لذلك السجن من الذاكرة وهو صحيح إلى حد بعيد. أما الصورة فى لقطة داخل السجن الكبير بعد إخلائه من الإخوان وشغله بالعسكريين.

أما سجن ٤ فهو اصغر حجما بكثير من السجن الكبير وهو من دورين فقط، الأرضي وآخر يعلوه بهما معا تسع وسبعون زنزانه من ذات المساحة ويغنيانا رسمه عن وصفه.

وفى مخنة ١٩٥٤ خصصوا سجن ٣ لأصحابه العسكريين أما باقى السجون الحربية فكانت للإخوان المسلمين، أما فى مخنة ١٩٦٥ فقد جعلوا سجن ٢ وسجن ٤ للعسكريين والباقى لنا.

استقبال

وصلنا مكاتب إدارة السجن فخرج لنا ضابط طويل القامة.. عرفته اليوزباشى (نقيب) صلاح الدسوقى.. صار بعد ذلك محافظا للقاهرة ثم سفيرا لمصر في هلسنكى ثم رئيسا لمجلس إدارة شركة سينا للفنادق ونوادى الغوص. سال عن أسمائنا فأخبره الضابط المرافق فنظر إلى من دون صاحبي وقال متهكما " أهذا أنت؟ أهلا وسهلا!" ثم ادخلنا إلى مكتب الصاغ أركان حرب السجن، وكان معه " الشريبي" ضابط الأمانات فأخذ ما معنا من نقود وقيدها في دفتر وفتشوا حقائبنا. ثم حدد الأركان حرب رقم الزنزانة التي يوضع بها كل منا. ومشى خلفنا من المكاتب إلى السجن الكبير - مسافة لعلها تبلغ ثلاثمائة متر - جندي يحمل بندقية بسونكى لم ينقطع عن السباب البذيء طوال المسافة.

وفتحت لنا البوابة الحديدية الضخمة ودخلنا فأعيد تفتيش حقائبنا بحضور باشجاويش السجن أمين حسين السيد، فأخذوا منى ورق قالوا إنهم يحتاجون إليها وداوة حبر. ثم فتشوا جيوبى ونشلوا قلمنى الحبر. وسألنى الباشجاويش عن اسم فذكرته له. فقال للجند " علموه كيف يجيب" وانهالت على سيات طويلة غليظة كثيرة وموجعة من كل جانب.. لم يكن هناك أى فرصة للمقاومة فوقفت ساكنا أنظر إليهم وهم يشتمون فى ضربى وقال قائل منهم " تقول اسمى كذا وكذا يا أفندم!" واستمروا يضربونى بالسياط، وبألسنتهم القذرة ذكروا لى أرائهم فى شخصى وفى أمى وفى أبى وأجدادى... الهضيبى!! فى شرفنا وديننا وأصلنا، ذكروا ذلك كله بطلاقة وإفاضة واطراد وبلاغة فذة من أدب السوقة وأخلاق الرعاع ثم سألوا واحدا من معى عن اسمه فأجاب بسرعة" اسمى كذا كذا يا أفندم" وظننت أنه ينجو مما أصابنى ولكن السياط تناولته أيضا وهم يقولون له " نعم هكذا أنت أحسن من زميلك. تعلمت منه يا ابن الكلب!" ثم كان أمر ثالثنا مثلنا.

وعبروا بنا ساحة السجن فصعدوا بنا إلى الدور الثانى والسياط لا تهدأ عن ظهورنا وأدخلونا الزنازين، واحدا فى زنزانة والآخر وأنا فى زنزانة ثانية. وقال قائلهم" هنا السجن الحربى". النوم ممنوع. إذا فتح الباب أقل رتبة فلا بد أن تعظموه والويل لمن نراه جالسا، يا محتلسين يا أولاد الكلب، يا أولاد كذا وكذا وكيت وكيت" ثم أعادوا ضربنا وضرب أخوين آخرين كانا بالزنزانة من قبلنا وأغلقوا الباب فصرنا إلى ظلام دامس. ومر الليل كله بدون نوم فلم تكن تمر نصف ساعة دون أن يفتح الباب بعنف وسرعة

ويقتحمه حملة السياط يلهبون بها أجسادنا لهيبا مؤلما في الظلام، وحين يذهبون عنا ويغلقون الباب كنا نسمع أصوات الضرب مستمرة في الرنازين المجاورة. حتى يرجعوا إلينا.

في تلك الليلة كثر الوافدون الجدد إلى السجن، فما تمر لحظة حتى يطرق سمعنا صوت البوابة الحديدية تفتح ثم تصفيق، ويختلط في تقديرنا هذا الصوت بأصوات السياط. فكان أحدنا يقول: "هذا كبراج" فيقول الآخر "لا هذه البوابة". كانت جماعاتهم تترى ونسمعهم يضربون في الفناء.. وكنا ننظر من خلال ثقب صغير بالباب فلا نتبين منه إلا أشباحا غير واضحة يضربها الجند. كانوا يؤمرون فيقول الواحد بأعلى صوته.. أنا وسخ! وأبويا وسخ وحسن الهضيبي وسخ!!!

وفي الأيام التالية شهدنا ألوفا من الوافدين يفدون زوافات ووحدانا، الأحاد والبضعة والعشرات والمائة والمائتين. كلهم يستقبلون بأكثر مما استقبلنا به وما تفتق أذهانهم يوما بعد يوم.. الكبراج والصفع والرفس والنطح وتمزيق الثياب وحلق الرعوس والشوارب واللحي.. كانوا يضربون بالسياط على روءسهم الحليقة "فلنكات" من الخشب يضربونها بها لا يبألون تكسر منا ما تكسر وتقتل منا من تقتل حتى قال قائلنا متهكما رغم ما كنا فيه "الخشب بلي ونحن لم بلينا".

وكثر نشل المال والساعات وأقلام الخبر وركل العمائم والطرايش واللعب بها وملتها بالماء ووضع أصحابها في برك من الطين بملابسهم التي جاءوا بها.. كان أصحاب اللحي ينتفوها بأيديهم وإلا فالكبراج ينتزعها من على وجوههم، كذلك اراد حمزة البسيوني قائد السجن الحربي. وكان يسميها "الوساخة". هذا بخلاف الأعمال الشاقة كالجري الكثير تحت السياط، وجر "الزحافة" وهي بساط كبير ثقيل من صنف البرش زعموا أنه يسوى الأرض، وجمع الحصى من الأرض. كل هذا فضلا عن الأدب الرفيع المتدفق من أفواه الجند كأنه بحر زاخر في سباب الأوائل والأواخر وسيل طام ينضح بسب الناس والخط من آبائهم ودينهم. كان الصراخ لا ينقطع لحظة من ليل ونهار.. لا مراعاة لحرمة إنسان ولا لمرض مريض ولا لكبر كبير ولا لشيخوخة طاعن في السن، الكل سواء ابن السادسة عشرة ومن جاوز الستين أو السبعين. وكان ذلك الصراخ يقابل بضحكات الجند واستهزاءهم، وصدق الله العظيم ﴿إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون. وما أرسلوا عليهم حافظين!﴾

صلاة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر أو استشكل عليه معضل نادى بلالا رضى الله عنه "أرحنا بها يا بلال" فيقيم بلال للصلاة يفرع بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم إلى ربهم يستروحون بصلاتهم من عنائهم.

وهنا في سجننا هذا أحس أننا ما نكون إلى مثل تلك الصلاة. وماذا بقى للعبد بعد أن أهدرت أمام باصرته كل القيم السامية والمثل العليا وكل ما يمت إلى الإنسانين من صلة وإلى الآدمية من معان، وأقيمت للخسة والمهجبة أنصاب وأصنام. لم تعد لشيء حرمة.. على الإطلاق. حتى هذه أرادوا أن يجرمونا منها، فهذا صارخ لا يعرف الباشجاويش أمين أحمد السيد ينطق مقسما بالله ان أحدا منا لن يدخل الجنة! كأنه ورثها أو استولى عليها، أو كأنه سكرتير الله في أرضه! ويحلف أننا لسنا مسلمين بل نحن شر من يهود!!... وتأسيسا على ذلك، أنه لا يحق لأحدنا أن يحتفظ معه بمصحفه وأن كل من يجوز مصحفا عليه أن يسلمه. وأن الصلاة من المحرمات في هذا السجن، والويل والثبور وعظائم الأمور لمن يضبط معه نسخة من كتاب الله، أو لمن يضبط متلبسا بالصلاة، أو لمن يرى يسمل أو يهمل أو يكبر أو يسبح أو يسترجع أو يحوقل أو يستغفر أو يتمتم بأى تتممة تمت إلى دينه بنسب! ولقد أحتفظ بعضهم بصفحات معه هذه الصفحات.. فجزاه الله خيرا على ما نكلوا به في سبيله.

نوديت ليلا إلى مكاتب السجن حيث يدور " التحقيق " فكنت أسأل ثم أعاد لأقف تحت الحراسة فترات تطول أو تقصر مواجهها جدارا من الجدران، لا يسمح لي بالالتفات يمنا أو يسرة أو أن أحرك قدما أو يدا.. رأسى حليق والكراييج وفلنكات الخشب تتشوق من حولى لتفلق هامتى. وممر الليل بين سؤال وسوط وركل وصفع وضرب بالخشب... كم نخسنى غبى منهم بالسونكى فى غيظ وغل لأنى أتسبب بل إصرارى على الإنكار فى سهرى ليعذبنى!

وقارب الوقت الفجر ولما أصل العشاء. ليس مشروعا أن أسقط الفريضة ولعله لمثل هذا شرع بعض فقه الصلاة. لم أكن متوضئا ولا أستطيع أن أتوضأ والماء منى قيد خطوات، ولا أستطيع أن أتيمم وتراب الأرض تحت قدمى بل وفوق رأسى والجدار أمامى، ولكن غير مسموح ولا مستطاع أن أمسه كيلا أستند إليه ولو قليلا، فأنال من الراحة ولو ما قل، فالمألوف نفسه جزء من التعذيب. لم أكن مستقبل القبلة، فوجهى إلى الغرب أقرب ولا أستطيع أن أستدير نحو القبلة، فلتكن صلاتى إلى حيث لا أستطيع إلا أن أتجه { فأينما تولوا فثم وجه الله } ولا أثق إذا نويت الصلاة أن أتمكن من إتمامها أربعا فالأصل

قصرًا... صلاة كلها خوف بلا وضوء ولا تيمم ولا استقبال قبلة ولا ركوع ولا سجود ولا رقع يدين...! فقط إيماء بالعين لا أذكر في حياتي كلها أن أدت صلاة مماثلة إلا في السجن الحربي. ولا أزعج أن هدأ بها أبلبي أو أني تجردت لها عما حولي.. ولكنني أزعج أني أدت بها الفريضة واجدت نفسي ما استطعت أن استحضر لها قلبي بين أصوات السياط وصاخ المعذبين ولوثات الدماء تملأ كل ما في المكان.. على الوجوه وعلى الرءوس والثياب والجدران والأرض والتراب، ثم كنت لأكاد اسمع بأذن ذلك الصوت الندى المشهور في السيرة صوت بلال بن رباح رضى الله عنه يقيم الصلاة لني الله محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول " أرحنا بها يا بلال"

ثياب وملابس

كثير من هذا الحشد الكبير حشر من بيوته، وكثير جرى به من عمله أو من عرض الطريق. وأكثر من جاء من بيته استطاع أن يحتمل معه ما تيسر من الإزار والدثار وبعضهم أحضر بعنف وعلى عجل أو أحضر خطفا فجاء فردا. لذلك كانت كمية الثياب قليلة جدا خلف هذه الجدران. أكثر من هنا يرتدون الحلة الافرنجية ولا شيء غيرها. هذا الثياب وكيفما كانت. زجبة أو حلة أو جلبابا أو بيجاما كانت تشاركنا محنتنا. ففي الاستقبال كان جنود جيشنا البواسل يجوبون اللعب بالطرايش والعمائم، وكان من المناظر المفضلة عندهم منظر عمامة الشيخ يطاح بها الهواء إلى ارتفاع الطابق الثالث ثم تهوى إلى الأرض - أقصد إلى الطين. وكان مما يجوبون من المزاح أن يضرب أحدهم الطربوش بيده ليسقط من فوق رأس صاحبه إلى الأرض فيتسابق قرناؤه إلى ركله ويظنون يركلونه ماشاءوا، كأنه كرة في مباراة حتى يصل قادم جديد بطربوش أو عمامة جديدة. كانوا يرغمون صاحبه على الوقوف فوقه ووطنه بقدمه ثم يصدر الأمر العسكري "خطوة تنظيم" فإلى أن يفرغوا من تخطيط وجهه بالكرباج يكون قد عجن الطربوش أو العمامة

بقدميه. وكلما كان الثوب جديدا ومنظره أهي وأجمل كلما زاد ذلك من حماس الجنود لكي يرمطوها في الطين، فيلزمون الضحية أن ينام على الأرض وأن يتقلب في الطين بجلته وسرواها وسترتها، بينما تنهال السياط فيختلط على الثوب طين الأرض ودماء صاحبه.. فترى على الوجوه وعلى الرءوس وعلى الأرض وعلى الجدران أضغاث من الدماء والطين.

استمر التعذيب والسياط تمزق ثيابنا تماما كما تمزق جلودنا . قضيت ليلة من تلك اليبالي معلقا من القدمين بجبل إلى السقف والرأس إلى أسفل مع تمزيق الساقين والقدمين بالسياط. ولم أستطع أن أجنب بيجامتي الصوف الجديدة والوحيدة التي كنت أمتلكها حينذاك - والبرد قارس - ما حل بما. لقد استحال نصف سرواها الأسفل خرقا بالية طينها تراب قد عجن بالدم. ككما مست بعض السياط الأكمام والظهر والصدر والكتفين فأحدثت بها شقوقا وتمزقات. وكما استحال علينا أن نعالج جروحنا، كذلك كان محالا أن نرمم ثيابنا، فلم يكن معنا خيط ولا خياط.

ومرت الأيام نقاسى المحنة ونعاني من العذاب وثيابنا تشاركنا تلك القسوة حتى مضت شهور ثلاثة أو أربعة جاءت بعدها دفعة من الطرود على غفلة من كثير منا وأهالينا ثم عاد الحظر ففرض نحوا من أربعة أشهر أخرى. في هذه الفترة ظهرت أنواع من الثياب لم يكن يخطر على بال بشر أن يراها فضلا عن أن يلبسها. وكان بعض الإبر قد تسربت إلينا. وفك بعض الإخوان فنلاهم للإنتفاع بغزها كخيط، ولقد نفضت نسج فوطة وجهي للحصول على خيط. كان أول ما يتآكل من البنطلون ركبتاه. فنتقل جيوب السترة لتسد هذه الثغرات. ثم تتآكل مقعدة السروال فتسدها أى قطعة قماش من أى صنف ومن أى لون. ثم تملك الياقة فيستغنى عنها صاحبها تماما. ثم تتآكل الرقع التي تسد الثغور فترقع الرقع برقع أخرى. وقبل أن تعود هذه الرقع الجديدة إلى التآكل يتفتق الذهن عن فكرة تدوير السروال فيلبس

بحيث يكون خلفه من أمامه وأمامه من خلف فترى ثغرات الخلف جاءت كلها من قبل وثغرات الأمام قد استدارات كلها إلى دبر، وبذلك تحمل الضغوط على مناطق أكثر احتمالا وأقل ذوبانا من تلك التي هلكت أو على وشك الهلاك.

كل هذا وقع تحت طائلة تحقيق طويل وعريض من حثالة الجند... سين وجيم عن كيف رقعنا ثيابنا ومن أين لنا بالخيط وأين نخفى الإبر؟! ولقد كان فقدان إبرة العرى لأكثر من واحد، فلقد كان ينتفع بالإبرة الواحد الثلاثون والأربعون حتى لقد كان يتهامس بيننا أن زنانة رقم كذا فيها إبرة. واستعار أحدهم إبرة ففقدت منه في طوابير العذاب فكان موقفا حرجا للغاية وهو يعتذر لصاحبها عن فقدها.

ربما يتبادر إلى ذهن من لم يشهد أن هذا التصوير مبالغ فيه. ولكن مر الواقع يجعل المبالغة أمرا محالا، فقد كان الواقع ذاته مبالغا فيه أكثر من أى مبالغة، وكثيرا ما يعجز التصوير أن يساير مبالغة الواقع. ولربما لا يصدق إلا من رأى أن رجلا أحضر من حجرته في بيته إلى السجن الحربي كما ولدته أمه. كان رقيق

الحال يسكن غرفة ضعيفة فوق سطح، اقتحموها عليه وهو مع زوجته، ثم راق لهم أن يجيئوا بها كما وجدوه.. فأى مبالغة يستطيع إضافتها؟ كان الأخ إبراهيم مصطفى يقوم وقتها بأعمال النظافة - يعنى يكس أمام الزنازين فكان يطوف يسأل من عنده ما يستطيع أن يستغنى عنه من الثياب لكسوة هذا الوافد.

لقد بلغ بعضهم الياس بطربوشه ان عاجل به أزمة أخرى فملأه ماء على حافة البئر الذى كنا نكرع منه لينقله على الزنانة ليرتشف منه من لم تبلغ به شجاعته أن يجازف بصلوعه أو عظام رأسه ليصل إلى البئر. رأينا كيف يكون المعطف الشتوى الصوف " جابونيز" بدون أكمام إلى الإبطين يلبسه صاحبه يروح به ويغدو لا يملك له بدبلا. يقابر ذلك مرارة "أوفرول" تأكلت ركبته وأعى صاحبه ترقيعه فبتره من ركبتيه ثم ظل يرتديه " شورت". الروب دى شامبر ينطق بالعز القديم مرقع من أمام ومن خلف ومن أعلى ومن أسفل، لا تراه هكذا إلا هنا فى السجن الحربى. رأينا بيجامات وجلابيب يكاد شبر منها أن يكون من لون وثوب، وصنف يغاير سائر الأشبار مثل بدلة مهرج السيرك.

ثم لم يكن هناك شيئا مضحكا ولا مخزيا ولا فاضحا.. فهكذا كانت ثياب الجميع.

وذهبت شهور الشتاء على تلك الحال، وجاءت شهور الصيف بشمسها الحارقة وهجيرها اللافح وأشعتها التى لا يخفف من وطأها ساتر تصيب رءوسنا الخليقة، ففك أحدهم جواربه وصنع من خيوطها بيريها يقى رأسه وهج الشمس، وقلده آخرون حتى امتلأ السجن بهذا الصنف من القلانص صنعوها بإبر اصطنعوها من المسامير وقطع السلك. ولاحظ الباشجاويش أمين حسين السيد كثرة البيريهات، هو يقينا كان جاهلا لم يسمع عن نيرون، ولكن كان لديه من شره الذاتى مثل ما كان لنيرون، فأمر بجمع البيريهات من جميع المعتقل ووضعها ركاما وسط فناء السجن فقدرناها حينذاك بأكثر من ثلاثة آلاف، وسكب عليها البنزين وأضرمها نارا وقف يمتع نظره بلهبها ويؤرج أنفه بدخانها ورائحة شياطها.

طعام

لا ندرى ماذا كان... ولكنه ظل " الطعام" الوحيد الذى يقدم لنا على مدار السنة إذا صح لنا أن نسميه طهعاما. لونه أخضر داكن أدهم يميل إلى السواد.. سائل فى قوام الشورية تسيح فيه بعض العروق من شجر لا نعرفه.. عروقه قليلة قد يصادفنا ساقها أو ورقها إذا تصادف أن كان له ورق، وأحيانا الجذر، ولم يكن هناك أى فارق بين

أى من هذه الأجزاء فكلها عند المذاق سواء.. لا طعم لها البتة. لا أعرف نباتا ينبت في جميع فصول السنة وإذ كان لابد لنا أن نسميه اسما.. أى اسم نعبر به عنه، فقد أسميناه "الحملوط". لا أدري من الذى سماه، ولكن الكلمة صارت علما على هذا الطعام يعرفه به ألوف المعتقلين في السجن الحربى. يأتينا مسلوقا بطينه" ولا غسيل البرك" كان ماسخا ليس في طعمه ما يفيد إضافة أى ملح إليه.

كذلك كان يقدم لنا الأرز والشاى السادة بدون سكر، أو بسكر قليل لا يكتشفه صاحب الحاسة العادية في المذاق . وسلطة عبارة عن عروق الخس بعد أن أكل الجنود البواسل كل عروقه وقد أضيف عليه بعض "فصوص" الملح الرشيدى الخام. والعدس أو الفاصوليا أو البسلة. هذه الأنواع توزع على وجبات اليوم حيثما اتفق. فيوم نفطر فاصوليا ونتغدى عدسا ونتعشى حملوطا ويوم مفطر عدسا ونتغدى حملوطا وأرزا ونتعشى فاصوليا أو نفطر حملوطا ونتغدى بسلة ونتعشى فاصوليا.. هذه التباديل والتوافيق كانت هى التنويع الوحيد في أصناف المأكولات.

أما عن الكميات فكان في كل زنزانة من فئة السبعة أو الثمانية معتقلين طبقان من الحجم العادى من صاج أو نحاس، طبق للحملوط وآخر للصلف الآخى الذى غالبا ما كان أرزا أو سلطة. وعلى ذكر السلطة.. أعطونا الحملوط والسلطة للإفطار ولم نكن قد اعتدنا بعد شرب الحملوط، فأكلنا السلطة وشربنا ماءها. عندنا أى وعاء نأخذ فيه " الشاى السادة". وأجبت بأن ليس عندنا ما نأخذ فيه الشاى. ونظرا ذلك الجندى الجنرال في أنحاء الزنزانة وأشار إلى طبق السلطة الذى فرغنا منه تورا وقال " إما لده إيه؟" فلت ما زال مملحا من اثر السلطة" قال " وماله! خد فيه شاى" وبكل براءة قلت له مش عاوزين شاى". قال " تعالى هنا أنت تعصى أمرى؟.. أنت تتمرد على الأوامر؟! " وكان ثمنها أن جلدت عشرين كبراج على ظهري في الحال بيد الشاويش عطية. ورجعنا معا أنا والجندى موزع الشاى. وعاد يقول " خد الشاى" فقدمت له طبق السلطة فملاه شايا، ثم قال " إشر به قلت " وحدى؟" قال " أيوه.. وكل الزنزانة ولاد الكلب دول محرومين من الشاى النهاردة!" ورفعت الطبق إلى فمى فشربت الشاى بملح السلطة وحدى.. وسائر إخوان الزنزانة محرومون!!

واللحم .. كان يقدم مع العشاء ستة أيام في الأسبوع. ثلاثة أرباعها أو يزيد من العظم والباقي من الشغث والعروق وما شاكل ذلك مما لا يؤكل عادة. والأصل فيما كان يقدم إلينا من طعام انه كان تعيين العساكر، ولكن إلى أن يصل إلينا كان يتعرض إلى سرقات ابتداء من مورد الأغذية إلى الجندى الذى يوزعه علينا فلا يصل إلينا إلا على الصورة الموضحة. لم نستطع يوما أن نأكل اللحم رغم ما بنا من جوع، ومر ركس أمام باب

الزنزانة.. وركس كلب آرمنت أسود من كلاب السجن الضخمة، وأردنا أن نتودد إليه، فألقينا إليه بنصينا من اللحم، واقترب ركس فشم اللحم ثم نظر إليه شذرا وفي كبرياء يحسد عليه استدار وانصرف دون أن يقرربه. كان ذلك اللحم يمضغ مثل اللبان دون أن يمتضغ أو يبلع.

قابلت الشيخ على عبد الحلیم الجاوی ذات يوم في دورة المياه فقلت له " رأيتك منذ أيام تخطف شيئا لم أتبينه من تحت السلم (حيث كان ملقى القمامة) وتجري به إلى زنزانتيك.. هذا كان ذلك الشيء؟" " دى كانت قشرة بطيخ" فحسدته في نفسي، وحكيت ذلك لزملاء الزنزانة فكان أحدا منا كلما مر أمام السلم نظر تحته لعله يجد قشرة بطيخ.

مثال

تلك صورة من " الحياة" داخل الباستيل الرهيب وأسوق هذه الواقعة كمثال للإجراءات.

مهندس صوت باستوديو مصر لم يكن له أى اتصال بالإخوان وجد نفسه مقبوضا عليه ومودعا السجن الحربي. وفي يوم سمع اسمه ينادى به في فناء السجن فلبى النداء فساقوه إلى مكاتب السجن حيث اسلموه " ادعاء" يعنى اقماما جاء فيه أنه أتى أفعالا ضد نظام الحكم دون أى إيضاح أو تفسير، فما أن شرع يفتح فمه ليقول شيئا حتى هوى السوط على وجهه ليسكته. وسكت الرجل وعاد إلى زنزانته بالإدعاء وهو يبكي وقد حددوا يوما للمحاكمة.

ونظرا لانهميار الرجل فقد ذهب زملاؤه بالزنزانة يطمنونونه بأن موقفه سليم وأن " القضية مضمونة" وراحوا يحفظونه ما يقول للمحكمة.. إنه لم يكن من الإخوان على الإطلاق، ولا بد ا، هناك خطأ ما أو تشابها في الأسماء، فإذا ما أخبروه بالأفعال المنسوبة إليه فإنه سيكون من الميسور أن يوضح أنه ليس هو المقصود بالإدعاء.. الخ. وجاء اليوم الموعد فأخذ الرجل إلى المحكمة وظل طوال الطريق يردد على نفسه ذلك الدفاع. كانت المحكمة تعقد في سينما بالقوات المسلحة. وهو يجتاز الباب الخارجى داخلا إلى السينما بين حراسه قابله صول خارجا وسأله هذا الأخير " من أنت؟" قال " فلان". قال " لقد حكم عليك بخمسة عشر عاما!" وأعاده مع حرسه إلى السجن

وكان المتبع أن ينادى كل بضعة أيام على من " صدرت ضده أحكام" دون تحديد أسمائهم فينزلون إلى فناء السجن فيؤخذون إلى سجن الواحات حيث تنفذ " الأحكام" وأشرت ألا ينزل حين يسمع ذلك النداء، فخاف

صاحبنا من ذلك وعدت أشير عليه أن صدور أى أحكام ضده إذا ما حدث في الأمر أى مواجهة. وظل صاحبنا مترددا حتى تم الأمر ونودى الذين صدرت ضدهم أحكام وأخذوا خارجا ولم يخرج معهم. ومر اليوم ولم يكلمه أحد، وتوالت الأيام ولم يكتشف أحد ذلك الهروب داخل السجن حتى قاربت الحنة من نهايتها وجاء ضابط المباحث العامة يجردون المعتقلين ويصنفونهم ويرتبونهم في دفعات للإفراج فتم الإفراج عنه في إحدى تلك الدفعات.

الفصل السادس عشر

محنة ١٩٥٤ - ١٩٦٥

نماذج من المعاملة

فتح السجن الحربى أفواه العذاب على الإخوان بغير حساب. كثيرون لقوا ربهم شهداء تحت العذاب. قتلوا صبورا. كثيرون قتلوا ضربا بالكرباج أو نقعا في الماء المثلج والملح في زمهرير الشتاء. يوسف طلعت نفخ بمنفاخ كهربائى لإطارات السيارات حتى صار بطنه كالبالون. إبراهيم الطيب فسخ مفصل كوعه بثنية عكس الاتجاه على ركة محمود عبد الجواد الجاويش المدلل لحمزة البسيونى، فكان ذراعه مدلى وقد استطال كثيرا بسبب انفصال عظام الساعد عن عظمة العضد، الشيخ محمد فرغلى مكثت أياما أراه في طوابير العذاب ويشتبه علىّ دون أن أعرفه فقد تغير شكله وتضاءل حجمه... الخ.

وأتى سفاح السجن حمزة البسيونى إلى الأستاذ الهضيبى أمام الألوفا المعذبة تحت حراسة السلاح وقال له "حسن، هؤلاء يعذبون بسببك!" وطلب إليه أن يلقى فيهم كلمة. لم نسمع بماذا أجاب ولكننا رأينا يهز رأسه سلبا فعلمنا أنه رفض. فتركه وأخرج الدكتور توفيق الشاوى أمام الصفوف وقال له "شاوى. اخطب فيهم كما كنت تخطب بالخارج". ولم يكن الدكتور الشاوى خطيبا بالخارج، ومازلت أذكر ما قال الدكتور الشاوى يومذاك. كان مضمونه أن كل من هنا من المعذبين واحد من اثنين، إما محسن كما يلقاه الآن من العذاب بلاء من الله له ثوابه، أو مسيء فهذا كفارة له. وكأنه يذكر الإخوان بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم. بما مهناه عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابه خير شكر فكان خيرا له وإن أصابه شر صبر فكان خيرا له. وكان الشاوى من أشد الناس جاذبية عند حمزة البسيونى لعنه الله.

أمر حمزة أن يكون الدكتور الشاوي وحده هو الذى يغسل قراوانات وأواني الطعام لجميع سجن ٤ وكان بوسط قناء ذلك السجن مغسلة طويلة من الرخسانة تمر فوقها ماسورة ١٤ حنفية. وتكوم كم كبير من القراوانات على المغسلة ووقف الدكتور الشاوي يغسلها وجاءت توسكا الكلبة المحظية عند حمزة، كانت من أشد كلاب السجن شراسة، وانطلقت مسرعة نحو قدم الدكتور الشاوي فقبض قدمه، وضبطه حمزة فقتل شاربه وقال له " شاوي. أنت تخاف من الكلبة أن تنجسك؟ أنت الذى تنجسها! يا محمود(محمود عبد الجواد جاويشه المفضل)* أضربه مائتي كراباج!" وقد كان. كان ينطق " كراباج" بالباء الشديدة **CORRPG**.

ذهب حمزة فى إجازة إلى بلدته ولقيه أبوه فأوصاه " يا حمزة لا تقصر رقتنا عندك ناس هم أسياد الناس. الحاج حامد الطحان رجل صالح ومن أعيان البلد، كثيرون يعيشون من خير ه.. الخ" فطمأنه حمزة. وما إن عاد حتى دخل السجن الكبير منتفخا وأمر مناديه فنادى " أين حامد الطحان؟" وجاء إليه الحاج حامد.

" أبى يوصيني عليك. هل أنا ممن تجدى عندهم الوساطات؟! تعال يا محمود(عبد الجواد) اضربه مائتي كراباج". وقد كان.

يعجب الإنسان أن تبلغ الهمجية بمخلوق هذا المبلغ. حدثني إحدى قريباته أن تلك الطباع فى حمزة كانت منذ طفولته. كان يمك بالهرة الصغيرة ويكتف أرجلها ثم يلقها فى الماء لتغرق أمامه وهى تحاول الرفس حتى تموت، ويكتف أرجل قطة ثم يضعها على قضيب السكة الحديد حتى يدوسها القطار بعجلاته وهو يمتع ناظره بهذه الدموية. ذلك حمزة البسيونى طفلا، وشب الطفل على ذلك فشاب عليه. كنا نخرج من الزنازين فى الصباح الباكر ونصف طوابير تخرج من السجن الكبير ومن سجن ٤ ومن كل السجون الحربية فنصطف فى الفناء الكبير الذى يتوسط تلك السجون ومكاتب التحقيق. كانت تحيط بذلك الفناء بعض المباني مثل المطبخ والمخازن وورش التريزة وما شاكل ذلك فاتخذوا من أسطحها منصات وضعوا فوقها المدافع الرشاشة من البرن والفيكرز ووضعوا حولها أكياس الرمل! فكانت حولنا من جميع الاتجاهات تصوب إلينا. وكانت أيضا مكبرات صوت موضوعة فوق تلك الأسطح إلينا.

وكان عندهم تسجيل يذيعونه باستمرار كلما انتهى إلى آخره أعادوه من أوله هو أغنية غنتها أم كلثوم فى حفل لضباط الجيش بمناسبة حادث المنشية. تقول أم كلثوم:

يا جمال يا مثال الوطنية.

أجمل أعيادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية

ردّوا علىّ

فيرد ضباط الجيش البواسل عليها:

ياجمال يا مثال الوطنية

أجمل أعيادنا المصرية

بنجاتك يوم المنشية [ويكررونها].

ويأمر حمزة أن نرد عليها نحن أيضا ويأتي من خلفنا متلصصا هو وجنوده ينتصتون عند بعضنا ليسمعوا هل يردد أو لا يردد الأغنية. كانوا من حين لآخر يضبطون بعضنا بتهمة أنه لا يرد أو أنه كان يقول أوسخ أعيادنا بدلا من أجمل أعيادنا أو ما شاكل ذلك فيجعلونهم عبرة ضربا بالكراييج أمام الطابور.

قبل ضيافتي على السجن الحربى كنت أحسب الكرباج أداة ضرب تؤلم وحسب، ولكن بعد أن عاينته على جسمى وأجسام إخوانى رايته يقطع اللحم ويترك أثرا يبقى من ١٩٥٤ حتى ١٩٨٨ ما بعدها.

كان ينزل على الرأس فيشق جلدها الدم فتتضلع وتورم، ثم يتقيح الجرح ويمتلىء صديدا ويعوده الكرباج فيتفجر دما أحمر وقيحا أبيض.

حمزة البسيونى -لعنه الله - الذى لم يكن مهياً لأى تفكير كان مفكرا مبتكرا فى التعذيب، أمر بأحدهم فألبس أوفرولا بدون ملابس داخلية، ثم وضعت داخله قطة وأغلق عليها، ثم أمر حمزة بضربه بالكرباج والقطة فى عبه داخل ثوبه تصيبها الكراييج أيضا وهى حبيسة ، وللقارىء أن يتصور ما يمكن أن تصيفه القطة من عض وخربشة وإزعاج وحركة وسقوط إلى أسفل وشعبطة إلى أعلى ومواء... مبتكرات البسيونى!

شئ طويل عريض من السخف والتفاهة فى ابتداع ألوان من العذاب يطول شرحها ويسمج. والأرض لا تخلو أباد من جبار يعذب الناس ويقتلهم إسباعا لدمويته. ولكن هؤلاء الجبابرة من بينهم من بزهم وسبقهم وتفوق عليهم. من هؤلاء جمال عبد الناصر وجميعهم جلبوا لأهمهم وشعوبهم الخراب والدمار لأنهم قتلوا الإنسان داخل الإنسان. الضرب بالرصاص ينهى الحياة، ولا يهيم فحياة جميع من خلق الخلاق إلى نهاية، أما الضرب بالكرباج

فشىء آخر لا يقدر عليه إلا الهمج والبرابرة من الحكام المتسلطين، وكان عمر بن الخطاب يقولها لعماله في بساطة متفهمة" لا تضربوا المسلمين فتذلوهم" . وتلك الكلمة الأسطورة التي نسيت إليه عن معاملة المسلمين غير المسلمين" متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!".

تحقيقات

حدث هذا الانتشار العريض الذى حدث لأول مرة في تاريخ مصر لتعذيب عشرات الألوف في السجن الحربى بذريعة حادث المنشية. وبطبيعة الحال تناول " التحقيق" ذلك الحادث كيف شاءوا ليصير قضية تنظرها" محكمة الشعب" برئاسة جمال سالم أحد الضباط " الأحرار" وعضو مجلس قيادة الثورة. ولكن الأمر اتسع فلم يقف عند حدود المنشية فكانت محاكمات إخوان التنظيم السرى، وما كان سرىا. فقد أنشأه الإخوان بعد حل النظام الخاص وفقا لتفكير الذين أنشئوه بدعوى منع الازدواجية فكان إخوان التنظيم في كل شعبة تابعين للشعبة ويرأسهم نائب الشعبة، فما عاد سرىا. ولذلك ما كان أيسر جمعهم وكان سقوط هذا التنظيم من فوق إلى تحت، الرئيس هو الذى يجيء بمرءوسيه.

وأیضا لم تقف التحقيقات عند حدود التنظيم وإنما شمل أى شىء. كانت عقوبة من يدفع خمسة قروش السجن ٥ سنوات ومن يدفع عشرة السجن عشر سنوات!

سألونى وعذبونى عذابا شديدا لأكثر من موضوع. أولها حادث السيد فايز رحمه الله الذى أراد بعضهم الزج بى إليه وقد سبق ذكره. الثانى أحداثق مقاومة الإنجليز فى القناة عام ١٩٠١ وكان أكثر ما يهتمهم فى هذا السلاح أين يذهب. وقد ضبطوا كل ما كان فى حوزة الإخوان من سلاح وكانت إجاباتى أن السلاح تم ضبطه جمعیه.

شىء آخر جرى على لسان سيد عيد كان محل استجواب وتعذيب شديد لى. فقد ذكر أنه بعد محنة ١٩٤٨ وخروجنا من السجن كان رأى تأديب ضباط البوليس السياسى الذين عذبوا الإخوان فى الخنة ولفقوا لهم الاتهامات. ولكن المرشد لم يوافق. وللقارىء أن يدرك مدى ذلك إذا قيل لقوم يعذبون الإخوان ويلفقون لهم الاتهامات.

لقد كان ما ذكره سيد عيد صحيحا وكان ذلك رأى ولكننا لم ننفذه. والتقيت بسيد عيد فى طوابير العذاب وناقشته فيما قال بدون مبرر. قال انه لم يذكر سوى الحقيقة. نعم يا سيد انما الحقيقة ولكن لماذا تذكر هذه الحقيقة الآن وأنت تعرف مغبتها؟ قال: لنعود الصف!

نفيت ذلك وتمسكت بإنكاره، ومن جانبهم اكنفوا بالعذاب الذي صبوه علىّ ثم كان أشد ما اهتموا به التحقيق حول النظام الخاص في سوريا.

فما إن صدر قرار الثورة بحل الجماعة الإخوان في مصر حتى ثار الإخوان بالخارج على هذا القرار وكان لهم في سوريا شوكة، وتجاوبت الحكومة السورية مع إخوان سوريا في هذا الشأن. وذكر لهم بعض الإخوان الأفاضل تحت التعذيب أني ذهبت في رحلة إلى سوريا لتنظيم النظام الخاص هناك ودعمه. فكان يهيم حكومة الثورة في مصر أن تكشف ذلك لحكومة سوريا لتظهر أن هناك تنظيمات إخوانية مسلحة داخل سوريا. واستمر اهتمامهم بذلك الموضوع إلى هايو التحقيقات في السجن الحربي، كل يوم أسأل وأضرب.. وكانت الزنزانة رقم ٢٤ (على ما أذكر) من سجن ٤ بها أدوات تعليق إلى السقف وكانت مخصصة للحالات الشديدة من وجهة نظرهم. وكانت تلك الزنزانة مشغولة بتعذيب رجل اقم بأه، تاجر سلاح فكان يسأل عن السلاح من أين جاء به وأين أخفاه، وحتى ينتهي ذلك التحقيق أودعت الزنزانة المجاورة رقم ٢٣ بمفردي، وكان الذي يقوم " بالتحقيق" جاويش السجن محمود عبد الجواد ومعه أحد الجنود. وأخرجوني من زنزانتى رقم ٢٣ وأوقفوني بينها وبين ٢٤ ولخت الرجل. وإذا لم تخنى الذاكرة كان اسمه غباشى - ربما رشاد الغباشى - من القيوم. لخته معلقا من يديه ورجليه إلى عرق خشب وضع بين نافذتين في جدارين متجاورين إذ كانت في الركن من السجن، وتحت بركة من دمانه تملأ أرض الزنزانة. وخفت صراخ الرجل بالتدريج حتى صار صامتا ولم أعد أسمع إلا صوت الكرياج. ثم سمعت محمود عبد الجواد يقول لقرينه " توقف... لقد مات". وقاما بفك قيوده ووضعاه ممددا على الأرض. ونادى محمود عبد الجواد على أحد الجنود وقال له " اذهب إلى حضرة الضابط وقل له إن هذا الرجل قد مات؟" ثم قال لقرينه " أما نحن فتعال نتناول عشاءنا حتى يحضروا لأخذه". هكذا ببساطة شديدة.

وجلسا على دكة خشبية بغير مسند ركبها متقابلين وقد وضعا طعامهما بينهما يتناولانه والجنة مدة جوار أقدامهما على الأرض. وجاء صوت محمود عبد الجواد يقول لصاحبه وهو يؤاكلة " يبدو أن هذا الرجل لم يكن يعرف شيئا!".

ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم!؟

مصائب قوم عند قوم فوائد. فقد كانت وفاة ذلك الرجل هي رحمة الله التي ساقها إنقاذا لي، انشغلوا به فأعادوني إلى زنزانتى المجاورة، ووضعوا الجنة في إحدى سيارات السجن وركب معه محمود عبد الجواد وقرينه الذي قتله

معه وأخذوا معهم أدوات الحفر وانطلقوا به ليدفنوه، كما كانت العادة في صحراء العباسية، حيث أقيم بعد ذلك الإستاد الرياضى بمدينة نصر. أقيم هذا الإستاد بعد ذلك على جثث شهداء السجن الحربى.

بقيت أياما فى الزنزانة المجاورة حتى جاءنى الدكتور عبد العزيز كامل يوما. كم هو كيس ولبق ويخشى الله الدكتور عبد العزيز. كان جنود السجن الحربى من الأيمن المتخلفين بجميع المقاييس ، وكان ذلك مقصودا حتى يفعلوا ما يؤمرون دون تفكير، فكان الدكتور عبد العزيز - تطوعا أو تكليفا لا أذكر - هو الذى يمكس السجل الذى يقيد به أسماء نزلاء كل زنزانة. جاءنى ومعه ذلك السجل وقال لى " هل ستظل فى هذه الزنزانة ملطشة لهؤلاء الناس؟" قلت " وماذا أستطيع أن أفعل؟" قال " تعال" وهربنى أكرمه الله إلى زنزانة فى الدور الثانى نزلت بها مع بعض الإخوان وقام بالتعديل المناسب فى السجل. ولفوضى الشديدة التى كانت تعالج بها الأمور فقد وضعت منهم وعمرت الزنزانة التى تركتها بنزلاء جدد فيه، وكان معروف الحضرى رحمه الله يقول لى " يا أخى استخبي(اختفى) ولا تجعل حمزة البسيونى يراك أبدا". وقد كان.

محاكمات

كان الإخوان يقدمون إلى محكمة الشعب التى كان يرأسها قائد الجناح وعضو مجلس قيادة الثورة " البيضاء المباركة" جمال سالم. ثم كثرت القضايا فتعددت دوائر المحكمة.

وكانت محاكمات ليس كمثلها محاكمات. فهموا منها أنها محاكمات ثورية بمعنى أن الإدعاء والشهود والمحكمة وحتى المحامين الذين جاءوا بهم للدفاع عن المتهمين ، هؤلاء جميعا كانوا ضد المتهم وجميعهم كانوا يسبونهم.

لم يكن من المهم عندهم تحديد وقائع الاتهام وإنما كان يكفى أن يقال إن المتهم أتى أفعالا ضد نظام الحكم أو أى عبارة بديلة مشابهة.

كان جميع هؤلاء يرون المتهمين أمامهم يلفظون أنفاسهم من التعذيب ويقبلون ذلك بل ويطلبون تشديده إذا ما خيل للمتهم أنه فى محكمة يستطيع الدفاع أمامها عن نفسه.

كان الشهود مصنوعين وأحيانا ما كانت تجرى بروفات للمحاكمة فى السجن الحربى بمعرفة سفاحه حمزة البسيونى. وكان رئيس المحكمة جمال سالم يرغم المتهمين على أقوالهم التى تدينهم، وإذا خرج المتهم أو الشاهد عن هذا الإطار كان يواجه بالتهديد والسب من جانب المحكمة ومعادودة التعذيب فى السجن الحربى. حتى المتفرجون الذين جىء بهم كانوا استكمالا للديكور المناسب لذلك السيناريو، فكانت تهيأ لهم الفرصة للضحك والسخرية

من متهم في أقسى وأقصى محنته. ولم يكن ذلك الحوار كله يدور حول القضية وإنما كان كثيراً ما يخرج عن ذلك، فيطلب رئيس المحكمة إلى المتهم أن يقرأ الفاتحة بالقلوب من آخرها إلى أولها. طلب ذلك إلى يوسف طلعت فأجابه بأن الله أنزل الفاتحة لتقرأ بالمعدول من أولها إلى آخرها وليس تقرأ بالعكس. وتكرر أن يوضع الطربوش على رأس صاحبه وزره من أمام بدلا من الخلف للسخرية به والنقاط الصور التذكارية له. وإذا اختلف شاهد مع متهم كان يطلب إلى كل منهما أن يقول للآخر " أنت كذاب " ينطلق بعدها جمال سالم في خطاب عن الأخلاقيات التي تلابس هذه " الحشرات ". كل ذلك تنشره الصحف وتذيعه الإذاعة وتهلل له وتعلق عليه. فلما جئنا إلى محنة ١٩٦٥ وكان التليفزيون قد أنشئ. أضيف إلى أجهزة الأعلام، وخصص مذيع ثقيل الظل إلى ابعده الحدود اسمه قنديل ليعرض " قرف " الإخوان المسلمين على حد تعبيره كل يوم. طبعت الدولة محاضر هذه المحكمة في أجزاء وكانت تحت الناس على اقتنائها وقد جاء في خاتمة لبعضها " اقرأ هذه المحاكمات واحتفظ بها في مكتبك المنزلية ليرجع إليها أبنائك وأحفادك، وقد جعلنا سعرها ثلاثة قروش فقط، ليسهل على الجميع اقتناؤها. اتصل بإدارة النشر والتوزيع (٦٨) شارع قصر العيني واطلب النسخ التي لم تستطع الحصول عليها".

ولكن لأنها صارت سجل خزي لهذه المحكمة، فقد عمدت أجهزة الأمن بعد ذلك مصادرهما وإعادة جمعها وكانت تستولى عليها كلما وجدتها في تفتيش البيوت حتى كادت أن تنقرض. ولا أود لكتابي هذا أن يكون مقرزا، ولكن ونحن نضع النقط فوق الحروف نقل لقطات قليلة من محاضر جلسات هذه " المحكمة".

جمال سالم - إكراما للتاريخ علشان خاطر اللي ما سمعش اسمك في الأول يسمعه في الآخر... اسمك ايه؟

إبراهيم الطيب - إبراهيم الطيب.

جمال سالم - بتشتغل إيه؟

إبراهيم - محامى

جمال - سنك كام؟

إبراهيم الطيب - ٣٢ سنة.

جمال سالم - طيب اتفضل... مع السلامة. اتفرجوا يا إخوان... اتفرجوا يا مواطنين... اتفرجوا عليه وهو

خارج!! [ج ٣ ص ٢٥٥]

وفي مناقشة الدكتور محمد خميس حميدة عن اتفاقية الجلاء، اتجه رئيس المحكمة إلى المتفرجين الذين جاءوا بهم.

جمال سالم - فيه ناس كتير هنا، نختار واحد، السيد أحمد الصاوى.

أحمد الصاوى محمد (صحفى) - أفندم. جمال سالم - هل تقبل شرحا للموضوع؟

أحمد الصاوى - ده كلام ضعيف وغير معقول.

جمال سالم - نسأل واحد من اللي ما نعرفوش..(ووجه سيادته كلامه إلى أحد الحاضرين) الأخ اللي ورا.. أبو نضارة، هل تقبل هذا الكلام شرحا للموضوع؟

المتفرج المجهول - لا أقبله ولا أفهمه.

جمال سالم - واحدة من السيدات، هل تقبل هذا الكلام؟

إحدى الصحفيات - عمال يلف يلف كده(وأشارت بيدها حركة دائرية)

جمال سالم - بلاش انتى عشان انتى صحفية، واحدة تانية.

متفرجة مجهولة - هذا كلام عايم.

جمال سالم - وإلا مش صح يا سيد صاوى، أصل أنا ضعيف فى الجغرافيا شوية. {ضحك}

أحمد الصاوى محمد [متفرج] - صح يا أفندم. [ج ٣ ص ٦٠٩]

جمال سالم - [مخاطبا أحد المتفرجين] والله الأستاذ اللي فى الصف الثالث اللي قاعد جنب حضرة الصول.

المتفرج - أيوه يا أفندم [وهم أن يترك مكانه ليقترب من المنصة]

جمال سالم - لا، خليك مطرحك، هل الالتفات إلى الشعب ومعارضة الاتفاقية يعتبر تقوية لظهر المفاوض المصرى؟

المتفرج المجهول - يعتبر خيانة.

جمال سالم - الأستاذ اللي بعد منه... رأيه إيه؟

متفرج ثان - أى معارضة لأى خطوة يتخذها إنسان قطعاً تبقى ضد الخطوة اللي بيتخذها.

جمال سالم - [مخاطبا شخصا ثالث] وسيادتك رأيك إيه؟

المتفرج الثالث - نفاق

جمال سالم - [مخاطبا شخصا رابعاً] وسيادتك رأيك إيه؟
المتفرج الخامس - هذه تعتبر جريمة في حق البلاد.

جمال سالم - [مخاطبا إحدى السيدات] والست اللي ورا الأستاذ اللي لابس نضارة سودة رأيها إيه؟

السيدة المذكورة - خداع.
...الخ [ج ٣ ص ٦١١]

وفي محاكمة الأستاذ الهضيبي

الدفاع [سامي مازن] - أخطرت من الأستاذ حسن الهضيبي بأن أحضر معه هذه الجلسة في وقت متأخر، وبذلت ما وسعني الجهد أمس لأحضر مستعداً ولكن لم أستطع، لأنني أمضيت إلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر في السجن الحربي، والوقت لم يتسع لي للإطلاع حتى ملف الدعوى، فإذا سمحتم لي بالأجل الذي يسمح به أمر تشكيل المحكمة فإني أكون شاكراً.

[مداولة قصيرة بين أفراد هيئة المحكمة]

جمال سالم - المحكمة تأسف لعدم إجابة الدفاع على هذا الطلب وخاصة بأن هناك فيه شهود كثيرين ويمكن في خلال المدة التي يقول فيها الشهود أقوالهم ممكن الدفاع يستعد [!] [ج ٥ ص ٢٦٠]

جمال سالم - اسمك إيه؟

د. خميس - محمد خميس حميدة.

جمال سالم - زعق.

د. خميس - محمد خميس حميدة.

جمال سالم - كمان مرة.

د. خميس - محمد خميس حميدة

جمال سالم - أوعى حد يسمى ابنه محمد خميس حميدة. [ضحك] [ج ٥ ص ١١٩] وكفى.

استمعت بعد ذلك من إذاعة العراق لبعض محاكمات محكمة فاضل المهداوى التي جرت أيام عبد الكريم قاسم، فكانت تقليداً لمحكمة الشعب تلك ولم تخرج عن إطارها.

كان حادث المنشية هو الذريعة التي تذرع بها جمال عبد الناصر لتحويل تاريخ مصر، فقادها إلى خراب شامل ولقد حصلنا على هذه المجموعة من الصور النادرة لما تلا الحادث من قتل ستة من الإخوان بزعم أنها أحكام بالإعدام صدرت، مما يستحيل على أى مقياس اعتباره محكمة.

وقد التقط هذه الصور "مصرف" مصور جريدة الأهرام المصرية ولكنها لم تظهر في الأهرام ولا في أى جريدة عربية أو غير عربية، سوى مجلة "بارى ماتش" الفرنسية ولعله كان مراسلاً أو مصوراً لها أيضاً، ولا بد أنه التقط صوراً أكثر.

ما أطلق عليه اسم "محكمة الشعب" كان ثلاثة أعضاء هم قائد الجناح العسكرى جمال سالم رئيساً والقائمقام [عقيد] أنور السادات عضواً يمين والبكباشى [مقدم] حسين الشافعى عضو يسار، ولا شك أن هذه الأسماء قد تلطخت بما اقترفته باسم تلك "الحكمة".

كان حادث المنشية يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ واصدر هذا الشىء حكماً يوم ٤ ديسمبر ١٩٥٤ بقتل سبعة من الإخوان، وبعد يومين تم تنفيذ القتل شنقاً في ستة منهم في غرفة الإعدام بسجن الاستئناف بباب الخلق بالقاهرة

يوم ٦ ديسمبر ١٩٥٤ .

بدأ التنفيذ الساعة السادسة صباحاً ورفعت الراية السوداء على مبنى السجن، وكان الإخوان الستة يرتدون طاقية وسروالاً حمراوين وكوميزول أسود. وكان أول من شنقوه محمود عبد اللطيف، ثم هندواى دوير، ثم سائر الإخوان، وانتهى التنفيذ الساعة التاسعة بعد القادر عودة. وتذكر المجلة أنهم جميعاً قد واجهوا التنفيذ بشجاعة نادرة وابتهالات إلى الله أن يقبل استشهدهم، كما ذكرت أن ذلك التنفيذ قد قوبل باحتجاجات صارخة في العالم العربى، وأن حكومات سوريا والعراق وباكستان كانت قد تدخلت لدى جمال عبد الناصر، لوقف هذا التنفيذ فلم يستجب .

إفراج

وفي النهاية أفرجوا عن الذين لم يقدموا إلى محاكمات فلما جاء يوم الإفراج عنى كنت آخر اسم في آخر فوج، وأذكر من ذلك الفوج أنور العزب رحمه الله وعبد الغنى عابدين والدكتور عبد العزيز كامل.

ونحن وقوف صفا أمام بوابة السجن الحربى فى انتظار السيارات التى تنقلنا إلى معتقل القلعة لنمضى أياما قبل الإفراج النهائى عنا، وجاء حمزة البسيونى يتفوس وجوهنا وينظر إلينا واحدا واحدا. كانت المحاكمات قد انتهت منذ زمن طويل وأغلقت المحاكم الخاصة التى كانت تقارفها لانتهاء مهمتها، وكان السجن الحربى يقفل فى وجوه المدنيين بخروجنا ذاك فى شهر يونية ١٩٥٦. حتى إذا وقع نظره على وجهى صاح:

من؟ عادل!؟

- نعم بماذا حكم عليك؟

لم أحاكم. - مدهش!

وانصرف لمن بعدى وقد لوى عنقه ناحيتى وهو يردد " مدهش... مدهش".

قبل هذا الإفراج ببضعة أشهر جاءت بعثة من المباحث العامة فقاموا بعملية جرد للباقيين من المعتقلين، وكأنا كانوا لا يعرفون أسماءنا. ثم صنفونا إلى ثلاث فئات أ،ب،جـ طبقا لدرجة خطورتنا! حتى يبدأ الإفراج عن الأقل خطورة أولا ثم الأخطر هكذا. واستغرقت هذه العملية أشهرا على دفعات، وجرى لنا بالشيخ محمد عثمان مدير إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ليحاضرنا محاضرات من نوع " التوعية". وكانت محاضراته تتجه إلى وعظنا بالألا نتدخل فيما لا يخصنا. مالذى يجعلنا نتدخل فى السياسة ولسنا من الحكام؟ ولقد كان سيدنا معاوية بن أبى سفيان يقول:

شجاع إذا ما أمكنى فرصة فإذا لم تكن لى فرصة فجان!... الخ . كان الشيخ محمد عثمان رجلا طيبا وكان فى تقديرنا لا يستطيع أن يمتنع عما طلب إليه، أما من جانبنا فكنا نحب هذه المحاضرات لسبب واحد. كانت تلقى فى ليالى الصيف الحار فكانت أبواب الزنازين المغلقة تفتح علينا فنخرج إلى فناء السجن ونجلس أرضا أمامه إلى أن يفرغ من محاضراته فكنا نحظى بنسمة هواء.

فى معتقل القلعة مكثنا أسبوعين لتمهيدنا للخروج. كانت هناك محاضرات أيضا. وكان الطعام أفضل نوعية وكذلك النوم، بعد أن كنا ننام أرضا على البرش وعلمونا الجلوس على السرير. وبصفة عامة كانت المعاملة لائقة بالمقارنة بمعاملة السجن الحربى. ثم أفرج عنا فى يولية ١٩٥٦ قبل أعياد الثورة.

العدوان الثلاثى

بعد الإفراج عنى، وفي شهر أغسطس أو سبتمبر (١٩٥٦)، اتصل بي محمود كامل السيد وطلبني لمقابلة " شخصية هامة" في موعد حدده بميدان العتبة. وفي الموعد وجدت شفيق أنس وسيف البنا وأحمد أنس الحجاجي، قد دعوا معي لذات المقابلة. واتجهنا معا في سيارة محمود كامل وقد انحسرتنا بها حشرا إلى وزارة الداخلية، وفي بهوها تذكر شفيق ومحمود اغتيال النقراشي قبل سنوات ثمان، فكانت محل تعليق ونحن نجتاز البهو. وسبقنا محمود، ثم أدخلنا إلى مكتب أركان حرب وزارة الداخلية، كما نقش على اللافتة التي علقت على بابه.

كان صاحب الوظيفة هو البيوزباشي [نقيب] صلاح دسوقي الششتاوى لم أكن أعرفه من قبل إلا شكلا، وكان هو الذى استقبلنى فى السجن الحربى، وفهمت من محمود كامل أنه أحد اثنين من ضباط البوليس، كانا ضمن تشكيل الضباط الأحرار الذين كانوا جميعهم من ضباط الجيش، أما الثانى فكان اسمه عبد الفتاح إبراهيم [إذا أسعفتنى الذاكرة] وقد حضر هذه المقابلة. وكان صلاح دسوقي من ضباط السجن، ومن هنا كانت معرفتهما بالإخوان الذين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة، الذين كانوا فى ليمان أبى زعبل.

كان موضوع المقابلة أنه يعد تأميم قنال السويس أصاب الإنجليز الحقد والسعار على الثورة، فشرعوا يحشدون قواتهم فى قبرص بما يعنى عزمهم على غزو مصر، وفى هذه الحالة سوف يتمكنون من ذلك، وباعتبارهم الأقوى فسوف يهزمون جيشنا ويعودون إلى احتلال بلادنا. وعلى ذلك علينا أن نعد من الآن للمقاومة الشعبية التى لا بد أن تعقب ذلك. إننا الآن [وه فى السلطة] نستطيع أن نحصل على الأموال التى سوف تلزمنا بعد ذلك وعلى السلاح والذخيرة. كما نستطيع تدبير المنازل التى ندير منها المقاومة السرية والمخازن، وجميع لوازم المعركة، وأن هذا الأمر لا يعرفه إلا الرئيس جمال عبد الناصر وهذه المجموعة التى التقت فى مكتبه، وأنه - صلاح دسوقي - يثق بنا ويطمئن إلينا ويريد أن يعتمد علينا لأنه ثبتت له رجولتنا وصلاحتنا. بعد أن عرف بعضنا عن كذب، ودرس ملفانا فضلا عن ترشيح محمود كامل وتزكيته لنا... واستمر يتحدث .

كان يتحدث وكنت أتذكر...

فى عام ١٩٥٥، وبعد أن انتهت الدفعة الأولى من محاكمات محكمة الشعب، قام احدهم بتشكيل جهاز جديد لجمع تبرعات لمعاونة أسر المحكوم عليهم، عرف بجهاز مارس، لأن الذى قام بتشكيله وشى به إلى

صلاح دسوقي هذا في شهر مارس ١٩٥٥، فكانت قضايا جديدة وأحكام جديدة وأفواج جديدة تساق إلى السجون. فهل كان صلاح دسوقي جادا فيما يقول لنا، أو كان يعد لقضية جديدة تسوقنا إلى الليمان أو إلى المشنقة متلبسين بجيازة مخازن أسلحة، مع مزاعم بمؤامرة إخوانية جديدة لقلب نظام الحكم، أو إتيان أفعال ضد الثورة، أو محاولة اغتيال أمل مصر ورئيسها.... إلى آخر تلك الاتهامات التي حفظناها عن ظهر قلب.

الأمر خطير جدا. إن مقاومة غزو بلادنا أمر نقره ونبادر إليه عن إيمان، وقد تطوع له إخواننا في السجون بعد أن حدث بالفعل. ولكن هل كان الأمر كذلك؟ أم كان تدييرا لقضية جديدة؟ ذلك ما كان يدور في ذهني ولا أفصح عنه. فلت لصلاح دسوقي أنه سبق مساءلتي في السجن الحربى تحت سياط التعذيب عن جهادنا السابق ضد الإنجليز بمنطقة القنال والشرقية عام ١٩٥١، إذا حدث هذا من الانجليز فلا غرابة وهو أمر منطقي بل ومقبول، أما أن يحدث من السلطة المصرية فكم كان ذلك مر المذاق، قال " هذه صفحة أرجو أن تطويها ونسأها ونحن الآن إخوان سلاح وكفاح مشترك في مواجهة غزو متوقع، ووطنيتنا تجمعنا وتحتم علينا ان نضع أيدينا في أيدي بعض لمواجهة ذلك الخطر، ولا يعقل أن نترك ذلك ونتحدث عن الماضى الذى ذهب وانقضى!".

وأردت ان أجرى اختبارا للنوايا فأبدت له موافقتى - وقد كان قلبى بالفعل موافقا - ثم ذكرت له سلاحا كان مرخصا لى بحمله، ثم أخذ منى وسحبت رخصته عند اعتقالى عام ١٩٥٤، وقلت إنه: مادامت الثقة تحل فيما بيننا وسوف نحتاج إلى سلاح، فلعله أن يكون من المناسب تسليمى السلاح ورخصته مرة أخرى... واستاء صلاح من كلامى ورفضه معتذرا بأن ذلك سوف يلفت أنظار الداخلية، وهى جهاز لا يؤمن جانبه!! فهو ذراع السلطة كيفما كانت، فإن كانت يومذاك للثورة فهى بعد ذلك للإنجليز وسوف يكون جهاز البوليس معهم. وما حاجتنا إلى تراخيص سلاح، فإن الجهاد الجاد لا قمه الرخصة، بل ويعمل دون ترخيص، وسوف تكون بأيدينا أسلحة كثيرة بل مخازن أسلحة بغير ترخيص.... واستمر يتكلم.

ربما لم تكن شكوكى فى محلها ولكنها رجحت عندى فأثرت السكوت وانصرفنا على أن محمود كامل سوف يكون هو حلقة الاتصال بنا لتنظيم العملية. ووجدت نفس شعورى عند إخوانى، وصارت المشكلة كيف نفلت من هذه الورطة. وبالنسبة لى جاء ذلك بالاختفاء من القاهرة والعمل خارجها حيث

لا يعرف أحد مكانى. ثم حدث الغزو الثلاثى وأنا أعمل فى السويس، ومرت الأيام ولم يفتحنى أحد فى الموضوع مرة أخرى.

لأدرى كيف ذكر هذه الواقعة فى استجوابات محنة (١٩٥٦)، ولكنى سئلت عنها، وكان صلاح دسوقى معتقلا حينذاك فى السجن رقم (٢) من السجون الحربية، وكنت أسمع اسمه فى مكاتب السجن أثناء استجوابى تكوى له ثيابه وتأتيه مأكولات من بيته، كان معتقلا من فصيلة ممتازة. وعلمت أنه كان محل مساءلة أن اتصل بنا. قال لى سعد عبد الكريم، " كيف يجركم بسر مثل هذا؟.. أنا شخصيا لم أكن أعرفه " قلت " ليس ذنبى ومن جانبنا جادين".

قال : " على كل حال فإن صلاح دسوقى محبوس هنا مثلكم الآن". قالها فى شماعة لأحقاد بينهما.

وعجبت لقضاء الله وتصاريق القدر، صلاح دسوقى كان من المتحكمين فى السجن الحربى عام ١٩٥٤ الذين يوجهون التعذيب به، ثم هو الآن سجين فى ذات السجن يستجوب أمام زملائه بعد أن فقد سلطته فهل من مدكر؟... أبدا!!!

عود إلى البنك الأهلى

لا عمل. منذ فصلنى البنك الأهلى المصرى على أثر الحكم فى قضية السيارة الجيب عام ١٩٥١، أردت أن أمارس عملى كمحاسب فى مكتب خاص، ولكن البوليس السياسى لم يسمح إذ ذاك. لم يتعرض للمكتب بالذات؟ وما علاقتك بفلان صاحب المكتب؟ الخ... وكان ذلك فى حد ذاته كافيا لقفل المكتب وحاول عبد الرحمن السندى إنشاء شركة تجارية اشركنى معه فيها ولكنها فشلت ، فاستضافنى الأستاذ صالح عشناوى، رحمه الله وشكر له، لأعمل معه فى مجلة الدعوة فترة من الوقت وكان ذلك العمل جواز إلى العمل نوعا من المعاونة.

واعتقلت فى نوفمبر ١٩٥٤ وأنا أعمل بالدعوة. والآن أخرج من المعتقل عام ١٩٥٦ ولا دعوة ولا مجلة دعوة. وكان جمال عبد الناصر قد ضرب حول مصر والمصريين ستاره الحديدى فلا خروج ولا جواز سفر، وليس فقط بل ولا عمل فى الداخل. كان ممنوعا على أى من المفرج عنهم أن يلتحق بعمل، وكان يتعين استطلاع رأى المباحث العامة لتعيين أى إنسان ، ولم تكن المباحث توافق للإخوان على العمل ولكن كانت لله إرادة

في عام ١٩٥٥ فصل البنك الأهلي المصري جميع الذين لهم جنسية مصرية، فخرج الإنجليز وجميع الجنسيات الأخرى وكان عددا كبيرا، من بينهم جميع الرئاسات تقريبا. ثم أعقب ذلك بفصل جميع اليهود. إذ ذاك حدث تفريغ داخل البنك وصار المستقبل به للمصريين ولكن نقص عدد العاملين كثيرا هن حاجة العمل. ووقع ملف خدمتي في يد محام بالشئون القانونية بالبنك ووجد أني قد فصلت بسبب الحكم عليّ في قضية سياسية في العهد الملكي ونحن الآن في عهد الثورة، وكان ذلك الفصل أيام تسلط الإنجليز على البنك، ولم يكن في الملف ذكر لكلمة "إخوان". لذلك بدا ملفا ورديا، فاتصل بي ذلك الخامي وعرض عليّ الرجوع إلى البنك. وقبلت بطبيعة الحال. وأشر الدكتور محمد أبو شادي بإعادة تعييني بالبنك. وهكذا تم ذلك الرجوع دون الرجوع إلى المباحث العامة.

ورفضت إدارة شئون العاملين التي كانت تعرف عنى أكثر، ورفضت أن أعود إلى العمل بالقاهرة فقررت تعييني بفرع البنك بالسويس وكان ذلك في سبتمبر ١٩٥٦. وللتعظيم على تعقب السلطة لي أطلقت شائعة أني وجدت عملا بمدينة الإسكندرية. ثم سافرت إلى السويس. ونجحت الحيلة إلى درجة أن المباحث العامة بالإسكندرية استدعت بعض إخوان الإسكندرية لسؤالهم عنى... ماذا أعمل وأين محل إقامتي. ولم يكن أحد منهم يعرف بطبيعة الحال، ولقيني بعض إخوان الإسكندرية فاعتبوا عليّ أن أكون عندهم ولا أتصل بهم.

وتوفي والدى رحمه الله في مارس ١٩٥٧ فنشر فرع البنك الأهلي المصري بالسويس عزاء لي، ومنه عرفت المباحث العامة مكاني، ولكن كنت قد صرت موظفا مثبتا. وبعد وفاة الوالد خفضت غدارة شئون العاملين من غلوائها فوافقت على نقلي إلى القاهرة آخذة في الاعتبار حاجة الأسرة الشديدة على وجودي بينها وصارت إدارة المباحث العامة تتابعني من جديد.

تنظيم عادل كمال

رءوس الإخوان جميعا تقريبا كانوا داخل السجون وجمهور كبير منهم. ونقلوها إلى الواحات الخارجة بعيدا في جوف الصحراء من صعيد مصر. فماذا نفعل نحن بالخارج؟ القبضة حديدية وقد راينا أن من يدفع خمسة قروش ولو معونة لأسرة غاب عائلها فجزاؤه السجن خمس سنوات. لك يكن ذلك هو القانون ولكن كانت المحاكم الخاصة. وبدون محاكم كان باب الاعتقال مفتوحا وقد تصدر اليساريون وصاروا سمة العصر، فهم هموم للحوم الإسلاميين. فصاروا من أكلة لحوم البشر.

غذ ذاك رأيت أن ترتبط. وبقى على صلاتنا وعلاقاتنا ونتعاون على أمر ديننا دون أن يذكر ذلك لصاحبه. لسنا أسرة ولا مجموعة ولا خلية ولا شيئا لنا اشتراكات تؤديها. ولكننا نحفظ بلقاءاتنا وسمرنا ورحلاتنا وكافة حبنا ومودتنا فلا ننفرت، ولا نتعرض للسلطة في شيء. واستمر ذلك تسع سنوات تنظيما هلاميا إذا صح التعبير.

وتحددت المجموعة بأحدنا اشتد عليه التعذيب فزعم أننا تنظيم اسمه " الطليعة" يهدف على قلب نظام الحكم وأتزعمه لهذه الغاية. وعاش جهاز الشرطة العسكرية شهورا متفرغا لهذا التنظيم المزعوم نصبح ونمسي في تعذيبهم لنا. بدأ من سبتمبر ١٩٦٥ حتى أبريل ١٩٦٦. وذكر أخونا هذا نحوا من مائتي اسم جرى بهم جميعا وصب عليهم العذاب صبا.

أى دليل أقوى من أن يقر الجاني بجنايته على نفسه، فالاعتراف سيد الأدلة. عبارة تجرى على السنة القوانين وغيرهم حتى صارت مثلا.

ولكن... هل صحيح أن الاعتراف سيد الأدلة؟

كان ذلك صحيحا على حد كبير في العهد البائد أيام الملك الفاسد قبل الثورة المباركة. أما بعد الثورة فقد ألغى ذلك المثل! صار الحصول على اعتراف مجرم لم يحدث حذاؤه الإعدام له أدواته، وصار السؤال هو على أى مدى يستطيع الإنسان الصمود أمام أساليب السجن الحربي وغيره في عهد عبد الناصر:

الضرب بالعصي على الظهر والأقدام

الجلد بالكرباج

الضرب على الدماغ

تكتيف الأيدي والأرجل بالحديد أو بالحبال.

التعليق من الأيدي أو من الأرجل أو منهما جميعا.

الكلاب المتوحشة المدربة.

اللسع بالسجائر المشتعلة وإطفاؤها داخل الآذان

اعتصار الجمجمة بطوق من سلك أو حبل معقد.

النفخ بمنفاخ كهربائي لإطارات السيارات.

خلع الأظافر وسلخ الجلود.

تفسيخ المفاصل وتفصيصها.

العدوان على النساء أمهات وأخوات وزوجات وبنات وسوقهن إلى السجن الحربي.

العدوان على البيوت وانتهاك حرمتها وتدمير محتوياتها.

العدوان على المعتقلين وضربهم في بيوتهم أمام أولادهم وزوجاتهم وجيرانهم .

التجويع والتعطيش.

النقع في الماء المثلج المملح.

النقع في البول والبراز.

منع قضاء الحاجة

الفصل من العمل ومصادرة الأموال والأعمال.

الحبس الإفراد

الحبس الجماعي المزدحم جدا.

طوابير العذاب والجرى طوال اليوم تحت السياط ولشهور طويلة.

المنع من النوم أياما متعاقبة.

الوقوف الجامد ساعات طويلة

الصفع والرفس واللكم والنطح.

الإجبار على النظر إلى الشمس.

الإجبار على اللف حول النفس للتدويخ.

الحبس في زنزانة مع كلبة وجرائها.

مبتكرات حمزة البسيوني، وسعد عبد الكريم، وشمس بدران وغيرهم تحت الشعار الذي جأر به عبد الناصر " ارفع راسك يا أخي فقد مضر عهد الاستبداد!!!"

تلك هي قائمة الشرف التي جاءتنا بها ثورة ٢٣ يوليه وأساليها للحصول على سيد الأدلة، حتى صار الاعتراف هو سيد الأدلة على حدوث التعذيب، وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة. أولئك الذين أحسب كتابتهم في سجين وما إدراك ما سجين، كتاب مرقوم.

كان ما سموه بالتحقيقات يوزع على ضباط الشرطة العسكرية المنتدبين للعمل بالسجن الحربي، :أ، كل موضوع منوطا ببعضهم يختصون به، فرياض إبراهيم يلفق قضايا وحسن خليل يلفق غيرها... وعصمت مصطفى و..... الخ

وكلهم يشرف عليهم العميد سعد زغلول عبد الكريم، قائد " الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية" كذلك أطلقوا عليها في حينها. وبالرغم من أنه كان عميدا، فقد قبل بك رضا أن يخضع ويكون فوقه عقيد [وهو الرتبة الأقل من رتبة العميد] ويزول العجب حين نعرف اسمه، كان هو العقيد شمس بدران مدير مكتب " السيد المشير"، وكان شمس بدران يستطيع بما أعطى من سلطة أن يقبض على لواء في الجيش، وما هو دون ذلك وكثيرا ما كان يفعل، وتجيء السيارة الفاخرة ترفرف عليها البيارق تحمل اللواء ويوقدها سائقه، وتجتاز البوابة السوداء الكبيرة للسجن الحربي، فيؤدي حرس البوابة التحية ويرد السيد اللواء في كبرياء بإشارة من يده، ثم تنجه يسارا إلى مكاتب السجن وأمامها النافورة الشهيرة مليئة بالماء.

وتتوقف السيارة أمام المكاتب، ويكون هناك بعض الجنود يفتحون الباب للسيد اللواء فينزل ولا أحسبه يتوقع حينذاك إلا التحية العسكرية، وتجيء فجأة في شكل صفعات ولكمات وشلايت، ودحرجة للكاب من على رأسه إلى الأرض ثم شيله (هيلة بيلة) وإلقائه بالبدلة الرسمية إلى الفسقية مع السباب المناسب للموقف، ثم يخرج من الفسقية ويوقف مدة كافية ليشر الماء وكان الفصل شتاء باردا ويؤخذ بعدها على مكتب شمس بدران، لا يدري أحد ما يدور بينهما من حديث يخرج بعده إلى سيارته حافي

القدمين ويقذف بجذائه من ورائه، ليجد سائقه فاغرا فاه من الدهول والدهشة، فيركب السيد اللواء ويذهب كما جاء. هذا إذا كان الغرض مجرد التأديب أما إذا كان المطلوب اتهامه في قضية فيكون له شأن آخر ولا يخرج.

كان العقيد شمس بدران بالسجن الحربي مكتب فرش بالسجاجيد والموبيليات، وجهاز لتكييف الهواء، بينما كان مكتب العميد سعد عبد الكريم - حتى قى زمهرير الشتاء - على البلاط الملوث بالدماء وبدون تكييف. وكان سعد لعنه الله يدخل مكتب شمس - لعنه الله - فيخبط كعبا بكعب ويرفع يمينه إلى جبهته تحية وتعظيما فلا يرد عليه ويكتفى بنظرة الرضا والاعتباط. رأينا ذلك وعابناه. أما حمزة البسيوني - لعنه الله - أيضا فلم يسمحوا به أن يتدخل في استجواب احد في محنة (١٩٦٥) بعكس ما كان في محنة (١٩٥٤)، ولكنه كان قائدا للسجن الحربي، ويدبره بكل ما فيه من تعذيب. قرأت مرة للأستاذ مصطفى أمين أن عبد الناصر قرر نقل حمزة البسيوني من السجن الحربي على عمل آخر فذهب إليه وجثا أمامه على ركبتيه يستعطفه أن يلغى ذلك القرار فقد ارتبطت حياته بالسجن وصار له بيت داخله ويخاف إن عاش خارجه أن يصير هدفا لانتقام أحد ضحاياه، واستجاب له عبد الناصر.

شاء حظنا العاثر أن يتولى " تحقيق " موضوعنا واحد اسمه الرائد محمد عصمت مصطفى تحت إشراف العميد سعد زغلول عبد الكريم. وعثرة حظنا جاءت من أن الرائد عصمت المذكور كان مخلوقا غيبيا يافراط، فلم يكن يعرف حين أسند إليه " التحقيق " ما يجب عليه عمله ولا كيف يفعل للإقتراب والوصول. كان كل ما يدركه أن تحت يده عددا لا يحصى من الجنود الأميين الأجلاف بيد كل منهم كبراج إذا بلى زودوه بغيره ، وسجن كبير يمتلىء بالمعتقلين وحبال كثيرة لتكتيفهم وتعليقهم، وهكذا تتكون في ذهنه عناصر القضية. والأهم من ذلك وأبعد أثرا انه كان خرب الذمة غير ذى نصيب من التربية، كان من النوع الذى نقول عنه يالتعبير الدارج على الألسنة: إن أهله لم يربوه. لم يكن يهمله يائه صحيحا. المهم عنده أن يحصل على أقوال تذهب يصاحبها والآخرين إلى أفظع داهية وأكبر طامة، فيفرج بذلك فرح الأم البلهاء بولدها العبيط الأبله، فإذا جاءت النتيجة في النهاية سخيصة غير مستساغة ولا مسبوكة، عاد على بدء من جديد بالجنود والحبلى والكبراج، وهكذا دواليه. كان عصمت هذا مادة لسخرية زملائه من الوحوش الذين كانوا يجكون تلفيقاتهم وتمكهم عليه، وكان لا يستطيع أن يفتح عينيه أمامهم ولكنه كان يستعيص عن ذلك بفتحهما معنا.

لم يكن " المركز الأدبي " الذى يحصل عليه الضباط من هؤلاء مكافأته الوحيدة. بل كانت لهم حوافز مادية بلا شك، هى التى جعلت منهم وحوشا تعذب وتقتل وتصل بضحاياهم على السجن والليمان والمشنقة. كان يومهم يبدأ من الضحى إلى قبيل الفجر، ثم ينصرفون أو يبيسون فى السجنو فلكل منهم حجرته الخاصة، وكانوا يقضون اليوم فى التعذيب والتلفيق وتوفيق أقوال هذا مع ذلك بما يدين الجنيح، وكتابة تلك الأقوال وتحفيظها لأصحابها ليقولوها فى محكمة الدجوى، ووسيلتهم فى ذلك هى الكراجاج والنقع فى الماء وسائر مفردات القائمة التى ذكرنا.

وإذا كان اليوم عند هؤلاء يبدأ من الضحى فإنه لم يكن كذلك بالنسبة لنا. كان السجنين يصحو قبل الفجر فيمر عدة ألوف من المعتقلين - مجرد مرور - على دورتين للمياه بكل منهما سبعة مراحل، وعدد(٧) دش يوزعون بينهما افوجا ترى بعضها فى إثر بعض لمدة ساعة ونصف، يدخلون إليها ثم يجهضون عنها. بالكراييج قبل أن يقضى أحد حاجته فى أغلب الأحيان كانت الطريقة الوحيدة أن يقعد المعتقل فيضع ما يضع من فوره ويقوم، وإلا فلا وغالبا ما كانت دورة المياة بلا مياه حتى قلنا عن صنابيرها إنما للتميم. وأصيب أكثرنا بالبواسير والناصور وأمراض القولون والبروستاتا وما شاكل ذلك.

بعد ذلك يأتى طعام الإفطار مع الشروق أو قبله ثم تبدأ طوابير العذاب الجماعى. وقبل الضحى يؤخذ منها إلى التعذيب الخاص من يطلب إلى " التحقيق" كذلك كان المؤلف . وعلى ذلك كان " يوم العمل" بالنسبة لنا أربعة وعشرين ساعة لمن يجرى معه " تحقيق"، وبالنسبة لنا - تنظيم عادل كمال - استمر ذلك من شهر اكتوبر (١٩٥٦ حتى شهر أبريل ١٩٦٦). قلت يوما للدكتور ماجد حمادة طبيب السجن " لم أتم منذ أربعة عشر يوما"، قال : أعرف ذلك وأراه، ولكن ماذا أصنع لك؟ عندى عقاقير منومة، ولكن متى أعطيها لك. إنهم لا يتركونك من ليل أو نهار".

كان من حظنا " تنظيم عادل كمال" كذلك(العصمت مصطفى). كاد يموت من الغيظ وهو لا يصل إلى شىء فى حين وصل زملاؤه إلى قضايا يحكم فيها بالإعدام، وكان يترجم ذلك الغيظ تعديبا بالكراجاج وسبا قبيحا وأصواتا منكرة تخرج من فمه وأنفه، حركات غير مهذبة بأصبعه تعبر عن مقدار تربيته وتهذيبه.

من سنوات سابقة دعانا أخونا عبد الفتاح ضرغام لمناسبة لست أذكرها وجلسنا أرضا فوق سطح منزله بجمعية الزيتون وتناولنا العشاء وانصرفنا. وجاء ذكر ذلك العشاء فى " التحقيق". وكم من الليالى الطوال

بذها عصمت في تعذيب الذين تعشوا عند عبد الفتاح ليعترفوا عما تناولوه في ذلك العشاء الذي كان منذ سنوات منهم من قال تناولنا أرزا ولم يذكر البامية، ومنهم من ذكر لحما ولم يذكر التمر، أو ذكر الجرجير ولم يذكر الكوسة! وهات يا تعذيب بالكراييج ليالى غير ذات عدد، ويملاً عصمت أوراق " التحقيق" بهذه الأقوال عن تلك المأكولات التي هددت أمن الدولة، حتى صار ذلك العشاء في شهرة " العشاء الأخير".

في استجواب عصمت مصطفى، سال سليم عفيفى عن آخر مرة رآنى فيها، فقال : إنه صعد مرة إلى أتوبيس مزدحم من آخره فرآنى في أوله، ولشدة الزحام رآنى ولكنى لم أره. هكذا أجاب. وعلقت من قدميّ وجلدت بالكراييج لأعترف بذلك... أن سليما رآنى في أتوبيس ولم أره!!

كان ذلك هو مستوى الصبانية ومستوى الذكاء الذى مارس به عصمت مصطفى "تحقيقاته" وكان معجبا جدا بنفسه فيكرر أنه كمحقق له حاسة يعرف بها الصدق من الكذب في الأقوال فلا داعي للإنكار وكانت له أوسع السلطات وبغير حدود أن يعذب وأن يفرط في التعذيب في استجوابات من ذلك المستوى. لابد أنه كان من محاسب شخصية كبيرة جدا.

حقا إنه غابة المجتمع لا يسوده القانون، دعك أن تكون به من القوانين كيت وكيت، المهم أن تسود وألا يجرى التحقيقات إلا رجال القانون ولا ينظر القضايا ويصدر الأحكام إلا رجال القانون. أما حين لا يسود القانون إلا من الخطب الرنانة فقد عدنا إلى الغابة بل أضل.

ومن عجب أن تلك التصرفات التي من شأنها أن تعكر أكثر القلوب صفاء، وأشدها نقاء، وأنصعها بياضا، يريدون منا نسيانها ونسيان جلودنا الممزقة ويتهمونا بالحقْد. قال سعد عبد الكريم " هذا الحقْد الذى فى قلوبكم منذ عام ١٩٥٤ سوف أنتزعه بالكراييج". وفى هذه الأيام من الثمانينيات نسمع من حين لآخر من رجال السياسة والرؤساء فى مصر من يستنكر الوقوف عند الماضى ويقصد بذلك ذكر تلك الأيام السوداء فى حين لا يدرك أنه يدعو إلى ذكرها وتذكرها وعدم نسيانها. كلما ذكر جمال عبد الناصر. أقولها ليعيها من لم يفهمها بعد. كل من يذكر جمال عبد الناصر إنما يجيى هذه الذكريات البغيضة فى النفوس ويعيها من مرقدها كلما حُمدت فى خلفيات النسيان، عند عشرات ومئات الألوف من الأسر.

من فطرة المعذبين أن يتتبعوا أخبار الجلادين الذين ارتكبوا معهم أشنع جرائم التعذيب، ويحتذهم أى خبر عن أحدهم.. هذه فطرة. وعن عصمت مصطفى هذا جاء فى القبض على المشير عبد الحكيم عامر فى

سبتمبر ١٩٦٧، فكان هو والعميد سعد زغلول عبد الكريم تحت رئاسة عبد المنعم رياض، هما اللذان نقلوا عبد الحكيم إلى معتقله الذي مات به في منطقة الهرم، وكان يصيح ويقاوم فألقيه في دواسة السيارة وداساه باقدانها وركبا فوقه حتى يسكتاه وليعرف " قيمته ومقامه" وكان عصمت من الحرس على المشير في القيللا المعتقل التي جلسوه بها حتى مات وأحسبه يعرف كل شيء عما قيل عن قتل المشير، بعد ذلك انتقل عصمت إلى المخبرات العامة ثم بلغنا أنه خرج منها وانقطعت عنا أخباره، فلم يعد يعثر عليه من يبحث عنه طلبا لحقه عنده

ذلك ما اشتهر في السجن الحربي في محنة ١٩٦٥ باسم تنظيم عادل كمال. وكان إخوان هذه المجموعة أشد عذابا من سواها كرد فعل لغيظ " الخقق الذي يرى شيئا لا يستطيع أن يمسك به". كانوا قد جاءوا للقبض علىّ من عملي بالبنك الأهلى المصرى. دخل الضابط إلى مكنتى فحسباه أحد العملاء، وطلبت له القهوة واستمهلتة قليلا حتى أفرغ من عمل كان فى يدي، فشربها ثم قال لى غنه ضابط المباحث العامة وأنى مطلوب لمدة خمس دقائق فقط. طبعا الدقائق الخمس المعروفة المباركات الدقيقة عندهم بسنة مما تعدون، وازادت نصف دقيقة... سعى ستة أشهر. وما إن خرجت معه حتى انبرى بعض الزملاء من التنظيم الطليعى لعبد الناصر يجمعون من كل زميل ٢٥ قرشا لإرسال برقية إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر لتأييده فى الضرب على المتآمرين الذين أنا منهم، وتأثر زميل منهم أن يبدى أى اعتراض ما عدا واحدة... بالتعبير العانى " ردحت" لهم ونعت فيهم النخوة والرجولة والعيش والملح، ورفضت برجولة أن تدفع مليما.

وفى السجن الحربي أخذوا كل ما كان معى ومن بينه مفتاح مسكنى. وذهبوا بحملة حربية من الجند ومعها معدات الحصار والاقترحامو ولم يكن بالبيت أحد، فقد انتقلت زوجتى بالأولاد إلى بيت والدتها وبقيت هناك. ففتحوا ودخلوا وتبروا ما علوا تنبيرا... قيشانى الحمام وخشب الأبواب وزجاج دواليب السفرة وشق المراتب وجدت المسكن أكواما من هشيم الزجاج والخشب. وكانت والدتى قد صنعت مفرشا لسرير ابنى أيمن بمناسبة عيد ميلاده فجمعوا الغنائم والأنفال فى هذا المفرش ولفوها وعادوا بها إلى السجن الحربي. وظلت المفاتيح معهم، ورفعوا الكلفة فاعتبروا البيت بيتهم يمرون عليه من حين لآخر فيفتحون ويدخلون ويخرجون، ولا أحد من السرة بالبيت فقد هجرته لهم. وفى ليلة جاءوا بزوجتى من بيت والدها للضغط للحصول على اعترافات عن التنظيم وسلاح التنظيم والمؤامرة على حياة السيد الرئيس وعلى قلب نظام الحكم... الخ.

وقد استمر ذلك التحقيق من سبتمبر ١٩٦٥ حتى مارس أو أبريل ١٩٦٦ حين أفرج عنا من السجن الحربى إلى معتقل أبى زعبل. الحياة فى السجن الحربى والعذاب فى السجن الحربى فى ١٩٦٥ لم يختلفا عما كانا عليه ١٩٥٤، ربما تغيرت بعض الوجوه... أمين حسين السيد باشجاويش السجن صار اسمه صفوت الروبى. وجه آخر ولكن بدأ- الصفات المهمجية الوحشية. جميع الجندين صاروا غير الأوائل. ولكن وجه حمزة البسيونى الكالخ ان ما يزال. وزاد عليه وجه شمس بدران ووجه سعد عبد الكريم ووجه عصمت مصطفى ورياض إبراهيم وحسن خليل... الخ.

أما المتهمون والمعدبون فقليل من الوجوه القديمة مع أعداد كبيرة من الوجوه الجديدة، وصارت لهم قضايا جديدة وأحكام جديدة.. بالإعدام... وبالأشغال الشاقة المؤبدة... والمؤقتة... والسجن. لم يكن عبد الناصر يعرف لغة أخرى غير هذه... والنتيجة ٥ يونية ١٩٦٧. ومن العجيب المؤكد تلم الارتباطات بين الأحداث والاستبداد.

يضرب فاروق الإخوان ١٩٤٨ فيهزم جيشه ويقيمون إسرائيل. ثم يعزل ١٩٥٢. ليموت فى المنفى ١٧ مارس ١٩٦٥.

ويضرب عب

الناصر الإخوان ١٩٥٤ قنضربه إسرائيل ١٩٥٦ بما عرف بالغزو الثلاثى وتحتل سيناء وبور سعيد.

ثم لا يتعلم فيضربهم مرة أخرى فى ١٩٦٥ فتكون نكسته وطامته الكبرى فى ١٩٦٧ يموت فى ١٩٧٠ من بعد موت عبد الحكيم عامر فى سبتمبر ١٩٦٧ نحرأ أو انتحارا.

مساومة

لا أجد عذرا أن اكتب عن السجن الحربى فى هذه الفترة أكثر من ذلك. ولاعن معتقل أبى زعبل حتى أبريل ١٩٦٨ ثم معتقل طرة اللذين نقلنا إليهما الواحد تلو الآخر مرورا بمعتقل القلعةو فقد سبقنى إلى ذلك الأخ أحمد رائف فى كتابه " البوابة السوداء" الذى ملاء فراغا فى المكتبة، والبوابة السوداء تاريخ صادق لتلك الفترة السوداء من تاريخ مصر، ولكن قد يكون من المناسب أن أذكر حوارا حدث مع شمس بدران فى مكتبه بالسجن الحربى قبل أن ننتقل إلى معتقل أبى زعبل. استدعانى وكان معه سعد عبد الكريم وعصمت مصطفى والجنزورى. أدخلت وكان ينظر فى ملف كبير فأغلقه بحركة مسرحية وهو

يرفع بصره نحوى ويقول " نحن نغلق ملفك عندنا، ولن تقدم إلى المحكمة. ولكننا ننظر في أمركم جميعا لنضع قرارا بشأن كل منكم. يمكننا الإفراج عنك وعودتك إلى عملك وتتقلد من المناصب ما تشاء! ويمكننا أن نبقيك في المعتقل بقاء مفتوحا. هل تدرى معنى الاعتقال المفتوح؟ قلت: " الله ورسوله أعلم". قال " هناك من تقرر اعتقاله خمس سنوات أو عشرا أو خمس عشرة وهناك أيضا اعتقال مدى الحياة وهو الاعتقال

قلت: " فهمت".

قال: فماذا تختار؟".

قلت طبعاً اختار أن يفرج عنى وأعود إلى بيتى وعملى.

قال: لقد قلت إنك فهمت وطبعاً تفهم ثمن ذلك. المطلوب التجاوب التام.

قلت: لى ماض فى الإخوان ولن تصفوا نفوسكم أبدا من هذه الناحية بعد كل ما فعلتم، ولذلك فأفضل تجاوب فى هذا الشأن أن أكون رب أسرة فى بيتى وصاحب وظيفة اخدمها بإخلاص فى عملى وليس أى نشاط آخر وأحسب أن هذا يرضيكم.

قال: لا . أنت تفهم جيدا معنى التجاوب الذى نطلبه. (يقصد أن أعمل لحسابهم وفى ذلك أقصى درجات الخطورة على الناس الذين ينظرون عادة للخارج من المعتقل على أنه ساخط على السلطة فيطلقون ألسنتهم بما يجيش به أنفسهم هؤلاء مطلوب أن أوقع بهم وأبلغ عنهم).

قلت : سيادة العقيد أفهم الذى تعنيه لقد فكرت واخترت ما قلت لك.

قال : إذن الاعتقال مدى الحياة: وسوف يأتى عليك اليوم الذى تدرك فيه انك لم تندم على شىء ندمك على موقفك هذا. والآن تستطيع أن تعود إلى زنزانتك. وأصاف سعد عبد الكريم" لن تخرج إلا إلى قبرك" ولم أندم والحمد لله. وكان مدى الحياة الذى ذكر هو مدى حياة عهدهم وحياتهم فى السلطة. ودارت الأيام ووجدنا شمس بدران متهما ومسجوننا ثم هاربا إلى الخارج فى خوف دائم أن تمتد إليه يد انتقام فى أى لحظة، وهو فى هذا محق، فليس مثله من يعرف كم أوقع من مظالم على أبرياء وكم أزهق من أرواح

المسلمين وسفك من دمايهم، الأمر الذى يجعله يعيش ما بقى من حياته جباناً خائفاً يحسب كل صيحة عليه وكل ظل شبحاً.

ولكن بعد هذا الحوار مع شمس بدران ادركت شيئاً لم أكن أدركه. لقد حدث بعد ذلك ما اشتهر باسم ١٥ مايو (سنة ١٩٧١). فى هذا اليوم الذى صار عيداً فى مصر تخلص أنور السادات مما اسماه مراكز القوى وهم الصنف الذى مثل شمس بدران هذا وقبض عليهم وأودعهم السجون وكشف مخازيهم. ومهما كان من أنور بعد ذلك فقد بقيت له هذه مفخرة. قضية مراكز القوى هذه وجدنا أسماء معتقلين سابقين كانوا فى السجن الحربى عام ٥٤-١٩٥٦، ولم يكن معنى لهذا إلا أنهم استجابوا وتجاوزوا.... فكان نصيبهم قضية جديدة ولكن بالقلوب... صاروا من مراكز القوى... ثم من مراكز الضعف.

وفى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٧ نشرت أخبار اليوم الفقرة التالية:

زوجة شمس بدران تطالب بالنفقة!

أقامت زوجة شمس بدران دعوى نفقة ضده فى محكمة عابدين للأحوال الشخصية : قالت على لسان محامها محمد نبيه فرحات أنها زوجة لشمس بدران بصحيح العقد الشرعى... وأنه دخل بها وعاشها معاشرة الأزواج وأنجبت منه بنتاً وولداً... لكنه عرب من مصر ولم يترك لها نفقه.

وقال زوجة شمس بدران انه مازال يحصل على معاشه كما يمتلك مصنعا " للجبنة" فى لندن وشقة بالإسكندرية يؤجرها مفروشة ب ٥٠٠ دولار فى الشهر.

وكانت زوجة شمس بدران قد أقامت دعوى أمام محكمة القاهرة للأحوال الشخصية طالبت بالحكم بطلاقها مكنه. حيث أنه هرب واختفى منذ سنوات ولا تعلم عنه شيئاً وتأجل نظر قضية الطلاق إلى شهر ديسمبر القادم.

وجدوا فى مكتبتي نسخة من الكتاب المقدس، واستدعاني عصمت وقد وضعه أمامه وقال: سنخصص الليلة لهذا!! وبالفعل قضى الليل بطوله يستجوبني عن سبب حيازتي الكتاب المقدس؟ وماذا أفعل بع؟ وهل فعلاً أقرؤه؟ ولماذا أقرؤه؟ وكيف حصلت عليه؟ وهل يباع فى المكتبات؟ وكيف عرفت المكتبة التى تباعه؟... الخ وكان الموضوع على بساطته أكبر بكثير من مستواه الثقافى والإدراكى فلقيت منه عننا. ولم

يستطع أن يدرك أنه يمكن قراءته للثقافة والمعرفة عقائد غير المسلمين وأن ملايين الناس يقرءون روايات الجيب وأن الكتاب المقدس أولى بالقراءة لأنه مناط هقائد ملايين البشر لعشرات من القرون.

وبلغ بي التعذيب ان صار جسمى كله جروحا فلم أعد أستطيع النوم أو الارتكاز على جزء منه، ولم أعد أستطيع المشى أو الوقوف حتى حسبت أن يدى لن تستطيع إنساك قلم والكتابة بعد أو أن أستطيع الوقوف على قدمين فكنت أؤخذ من الرنزانة محمولا إلى المكاتب لأتلقى مزيدا من التعذيب ثم يعيدوني محمولا أيضا وكان الذين يحملوننى إخوانا لم يبلغ عذابهم مبلغ ما عندى. حملنى على أكتافهم معروف الخضرى، وكمال عبد العزيز سلام، وسيد النزىلى وغيرهم.

وفى ليلة أحسست - وأحسوا معى - أنى ألفظ أنفاسى، فألقونى ممددا الأرض بجوار جدار سور السجن جهة مكاتب التحقيق ووضعوا معى أحد الجنود فى انتظار قضاء الله، كنت أنظر إلى سقف العالم... السماء وكانت صافية تماما تتلأأ نجومها، ورغم أنها كانت بلا قمر فقد كان صوت الجندى المعين على يرتفع بالغناء يكرره:

آه ياليل يا قمر

والمنجة طابت ع الشجر

وجاءته صيحة من بعيد"

ماذا تفعل عندك؟

ونظر فوجد صفوت الروبى باشجاويش السجن فانتفض واقفا وقال: انتظر وفاة هذا.

فتركه صفوت ومضى، وجلس الجندى من جديد يردد: والمنجة طابت ع الشجر.

الباشجاويش صفوت الروبى...جرد السجن الحربى من ١٩٦٥ على ١٩٦٧. تم تجنيده عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٠ ثم تطوع عريفا بالجيش المصرى ثم رقى إلى رتبة شاويش وبقي بالسجن الحربى حتى جاءت محنة ١٩٦٥ فظهر نبوغه فى التعذيب وتجرده من أى إنسانية. قدروا عدد من ضربهم صفوت بنفسه بأكثر من ٢٠٠٠ منهم لواءات ووزراء.

من قضايا التعذيب

بعد أن مات جمال عبد الناصر وخرج من سلطانه إلى حساب الله، بدأ الإفراج عن المعتقلين على دفعات متباعدة، حتى أفرغت المعتقلات في حوالى سنة. ثم أفرج عن المسجونين الذين كانوا بالسجون منذ (١٩٥٤). واستمر عهد أنور السادات بالاتجاه نحو الحرية السياسية والانفتاح الأقتصادي والتحرر من التبعية لموسكو.

كانت مصر حتى مات جمال خلف ستار حديدى كثيف. كانت حفنة من الضباط والمحاسب يباح لهم كل شىء وتجي إليهم ثمرات كل شىء وشعب مصر محروم من كل شىء. بدأ الأمر بالاستيلاء على القصور الملكية والخاصة الملكية وكافة الكنوز الملكية ثم اتسع الأمر إلى أموال أسرة محمد على، ثم فتحت " محكمة الغدر" للغدر بأصحاب الأموال من أثرياء مصر والاستيلاء على أموالهم ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى وبموجبه تحدد الحد الأقصى للملكية بـخمسين فداناً للأسرة [الرجل وزوجته وأولاده] فلما جاء عام (١٩٦١) جرت حركة التأميمات الكبرى وإنشاء القطاع العام، وشركات المساهمة أمت بالكامل وشركات أمت بنسبة (٧٥%) وشركات أمت بنسبة (٥٠%). ثم استمرت الحركة بشركات جديدة تضم من حين لآخر إلى تلك التأميمات وشركات ترفع مرتبة تأميمها من (٧٥% إلى ١٠٠% أو من ٥٠) إلى إحدى الفئتين العلى. وفقد جبهة الناس الذين لهم مال أموالهم وصارت أسهمهم في تلك الشركات سندات على الدولة لا تساوى شيئاً. واشتقاقاً من اسم عبد الناصر انتشر اسم " النصر" على مثير من الشركات.. شركة النصر للتصدير والاستيراد... شركة النصر للمقاولات... شركة النصر للدخان والسجاير... شركة النصر لصناعة السيارات... شركة النصر للكاوتشوك... وغيرها وغيرها، وكثير منها من نوع " شركة النصر لسرقه مصر" .. وظهرت بعض الكنوز الملكية في أسواق أوروبا، وعم الخراب. حتى الجمعيات الخيرية التي كانت تتعش فلا كنف الأثرياء ويعيش على خيراتها أعداد لا حصر لها من المعوزين دوت وخربت حيث لم يعد في مصر أثرياء، أما أفراد الطبقة الجديدة من اثرياء الثورة التي تدفقت إليهم كثير من هذه الأموال بشكل أو بآخر فكانوا من أهل الجوع والجشع فلم يكونوا من أهل الخير والصلاح حتى ينفقوا على جمعيات خيرية، وكان للشيخ الغزالي تعبير بليغ حين قال عن أحدهم: " هذا من هيئة المنتفعين بهذه الثورة".

ولم تكن الصحافة بطبيعة الحال تنشر سوى الصور الوردية حتى إن السلطة كانت تحرص على جمع صحفها القديمة التي مضت عليه سنوات ومصادرتها كلما وجدتها حت لا يتذكر الناس الوعود الذهبية بالرخاء نتيجة مصادرة تلك الأموال " لمصلحة الشعب". ولكن مع هذا التعتيم الإعلامى إذا قلبت

الحريدة الرسمية في ذلك العهد تجد عجباً، تجد عديداً من القرارات الجمهورية بالتصريح للسيد فلان الفلاني بالسفر إلى الخارج، وقرارات جمهورية بالتصريح للسيد (إعلان العلاني) باستيراد سيارة.. الخ. تعابير بليغة لذلك العصر، حيث كان استيراد سيارة أو سفر شخص يحتاج إلى قرار جمهوري!

للذين يعيرون على أنور السادات أن سياسة الانفتاح الاقتصادي في عهده كانت يجب أن تكون إنتاجية فقط بدلا من يكون كثير منها استهلاكيا، أقول: لقد بلغ السيل بالناس الزبا، وبدءوا يخرجون إلى بيروت وإلى جدة، ويرون التليفزيون الملون والفيديو وكان الذي يستقبل أحدا بمطار القاهرة يرى العائدين بهذه الأجهزة، ويرى الطبقات الأدنى ماديا من الفلاحين والعمال يعودون بأجهزة الراديو والكاسيت ومرآح الكهرباء، ومراتب السفنج الصناعي، بما يعكس مرارة حرمان الإنسان المصري، فالذي يغترب سنوات ليتنفس، كما رأى غيره بالخارج يتنفس ماذا يعاب عليه؟ وكان لابد لأنور أن يفعل ذلك حتى لا ينفجر الإنسان وينفجر المجتمع من طول الكبت في كل شيء.

لذلك بدأت بعض الحريات وصار متاحا للمعتدين سابقا في السجون والمعتقلات، أن يتخذوا إجراءات قانونية ضد من عذبوهم، وسار ذلك في خطين أحدهما جنائي لمؤاخذة من ثبت في حقهم مقارفة التعذيب، والثاني مدني للمطالبة بتعويضات عما أصابهم في السجون من أضرار التعذيب. ورفعت بعض القضايا الجنائية وحكم على بعض أولئك السفاحين مثل المقدم رياض إبراهيم والوصول صفوت الروبي، ثم خصص رئيس النيابة الأستاذ وفيق الدهشان لتحقيق هذه القضايا وتجمع لديه عديد منها وكم كبير من الشهود، وتناولها بحماس حقيقي وانفعل معها، ولكنها بقيت في الأدراج بعد ذلك.

أما الخط الثاني المدني فقد بدأه المستشار على جريشة وطلب تعويضا مقداره ثلاثين ألف جنيه مصري، وحكمت له به المحكمة. وأقيم عديد من الدعاوى المماثلة حكم فيها بأحكام متنوعة. وأقامت والأخ هشمان أحمد إبراهيم دعوى ضد كل من وزير الداخلية ووزير الحربية في (٣/٤ / ١٩٧٦) يالزمهما بأن يدفعوا متضامين لكل منا خمسين ألف جنيه كتعويض ، وقلنا في شرح الدعوى أنه في ٤ سبتمبر ١٩٦٥ ومن مدينة موسكو أعلن الرئيس السابق جمال عبد الناصر الحرب على جماعة الإخوان المسلمون، وعلى الأثر انطلق رجال المباحث والشرطة العسكرية يعتقلون كل من انتمى في الماضي إلى الجماعة أو غيرها من الجماعات الإسلامية وكنا ممن شملتهم تلك الاعتقالات.

ثم عرضت للوقائع حتى نقلت من معتقل أبو زعبل إلى السجن الحربي ليلة ٩ أكتوبر ١٩٦٥ وما كان من اتهامات وجهت إلى ومن تعذيب بغرض الاعتراف بما ذكرنا وقائعنا، وأن الأمر استمر على هذه الحال حتى شهر مايو (١٩٦٦) فنقلت إلى معتقل أبو زعبل حتى شهر إبريل (١٩٦٨) ثم نقلت إلى معتقل طرة حتى أفرج عني في (٥ فبراير ١٩٧١)

وأن المعاملة في معتقل أبي زعبل اتسمت بالضغط النفسية مثل إجبار المعتقل أن يقف أمام باقي المعتقلين وينتقد نفسه فيها نقدا ذاتيا في الميكروفون كما ينتقد سواه من المعتقلين، الأمر الذى أحدث شقاق وبلبلة بين المعتقلين، فضلا عن حشد أعداد كبيرة في حجرات لا تتسع لربع من فيها.

وقدمت فيما قدمت صورة رسمية من محضر تحقيق النيابة وصورة رسمية من تقرير الطب الشرعى فى البلاغ رقم (١٦٤ لسنة ١٩٧٥) حصر تعذيب عما بي من آثار باقية من التعذيب، وصور من القرارات الوزارية والجمهورية المتكررة باعتقالى فى عهد الثورة.

واستشهدنا ببعض شهود الوقائع من شهدها من الإخوان وجاء بحديث الحكم ان المحكمة تطمئن لما جاء بأقوال الشهود كما استندت إلى ما جاء بتقرير الطب الشرعى من تشوه بظفر إبهام القدم اليسرى وجميع أطراف القدم اليمنى نتيجة انتزاعها والآثار الباقية بالجلد من اختلاف اللون وسماكته وفقد الشعر فى مواضع عديدة كما أثبت ضعف سمع الأذن اليسرى بسبب عدم سلامة جهاز التوصيل بالعظيماى الصغيرة وأنه لا يوجد فىنا ما ينفى احتمال حصولها بالتصوير الوارد بأقوالى بمذكرة النيابة .

ثم جاء بحديث الحكم:

" ومن حيث إنه لما كان ما تقدم، فإنه يكون من الثابت لدى المحكمة من أقوال الشهود وسالفى الذكر، وما أيدها من تقرير طبي أنه قد وقع على المدعين أثناء وجودهما بالسجن الحربى ابتداء من شهر أكتوبر ١٩٦٥ بسبب اعتقالهما، أعمال تعذيب تمثلت فى الضرب بالعصى والسياط والتعليق من الأرجل والأيدى والكى بالنار وتقريب الكلاب الوحشية والوضع فى زنازين المياه وتعرية الأجسام من الملابس مدة طويلة والطوابير التى تبدأ من الخامسة صباحا حتى زوال الشمس والجري السريع والأعمال الشاقة بالسجن، فضلا عن السباب بألفاظ تمس الشرف والاعتبار، وأنه من جسامة هذا الاعتداء أن اصبح المدعى أحمد عادل كمال لا يقوى على الوقوف وأصيب فى جميع أجزاء جسمه وأصبح ينزف دما، كما لم يكن يقوى على الاستمرار فى الطابور بسبب ما به من جروح، وأن ذلك استمر لمدو متصلة بلغت الشهور. كما أنهما وقعت عليهما أعمال تعذيب أثناء وجودهما بسجن أبي زعبل بعد نقلهما إليه، تختلف فى الوضع فى عنابر ضيقة لا تسمح بالحركة العادية ومنع الطعام والكتب الأمر الذى ترتب عليه إصابتهما بأضرار تختلف فى الآلام البدنية والنفسية بنتيجة التعذيب وما خلفه من جروح، وأن ذلك قد حدث واستمر فى ظروف اعتقال لا تبدو لها نهاية، دون أن يمكننا من المثول أما قاضيهم العادى ليعرضوا عليه ما وقع عليهم من اعتداء فى حينه وعندما كانت آثاره حية... الخ.

المحكمة:

حكمت

الأسباب

فلهذه

أولا وثانيا وثالثا - [برفض دعوى الدفع]

رابعا - يالزام المدعى عليهما متضامين بأن يؤديا للمدعى الأول [عثمان احمد إبراهيم] مبلغ ألفى جنيهه، وللمدعى الثاني [أحمد عادل كمال] مبلغ ثلاث آلاف جنيهه، وألزمتها بالمصاريف المناسبة ومبلغ خمسة جنيهات مقابلا لأتعب الحمامة ورفضت ما عدا ذلك من الطلبات"أ. هـ -

كلفنى هذه القضية حوالى ٧٠٠ جنيهه مصرى، بما يعنى أن التعويض الفعلى كان حوالى ٢٣٠٠ جنيهه. ولما كانت مدة ذلك الاعتقال قد امتدت ١٩٧١ يوما فإن هذا يعنى ان التعويض المحكوم به كان حوالى ١١٦ قرشا مصريا عن اليوم الواحد من ذلك العذاب. ولكن فى الحقيقة، تكفيننا تلك الحيشيات.

طريفة

ورغم هذا فقد كانت تلك الخنة الطاحنة لا تخلو من طرائف. عذبوا الشيخ عارف، علقوه من رجله وجلدوه بالكراييج فصار يصيح " فى عرض الرئيس... فى عرض السيد الرئيس... " ولا من مجيب " فى عرض الست فهيمة... فى عرضك يا ست فهيمة؟ " وطلب مشرف التعذيب زبانيته أن يتوقفوا عن الضرب وأنزلوه ليسألوا " من الست فهيمة؟ " قال: " هذه أم السيد الرئيس " قالوا له " ليس هذا جيش الرئيس إنه جيش المشير " وأعادوا تعليقه وضربه وعاد يصيح " فى عرض المشير.. فى عرض السيد المشير " ولا جدوى " فى عرض الست فكيهة.. أنا فى عرض الست فكيهة.. حيموتونى يا ست فكيهة... الحقينى يا ست فكيهة " وتوقفوا ليسألوه " من الست فكيهة؟ " قال: " هى أم السيد المشير ".

طريفة

كان الشيخ عارف رجلا طريفا فكاهايا، لا اعرف إن كان من الإخوان ولكنه كان واعظا فكان لا يكف عن سب الرئيس ولذلك اعتقل. وكان الإخوان يقولون له فى المعتقل " يا شيخ عارف دعك من هذا السباب، إنه لن يقدم أو يؤخر، لعلك لو كفت أن يفرج عنك... الخ ". فكان يقول " ياناس حرام عليكم... مش قادر ". وأخيرا وبعد اعتقال طويل استجاب، وسعى أولاد الحلال إلى قائد المعتقل عبد العال سلومة فأخبروه أن الشيخ عارف لن يسب الرئيس بعد ذلك، وكان ضباط المباحث يزورون المعتقل من حين لآخر فقدم القائد لهم الشيخ عارف التائب عن ذنبه، وسألوه فأقر بتوبته. قال قائل منهم " إذن تدعو للسيد الرئيس دعوة خير حتى نصدقك ". فرفع يديه إلى السماء - وكان جهورى الصوت - وقال " ربنا يجزيه بعمله "

قالوا: " يجزيه بعمله با ابن الكلب؟ وتقول إنك تبت وتريد أن تخرج من المعتقل؟ " وأمروا به فأعيد إلى زنزانه.

طريفة

أحمد رائف رجل أديب يقرأ التاريخ والأدب والثقافة بفروعها ويكتب. وظهر الشعر المنشور أو الشعر الحديث كما أطلق عليه. وكان ينقد ذلك الشعر الحديث، وكنت أقول إن الكلام إذا فقد الوزن والقافية فضلا عن المعنى لم يعد شعرا. فكنت أجاريه ورغم أني لست شاعرا ولا أقول الشعر ولا أعرف أوزانه فقد قلت أربعة أبيات من التهكم على الكلام الذي لامعني له احتفظت له بالقافية.

بلا برط عن ذى رمال وفلفل	يلف الرحا فوق البطاح وفرمل
فلا بلق ترمى فراخا بشرده	تُرد خبال البرد حطت بخردل
ولا بلسم الأحراش برطع فلتكا	عليك نلاميح الخراشة تنخل
مدمس فمعلوس تفرد في البلا	فرعطون بحر فرقد الفهد فسكل

فعلت تلك الحرب النفسية وضغوطها فعلها في بعض النفوس فصارت شيئا آخر جعلهم يحرصون على حياة خارج المعتقل بأى ثمن ولو بالتسلق على سالام من عظام إخوانهم! فراحوا يكتبون عنهم تقارير بما يقولون وما لا يقولون يتقربون بها إلى قائد المعتقل عبد العال سلومة الذى كان يشجع ذلك ويسعى إليه. عمل غير أخلاقي لا يرضى الله عنه ولا يبارك فيه. وشاع عن هذا الصنف اسم الخباصين، وكثروا حتى كان معتقل أبى زعبل شميتة الخبص. بعضهم ظل مستورا وبعضهم كشف الله سترهم وعرف عنهم ما كانوا يفعلون، فكانوا يدفعون عن أنفسهم بأنهم صهرتهم التجربة أما الآخرون فلم يتعلموا من التجربة. وضقت بترداد هذه الحجة فقلت

اسود الشمع تصهرها التجارب	تعيد الصب في شتى القوالب
فلا عجب لشمع إن رأيتم	اسود الأمس قد صبت أرانب

طريقة

التعيين لفظ "حربي" يطلق على التغذية في الجيش. وحيث كنا في السجن الحربي فقد كانت مثل تلك الألفاظ مستعملة. وكان المفروض نظريا أن للمسجون تعيينا مثل تعيين العسكري الجند ، فكان خبزا ولحما وجبنا وحلاوة... الخ ولكن ذلك التعيين كان يسرق على مراحل بدءا من متعهد التوريد إلى إدارة السجن حتى آخر الصف وهو العسكري الذى يوزع على المعتقلين تعيينهم. كان هؤلاء العسكري يغترفون من اللحم والحلاوة وغيرها وما تبقى من الثفل والشعث والحشف هو الذى يوزع علينا ، وكما

يقول المثل " حشف وسوء كله". كذلك كانوا يكلفون بعض الإخوان لكس ومسح وتنظيف غرف هؤلاء العساكر.

وكانا أخونا المستشار حسين عبد العال يوما من أولئك " الطلبة" الذين كلفوا بتنظيف حجرات العساكر. والطلبة تعبير حربي أيضا يطلق على أولئك الذين يكلفون بمثل هذه الأعمال، فهناك طلبة النظافة وطلبة الطبخ... الخ. ووجد الأخ حسين بعض أرغفة الخبز المنتقاة وهي في حقيقتها مسروقة من نصيب المعتقلين فغافل الجند وحشى ملابسه ببعضها ليعود بها إلى إخوانه بالزنزانة. ولكن الجند ضبطوه وضربوه ضربا مبرحا، وجمعوا المعتقلين صفوفًا مترابطة ليقولوا لنا أننا نقول إننا إخوان ومسلمون ولكننا - نحن - لصوص، وهذا واحد منا سرق ووقف المستشار حسين موقف اللص حتى تطوع بعض الإخوان فأفهموا الجند أنه ليس من الإخوان ولكنه مظلوم ومعتقل معنا وتعهدوا بأن إخوانه بالزنزانة سوف يعلمونه الأمانة وأن السرقة حرام. فتركوه يذهب إلى زنزانه بعد أن نال ما نال ولأن الواقع انهم كانوا هم اللصوص الذين يسرقون تعييننا وتمتلىء حجراتهم بطعامنا فلم يجدوا أن استمرار القضية في صالحهم

طريقة

أوقفوني مرة خارج مكتب " التحقيق" بالسجن الحربي ووجهي نحو الحائط حتى يجيء دورى، فكان يصل إلى سمعي بعض ما يجرى داخلها. قال العميد سعد عبد الكريم بصوت عال لواحد من الضحايا المعذبين " أنت فاكِر نفسك مهم؟" قال: أبدا يا أفندم" وعاد العميد يقول " أنت تافه" وجاء صوت أخونا بسرعة وطلاقة " ذبابة يا أفندم ذبابة!" فصرنا ننفكها بها بعد ذلك.

طريقة

قبض على أحد إخواننا وكان يعد لزواج ابنته، ولبت في السجن بضع سنين. وتذكر ذلك يوما فتأثرت عواطفه، قلنا نخفف عنه:

الظلم وخيم العواقب فلن يذهب ما يحدث سدى، وحتما فإن الله سينتقم من الظالم.

قال - وماذا أفيد أنا من انتقام الله من الظالم؟

قلنا: لا عليك يا أخ سيد، وليكن لنا في الأنبياء أسوة فقد تعرضوا للاضطهاد العذاب...

قال في أسى وهو يسرح ببصره: وهل نفخ الأنبياء بالمنافخ؟

فرج وإفراج

أما فرج الله لنا وعلينا فكان الوفاة الفجائية لجمال عبد الناصر. لقد أصر عمره كله أن يلقي الله بوزر حسنا بلا سبب. ألوف وراء القضبان لكل منا أسرة وأولاد وبيت ومصالح وأرزاق أراد أن يقطعها. قبلها بيومين أو ثلاثة سألتني أخ عبد الفتاح ضرغام عن رأي ورؤيتي "أما لهذا الليل الأسود من آخر؟". وكنت قد وطنت نفسي على إقامة لا يعلم مداها إلا الله. قلت: لقد مكث فرعون موسى خمسين عاما أو نحو ذلك، أما فرعوننا هذا فلم يمض عليه سوى سبعة عشر عاما". امرأة أدخلها الله النار في هرة حبستها، فما بال هذا حبس ألوف البشر بعد أن لم يجد لهم ذريعة يجسهم بها.

في بعض تورطاته وبعد أن باخت بما لا بعدها بواحة، أعلن في إحدى خطبه أنه شكل محكمة للتظلمات تنظر في أي تظلم يقدم من معتقل، فإذا لم تجد سببا لاعتقاله فلها أن تفرج عنه. وكنت من السذج الذين تقدموا بتظلم. وتشكلت محكمة يرأسها ضباط بوليس سابق تم تعيينه قاضيا. ونظرت تلك المحكمة التظلم ورفضته. وأردت أن أفهم، فطلبت إلى زوجتي في إحدى الزيارات أن تذهب إلى هذه المحكمة وتطلب حيثيات الحكم. فقالوا لها "ممنوع". وكان هناك رجل لا أعرف اسمه ولا صفته لم يعجبه الحال، فهمس لها أنه سوف ينظر ويذكر لها. وبعد دقائق قال إن رفض التظلم كما جاء في الحكم هو بسبب اعتراض إدارة المباحث العامة!

عشية مات عبد الناصر

الحياة كما درجت منذ شهور داخل معتقل طرة السياسى رتبته كنيبة . وقيل المغرب كما كانت لعادة أغلقت البوابات الحديدية للعنابر، فلا خروج إلى الفناء حتى اليوم التالي، فقط أولئك الذين كانت توكل إليهم أعمال من الأعمال الإدارية بالمعتقل، بعضهم بالمطابخ يعدون الطعام اليوم الباكر. وبعضهم بمكاتب الإدارة كنت وأحمد رائف نزلاء عنبر واحد مع غيرنا، وكان ليلتها في حجرات المكاتب، لم يكن من طلبة المكاتب، ولكن الضباط الذين كان عليهم البيات بالمعتقل كانوا يجيئون أن يتجادبوا معه - ومع غيره - أطراف الحديث في السياسة وفي مشكلة المعتقلين. وجاء من وراء الحجرات فناداني من خلف نافذة العنبر وكانت مرتفعة عليها مربعات الحديد، فتسلقت عليها حتى رأيتها يقف تحتها.

قال شيء غير عادى قد حدث.

قلت: ماذا؟

قال: لا أدري، ولكن الإذاعة والتلفزيون قطعت برامجها المعتادة. ولا تبث غير القرآن.

تظن؟

ماذا

قلت:

قال: لا أدري، وحين أعرف شيئا سوف أعود إليك

قالتا وانصرف عائدا على المكاتب.
كانت أجهزة الراديو ممنوعة إلا الجهاز الرسمي للمعتقل فكانوا يختارون لنا ما نسمع - غالبا ما كان خطابات الرئيس عبد الناصر وهو يسبنا - أو يغلقونه، وفي تلك الليلة أغلقوه، ولكن بعضنا كان قد استطاع قريبا راديو ترانزستور صغير. وقلت ما سمعت للأخ محمد عبد المعتم حسن، وكان من أصحاب الترانزستور، فتظاهر بالنوم وتغطى ببطانية ووضع سماعة الأذن في أذنه، وراح يحرك مؤشر الراديو على كل الإذاعات الداخلية والخارجية ونحن ننتظر ثم خرج من تحت البطانية ليقول " لا شيء ألبته" وانتشرت المهمة بين المعتقلين. إن الاقتصار على إذاعة القرآن الكريم لا يغني إلا شيئا واحدا، أن كبيرا قد مات، ولم يكن في هذا الزمن الفرعوني كبير سوى فرعون واحد، حتى عصر ذلك اليوم رأوه على شاشة التلفزيون يودع الملوك والرؤساء الذين حضروا مؤتمر القمة، ولا أحد يفسر هذا الغموض.

أحسبها كانت قد تجاوزت الحادية عشرة مساء حين عاد أحمد رائف يناديني، وتسلمت إليه النافذة الحديدية مرة أخرى فهمس لي: " الشخص مات".

قلت: أي شخص؟
قال: عبد الناصر.

قالتا وانصرف. ورحت أهمس بما لمن يهمس بما حتى شاعت في العنبر المغلق علينا، ورأيت مسعد خليل - وكان شابا حدثا من جماعة التبليغ - رايته يقفز فرحا ويصفق، فطلبت منه أن يضبط أعصابه، فمازلنا لا نعرف كيف مات ولا ماذا يكون بعد، فاستجاب.

وكان رجل من معتقلي قطاع " النشاط المعادي" وهم من غير الإخوان قد خرج عن طوره من طوال مالمقى من ظلم، فاقسم ألا يصلى لله ركعة مادام عبد الناصر حيا!! وكان نائما ساعة ذهب إليه من أيقظه وقال له: "قم فصلى".

قال: والله؟

قال: والله.

فقام يجرى إلى دورة المياه ليتوضأ يتطير نعلاه من قدميه من تعجله. وكنت أرى من وضع وجهه في الحائط وقد انتابته نوبة من الضحك يحاول كتمانها، ورأيت من يتظاهر بأنه لم يسمع شيئا كأنما يتنصل مبكرا من مسئولية فرجه بموت الرئيس، إذا ما وجهت إليه تلك التهمة، وفي اليوم التالي وفي موجة المناقفة المعتادة دخل عنبرنا - وكان كله من الإخوان - رجل من " النشاط المعادي" وقال: يا إخوان... بعد صلاة المغرب

سوف يصلي النشاط المعادى صلاة الغائب على روح السيد الرئيس رحمه الله، فمن شاء أن يشاركنا الصلاة فليحضرها معنا"

وضقت به ذرعا فقلت " يا أحمى... الرئيس مات منذ المس، وأنتم لم تصلوا عليه حتى الآن؟! وتتركونه يوما بأكمله دون صلاة؟" وارتبك الرجل ولم يدر ما يقول فارتج عليه، وأشفقت عليه فسكت عنه. كانت عند المعتقلين فرحة مشوية بالتوجس والحذر. أما قائد المعتقل عبد العال سلومة، فقد حدث له اكتئاب واغتم فأغلق بابه على نفسه. وذهب أثر المفاجأة، فاكسى المعتقل بالبهجة والفرح، وصارت زيارات الأهالي للمعتقلين كلها مرح وضحك - بعد أن كانت هموما وغموما، وصار المعتقلون يستمعون فيها إلى حكايات من الخارج. منها ذلك الخبر الذى اشتهر وتواتر طفح الجارى بشارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى، بمنطقة القبر الذى قبر به الرئيس وأن الطفح أغرق المقبرة والجثة، ولذلك فقد أعيد فتح المقبرة لنزحها وتجفيف السيد الرئيس. ورأى فيها بعضهم آية من آيات الله وقرئها بنقع بعض المعتقلين بالسجن الحربى فى فضلات الجارى، ولعل أحدهم حينذاك دعا اله دعوة مظلوم مستجابة ولهج بعض الشعراء فى ذلك بما جادت قرائحهم .

جاءت تلك الوفاة الفجائية كمائدة من السماء تكون لنا عيداً.

ذهب عبد الناصر بشروره وأوزارنا فتنفسنا الصعداء وخلفه أنور السادات فأوقف أن يعتقل إنسان بعد ذلك، ثم بدأت بعد ثلاثة أو أربعة أشهر إفراجات لأفواج بالقطاعي. كنت معتقلا هذه المرة من سبتمبر ١٩٦٥ فأفرج عنى فى فبراير ١٩٧١. كان أيمن أكبر أولادى فى الخامسة حين اعتقلت وكان أصغرهم شريف قد تجاوز السنة، فصارا يوم أفرج عنى ١١ سنة و٧ سنوات وبينهما عمرو ٩ سنوات. سنوات هامة جدا فى نشأة الطفل قضاها فى غيبة أبيهم ضيفا على السلطان.

وبعد عودتى صاروا يقفون لمشاهدتى حين أحلق ذقنى فلم يكونوا رأوا رجلا يخلق من قبل. وكان أيمن يحرص أن أصحابه معى فى المترو وهو ذاهب إلى المدرسة ويطلب أن أشير إليه بيدي بعد أن ينزل إلى الرصيف حتى يرى زملاؤه بالمدرسة أن له أبا وإن اختفى سنوات، وهذا هو أبوه يشير إليه بيده من نافذة المترو.

كان تطبيع الأولاد مع الوضع الجديد مليئا بالأزمات وإن كان بهيجا مفرحا وحين زارنى شريف فى المعتقل لأول مرة سمح فيها بذلك مع أخويه ووالدته عام ١٩٦٧ - وكان ذلك فى معتقل أبى زعبل - كان ذلك فى حضور أحد الضباط يجلس بيننا يسمع ويرى تحسبا أن يقول أحدنا شيئا عن الرئيس أو الحكومة سألت شريف " هل تعرفنى؟".

قال: " نعم أنت بابا".

قلت: " كيف عرفت ذلك".

قال: " من صورتك التي بالبيت، كما أخبرتنى ماما أننا نحضر لزيارة بابا".

كان في الثالثة وكانت الزيارة تبدأ فرحا وتنتهي حزنا حين يبكي ويصرخ ويصر أن أعود معهم إلى البيت. وحين تعلم اليأس بعد ذلك من هذا المطلب كان يصر أن يبقى معي بالمعتقل، وطبعا لا هذا ولا ذاك كان متاحا. إذا كانت هذه الآثار النفسية نتجت عن اعتقال تجاوز السنوات الخمس فما بالناس ممن بقي بالسجون من ١٩٥٤ حتى السبعينيات؟.

كانت اعتقالات الإخوان الشاملة في السنوات ١٩٤٧، ١٩٥٤ و١٩٦٥ وكانت إفراجهم أيضا متقاربة، ولذلك كان أبناؤهم يولدون أيضا في مواسم وينقطع إنجابهم في مواسم، وكانت أعمار أبناء الإخوان لذلك متقاربة وعلى شرائح.

تلك الآثار الاجتماعية والنفسية لم تكن عفوية أو عشوائية وإنما كانت أيضا مستهدفة ومخططة لها، ومن أراد فليقرأ الجزء الثاني من كتاب صلاح نصر مدير المخابرات العامة لعبد الناصر " الحرب النفسية" وليقرأ أيضا الفصل التالي.

الحرب النفسية

في الفصل الثاني من كتاب الحرب النفسية شرح الاصطلاح الجديد " غسيل المخ" وهو ما يعبر به عن توجيه الفكر وذكر أنه أسلوب شيوعي، صيني وروسى وقال: " ومهما كان الوضع الذى طبق فيه توجيه الشيوعى فإنه يتكون من عنصرين أساسيين:

١- الاعتراف : وذلك بالكشف والتصريح عن كل شر ارتكب في الماضى والحاضر

٢- إعادة التعليم والتثقيف: أو بمعنى أدق إعادة تشكيل الفرد فى الطابع الشيوعى الصحيح.

هذان العنصران يترابطان بل يتدخلان معا، إذ إن كلا منهما يبرز على المسح سلسلة من الضغوط والعوامل الثقافية والعاطفية والبدنية التى تهدف كلها إلى السيطرة الاجتماعية وإلى تغيير الفرد.

ويعضى يشرح مقصوده إلى ان قال: وعلى سبيل المثال استخدمت الأساليب التالية فى السجون السياسية المختلفة:

[هذه الأساليب الخمسة استخدمتها أجهزة جمال عبد الناصر فى السجون مصر - خاصة السجن الحربى -

بإفراط

١- عزل الشخص عن الحياة العامة:

وذلك بأن يزوج بالفرد في زنزانه ذات أبواب حديدية وفي داخل أسوار حديدية بعيدا جدا عن كل معرفه القدامى وعن كل مصادر المعلومات وصور الحياة العادية، وهو في هذه الحالة يصبح نهباً للتعليقات والتحذيرات المفزعة وتغشى عقله غيوم تحجب عنه ما يدور خارج سور زنزانه. ولم يختلف التكنيك الذى يستخدم اليوم عن ذلك الذى استخدم أيام محاكم التفتيش أو الذى استخدمه النازيون مع أسراهم في معسكرات الاعتقال.

لقد كان يترك الأسير لمدة طويلة دون أن توجه إليه أى اتهامات ودون السماح بتسرب أى أخبار إليه عن أسرته أو عن العالم الخارجى أو عن العام الخارجى، فيشعر الفرد بأنه أصبح وحيدا في هذا العالم، ولا يوجد بجواره من يستطيع أن يعاونه في محنته. يشجع على ذلك أن أخلص أصدقائه وأحبائه عادة لا تواتيهم الجرأة ليسألوا عن مكانه أو يسيروا إلى أنهم على معرفة به خشية التعرض للاعتقال والاستجواب، ومن ثم يتم عزله.

وبعد فترة من القلق المستمر ، وبتطبيق بعض الأساليب الأخرى التى سنذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب. ومن المحتمل أن يتحطم الإنسان تلقائيا وبدرجة ملموسة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعترف به، ويصبح في حالة يأس وتعاسة.

وغالبا ما يناله الضعف والوهن نتيجة هذه الآلم الطويلة وما يصاحبها من ضغط فسيولوجى بحيث يصبح عقله ملبدا بالغيوم، فلا يستطيع أن يميز أى شىء ويهبط إلى قرارة نفسه أى إحاء يقدم بواسطة الإجمار أو الخيلة.

وهناك وسيلة معروفة استخدمت في السجون السياسية وهى أن يوحى إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع صوتا واحدا من أجله، وأن محبيه وأصدقائه تخلوا عنه، مما سيحعله يشعر بأنه أصبح وحيدا تماما فينقاد إلى المحكمة المحزنة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطأة وعنفا.

الضغط الجسماني:

وهذا يتفاوت من الحرمان من الطعام ومن النوم إلى التصفيد بالأغلال كعقوبة لعدم التعاون مع المستجوب، والهدف من هذا كله هو الوصول بالفرد إلى درجة من الإعياء والانهيار، بحيث يكون عقله قابلا لتقبل أى توجيه من المستجوب.

والواقع أن الجوع يلعب دورا أساسيا في عملية غسيل المخ، لأن الإنسان لا يستطيع أن يستمر في حياته العادية دون أحوال بيولوجية معينة، منها الغذاء اللازم لبناء خلايا الجسم وتجديدها.

والتغذية السليمة عنا ليست بكمية الغذاء الذى تمتلىء به المعدة ، فإننا نعرف أن الجسم يحتاج إلى نسبة معينة من المواد العضوية والفيتامينات التى تمكنه من تأدية وظيفته، والوجبات الغذائية غير المتوازنة تخلق فى الإنسان نوعا من الجوع ، فالعبرة عنا ليست بالبطون المنتفخة ذات البنية الضعيفة والدهن المشتت، ولكن التغذية الجيدة هى التى تعمل على توازن الوجبات التى تعطى الجسم طاقته اللازمة ولقد استخدم التجويع بهذا المعنى كعنصر من عناصر عملية غسيل المخ، إذ كان يعطى للسجين ما يكفيه من أطعمة تمكنه من البقاء على قيد الحياة وليس بالكمية التى يتطلبها الجسم لجعل ذهنه يؤدى وظائفه بدرجة كافية، إذ كانت نسب الطعام توضع تبعا لصفات المقاومة التى يتصف بها الفرد، فكلما ازدادت مقاومته تعمد المستجوبون تجويعه،

إن الجوع يجعل الإنسان يسير نحو حتفه بمحض إرادته، بل قد يدفعه إذا وصل إلى درجة مفرعة إلى أن يتخلى عن معتقداته وقيمه، وخاصة إذا عاون ذلك ظروف مضنة أخرى.

والإجهاد لا يقل تأثيرا على الإنسان عن الجوع بل قد يبيزه، إذا إن الجسم يحتاج يوميا لعدد معين من الساعات للراحة والنوم، وقد يظل بعض الناس فى فترة من الفترات دون نوم لمدة يوم كامل، وظل الكثيرون على قيد الحياة بقسط لا يذكر من النوم ، إلا أن الاستمرار فى ذلك من شأنه أن يقضى على صفاء الدهن، ويؤدى بأقوي الأشخاص إلى الجنون والانتحار، لأن الإنسان يصل فى النهاية إلى درجة من الإهميار وتشويش ملكاته العقلية، وفقدانه كل إحساس والفرد الذى عان الحرمان من النوم يصبح أكثر قابلية لتقبل الإيحاء وأكثر استعدادا لتنفيذ تعليمات الذين يطلبون منه أن يسلك سلوكا معيناً، كما يقل احتمال مقاومته لمطلب أى إنسان من ذوى السلطة.

ويستغل المستجوبون فى السجون السياسية هذا كله مهينين بيئة يصبح فيها النوم شبه مستحيل، إذا يوقظون الفرد فى ساعة غير عادية، أو يجبرونه على الاستيقاظ كلما نام أو يوقظ فى غلظة وخشونة ثم يستجوب لفترة قصيرة ويعاد ثانية لزنزانتته. والهدف من هذا كله هو إجهاد المتهم أو الأسير حتى يصل فى النهاية إلى درجة من الإهميار تمكن المستجوب من الإيحاء إليه بما يريد.

ويمضى صلاح نصر مدير مخبرات عبد الناصر فيتناول فى رقم (٣) التهديدات وأعمال العنف فيذكر الضرب والركل حتى الموت والنقع فى الماء وغير ذلك، ثم رقم(٤) الإذلال فى أسلوب تناول الطعام والنوم والاختسال وما إلى هذا طبقا لنظم محددة، مع عدم القيام بأى عمل دون الحصول على إذن من الحارس ، وإحناء الرأس ، وإبقاء الأعين موجهة إلى الأرض أثناء التحدث إلى الحراس. كما تستخدم الضغوط مثل الاستجواب لمدد طويلة..."

وانتقل فى رقم (٥) إلى استخدام الدروس الجماعية... الخ ويمضى الكتاب فى تفصيل ذلك وشرحه. حتى إذا جاء إلى آخر الكتاب قال:

" لقد أكدت التجارب صعوبة إحداث الانهيار العصبي في الحيوان الذي لا يتعاون مع من يجرى عليه التجربة، وذلك بمقارنتها بالسهولة التي يتم بها الانهيار العصبي في أولئك الذين يحاولون تقبل تنفيذ هذه المهام التي توكل إليهم... فكل من يرفض التعاون مع أى وسيلة من وسائل التحول الديني أو غسيل المخ نجده بدلا من الانتباه إلى الخقق أو الواعظ يحاول أن يركز ذهنه على مشكلة أخرى مختلفة تماما ومن ثم يثبت أطوال من الجميع.

"... إن الصعوبة تكون أعظم بكثير في إدانة أى إنسان لا يمكن إقناعه بالكلام، مع ذلك فإن عددا كبيرا بل أكبر مما ينبغي ومن الذين يلتزمون بالقانون حتى عندما يكونون مذنبين يقومون بسهولة بتوقيع أكثر الاعترافات ضررا لهم وبمحض اختيارهم بسبب وجود هفوة مبدئية على التعاون مع رجل الشرطة". أ.هـ—
هذه خلاصة خبرة صلاح نصر وحصيلة تجاربه وضعها في كتاب.

بين الناصرية والإخوان

نشر الإخوان خارج مصر وثيقة خطيرة تضعها أمام القارئ بنصها. والوثيقة - رغم أهميتها البالغة - ينقصها أمر جوهري وهو إسنادها. فلا تعلم من الذى أذاع الوثيقة ولا كيف حصل عليها، ولا حتى من الذى نشرها وطبعها ولا المطبعة التى طبعتها ولا تاريخ ذلك. وعلى هذا فمن الجائز - من وجهة نظر التحقيق العلمى لأى مستند - الطعن فيها أو إنكارها غير أن هناك ما يمكن أن يقال فى الرد على ذلك وهو الإرهاب الذى شاع وذاع ضد كل ما يمت إلى الإخوان المسلمين يصلة فى العهد الناصرى بحيث كان يخشى على أى كائن يظهر فى هذا المجال لا داخل مصر وحدها بل وفى خارجها أيضا ما دام النظام القائم فى مصر

اعتمد على عسكرية تغتال أعداءها وتختطفهم حتى من الخارج. وإذا قام هذا عذر لعدم إسناد الوثيقة فهو ما زال لا يقيم الدليل على صحتها. ومع ذلك فسواء كانت الوثيقة صحيحة أو مصطنعة فإن ما جاء بها يطابق تمام التطابق ما نفذته سياسة جمال عبد الناصر بالفعل مع الإخوان المسلمين، بحيث يصعب علينا إن ننفىها وننكرها كما يصعب تصور إمكان صنعها شأنها فى ذلك شأن بروتوكولات حكماء صهيون، ينكرها اليهود ولكن واقعهم يعترف بها.

نص الوثيقة

بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة، ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها فى قسمى مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين:

٢- منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم.

اجتمعت اللجنة المشكلة من :

١- سيادة رئيس مجلس الوزراء (زكريا محيي الدين).

٢- السيد - قائد المخبرات (صلاح نصر).

٣- السيد، قائد المباحث الجنائية العسكرية (العميد سعد زغلول عبد الكريم).

٤- السيد مدير المباحث العامة (لواء حسن طلعت).

٥- السيد مدير مكتب السيد المشير (عقيد شمس بدران).

وذلك في مبنى المخبرات العامة بكوبرى القبة. وعقدت عشرة اجتماعات متتالية . وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والإحصائيات السابقة أمكن تلخيص المعلومات في الآتى:

١- تبين أن تدرس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين فى لاشعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويسهل تتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية وسهولة فجائية تحول الفئة الأولى إلى الثانية بتطرف أكبر.

٢- غالبية أفراد جماعة الإخوان عاش على وهم الطهارة ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية " خام".

٣- غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك إلى اطراد دائم وملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم العلمى والفكرى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشثومة.

٤- هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع به.

٥- تداخلهم فى بعض ودوام اتصالحهم الفردى ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى على ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة.

٦- هناك توافق روحى وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

٧- رغم كل المحاولات التي بذلت منذ سنة ١٩٣٦ لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية إلا أن احتكاكهم الفردي بالشعب يؤدي إلى نحو هذه الفكرة عنهم رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم.

٨- تزعمهم حروب العصابات في فلسطين سنة ١٩٤٨ والقنال ١٩٥١ رسب في أفكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية وليست دعائية فقط، بجوار أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية في المنطقة لا تخفى أغراضها في القضاء عليهم.

٩- نفورهم من كل من يعادى فكرهم جعلهم لا يرتبطون بأى سياسة خارجية سواء عربية أو شيوعية أو استعمارية وهذا يوحى لمن ينظر لماضيهم بأنهم ليسوا عملاء وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد في المكافحة يجب أن يشمل أساسا بندين متداخلين وهما :

١٠- ١- نحو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامي.

١١- ٢- إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا والموجود من معتققي الفكرة. ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذي يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين في الآتي:

أولا : سياسة وقائية عامة:

١- تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامي والدين في المدارس وربطهما بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية مع إبراز مفاصد الخلافة وخاصة زمن العثمانيين وتقديم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

٢- التحري الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان في كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها.

٣- يحرم بتاتا قبول ذوي الإخوان وأقربائهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط في السلك العسكري أو البوليسي أو السياسي مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى في حالة ثبوت ولائهم

٤- مضاعفة الجهود المبذولة في سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتخطيم وحدتهم بشقي الوسائل وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم ثم مواجهة الآخرين بها مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة انعدام الثقة بينهم.

٥- بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان وهم الذين يمثلون الاحتياطي لهم وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين في المدى الطويل... ووجد أن أفضّل أن يبدأ بتوحيد معاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا.

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم فغن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة في يوم ما على أيديهم واستحالة التمييز بين الإخوان والمتدينين بوجه عام فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلي معهم:

- أ- تضييق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموما في المجالات العلمية والعملية.
- ب- محاسبتهم بشدة وباستمرار على أى لقاء فردى أو زيارات أو اجتماعات تحدث بينهم.
- ت- عزل المتدينين عموما عن أى تنظيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو إعلامى.
- ث- التوقف عن السياسة السابقة في السماح لأى متدين بالسفر للخارج للدراسة او العمل حيث فشلت هذه السياسة في تطوير معتقداتهم وسلوكهم وعدد بسيط جدا منهم هو الذى تجاوب مع الحياة الأوروبية في البلاد التى سافروا إليها. أما غالبيتهم فغن من عبط منهم في مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية والمحاضرات لنشر أفكارهم.
- ج- التوقف عن سياسة استعمال المتدينين في حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين في حربهم بغرض القضاء على الفئتين حيث ثبت تفوق الدينين في هذا المجال ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية.
- ح- تشويش الفكرة الموجودة عن الإخوان في حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الإنجليز بالهضبي وقيادة الإخوان حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للإستعمار في ذهن الجميع.
- خ- الاستمرار في سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المقيمين في الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة في الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب وذلك بأن يروج عنهم في تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم وبأنهم يضرون بمصالحها. وبهذا تسهل محاصرتهم في الخارج أيضا.

ثانيا: سياسة استتصال السرطان الموجود الآن:
بالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا أو سجنوا في أي عهد من العهود يعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان من الجسم ولا يرجى شفاؤه ولذا تجرى عملية استئصالهم كالاتى:

المرحلة الأولى - إدخالهم في سلسلة متصلة متداخلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ويتبع ذلك اعتقالهم. وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردي ودوري حتى يصيب الدور الجميع ثم يعاد وهكذا وفي نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعي بل يكون ملازما للتأديب الفردي.

وهذه المرحلة عن نفذت بدقة ستؤدي إلى ما يأتي:

بالنسبة للمعتقلين: اهتزاز في المثل والأفكار في عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهاات والأمراض فيهم.

بالنسبة لنسائهم: سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات فسوف يتحررن ويتمردن بغياب عائلهن وحاجتهن المادية قد تؤدي إلى انزلاقهن.

بالنسبة للأولاد: تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتهم المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن في نفوسهم حقد أو ثأر أو آثار من أفكار آبائهم.

المرحلة ## الثالثة: إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجن أو المعتقلات أو بالمحاكمات، ثم الإفراج عن الباقي على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أبناء العفو عنهم حتى يكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد في حالة الرغبة في العودة إلى اعتقالهم حيث يتهمون بأي تدبير ويوصفون حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم وهذه المرحلة إن أحسن تنفيذها باشتراكها مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كما يلي:

١- يجرع المعفو عنه إلى الحياة فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه. ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه.

٢- إن كان موظفا أو عاملا فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع في مكانه. ويمكن أيضا أن يحرم من العودة إلى وظيفته أو عمله.

٣- إن كان تاجرا فقد أفلس تجارته ويمكن أن يحرم من مزاوله تجارته.

٤- إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها حيث وضعت تحت الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء.

وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها في الآتي:

١- الضعف الجسماني والصحي والسعى المستمر خلف العلاج والشهور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة.

٢- الشعور العميق بالنكبات التي جرّتها عليهم دعوة الإخوان وكرهية الفكرة والنقمة عليها.

٣- عدم ثقة كل منهم في الآخر وهي نقطة لها أهميتها في انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم .

٤- خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعي إلى مستوى اقل نتيجة لعوامل الإفقار التي أحيطت بهم.

٥- تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم وفي هذا إذلال فكري ومعنوي لكون النساء في بيوتهن سلوكهن يخالف أفكارهم، وتبعاً للضعف الجسماني والمادى لا يمكنهم الاعتراض.

٦- كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم.

النتائج الجانبية لهذه السياسة هي:

الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم، حيث عقب التنفيذ سيشعر كل منهم أنه في حاجة إلى هذا الحكم ليحميه من أى عمل انتقامي قد يقوم به الإخوان كثأراً.

- إثارة الرعب في نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم.
- وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة وأن المعارضين لن يتستروا وسيكون مصيرهم أسوأ مصير.
- محور فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى.

انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر.

إمضاء- السيد رئيس مجلس الوزراء

إمضاء - السيد قائد المخابرات.

إمضاء - السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية.

إمضاء - السيد مدير المباحث العامة.

خاتمة

وبعد.. فهذه صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين. كما أسلفنا في المقدمة ليست هي تاريخ الإخوان المسلمين فتاريخهم أكبر من أن يحتويه مجلد، وأشق في جمعه وتدوينه من أن يستطيعه فرد أو مجموعة أفراد. إنما هي صفحات أردت أن أجمع بها ما لم ينشره أحد، وبجوانب قد لا يراها كاتب هامة... كيف كانت تدعو الجماعة الناس؟ أثر هذه الشعب على الناس عامة وعلى الشباب خاصة؟ ماذا كان المركز العام للإخوان المسلمين؟ ماذا كانت نظم الإخوان وتنظيماتهم؟ ماذا كانت أخلاقهم وتقاليدهم؟ رؤية للنظام الخاص من داخله. أسرار لم تنشر لبعض الأحداث التي ارتبطت بحركة الإخوان المسلمين سياسيا وحركيا... الخ. وتجاوزت عن كثير، فما كان بمقدوري أن أجمع كل شيء. وأكثر ما تجاوزت عنه إما ذكره غيري في كتابات سبقت، وإما يستطيعه غيري، إما لم استطعه وإما تجنبته.

وفي كل يوم تتطلع أجيال جديدة من الشباب تمهقوا قلوبها نحو الإسلام وترغب في التقرب إلى الله بأعظم القربات... أقصد العمل للإسلام والجهاد في سبيل الله، تنظر إلى هذه الحركة الرائدة التي فاتها أن تعاصرها ففتفتقد الأثر، ولا تجد ما يلقي عليها الأضواء قدر ما تجد ما يلقي عليها الظلال. وإني كواحد من أفراد هذه الحركة يحق لي أن أفخر بكل ما قدم الإخوان في وقت انصرف غيرهم إلى متع الحياة وملذات الدنيا، ليس هذا قصدي من هذه الصفحات... لست أكتبها لأفخر، ولكني أقدمها للدارسين والحققين، أقدمها للمسلمين للانتفاع بها. وأسأل من لديه تعقيب أو تصويب أو استدراك أو يوافيني به لطبعات تالية إن شاء الله.

لقد كانت حركة الإخوان المسلمين نورا يستضاء به، ولكن ما كتب أعداء الله وأعداؤها عنها أكثر كثيرا كثيرا مما كتب أصحابها. والآن لنا أن نتساءل:

عل الإخوان مهملون في تدوين هذا التاريخ؟

هل لهم عذرهم في هذا الإهمال؟

الحقيقة أنهم كانوا عاملين أكثر منهم كاتبين... كانوا يخلصون العمل ولم يكونوا يستعرضون. كان همهم أن يرى الله ولا يهتمهم أن يرى الناس!

ولقد مر على أول حل الجماعة حتى صدور هذا قرابة أربعين عاما اتصلت فيها الخن والإحن، فما يكاد يفيق الإخوان حتى تدهمهم داهمة من جديد.

تحالفت على الإخوان المسلمين جميع قوى الباطل وإخوان الشياطين، وإيكم ما ظهر من هذه القائمة
ولعل هناك ما نعبر به عن ملك مصر فاروق الأول والأخير.
خفى:

الوزارات. الحزبية المتعاقبة وغير الحزبية.

الأحزاب الفاسدة في عهد فاروق.

الإنجليز في مصر وكل محتل في غير مصر من أرض العروبة والإسلام الصهيونية العالمية واليهودية الخبيثة
الماكرة. الشيوعية المخربة والإلحادية الفاسدة.

النزعات القومية التي ما ظهرت إلا لتحل محل الإسلام في الميدان.

الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا السوفييتية على حد سواء.

حركة جمال عبد الناصر التي استباحت كل شيء وتعرت من كل ستر.

أموال وإذاعات وصحافة وسجون وسلاح وأذنان هؤلاء جميعا...

كل هذا... فمن كان لكم أيها الإخوان؟
لكم الله.....

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لكم دار السلام عند ربكم وسلام على من اتبع الهدى
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربيع الأول ١٤٠٧

نوفمبر ١٩٨٦

الختويات

الموضوع

الموضوع

في الأسرة

تقديم الناشر

الفصل الثالث

نقط فوق الحروف

إلى المركز العام

إهداء

حديث الثلاثاء	مقدمة الطبعة الثانية
حسن البنا	مقدمة الطبعة الأولى
عاطفة الثلاثاء	الفصل الأول
مع قسم الطلاب	انتـماء
تربية	تقديم
حركات	خواجات
استقلال مصر	أول الخيط
ماهر بعد النحاس	ماذا كان في مصر؟
انتخابات مزورة	خيط آخر
الإخوان المسلمون والإخوة الأقباط	عقيدتنا
الفصل الرابع	إصرار
صحافة الإخوان	مع الدعوة
النذير	فارق
مجلة الإخوان المسلمون	أمل
الجريدة اليومية	هذه مهمتنا
الكشكول الجديد	إعداد
الشهاب	الفصل الثاني
صحافة صديقة	في شعبة الظاهر
الدعوة	علوم وفوائد
مجلة الإخوان مرة أخرى	ارتباط وعمل
	في الجلالة

الدعوة مرة أخرى	في الكتيبة
وزارة صدقي	الإفراج هن مطبوعات الإخوان المصادرة
يوم الحريق	الفصل الخامس
ضرب أقسام البوليس	مع النظام الخاص
قطار الشرايية	اتصال
قنابل عيد الميلاد	دراسات
محاولات لتنظيمات	كشف طبي
حادث الجبل	بيعة
الفصل السادس	حصاد العمر
حكاية يحيى حميد الدين	شيء عن عبد الرحمن
اليمن السعيد	عود إلى حصاد العمر
الجمعية اليمنية الكبرى	هذا الكتاب والفتنة
اغتيال يحيى	بل الحب والرابطة
انتكاس	تاريخ النظام الخاص
الورتلاني والذهب	تحية للنظام الخاص
أسباب	نشاط
الفصل السابع	من أوراق قضية السيارة الجيب
الخازندار في خبر كان	المخابرات
السبب	مثال آخر
اغتيال	مخابرات الإخوان
كيف اغتيال الخاندار	عود إلى الأحداث

الحكم	وزارة النقراشى
ردود الفعل	مظاهرة كوبرى عباس
مشروع تهريب	عيد ميلاد الملك
الفصل الثامن ١٩٤٧ - ١٩٤٨	النقراشى يترنح
النقراشى والإخوان	مقابلة مع حسنين باشا
الفصل العاشر	قسم الوحدات
اغتيال النقراشى	مصر الفتاة وآخرون
الأسباب	وإخوان أيضا
الحادث	الإخوان وفلسطين
الرأى العام فى إنجلترا وفى مصر	السلاح لمتطوعينا
عود إلى القضية	شركة الإعلانات الشرقية
القضاء فى مصر	الفصل التاسع
الحكم	السيارة الجيب
استمرار المقاومة	عهدة المدرسة
حامد جودة	سقوط السيارة
حادث المحكمة	سوء حظ
الفصل الحادى عشر	قضاء وقدر
استشهاد الإمام	التحقيق
تريدون قتلى	سجن الأجنب
الإعداد للجريمة	سجن مصر العمومى
الحكومة القاتلة	الاتهام

إتمام الجريمة	الغرامة
الجنابة	شهود النفي
رثاء الثاكل المؤمن	حادث دبلوماسى مثير
الحكم	الوثيقة
الهضيبى مرشدا	الحكم
الفصل الثانى عشر	حل الإخوان
التجميع الثانى للنظام الخاص	حديث مع الأستاذ
اتصالات	نحن ومن حولنا
عقبات	البوليس السياسى مرة أخرى
ردود	
عقبات أخرى	
ثياب وملابس	الفصل الثالث عشر
طعام	النظام الخاص
مثال	البرنامج الدراسى
الفصل السادس عشر	مقدمات أمر خطير
محنة ١٩٥٤	الفتنة الكبرى
محنة ١٩٦٥	الفتنة تستمر
نماذج من المعاملة	حدث عجيب
تحقيقات	محنة عابرة
محاكمات	يوسف طلعت
إفراج	إلغاء قرار الفصل

العدوان الثلاثي
عود إلى البنك الأهلي
تنظيم عادل كمال
مساومة
قضايا التعذيب
طريقة
طريقة
طريقة
طريقة
طريقة
طريقة
عشية مات عبد الناصر
فرج وإفراج
الحرب النفسية
بين الناصرية والإخوان
خاتمة

حوار مع الشيخ فرغلي
الفصل الرابع عشر
الإخوان وضباط الثورة
الصاغ محمود لبيب
الضباط في الإخوان
انفصال
الإعداد لحركة الضباط
كيف خرج الملك
الإخوان والملك
الإخوان والثورة
أبطال التعذيب
الفصل الخامس عشر
السجن الحربي
اعتقال
السجن الكبير
استقبال
صلاة

